النور ❷

(مختارات من الأوراق المقدمة في المؤتمر الدولي حول «التعليم والأخلاق
في ضوء رسائل النور لسعيد النورسي» في جامعة كيرالا، الهند)

النور ❷

(مختارات من الأوراق المقدمة في المؤتمر الدولي حول «التعليم والأخلاق
في ضوء رسائل النور لسعيد النورسي» في جامعة كيرالا، الهند)

فبراير ٢٠١٧

المحررون

د. تاج الدين المناني
نوشاد الهدوي
د. محمد شافعي الوافي

قسم اللغة العربية، جامعة كيرالا

ترفاندرم، كيرالا، الهند

Department of Arabic
University of Kerala
Kariavattom, Thirvananthapuram

Seminar Proceedings - February 2017

ANNOOR-2
2016 ,Selected Papers from International Nursi Studies Conference in India)
" on "Education & Ethics in Said Nursî's *Risale-i Nur*

EDITORS
Dr. Thajudeen AS
Noushad V
Mohammed Shafi KP

© All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the authors. The authors are responsible for the views expressed in their articles.

Book & cover design: Nujumudeen
Printed at Kerala University Press
Published by Dr. Thajudeen AS

ISBN: 978-93-5268-054-2

₹ 300.00

Contact for copies: 04712 308846 / campusarabic@gmail.com

محتويات

مقوّمات الوحدة الإسلامية في فكر بديع الزمان النورسي ٩
أ. د. عبد القادر أحمد سليماني

الإنْسانُ وَالأزَماتُ العالمية المعاصرةِ- أزْمَة بحث الإنْسانِ عَنِ السَّعادةِ....٢٤
أبو بكر توفيق فتاح

منهج النورسي في الثبات زمن المحن دراسة مقارنة ٤٧
أم كلثوم بن يحي

دعائم لبنات بناء الحضارة الروحية الإنسانية في فكر النورسي ٧٢
إبراهيم يوسف دياه

أهمية أهل البيت ٨٥
د. تاج الدين المناني و د. عبد الرشيد

العلم بين الحكمة القرآنية وبين الفلسفة البشرية عند الإمام..... ٩٦
أ. خلاف الغالبي

قيمة الوحدة والاختلاف في فكر بديع الزمان النورسي ١١٩
د. الجمعي شبايكي

«مشروع إصلاح التربية والتعليم عند النورسي وسعيه لتأسيس..... ١٤١
د. سعيدي مزيان

تجلي القيم الإيمانية في لغة رسالة سمو القرآن للنورسي ١٧١
د. الشريف حبيلة

«إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» لسعيد النورسي: دراسة ١٩١
د. شيخ محمد

الرومي والنورسي ومنهجهما في الدعوة للسلم مع الآخر دراسة مقارنة ٢٠٩
د. عارف الزغول و د. عبدالكريم علي جرادات

الإنسان وقضايا المواطنة: رؤية إسلامية ٢٢٩
د. علي محمد مصطفى ديهوم

الأخلاق الإسلامية وأصولها العقدية عند الإمام سعيد النورسي..... ٢٤٦
م. د. عوض جدوع احمد

مميزات المنظومة الأخلاقية للإمام بديع الزمان سعيد النورسي ٢٨٩
د. يوسف محمد الندوي

التصوف في فكر الشيخ بديع الزمان النورسي ٣٠١
أ. د. يوسي الهواري

مدرسة الزهراء وأهميتها في إحياء المسلمين لمواجهة التيارات ٣١٨
شوكتلي سي وي

أهمية منهج رسائل النور في التبليغ في العالم المعاصر ٣٢٩
عبد الرزاق ب. م

البعد التربوي في رسائل النور للنورسي ٣٣٥
عبد العزيز التزكيني

تعليم الأخلاق بالأمثال في ضوء رسائل النور لسعيد النورسي ٣٥٣
كي.اف. جليل أحمد

مشروع مدرسة الزهراء: بحث تحليلي عن بنيتها التحتية ٣٦٥
محمد أفضل الوافي

النبوّة وتطبيق السنّة من منظور رسائل النور ٣٨٠
محمد أنيس

أهمية نشر القيم الإنسانية في ضوء «رسائل النور» لبديع الزمان ٣٩٦
محمد عالمغير

رؤية النورسي حول التربية و التعليم ٤١٠
د. محمد مسيح الرحمان

فكرة النورسي عن الحياة العائلية السعيدة وتطبيقاتها ٤٢٨
محمد معروف بن حمزة

الإعجاز النظمي وتجلياته عند النورسي - قراءة في «إشارات ٤٣٧
محمد وسكسو & د. عبد الحميد زاهيد

التجديد الإيماني عند بديع الزمان النورسي التيارات الفكرية ٤٥٢
مريم عمار عطية

«ثلاثية النهوض لسعيد النورسي و دورها في الاسترداد ٤٧٤
نسيم بوعافية

مقوّمات الوحدة الإسلامية في فكر بديع الزمان النورسي في ضوء رسائل النور

أ. د. عبد القادر أحمد سليماني
أستاذ التعليم العالي، دكتوراه في الكتاب والسنة، ودبلوم في الدراسات العليا الفقه وأصوله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد بن عبد الله، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ موضوع الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر يشمل كل قضايا الدّعوة الإسلامية ومناهجها، وما تنهض عليها من مقوّمات أساسية، سواء كانت تلك المقوّمات تتوفّر في الدّعوة ذاتها أو في شخصية الدّاعي[1]؛ وأعظم تلك المقوّمات هي النّصح والإخلاص لله عزّ وجلّ ولهذا الدّين ولجميع النّاس، لقوله ﷺ:»الدّين النّصيحة، قلنا لمن...؟ قال:لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم».[2]

ولكن مثل هذا العمل الذي هو قيادة الأمّة يترتّب عليه مهمّة عظيمة ومسؤولية دقيقة، يحتاج صاحبه إلى علم ودراية، وخبرة ومقدرة، وهذا لا يتأتى لجميع النّاس؛ ذلك أنّ الله عزّ وجلّ قد قيّض لهذه الأمّة من يجدّد لها دينها؛ فقد جاء في الأثر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:»أنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها».[3]

١ الدعوة إلى الله على بصيرة، د. عبد النعيم محمد حسنين، ص:٦٥.

٢ صحيح مسلم، الإيمان-٨٢، والنسائي، البيعة-٤١٢٧، وأبو داود، في الأدب-٤٢٩٣، وأحمد في مسنده-١٦٣٣٢.

٣ سنن أبي داود-٤٢٩١، وصحّح إسناده السخاوي في المقاصد الحسنة:١٤٩، والألباني في مشكاة المصابيح:٢٢٨، وقال العجلوني:»اعتمد الأئمة على هذا الحديث»، كشف

والدّارس لرسائل النّور، دراسة موضوعية، مراعيا المقاصد التي أنشئت من أجلها، تنكشف لديه شخصية من الشخصيات الفذّة، والمتمثّلة في المفكّر بديع الزمان سعيد النّورسي.

والرجوع إلى فكره يكون بحق مفيدا للغاية باعتبار أنه رجل عالم بالشريعة، ظلّ يقدّم جهدا في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين، بالتّأليف والتّوجيه طوال سنوات عمره الّتي قضاها بين النّفي والتّشريد والسّجن، والّتي تزيد على ربع قرن. وقد ألزم نفسه حياة الزهد والتأمل والعبادة، ونهض برسالة التجديد في بلد كان للتصوف فيه حضور.

لقد كان النورسي رجل مرحلة عصيبة مرت بها الأمة، وتمكنت فيها القوى المناوئة للإسلام من إسقاط الخلافة، ومن فرض تحول قسري نحو العلمانية، ونحو التبعية المطلقة للغرب، فكان للنورسي وعي عميق بخصوصية المرحلة وبما تستدعيه من جهد فكري، لتمتين علاقة أفراد الأمة بدينهم، ولإبقائهم مرتبطين بهدي القرآن، وبتحديد مفهوم الدين بأسلوب يعتمد الفكر العميق مع ترقية الروح الإيمانية.

وعلى يد الشيخ سعيد النورسي برزت الفرقة النورسية الصوفية في تركيا، كرد فعل للتيار العلماني الذي هيمن على الحياة فيها بعد سقوط الحكم العثماني؛ وهي فرقة تميّزت بما حدّده الشيخ النورسي من تصورات إيمانية، من خلال كتاباته، التي تمحورت حول:

إيقاظ العقيدة الإسلامية في نفوس أتباعها

-تجنب السياسة.

-تهذيب النفوس.

وقد ولد سعيد النُّورْسي في قرية «نُورس»، التي ينسب إليها، وهي تقع شرقي الأناضول في تركيا، عام (١٢٩٤هـ-١٨٧٧م)، من أبوين صالحين كانا

الخفاء: ١-٢٨٢.

مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح، ونشأ في بيئة كردية يخيم عليها الجهل والفقر، كأكثر بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين.

ورسائل النور تعكس صورة حيّة لنضال هذا الرجل الذي نذر حياته لخدمة هذا الدّين، فكان حقيقة باعث النّهضة الدّينية في تركيا المسلمة خاصة، والعالم الإسلامي عامة، ورائدا من أكبر رواد الحركات الإسلامية في عصرنا الحديث؛وقد عالجت هذه الرسائل قضايا ومشاكل تهمّ العالم الإسلامي وغيره معالجة دقيقة وهادفة تمحورت في عدّة مواضيع، من بينها موضوع يخص:»مقومات الوحدة الإسلامية».

والمعلوم والمقرّر أنّ للإسلام نظرة مستقلة للإنسان تختلف عن غيرها اختلافا أساسيا، وإن كانت في الفروع والتّفصيلات قد تلتقي في بعض الأحيان بغيرها من النّظريات.

ونظرة الإسلام في تكاملها وتناسقها وشمولها لكلّ جوانب النّفس البشرية وكلّ جوانب الحياة غير مسبوقة من الوجهة التاريخية، وما تزال حتى اليوم بعد كل ما ظهر من النظريات تنفرد وحدها بالشمول والعمق والاتزان، قال اللّٰه تعالى:﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.[٤]

وأهمّ ما يتميّز به الإسلام أنّه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه تبعا لخصائصه الإنسانية وطبائعه وغرائزه ونزعاته وميوله، صراحة وضمنا.

وأهم هذه الخصائص:

-أن الإنسان خلق من طين على شكل متميّز يدلّ على عظمة الخالق وكمال قدرته ويذكر الإنسان منذ بداية تكوينه بنعم اللّٰه تعالى التي لا تحصى عليه والعلاقة الوثيقة التي تربط بينه وبين الطبيعة المحيطة به، قال اللّٰه عزّ وجلّ: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.[٥]

---

٤ الذاريات- ٢١.

٥ المؤمنون- ١٤.

-وأنّ كيانه قد جمع لعناصر وخصائص أساسية:الجسم والعقل والروح.

والإسلام يعترف بهذه الأبعاد الثلاثة للشخصية الإنسانية ويقدّر أهميّة كلّ واحد منها بالنّسبة لحياة الإنسان حياة سعيدة ويرى أن تلك الحياة والسّعادة لا تتمّان إلاّ بالتوافق والانسجام والتعاون التام بين هذه العناصر جميعا.

وهذه النظرة الكلية الشاملة للإنسان التي يؤيدها الإسلام، بما فيه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، هي ما يقبله العقل والفطرة السليمة، وما يتماشى مع النظريات الحديثة في الطبيعة الإنسانية.

وهذا ما ندركه من تصفحنا وتتبعنا لرسائل النور في فهم حقيقة الإنسان، وأنه جسم وروح ومادة وعقل، وبناء متكامل لا صراع فيه بين الروح والمادة، ولكن لقاء و توازن.

وهذه الثمرة المتمثلة في الانسجام بين هذه العناصر الأساسية لكيان الإنسان، المطلوب أن تتجسد في العلاقة الحيوية بين الفرد والمجتمع، وبعبارة أدق بين الفرد والقبيلة والشعب والأمّة، في إطار الوحدة الإيمانية والأخوية، المتمثلة في الوحدة الإسلامية بكل أبعادها.

وإذا كانت أزمة الفكر الغربي كله، وأزمة الحضارة الآن التي تصدر عن الانشطارية في النظرة، وإعلان شأن المادة والجسد وحدها، وإنكار الجانب الآخر كله، بما يحويه من عواطف ومشاعر وروح وأشواق وجدانية نفيسة؛ فإن النظرة الإسلامية الأصيلة إنما تردّ الأمور إلى أصولها تكاملا بين الروح والمادّة، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة.

قال اللّه تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.[٦]

وجاء في الحديث الشريف عن ابن أبي جحيفة عن أبيه قال آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال

---

٦ القصص-٧٧.

لها: ما شأنك؟ قالت:أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال:كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال:نم فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان:إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان».[٧]

وعلماء الإسلام عندما يعترفون بوجود هذه الأبعاد الرئيسية للشخصية الإنسانية؛ وهي الجسم والعقل والرّوح، ويؤكّدون ضرورة اتّساقها وتعاونها وانسجامها وإرضاء مطالبها جميعا بدون إفراط ولا تفريط، فإنهم يدركون الأهمّية البالغة لكلّ منها بالنسبة للحياة الإنسانية، ويتصوّرون وظائف كلّ منها، والغايات الدّنيوية والأخروية الّتي يمكن أنّ يحقّقها كلّ منهم.

فينبغي التنبه لهذا الأمر والتركيز عليه؛ لا سيما وأنه بدأ في المجتمعات الغربية توجُّهٌ نحو تكثيف الأبحاث في هذا المجال من جميع الجوانب، ماهية الإنسان وعواطفه وميوله، وكل ما تعلّق بهذا الجانب الدقيق، في ظلّ أبحاث جديدة بديلة عن النّظرة المادّية التي أهملت الجانب الروحي.

وفي هذا السياق يقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي:

«لقد تيقظ الإنسان في عصرنا هذا؛ بفضل العلوم والفنون والحروب والأحداث المذهلة؛ وبدأ يحس جوهر الإنسانية واستعدادها الجامع؛ ويدرك كذلك أن الإنسان باستعداده الاجتماعي العجيب لم يخلق لأجل هذه الحياة الصاخبة المتقلبة؛ وإنما خلق ليبعث من جديد...ولعل هذا هو السر في ظهور ميل شديد في التحري والبحث عن الدين الحق في أعماق كل إنسان... إنه يبحث عن الحقيقة في الدين الحق؛ كي ينقذ نفسه من الموت الأبدي قبل كل شيء...إن منظر عالمنا الحالي لخير شاهد على هذه الحقيقة؛ لقد بدأت

٧ صحيح البخاري، كتاب الصوم-١٨٣٢، والترمذي في سننه، الزهد-٢٢٢٧.

قطع العالم ودوله تدرك إدراك كل فرد؛ مدى احتياج البشرية إلى هذا النوع من البحث...لا سيما بعد تفشي الإلحاد وطغيانه على العقول والنفوس».[٨]

وهذا هو العطاء الحقيقي الذي يستطيع أن يقدّمه المسلمون للبشرية الحائرة اليوم، وهم أحقّ النّاس به.

ولا يمكن لهذا العطاء أن يتحقّق إلّا في ظلّ الوحدة الإسلامية التي هي مطلب شرعي نصّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية وجعل لها قوانين وضوابط تنظمها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا ضمن إستراتيجية واحدة تصون الأمّة جمعاء من المخاطر والمهالك التي تردها من الخارج خاصة ومن الداخل عامة.

وفي هذا المعنى يضيف قائلا:»إن واجب الفرائض في هذا الوقت هو الوحدة الإسلامية، وهدف هذه الوحدة وقصدها، تحريك الرابطة النورانية التي تربط المعابد الإسلامية المنتشرة والمتشعبّة، وإيقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم إلى طريق الرقي بأمر وجداني».[٩]

ويقول أيضا:»وهكذا فبفضل هذه الرابطة المقدّسة الّتي تشدّ الأمّة الإسلامية بعضها ببعض يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة، فتربط طوائف الإسلام برباط الأخوة الإسلامية كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة بعضهم بعضا معنويا، وإذا اقتضى الأمر فماديا، وكأنّ الطوائف الإسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية».[١٠]

فالوحدة الإسلامية قضية جليلة تهمّ جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كلّ حسب درجته، لأنّها تنبعث من الأخوة الإيمانية التي تربط المسلمين جميعا، قال اللّه تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١١]، بدءا من الرابطة والتعاون والتآزر بين مؤمن وآخر لقوله تعالى:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ

٨ -الخطبة الشامية: ٣٦-٣٧.
٩ الخطبة الشامية: ١٠٦.
١٠ المرجع نفسه -٦٧-٦٨.
١١ الحجرات-١٠.

تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[12]، وانتهاء بالعالم الإسلامي كلّه؛ بدء من الفرد فالقبيلة فالشعب، وانتهاء بالأمّة.

قال اللّٰه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[13]، فبيّن اللّٰه تعالى أنّ الغاية من جعلهم شعوبا وقبائل، أنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام والوفاء والتعاون، للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات؛ وليس للّون والجنس واللّغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان اللّٰه تعالى، إنّما هناك ميزان واحد تتحدّد به القيم ويعرف به فضائل النّاس، قال اللّٰه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[14]

فهذه المفاهيم للفرد والقبيلة والشعب والأمة نجدها بيّنة واضحة المعالم والأهداف من خلال رسائل النور، حيث يقول الأستاذ سعيد النّورسي:»أي خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوبا، كي يعرف بعضكم بعضا، وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية لتتعارفوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا».[15]

وضرب لذلك مثلا، فشبّه المجتمع المقسّم إلى قبائل وطوائف بالجيش المقسّم إلى فيالق وألوية وأفواج...وذلك ليعرف كل جندي واجباته حسب تلك العلاقات المختلفة والمتعدّدة، وليؤدّي أفراد ذلك الجيش تحت دستور التعارف والتعاون وظيفة حقيقية عامّة، لتصان حياتهم الاجتماعية من هجوم الأعداء، وإلاّ فليس هذا التقسيم والتمييز إلى تلك الأصناف لجعل المنافسة بين فوجين أو إثارة الخصام بين سريّتين أو وضع التّضاد بين فرقتين.[16]

وفي هذا السياق يقول النّورسي:»كما لا تحاسد في جسم الإنسان بين

---

١٢ المائدة-٢.

١٣ الحجرات-١٣.

١٤ الحجرات-١٣.

١٥ الوحدة الإسلامية، مقتطفات من كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي: ١٧.

١٦ المرجع نفسه: ١٨.

اليدين، ولا انتقاد بين العينين، ولا يعترض اللّسان على الأذن، ولا يرى القلب عيب الروح، بل يكمّل كلّ منه نقص الأخر ويستر تقصيره ويسعى لحاجته ويعاونه في خدمته، وإلا انطفأت حياة ذلك الجسد ولغادرته الروح وتمزّق الجسم».[١٧]

وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامي بالنسبة إلى الانقسام إلى طوائف وقبائل كما تعلنه الآية الكريمة، فما هو إلاّ للتّعاون والتّعارف لا للتّناكر والتخاصم، وعلى هذا الأساس فإن توثيق هذه الرابطة بين الأفراد والقبائل والشعوب، هو في حقيقة الأمر تجسيد وتحقيق للوحدة الإسلامية، روى البخاري في صحيحه بسنده عن النعمان بن بشير قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: »ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[١٨]، وفي رواية لمسلم بلفظ: »المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».[١٩]

ويقول الأستاذ بديع الزمان: »نحن جميعا أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها: الإنسان الكامل، نحن خدّام عاملون في سفينة ربانية تسير بالأمّة المحمّدية إلى شاطئ السّلامة، وهي دار السّلام، نحن إذن بحاجة ماسّة، بل مضطرّون إلى الإتحاد والتّساند التام».[٢٠]

ولا يمكن أن تتحقق هذه الوحدة إلا بشروط كما يرى الإمام النورسي:

الشرط الأول: اتخاذ القومية، ونبذ العنصرية المولّدة للفرقة والاختلاف:

وممّا يؤيّد هذا، نظرات الأستاذ النورسي في هذا الباب أن القومية على قسمين: قسم منها سلبي مشئوم مضرّ يتربى وينمو بابتلاع الآخرين، ويدوم بعداوة الآخرين من سواه، وهذا يولّد المخاصمة والنزاع.[٢١]

والنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية ترفض قطعا هذا النوع من الفكر

١٧ الإخلاص والأخوة، لبديع الزمان سعيد النورسي: ٤٢.

١٨ صحيح البخاري، الأدب-٥٥٥٢، وصحيح مسلم، البر والصلة والآداب-٤٦٨٥.

١٩ صحيح البخاري-٥٥٥٢، وصحيح مسلم-٤٦٨٥.

٢٠ الخطبة الشامية: ٤٣.

٢١ الوحدة الإسلامية:١٩.

العنصري السلبي، الذي هو من الجاهلية بلا شكّ، قال الله تعالى:﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[٢٢]، وعنها قال ﷺ:»دعوها فإنها خبيثة».[٢٣]

والتاريخ يشهد على الأضرار التي نجمت عن هذا النوع من القومية السلبية، فالفكر القومي العنصري هو من بين الأسباب الرئيسية للتباغض بين عناصر الإسلام وقبائله، وقد نتج عنه هلاك عظيم وخطب جسيم؛ إذ أن تلك العناصر أحوج ما يكون بعضهم لبعض لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف، ولسيطرة الأجانب عليهم؛ فهو في حقيقة الأمر هدم ذاتي للوحدة الإسلامية التي هي أساس هذه الأمّة.

الشرط الثاني: الشّورى، وهي من الشّروط الأساسية لتحقيق الوحدة الإسلامية:

وحول ضرورتها يقول بديع الزمان:»إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو الشورى، فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[٢٤]».[٢٥]

ويرى الأستاذ النورسي أن هذه القضية ينبغي أن تؤول إلى درجة ومنزلة تتمكّن بها كسب ثقة العالم الإسلامي، فتكون كالمرآة العاكسة لمشاكل المسلمين...وعندها تكون قد أدت مهمّتها حقّ الأداء تجاه العالم الإسلامي، فقال في هذا الباب:»نحن لسنا في الزمان الغابر، حيث كان الحاكم شخصا واحدا، ومفتيه ربما شخص واحد أيضا، يصحّح رأيه ويصوّبه، فالزمان الآن زمان الجماعة، والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة».[٢٦]

فلا شكّ أن رفع أنواع الاستبداد عن المسلمين لا يكون إلّا بالشّورى والحرية

٢٢ سورة الفتح-٢٦.

٢٣ صحيح البخاري، المناقب-٣٢٥٧، وصحيح مسلم، البر والصلة والآداب-٤٦٨١.

٢٤ الشورى-٣٨.

٢٥ الوحدة الإسلامية:٣١.

٢٦ المرجع نفسه:٢٨.

الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية؛ تلك الحرية الشرعية التي تتزيّن بالآداب الشرعية وتنبذ سيّئات المدنية الغربية.[٢٧]

وأوضح أن الحرّية الشرعية النّابعة من الإيمان إنّما تأمرنا بأمرين أساسيين:

الأمر الأول: أن لا يذلّل المسلم ولا يتذلّل...من كان عبدا لله لا يكون عبدا للعباد.

والأمر الثاني:أن لا يجعل بعضكم بعضا أربابا من دون اللّه؛ إذ من لا يعرف اللّه حق معرفته يتوهم نوعا من الربوبية لكل شيء، كلّ حسب نسبته فيسلّطه على نفسه.[٢٨]

والشّورى في حقيقة الأمر هي عطية الرّحمن، وتجلّ من تجلّيات الخالق الرّحمن الرّحيم، وهي خاصّة من خصائص الإيمان، ذلك أن الشّورى الحقّ تولّد الإخلاص والتساند، وما دامت احتياجات المجتمع لا حدّ لها، وأعداؤه دون حصر، فلا بدّ أن يكون في هذه الحالة نقطة استناد تنبع من الإيمان؛ فكما تستند حياته الشخصية إلى تلك النقطة فإن حياته الاجتماعية أيضا إنما تستطيع أن تدوم وتقاوم بالشورى الشرعية النابعة من حقائق الإيمان.

فينتج عمليا أمران أساسيان:

الأمر الأول: إيقاف أولائك الأعداء الشرسين عند حدهم.

والأمر الثاني: تلبية تلك الاحتياجات.[٢٩]

الشرط الثالث: الاتفاق بين هذه المجتمعات الإسلامية لتحقيق الوحدة الإسلامية:

ولا يتجسّد ذلك إلاّ عندما تتخذ هذه المجتمعات في العالم الإسلامي الضّرورات الدّينية أساسا لمنهجهم، وعدم جعل المسائل الفرعية والمسلكية موضع خلاف ونزاع، قال اللّه تعالى:﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.[٣٠]

٢٧ المرجع نفسه:٣٢.

٢٨ المرجع نفسه:٣٢.

٢٩ الخطبة الشامية:٧٣-٧٦.

٣٠ الأنفال-٤٦.

وقد ذمّ الشارع كلّ الأنواع والأشكال المتسبّبة في الافتراق، حتى يكونوا بسببها شيعا متفرقين لا ينتظم شملهم بالإسلام وإن كانوا من أهله وحكم لهم بحكمه.

ألا ترى أنّ قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[٣١]، وقوله عزّ وجل:﴿ولا تكونوا من المشركين مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٣٢]، وقوله تعالى:﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[٣٣]، إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على وصف التفرق؟

وقد بيّن الأستاذ النورسي هذا الأمر عندما وضع حداّ للاختلافات الموجودة في العالم الإسلامي بالنظر إلى المقاصد العالية المتّفق عليها:» ربّنا واحد ورسولنا واحد وقرآننا واحد...فنحن متّفقون في الضّروريات الدّينية، أما التفاوت والاختلافات في الفرعيات، أو نوع التلّقي، أو كيفية الفهم الذي هو غير الضروريات الدينية، فلا يزعزع هذه الوحدة والإتحاد»[٣٤]؛ أقول: بل يزيدها قوة وثباتا واستقرار لأنّه اختلاف تنوّع وبناء لا اختلاف تضاد وتفرّق.

والمقرّر في ديننا أن اللّه تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملّة قابلة للأنظار ومجالا للظنون، وقد ثبت عند النظر أنّ النّظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكلّيات، فلذلك لا يضرّ هذا الاختلاف.[٣٥]

وفي هذا المجال يرى الأستاذ أنّ تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة، إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف بإمكانه أن يقدم خدمة جليلة

٣١ الأنعام-١٥٩.

٣٢ الروم-٣٢.

٣٣ الأنعام-١٥٣.

٣٤ الوحدة الإسلامية:٣٥-٣٦.

٣٥ الإعتصام، للإمام الشاطبي:٢-٣٩٣.

في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأحسن صور الوضوح.

ولكن إذا كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية والتسلّط والاستعلاء ونيل الشهرة، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار بل تتولّد شرارة الفتن.[٣٦]

ذلك أنّ الشّارع لماّ علم أنّ هذا النوع من الاختلاف واقع، أتى بأصل يرجع إليه وهو قوله تعالى:﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٣٧]، وقد جاء فى الحديث الشريف من طريق عمرو بن العاص أنه سمع رسول اللّٰه ﷺ يقول:»إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر».[٣٨]

وقد بيّن الأستاذ النورسي دور المجتمعات الإسلامية في توادّها وتراحمها فيما بينها، وأنّ أي طرف تشكّل ليشقّ الصفّ بين سائر هذه المجتمعات، مولّدا بذلك الحسد والعداوة والبغضاء، فكأنّما تنافق في العبادة وتراءي فيها.[٣٩]

ويرى الأستاذ أنّ الإتحاد يكون مع المجتمعات المتشكّلة بدافع محبته وخدمته، واضعا بذلك شرطين أساسيين:

الشرط الأول: المحافظة على النّظام العام للبلاد والحرية الشرعية.

والشرط الثاني: انتهاج نهج المحبّة، وعدم إظهار مزايا لها بانتقاص المجتمعات الأخرى، بل الأولى مراجعة أهل العلم فيما إذا ظهر خطأ.[٤٠]

فالعلاقة بين المجتمعات الإسلامية محكوم عليها أن تكون قوية بقوة المحبّة والإيمان، لقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤١]، وقوله ﷺ:»المؤمن للمؤمن

---

٣٦ الوحدة الإسلامية: ٤٢.

٣٧ النساء-٥٩.

٣٨ صحيح البخاري – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة-٦٨٠٥؛ وصحيح مسلم-كتاب الأقضية-٢٢٤٠.

٣٩ الوحدة الإسلامية:٣٧.

٤٠ المرجع نفسه:٣٧.

٤١ الحجرات-١٠.

كالبنيان يشدّ بعضه بعضا وشبّك بين أصابعه»[٤٢]، وقوله ﷺ:»لا يؤمن أ حدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه».[٤٣]

وخلاصة القول

فإنه من خلال رسائل النور التي ما هي إلا لمعة من لمعات القرآن الكريم، قد استطاعت بالفعل أن تجلّي كثيرا من الحقائق في جميع مجالات الحياة الإنسانية عموما والمسلمين خصوصا؛ من بينها تلك المحبة الربانية والرابطة الإيمانية والحرية الشرعية التي تتقوى بها الأمة الإسلامية، أفرادا وقبائل وشعوبا، كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة بعضهم ببعض معنويا، وإذا اقتضى الأمر فماديا، وهذه هي الوحدة الإسلامية التي لا تنبعث أصلا إلا من الأخوة الإيمانية التي تربط المسلمين جميعا لقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤٤]، وما تحمله هذه الأخوة من معان عالية ومقاصد رفيعة، من مودة وتراحم وتعاطف ونصرة، وما شابه ذلك.

وفي هذا الباب يقول الأستاذ سعيد النورسي:»إن أسباب المحبة، هي كالإيمان والإسلام والإنسانية، من السلاسل النورية المتينة؛ والحصون الروحية المنيعة»[٤٥]، ويقول أيضا:»إن الود والمحبة والأخوة، هي من طباع الإسلام وروابطه الأساسية».[٤٦]

إنّ الإسلام دين المثالية والقوة، وهو يعترف بالأخوة الرحمية حين يبني اللبنة الأولى للمجتمع الكبير متمثلة في الأسرة؛ فيربطها بشتى المسؤوليات والحقوق والواجبات، وأخيرا يكتنفها تبارك وتعالى بالمودة والرحمة، ويحرص في الوقت نفسه على تعدد مواقع المودة والرحمة في الأمة الإسلامية قاطبة، لتشمل

٤٢ صحيح البخاري –المظالم والغصب-٢٢٦٦، وصحيح مسلم-البر والصلة والآداب-٤٦٨٤.

٤٣ صحيح البخاري –الإيمان-١٢؛ وصحيح مسلم الإيمان-٦٤.

٤٤ الحجرات-١٠.

٤٥ الخطبة الشامية:٦٤.

٤٦ المرجع نفسه:٦٥.

مجتمع المسلمين كله تحت لواء الأخوة في الدين، ويحيطها بالضمانات والتشريعات التي تحميها من الضعف الذي يولده الطمع والجشع والأنانية.

فرباط الإيمان يجمع الكل على هدف واحد، ومنهج واحد، وتصور واحد، ونسب واحد، ألا وهو نسب الإسلام، ومن هنا نشأت شخصية المجتمع الإسلامي المتميزة عن كل المجتمعات في هذا العالم، شعارها الوحدة الكاملة التي تحميهم وتشد أزرهم وتجعلهم رجلا واحدا في الشعور والتفكير والهدف، ويظهر ذلك بجلاء حين مثّلهم رسول اللّٰه ﷺ أروع تمثيل، وصوّرهم أحسن تصوير، فجسّد جميع المسلمين في الجسد الواحد، فقال ﷺ:»المؤمنون كرجل واحد».[٤٧]

فيظهر بهذا جليّا كيف أن رسائل النور عكست بحق جهود المفكّر بديع الزمان سعيد النورسي، الذي وهب حياته لنصرة هذا الدين، فكان بذلك مجددا وباعثا للنهضة الإيمانية والروحية المحركة للوحدة الإسلامية؛ فرحمه اللّٰه تعالى رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء.

وصلى اللّٰه وسلم على محمد بن عبد اللّٰه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع

- الاخلاص والأخوة، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دط، دت.
- الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، الجزائر، دار الشريفة، دط، دت.
- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل أبو عبد اللّٰه البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار بن كثير اليمامة، ط٣، ١٤٠٧، ١٩٨٧.
- الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دط، دت.

٤٧ صحيح البخاري-٥٥٥٢، وصحيح مسلم-٤٦٨٥.

- الخطبة الشامية، بديع الزمان سعيد النورسي، تعريب عصام الحسيني، أنقرة، تركيا، دط، دت.
- الدعوة إلى الله على بصيرة، د. عبد النعيم محمد حسنين، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، وبيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٤م.
- السنن، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دط، دت.
- السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، هـ١٤٠٦؛ ١٩٨٦م.
- السنن، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دط، دت.
- السنن، محمد بن يزيد ابن ماجه أبو عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، دط، دت.
- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢١، ١٣٩٢.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به محمد فؤاد عبد الباقي ومحبّ الدّين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، دط، دت.
- كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٥.
- المسند، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مصر، مؤسسة قرطبة، دط، دت.
- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥، ١٩٨٥.
- المقاصد الحسنة، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق عبد الله محمد الصديق، مصر، ١٣٧٥.
- الوحدة الإسلامية، مقتطفات من كليات رسائل النور، بديع الزمان سعيد النورسي، دار الإتحاد للنشر والتوزيع، استانبول، مط «tekin basim»، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

الإنْسانُ وَالأزَمَاتُ الْعالمية المعاصرة- أزْمَة بحث الإنْسانِ عَنِ السَّعادةِ أُنْمُوذَجاً في رُؤْيَةِ النُورَسِي

أبو بكر توفيق فتاح
قسم الفقه وأصول الفقه، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية–ماليزيا

الملخص

تحقيقًا لإحدى أهداف المؤتمر وهو»الإنسان والأزمات العالمية المعاصرة، وبالتحديد» الإنْسانُ وَالأزَمَاتُ الْعالمية المعاصرة- أزْمَة بحث الإنْسانِ عَنِ السَّعادةِ أُنْمُوذَجاً في رُؤْيَةِ النُورَسِي» يعتقد الباحث أن كتب وفكر «سعيد النورسي» له تأثير على كثير من الشباب المسلم أينما يكون، وفي الوقت الحاضر مسألة أزمة فقد الإنسانية لما خلق اللّٰه من العيش بالسعادة والهناء في حين كثير من الشباب غافلون عنها، فيذهبون شرقا وغربا لروي ظمئهم وقد نسوا ما فضل اللّٰه به عليهم من أمثال مؤلفات النورسي فهنا يذكر الباحث مدى تأثير كتب سعيد النورسي على الناس، ويقيِّم ويأصل ويحلل كل ذلك بالدليل والبرهان، ولعل الباحث يسهم باضافة جديدة للفكر والمعرفة بإبراز شيء مكنون في صفحات النور.. أما مشكلة البحث؛ كيفية الإشادة والإعتراف بسبق وصول الكاتب «سعيد النورسي» في كثير من أفكاره!، وإبراز وتحليل هذه القضايا ودورها على الشعوب المسلمة من بعد الكاتب إلى يومنا هذا، فكيف استطاع ان يشخص الدواء ويوصف الدواء الناجع لكي نستفيد نحن الأخرون بهذه التشخيصات والدواء الأمثل. وأسئلته؛ ما الإشادة والإعتراف بسبق الوصول للكاتب في كثير من أفكاره؟ ما إبراز وتحليل هذه القضايا ودورها على الشعوب المسلمة من بعد الكاتب إلى يومنا هذا، وأهميته؛ يظهر في الإشادة والإعتراف بسبق الوصول

للكاتب في كثير من أفكاره!، ومن لا يشكر الناس لا يشكر اللّٰه. وتفعيل هذه القضايا ودورها على الشعوب المسلمة في وقتنا الحاضر. وأهدافه؛ بيان الإشادة والإعتراف بسبق الوصول للكاتب في كثير من أفكاره يعرف للمحسن إحسانه وللمسيء إساءته وبركة العلم أن ينسب العلم إلى قائله. وتوضيح هذه القضايا ودورها على الشعوب المسلمة من بعد الكاتب إلى يومنا هذا. لكي يعطى للفكر ثقله وقيمته. منهجه؛ الاستقرائي؛ تتبع أهم أفكار «سعيد النورسي» لإلتقاط الدرر والجواهر النفيسة في أعماق ومن خلال أبرز كتبه رسائل النور. والتحليلي؛ تحليل كل هذه القضايا بمزيد من الرؤى والاستشهاد والاستئناس بالدراسات المعاصرة تثبيتاً وتدعيمًا. وأما النتائج المتوقعة؛ فلقد أبدع عالمنا وناصحنا «سعيد النورسي» في أطروحاته. وخاصة عندما يعيش مع الناس بلحمه وشحمه هموم وآمال وآلام الناس وتأثير كل على مجتمعاتنا المعاصرة. ولا يزال أفكاره له صدى. وأفكاره وأطروحاته يتحمل مزيدًا من الأبحاث والدراسة والتقييم. وينتظم البحث في ثلاثة مباحث؛ كل هذه المباحث ضمن تقسيمات مهمة وخطيرة استقاها وانفرد بها الباحث ضمن «رسائل النور» كاملة. وختم الباحث بحثه هذا، بخاتمة وأهم النتائج المتوقعة.». وقد تدرج الباحث إلى ذكر مقدمة ومشكلة البحث، وأهمية وأهداف ومنهج البحث. وختم الباحث بحثه بالخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها الباحث، وأهم التوصيات. أما بالنسبة لأهم الكلمات المفتاحية:» الإنْسانُ، اَلأَزَمَاتُ، اْلعالمية، المعاصرةِ، أَزْمَة، بحث، الإنْسانِ، السَّعادة، أُنمُوذَجاً، رُؤْيَة، النُورَسِي».

خطة البحث وهيكله العام

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يحتوي على ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول، خطة البحث وهيكله العام، المقدمة، مشكلة البحث، أسئلة البحث، أهداف البحث، أهمية البحث، و منهج الدراسة. أما المبحث الثاني فقد خصص عن الباحثين عن السعادة، و مهام رسائل النور في الحياة ودورها في

السعادة. أما المبحث الثالث؛ خصص لبيان فَقْدِ السعادة الحقيقية عن المدنية، و بيان الثمرات الوفيرة نتيجة الإتباع الطريقة المحمدية وأهم فوائدها. وبيان تمايز وخصوصية السعادة التي تقدمها القرآن وبين غيرها. وخاتمة بأهم النتائج والتوصيات وقائمة بمصادرالبحث.

المبحث الأول

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ». الناظر لكتب سعيد النورسي كافة سواء «الرسائل والملاحق» وغيرهما يجد شيئاً ذا أهمية قصوى بمكان وهوالتركيز على تثبيت الإيمان وألأخذ بأسباب تدعيم أركان الإيمان ونبذ كل ما من شأنه أن يزعزع تلك الأركان كل هذا وذك إن دل على على شيء يدل على شيء واحد حيث لا يقبل الجدال والنقاش والمساومة عليها» وهو أن السعادة كل السعادة» يأتي وينبع من الإيمان وأركانه... وبعد؛ لا يخفى لمسلم درس القرآن والسنة النبوية أنهما الضمانة والكفيل لحفظ الأمة للحفاظ على وجودها وكيانها بل وحفظ المجتمعات الإسلامية من الاندثار والاضمحلال والسعادة جزء هام منها كل ذلك لا تتم إلا عبر الوعي والعمل وفق ما جاء به الإسلام المتمثل بالقرآن والسنة على مر التأريخ، مصداقاً لقوله ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ﴾ النور:

٥٤. فهنا أمر الباري سبحانه بإطاعة الرسول إلى جانب الإستطاعة.. واقترن شرط الاهتداء لا يكون إلا باتباع الرسول ﷺ. والواضح من هذه الآية ان الاهتداء لم يقيد لا بزمان ولا بمكان؛ فدل ذلك أن الاهتداء لمصلحة الدنيا والدين يأتي تبعاً بعد الاطاعة حسب المستطاع. وأي إندثار واضمحلال أعظم من فَقْدِ الإنسان لركيزة السعادة وهي بحث الإنسان الأول وبحث الإنسان الأخير في الحياة الدنيا[1].

---

١ وللباحث كتاب منشور ومطبوع في السعادة باسم «كيف تكون أسعد إنسان في العالم» بلغة «سعيد النورسي» فطبع طبعات عدة في لبنان وفي كردستان، ولله الحمد والمنة.

ومعلوم بقدر معايشة العالم أو المصلح الاجتماعي بآلام ومشاعر الناس ومحاولة علاجه لتلك المشاكل الإحساس العميق بتلك المشاعر يستطيع ذلك المصلح أن يتغلغل في أعماق وكيان النفس الإنساني، وعليه أساب النجاح في تشخيصه للداء وصرفه الدواء المناسب يكون ناجعاً بإذن اللّٰه فلا ريب ولا شك.. وفي هذه المقدمة البسيطة، يحاول الباحث أن يستقرأ النصوص والدرر الواردة من مشخص العالمي سعيد النورسي كل ماجاء منه بالتحدي من خلال رسائل النور بصفة مؤلف هذا الكتاب هو أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره[٢].

ولا يزال تأثيره سارياً في الأجيال اللاحقة منه وإلى هذه اللحظة والتو وسيبقى تأثيره في الأجيال الآتية ما شاء اللّٰه ذلك. يستقرأ الباحث السعادة ومفهومها وأركانهما وعلاماتهما ومن هم السعداء ويحلل ويحاور ويأصل الباحث كل ذلك بما جاء في الكتاب والسنة وشذرات من سير السعداء وأخلاقهم عبر القرون السالفة في تأريخ الحضارة الإسلامية و لا ينسى الباحث الاستئناس ببعض الدراسات المعاصرة في بحث الإنسان عن السعادة، هذا ما يحاول البحث لملمته ومحور و ركيزة هذا البحث.

وإن الناظر إلى القرآن الكرم يرى إنما فيها السعادة الحقيقية فهمًا وحقيقة

٢ إذا كانت المؤسسات التعليمية والتربوية مشكوراً... يرى أن من واجب الحق الشرعي تجاه السعيد النورسي على عاتقهم تفعيل المباديء والرؤى الفريدة التي جاءت بها النور فمن باب أولى يرى الباحث أن عليه تجاه النورسي ورسائله أكثر من واجب؛ واجب الاشتراك في اللغة والقومية حيث يتشرف الباحث بقوميته الكُرْدية التي فيها أمثال النورسي وغيره الكثير الكثير الذين خدموا الإسلام ورفعوا رايته عبر أزمنة متطاولة بالإضافة إلى واجب القرب المكاني من حيث الجغرافيا، وأخيرا وليس آخرا مشاهدة الباحث بعض تلاميذ المتاثرين بالمدرسة النورية، وبل بعض من قام بترجمة كتبالرسائل إلى اللهجات الكورية الأخرى وختاما فالباحث كتب بفضل اللّٰه بعض الكتب في السعادة وكتب لها اللّٰه بالقبول من قومي وطبع في المطابع الدولية مرات عديدة كل هذا وذك يرغمني ويرغبني من أن أغترف غرفة بعقلي وعلمي وبحثي وجهدي أن أعيش برهة من الزمن مع تلك الرسائل النورية! وكلي أمل ورجاء وحسن ظن بأن اللّٰه ينفع به بعض الأمة. إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو عند حسن ظننا به سبحانه وتعالى.

وواقعًا فانظر إلى سورة طه تتجلى بحث الإنسان عن السعادة، والخوف من ضياع وفوات هذه السعادة[٣].

ولا يخفى لعاقل التطور العجيب والغريب في غير مثال سابق في أكثر مراحل ومرافق الحياة وكما قيل جعل العالم كقرية واحدة بل جعل العالم كساعة الرجل في يده فينظر فيها كيف ما أراد وكيف ما شاء، أو كيف ما أريد له[٤]! وربما يستطيع ان يأثر أو أن يتأثر كما مشاهد وواقع حال ملموس، غير ان هذه الخدمات لم يستطع أن يأتي بالسعادة التي يريدها اللّٰه لبني البشر نعم يقينا سهل هذه التطورات كثيرا من الأمور الروتينية والأمور العملية لكنه قد جاء بتقيدات وكثير من تعقيدات واشكاليات عديدة بل لا حصرلها ولا عد، وحالات الانتحار لم تنحصر على الدول الفقيرة اقتصاديا بل تجاوزتها إلى الدول الصناعية المتطورة اقتصادية بحيث فاقت الانتحار على الدول الفقيرة أكثر بأسباب غير متوقعة، وهذه الاشكالية والمشاكل والأزمات المعاصرة هل ترى لدى النورسي حلا لها حسب فهمه من القرآن والسنة النبوية هذا ما يحاول هذا البحث الاجابة عليها بنوع أو آخر.

مشكلة البحث

تتبلور مشكلة البحث حول ما يثار من جدل في مسألة السعادة وجعل الانسان سعيدا؟! هل بإمكان المسلمين في الحقيقة والواقع أن يسعدوا العالم من جديد! كما أسعد أسلافنا الأمم والشعوب أكثر من ثلاثة عشر قرناً شرقًا وغربًا، ودخلت الأمم والشعوب والحضارات إلى سماحة وعدل

٣ وللباحث بحث في هذا الموضوع «بحث الإنسان الأول وبحث الإنسان الأخير في الحياة الدنيا، كما جاء في القرآن اللكريم من منطق ومنطلق سورة طه أنموذجًا. أسأل اللّٰه أن ييسر نشره لأقرب فرصة سانحة. قابل للنشر.

٤ «كيف ما أراد وكيف ما شاء»، المقصود عندما انت تختار ما تشاء وتريد مشاهدته أو سماعه، أما المقصود بعبارة أو»كيف ما أريد له عنما يوجه لدولة او منطقة محددة نوعا معينا من الاعلام المرئي أو المسموع او لمكتوب او أمقروء لسبب يريده غيرهم للتأثير فيهم وتغيير عقولهم وثقافتهم وديانتهم...

وتعايش الإسلام والمسلمين هروبا من العنف والظلم وإبعاد الآخر بل وأكل القوي الضعيف منهم، فوجدوا في الإسلام السعادة و الأمان والسلام والراحة والعدالة والسماحة والتعايش. أنظر إلى هذه الأوصاف للرسول» ﷺ ﴿كُنتُمْ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ الأعراف: ١٥٧.

فهذه هي الحياة العملية والواقعية لشهادة الرسول ﷺ على الامم السابقة ييسر لهم ويسهل ما استصعبوه على أنفسهم من أمثال الرهابنية التي ابتدعوها. أصل ذلك السعادة هي تلك السعادة التي أرادها الله للإنسان الأول حيث مفهوم الأية» إذ قال الله لآدم أدخلك الله وأهلك معك في الجنة لتسعد وتدوم وتدوم سعادتكم في الجنة !؟ لا في غيرها» ونص الآية كما كُنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾طه: ١١٧

ولا شك أن المسلمين لا تنهظ لهم قائمة إلا بعد أن يستوي المسلمين على سوقهم ويستطيعوا ان يسعدوا ويسعفو انفسم قبل غيرهم بالسعادة والهناء والرضا وحسن العمل وحسن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل المنكر وحينها يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، فالإسلام لا يطلب من أفراده الضوضاء والغوغاء بقدر ما يريد منهم العمل ولا يريد منهم العمل بقدر ما يريد من الإتقان والموافقة حسب المنهج الرباني الذي جسده الرسول»ﷺ». أحسن تجسيد، ومع الموافقه يريد منهم اسصلاح والإستصلاح، والركن الركين في العبادات والأعمال الإخلاص؛ وهذا الإخلاص أركانها مبنية على الحب والتواضع إذ لا يريد الله عملاً ولا عبادة من عبد وهو غير محب لها أو مُكْرِه لها. وهذا يتمثل في التواضع؛ التواضع لله وللعباد وللبلاد بميزان الرحمة فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يرحم لا يرحم»[٥].

---

٥ البخاري، محمد بن صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (٨/ ٧)، برقم: (٥٩٩٦-٥٩٩٦) ومسلم أبو عبد محمد بن حسين النيسابوري، كتاب الفضائل، باب رحمته -ﷺ- الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، (٤/ ١٨٠٨)، برقم: (٢٣١٨).

وبهذا وذاك كان أسعد الناس في العالم محمد ﷺ[٦] وهو القائل «افضل القربات إدخال سرور في قلب عبد مؤمن». والصحابة من بعده حملوا راية السعادة إلى العالمين أجمعين[٧]، وكذلك التابعين[٨]

العاملين والمجاهدين[٩] والفقهاء والعلماء[١٠] والتجار بقدر توافقهم ووئائهم تنالهم وتغمرهم السعادة ومنهم صاحبنا السعيد النورسي.

أسئلة البحث: يحاول الباحث الإجابة عن الأسئلة الآتية

ما مفهوم السعادة؟ من هو السعيد وما علامات السعادة؟ وما الفرق بين سعادة التي جاءت القران الكريم. مع سعادة التي تجيء بها المدنية المتثلة في الحضارة المادية ؟

أهداف البحث: الأهداف الأساسية لهذا البحث تتلخص في النقاط التالية:

استجلاء مفهوم السعادة تسليط الضوء على على حياة السعداء إيضاح علامات السعادة. وإيضاح الفرق بين سعادة التي جاءت القران الكريم. مقابلة بسعادة التي تجيء بها المدنية المتمثلة في الحضارة المادية.

أهمية البحث: أهمية هذا البحث تظهر خلال نقاط تالية:

١) يستفيد الدعاة فسعادتهم تتعدى إلى المدعوين.
٢) الباحثون من هذا البحث في معرفة ما عليهم من واجبات للنهوض بأمتهم ومجتمعهم.

---

٦ كان أسعد الناس في اضيق الحالات

٧ كانوا اسعد الناس حتى بعد تكالب الدنيا عليهم..

٨ لو علم أبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا بالسيوف» ابن مبارك.

٩ جزاهم وثوابهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ العنكبوت: ١٧. الهداية على الطريق الحق.

١٠ ماذا يعمل بي أعدائي جنتي في صدري... سجني وحبسي خلوة... طردي من بلدي سياحة...

٣) تستفيد المؤسسات الإسلامية من النتائج والحلول والترجيحات والتوجيهات التي يصل إليها الباحث حول إمكانية النهوض بالمجتمعات على أساس من الحضارة الإسلامية التي أول أركان الحضارة تعميم السعادة في ربوع الأرض.

٤) وكذلك أهمية الدراسة تكمن إلى تلك الجوانب، في تشخيص الداء الذي فتك بعمر كثير من الافراد والمجتمعات والذي قد يغفل كثير من العاملين في الحقول الإسلامية لمثل شر دائها العضال والتي بسببه قد يُبَعْثِر جهودًا كثيرًا لأبناء الأمة سواء أفراداً أو جماعات أو مؤسسات بل وحتى حكوماتٍ في بعض الأحيان.

حـدود البحـث: هي الرسائل والملاحق» الملاحق: [١١]:»عبارة عن مجموعه مكاتيب جرت بين الأستاذ النورسي وطلابه الأوائل وتتضمن الملاحق ثلاثة كتب هي:»١. ملحق بارلا، ٢. ملحق قسطوني، ٣. ملحق أميرداغ.

منهـج الدراسـة: ينتهج الباحث منهجين هما: ا. المنهج الاستقرائي: يستخدم للبحث عن المعلومات والجزئيات المتعلقة بمفردات كل حسب حالته ووقته وومكانه حسب ما ورد في كتاب الملاحق وكتاب رسائل النور

ب. منهـج التحليـل: يستخدم لتحليل الآراء حول موضوع البحث حسب ما تدعو إليها الحاجة والضرورة.

المبحث الثاني

يحتوي هذا المبحث على عدة مطالب؛ مطلب في الباحثين عن السعادة، ومطلب في بيان مهام رسائل النور في الحياة ودورها في السعادة.

المطلب الأول: الباحثون عن السعادة

---

١١ "الملاحق" أيضاً يعد من تأليفات سعيد وترجمها "إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر "ط السادسة، ٢٠١١م. بل يرى الباحث أن الملاحق يعد من أهم كتب سعيد النورسي لفهم وإدراك حقيقة حياة النورسي حيث قرأوه على النورسي فإما أقرهم أو أعطاهم التوجيهات اللازمة بشأنها.

الأول: ذكائي[١٢] أحد تلاميذ الأوفياء للنورسي يمدح كتاب نور المعراج»وأنه سبب له السعادة.

«قلمي عاجز كل العجز، عن التعبير عن مدي السرور والسعادة التي غمرتني بعد إكمال قراءة رسالة المعراج ومع هذا سأحاول عرض مشاعري النابعة من مطالعتها في جمله قصيره ملخصه: لقد وجدت لدي قراءتي لرسالة (المعراج) نورا يملأ القلب وينير طريق السلامة في خضم متاهات خضم الحياة وأصلا بالإنسان الي البحر المعنوي الذي يجري نحو السعادة الأبدية. نعم، إن الحقائق العزيزة الثابتة بالأدلة القاطعة والواردة في كل مثال من أمثله الكتاب، جعلت الحياة السعيدة لخير القرون وزمن المعجزات، تنبض بالحياة أمام أعيننا، تلك الحياة التي تملأ أرواحنا نورا بمجرد التخيل بها، وتغمرها بالسرور والبهجة ولاسيما لدي انتقالها من فكرة الي آخر..»

وهنا هذا التلميذ أظهر ما منحه اللّٰه به من السعادة الحقيقية عند القرآءة وفهم كتاب المعراج.. وببساطة نادرة يجعلك مع السعداء الحقيقيين وهم صحابة رسول اللّٰه ومعلهم السعيد محمد رسول اللّٰه»ﷺ».

ويقول عن حالة نفسه في حالة نفسية عن مدى الإنبهار»لقد جعلني كتاب (المعراج) في حاله انبهار وذهول. وإنه لكاف وواف الدنيا كلها في كل وقت لأن يدحض أقوال المفتونين بالفلسفة، بل له من القوة فبالاثبات والدلائل ما تدفعهم ليعلنوا إفلاسهم إن كتاب المعراج كتاب تأريخي جليل ثنبت الحقائق التي تتضمنها أصول العقيدة والمستورةَ حتى عن أهل الإيمان، ويقررها باسولب معقول وبمنطق سليم بحيث يستطيع المنصف المحايد أن يراها ويلمسها». يظهر من كلام «ذكائي» أنه عانى كثيرا عن الأسئلة المحيرة من قبل الفلاسفة وكان هذا المسلم لم يستطع أن يردهم ! ولم يجد عالما أو كتاباً يشفي غليله وتروي ظمأه، فوجد ضالته في كتاب المعراج. ويصدق

١٢ وكان النورسي يقول في حق «ذكائي»:» الفطن الذي سيكون بإذن اللّٰه خسروا الثاني وصبري الصغير». ينظر إلى كتاب الملاحق، وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر «ط السادسة، ٢٠١١م. ص ٣٥-٣٦. ضمن ملحق التلميذ الخلوصي.

ماخبرناه عن الرجل فها هو يحدث عن الفلسفة والفلاسفة أرهقوه فيقول»إن الفيلسوف الغارق في الغفلة، المستلم للضلالة، ويريد ان يعلو تعقله موقعاً مرموقاً، يكون شانه شان الملِك المعزول عن العرش، المنزوع عنه جميع الشارات والأوسمة إزاء ذلك الكتاب الرائع، فيستحوذ عليه اليأس والقنوط على الأبد. بينما الفيلسوف المدرك تتحطم قيود الفلسقة لديه إزاء هذه الحقائق، وتتحطم اغلال الإعتراض التي تكبّل فكره، الواحدة تلو الأخرى. وعند ذالك يدرك أن دعواه وادعاءاته باطلة، فيهوي للسجود أمام عظمة الخالق القدير سجدةَ تعظيمٍ وإجلالً سائلاً المولى المغفرة منه تعالى[١٣].«ذكائي»

وبهذا سَعِدَ ذكائي سعادة غير متناهية حيث استطاع ان يفرق بين الفلسفة الخادمة للعلوم الإنسانية والفلسفة المضرة بالعلوم الإنسانية. وهذا هو الغرض من الرسائل أن يعيش الناس بسعادة بأمان الإيمان.

الباحــث الثــاني عن السعادة هو «زكي صديق المرحوم لطفي الطالب القديم، لرسائل النور»[١٤].

«ستكون الرسائل أنشودة». إن ما نشاهده من طعوم اللذة والسعادة في بحر رسائل النور لم ار مثلها أبداً في حياتي الدنيا كلها. فلقد أدركت ستديم لكم تلك المؤلفات القيمة حياتكم وتخلد اسمكم عندما ترحلون من هذه الدار، دار الامتحان الي عوالم السعادة. فطوبى لأولئك السعداء البررة طلابك الذين تحبهم والذين يقدرون ما فجرتموه من نبع فياض حق قدرة، ويذبون عنه بالإعلام عنه وتلقين أحكامه بألوف أرواحهم إن استوجب الامر. فقر عينا يا أستاذي العزيز، إن هؤلاء البررة لن يقوموا بأعمال لا تنشرح لها في الآخرة. إن طلابكم

---

١٣ ينظر إلى كتاب الملاحق وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص ٣٥-٣٦. الناقل «ذكائي» ضمن ملحق التلميذ الخلوصي.

١٤ فقرة السيد سليمان والذي يقول في مدحه النورسي»هو الذي عاونني في شئوني طيلة ست سنوات، بوفاء خالص، ويثر غضبي وانا عصبي المزاج، مزاولاًوظيفة كتابة المسودات باستمرار» ينظر إلى كتاب الملاحق وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص ٣٩-٤٠. ضمن ملحق التلميذ الخلوصي.

شاكرون لفضلكم ممتنون بكل مهجهم وأرواحهم لما أودعتموه لديهم من مفاتيح كثيرة للأسرار القرآنية. نعم إن الأنوار والفيوضات التي تنشرونها اليوم تجعل الناس الحقيقيين في سرور غامر، إذ تعلمهم خطوات العمل لوظائفهم الأساس عي الارض. إن سعيكم مشكور وخدماتكم مقبولة بإذن اللّٰه وتضحيتكم جسيمة[١٥].

إن الأدباء المتربيين على فتات موائد الفلاسفة أولئك المحرومون من الأدب سيجدون حتما الأدب في رسائلكم نعم وسيتحقق هذا فعلا. وأنتم بدوركم تكونون قد وفيتم خدمه الإيمان الجليلة حق الإيفاء.[١٦].

وفي هذا الحوار الودي الأخوي بين سعيد وأحد إخوته في الاسلام وأحد طلابه في الرسائل يمدح سائر إخوانه من التلاميذ الذين تتلمذوا على تذوق الْقرآن بالاستعانة بارشادات وتوجيهات رسائل النور فهنيئاً لهم جميعاً.. فهم سعداء حقا في الدنيا والأخرة فهذا هو مطلوب القرآن.

الثالث من الباحثين عن السعادة «مسعود».

عندما كنت اكد في ضرب المنجل لحصاد الشعير والقمر ينور الارجاء والجو اللطيف ينمي الشعير تأملت في حالي يائسا وانا غارق في هذا النور الوضيء ولكن لا يكف عمل المنجل من الانتهاء فأظل محروما من استنساخ رسائل النور فقلت ما ورد علي الخاطر ولا اعلم اهو من الغفلة ام من طلوعات قلبية ﴿يا رب ان اسمي مسعود ولكن غير مسعود فقد كدحت في العمل ولم اسعد !واستمررت في الحصاد﴾ وبعد فترة غلبني النوم ورأيت فيما يرى النائم ان احد يقول لي لا تغادر طرف الاستاذ فهو الذي يجعلك مسعودا.... افقت من النوم والقمر علي وشك الغروب. فقلت حالا:(أستغفرك يا رب، انني لم اطلب السعادة الدنيوية) فيا استاذي لقد لقنت ان سعادتي الأخروية

---

١٥ ينظر إلى كتاب الملاحق وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص ٤٥. ضمن ملحق التلميذ بارلا.

١٦ ينظر إلى كتاب الملاحق وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص ٤٥-٤٦. ضمن ملحق التلميذ بارلا.

ستحصل بدعائكم. فأرجو دعاءكم وتقبلوا فائق الاحترام مقبلا ايديكم واقدامكم يا سيدي[١٧]. مسعود هذا الباحث عن السعادة يتحدث عن نفسه كيفية بحثه عن السعادة وأنها كانت نصب عينيه فلا يفارقه حتى وهو في العراك لأعالة نفسه وأهله وأخيرًا فقد وجده في رسائل النور.

المطلب الثاني: مهام رسائل النور في الحياة ودورها في السعادة

الأول: ان رسائل النور لا تعمر تخريبات جزئيه، ولا ترمم بيتا صغيرا مهدما بل تعمر أيضا تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة عظيمة ـ صخورها كالجبال ـ تحضن الإسلام وتحيط به. وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى أيضا ـ وبيدها اعجاز القران الكريم ـ لمداومة القلب العام المجروح، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها وركمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع ولا سيما عوام المؤمنين. نعم إنها تسعي لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية اعجاز القران والايمان.

فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشقوق الواسعة، والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة واعتدة مجهزة بدرجة حق اليقين وقوه الجبال ورسوخها، ووجود أدويه مجربة لها من الخواص ما يفوق ألف وترياق (مضاد للسموم) ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لا حد لها.

وهكذا توصيف عام وتوظيف تام لما قد يقوم بها رسائل النور للسعادة الإنسانية الحقيقية. وأدويتها بفضل اللّٰه ليس أدوية ترقيعية وإنما أدوية جذرية كجذارة المشكلة. حيث تقلع مشاكل الشقاوة من أركانها وجذورها، وتحل محلها شجرة السعادة الطيبة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء.

الثاني: رسائل النور النابعة من الأعجاز المعنوي للقران الكريم تؤدي هذه المهمة

---

١٧ ينظر إلى كتاب الملاحق وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص٧٣. ضمن ملحق التلميذ بارلا.

وفي هذا الوقت أتم اداء وتحظى بالوقت نفسه بكونها مدار انكشاف لمراتب غير محدودة للإيمان ومصدر في مدارجه السامية غير المتناهية[١٨].. نعم فمعجزة القرآن خالدة ما بقي النهار إلى أن يشاء اللّٰه لتعطي ثمارها بإذن ربها من حين.

الثالث: السعادة الحقيقة التي يعيشها النورسي حيث يقول «عندما كنت اصحح الثمار الفردوسية واليوسفية للأبطال الميامين، جلبت انتباهي تلك الرسالة(الثمرة) حيث بدأت لي أهميتها فصرخت: لو تضاعفت متاعب السجن كلها مائة ضعف فقد أدت هذه الرسالة أضعافها من الوظائف اذ تستقري نفسها في شتى الأوساط العامة وتسوق الإيمان حتى المتعنتين.

أيها الشقاه، يا من تضيقون على الخناق اعملوا ما شئتم واقضوا ما أنتم قاضون فلا أهمية لعملكم كل المصائب التي تنزل بنا هينة تافهة بل انها عناية إلهية محضة ورحمة بعينها قلت هذا ووجدت السلوان الكامل. سلاما الي جميع طلاب النور داعين لهم بالسلامة.[١٩] سعيد النورسي أمثال هذه السعادة لا تأتي إلا بمعية اللّٰه الخاصة لأولياءه، وعليه يجب أن يقتدي بالعلماء الربانيين حتى ننال السعادة كما نالوها.

الرابع: فئات المجتمع التي يستفيد من الرسائل

الأول: الأطفال؛ فان اسعد الأطفال هؤلاء الذين دخلوا ضمن دائرة رسائل النور فيكونون أبناء بررة للوالدين وخداما أمناء لهم يقومون بين يديهم الاحترام والتوقير اللائقين بهما ويسجلونبأعمالهم الصالحة حسنات في سجل حسنات والديهم بعد وفاتهم.... وفي الاخرة يكونون لهم شفعاء كل حسب درجته.

لأن الرسائل توجيهاته من القرآن والسنة وحياة الصحابة الكرام والتابعين والأئمة المجتهدين من بعد وبهذا ينال الأطفال ووالديهم سعادتي الدنيا والآخرة.

---

١٨ ملحق قسطوني وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص١٠٣.

١٩ ملحق قسطوني وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص٢٢٦.

الثاني: النساء؛ ان القسم الثاني من طلاب النور:هم النساء اللاتي يشعرن بحاجتهن الي رسائل النور في فطرتهن ولاسيما من كان لهن شيء من التجافي عن الدنيا، وربما العزوف كليا عنها، حيث قد بلغن من العمر مبلغا.

فرسائل النور تكون لهن غذاء معنويا لان احدى أسس رسائل النور (الشفقة)التي هي من مظاهر اسم اللّٰه (الرحيم) وهي الخميرة والجوهر الخاص المغروز في فطرة النساء وميرتهن الاصلية. لأننا نحن مأمورون بالاحسان والتوصية بالنساء خيرًا في كل حين أكثر من أي صنف آخر لجبلتهم على العطف والرأفة والشفقة والرحمة والوئام والمودة.

الثالث: هم المرضى والشيوخ المحتاجون الي رسائل النور ولو بصورة غير فطرية كحاجتهم للخبز والدواء. وذلك لان رسائل النور توضح لهم الحياة الباقية وضوح الشمس في رابعة النهار فضلا بيانها ماهية الحياة الدنيا من حيث فنائها. فالذين تأذت حياتهم الدنيوية بالمرض او الشيخوخة والذين يظنون الموت اعداما ابديا بما أحاطت بيهم من غفلة وضلالة....

فهؤلاء جميعا بحاجة الي رسائل النور لما يجدون فيها من السلوك والعزاء ونور الرجاء حتى يفضل لديهم المرض والشيخوخة على الصحة والشباب. سعيد النورسي[٢٠].

إذا لم يداوي جرحاهم ويداري مرضاهم فمن لهم من بعد اللّٰه، حيث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

المبحث الثالث

المبحث الثالث: يحتوى هذا المبحث على مطالب: مطلب في بيان فَقْدِ السعادة للمدنية، ومطلب؛ بيان الثمرات الوفيرة نتيجة الإتباع الطريقة المحمدية وأهم فوائدها. والمطلب الأخيربيان تمييز وخصوصية السعادة التي تقدمها القرآن وبين غيرها.

٢٠ ملحق أميرداغ، وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص٢٣٢-٢٣٣.

المطلب الأول: المدنية بدون الإيمان فاقد للسعادة وفاقد الشيء لا يعطي شيئاً!

«ان المدينة الغربية الحاضرة لا تلقي السمع كليا الي الأديان السماوية». نتيجة الاعجاب بنفسها، والنتيجة الأثار السلبية التي تئن منها إلا مارحم:

الأول» لذا أوقعت البشرية في فقر مدقع» والآن حدث عن الفقر والجوع المُتَعمَّد في كثير من ربوع الأرض.

الثاني» وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها، وهي تتمادي في تهييج نار الاسراف والحرص والطمع عندما بعد ان قوضت أساس الاقتصاد والقناعة». وفي الوقت نفسه لا تشبع هوى وحرص والطمع التي سادت بعض المجتمعات الإنسانية على حساب الأخرى.

الثالث»وفتحت أمامها سبل والظلم وارتكاب المحرمات. زد علي ذلك فقد ألقت. بذلك. الإنسان المحتاج المسكين في أحضان الكسل والتعطيل المدمر، بعد ان شجعته علي وسائل والسفاهة. وهكذا بددت الشوق لديه الي السعي والعمل فأضاع الانسان عمره الثمين سدى باتباعه هوي المدينة الحاضرة وبسيرة وراء سفاهتها ولهوها». النتيجة الحتمية التي لا مفر منه أنه تفشى الظلم وأكل أموال الناس بالباطل ولو على حساب أموال واعراض الناس الآخرين.

الرابع» زد على ذلك فقد ولدت المدينة في ذلك الانسان المعوز العاطل أمراضًا واسقامًا وعللا، اذ أصبحت وسيلة الي انتشار مئات من الأوبئة والامراض في ارجاء المعمورة. بثتها في الأوساط بسوء الاستعمال والاسراف».

بلا شك كل هذه تأتي واحدة تلو الأخرى او مجتمعة لأن بعض مصاصي الدماء قد حكروا على بعض مرافق عامة وهامة وكان من المفروف ان أن يستفيد ويستخدم نتاجها الألوف من الناس بدلا أن يحتكرها اناس معينين.

ففضلا عن هذا العلل المذكورة التي ولدتها المدينة وهي الحاجة الماسة والميل الي السفاهة، وكثرة الامراض المذكرة بالموت.

الخامس» فانة بتفشي الإلحاد وتوغله فيها استيقظت البشرية من غفوتها وإذا المدينة تهددها باستمرار بإظهار الموت تجاهها اعداما ابديا فجرعتها نوعا من عذاب جهنم في الدنيا».

الالحاد وكل ما له من صلة مشبوة جعل من بعض الناس كالبهائهم إن كثيرا من الناس المفتونين بالإلحاد أسوء من البهائم فلا يدري لم خلقه اللّٰه وما المراد منها ولماذا جاء إلى الدنيا ولماذا يرتحل عنها ولماذا وعلى ماذا يبعثون.

هذه بعض آثار شقاوة التي جلبتها الحضارة المدنية للإنسانية! فيا ترى أين تكمن الحل وكيف ومتى السعادة تحل محل الشقاوة للإنسانية؟!

هنا يجيب النورسي المشخص الخبير بهذه الآفات المدمرة بالأمور التالية: «فإزاء هذه المصيبة الرهيبة النازلة بساحه البشرية»:

الأول: «يداوي القرآن الكريم[٢١] تلك الجروح السابقة البليغة بصحوة تلاميذه الذين يربون علي أربعمائة مليون تلميذ وبما يضمه من قوانين مقدسة سماوية مثلما عالج شافيا ادواء البشرية قبل الف وثلاثمائة سنة فانه مستعد لتضميد تلك الجراحات الغائرة بقوانينه الأساسية السامية».. لأن دواء القرآن ليس لوقت دون غير وليس لشعب دون غيره بل للناس كافة.

الثاني: أن القرآن الكريم الكفيل بتحقيق سعادة دنيوية وأخروية للبشرية مالم تقم علي راسها قيامة مفاجئة».. كما ذكر الباحث في المقدمة أن القرآن بحفظ كيان الأمة والسعادة جزء منها.

الثالث: «زد علي ذلك فانه يبين لها ان الموت ماهو الا تسريح من الوظيفة وتذكرة ترخيص للدخول الي عالم النور بدلا من كونه إعداما أبديا».... نعم هذا ما امتاز الإسلام عن غيره فالمسلم كما يحب الحياة يستعد للموت ويقول اهلا وسهلا كما قيل من احب لقاء اللّٰه احب اللّٰه لقاءه.

الرابع: «وان كفة حسنات الحضارة النابعة من القرآن ستتغلب حتما علي سيئات المدينة الحاضرة بل يجعل المدينة سائرة في ركاب تلك القوانيين السماوية تخدمها وتعينها بدلا مما يحدث الي الان من تنازل قسم من الدين

---

٢١ وللباحث في دور القرآن بحث منشور باسم» دَوْر القُرْآن العَظِيم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة المُطَهَّرة في بناءِ ونَهْضَة المُجْتَمَع الإنساني، البحث المقدم إلى مؤتمر الوحي أساس الحضارة للمرة الرابعة على المستوى الدولي، كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ٦ - أكتوبر ٢٠١٥ م (٢٢- ذو الحجة ١٤٣٦) هـ.

لقسم من المدينة ومن دفع أحكام الدين رشوة في سبيل المدينة». في الحقيقة انه من الظلم والاجحاف ان نقارن بين اداء القرآن وبين النظريان المدنية الأخرى أيا كانت فهي تشبه المقارنة بين الثرى والثريّا، لكن تنزيلاً لرغبة بعض الناس فقط ولأظهار تفوق وخصائص القرآن عن غيره هكذا يعمل المقارنة.

«كل ذلك يفهم من إشارات القران المعجز البيان ومن رموزه فترجو البشرية الصاحية الحاضرة ذلك العلاج القدسي من رحمته تعالى وتتضرع الية وتطلبه. سعيد النورسي[٢٢]. نعم جاء القرآن والسنة بكل شيء علمه من علمه وجهله من جهله.

المطلب الثاني: الثمرات الوفيرة نتيجة الإتباع للطريقة المحمدية[٢٣]»صلى الله عليه وسلم» وأهم فوائدها:

الأولي: «هي ظهور الحقائق الايمانية وانكشافها ووضوحها الي درجة عين اليقين بوساطة الطريقة الصحيحة المستقيمة. هذه الحقائق التي هي منابع خزائن أبدية وسعادة دائمة وكنوزها ومفاتيحها». وعلى قدر الإيمان تمنح وتظهر لك حقائق الإيمان.

الثانية: «هي تحقيق الوجود الحقيقي للإنسان بانسياق لطائفة جميعا الي ما خلقت لأجله. وذلك بأن تكون الطرقة واسطة لتحريك قلب الانسان الذي يعبر مركزا لجسمه ولولبا لحركته وتوجيهه الي اللّٰه. فيندفع بهذا كثير من اللطائف الإنسانية الي الحركة والظهور فتحقق حقيقة الانسان[٢٤].

---

٢٢ ملحق أميرداغ، وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص٣٥٩.

٢٣ وللباحث مقال منشور» نموذج القائد الأعلى في السماحة وإدارة الأزمات، «قراءة إسلاميّة في تصحيح المسار في ضوء الواقع المعاصر»، البحث المقدم إلى المؤتمر الدولي حول القيادة الإسلامية والتي تنظمه USIM، كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ١٣محرم ١٤٣٧(الهجرية) الموافق، أكتوبر ٢٠١٥ م ٢٦-٢٧الميلادية.

٢٤ المكتوبات، وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص٦٠٩.

نعم في القرآن فقط دون غيره يقول ان اللّٰه يريد لك السعادة والجنة فلا تبتعد عن بنفسك واعمالك واعتقاداتك.

الثالثة: التخلص من وحشة الانفراد والوحدة في السير والسلوك، والشعوربالأنس المعنوي في الحياة الدنيا والبرزخ بالالتحاق بإحدى سلاسل الطريقة عند سيرهاوتوجهها وسفرها نحو الحياة البرزخيية ونحو الحياة الأخروية وعقد أواصر الصداقة والمحبة بتلك القافلة النورانية في طريق ابد الآباد فتندفع الأوهام والشبة عن النفس.

الكل مخلوق وعبيد لله طائع مطيع فلا تتمرد أيها الإنسان ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ﴾ الإسراء: ٤٤.

فهذه الآية يعطيعك انسجاما وتفاعلا مع سائر الموجودات إذ الكل يسبح بحمداللّٰه طوعاً اوكرها، وانت كن من المسبحين طوعا.

الرابعة:»وهي خلاص الإنسان من الوحشة الهائلة التي تكتفه في حياتهالدنيا، والانسان من الغربة الأليمة التي يحسها إزاء الكون. وقد سبق ان أثبتنا في كلمات عدة بان سعادة الدارين واللذة التي لا يشوبها الم والأنس الذي لا تخالطه وحشة والسعادة الحقيقية لا توجد الا في حقائق الايمان والإسلام التي تسعي الطريقة للوصول اليها كما اننا بينا في (الكلمة الثانية) بان الإيمان يحمل بذر شجرة طوبى في الجنة[٢٥].

فسيد الإنسان هو «اللّٰه» وهو وحده يقدر سعادة هذا الإنسان بل وإسعاد كل الإنسان لا غيره.

الخامسة:»الشعور بالحقائق اللطيفة في التكاليف الشرعية وتقديرها بواسطة القلب المنتبه بدوام ذكر اللّٰه. وبذلك تكون الطاعة والعبادة مثار اشتياق وحب لا مثار تعب وتكليف».

فهذه التكاليف الشرعية لصالح الانسان حيث يجعله دائم التيقظ من

٢٥ المكتوبات، وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص٦١٥.

الغفلة والنفس الامارة بالسوء.

السادسة:»نيل مقام التوكل، ودرجة الرضى، ومرتبه التسليم. هذه المقامات هي السبيل الي تذوق السعادة الحقيقية والتسلية الخالصة واللذة التي لا يشوبهاحزن، والأنس الذي لا تقربه وحشة».

هذه المقامات إذا وصل إليها الانسان أصبح بأمان من الشيطان ومكائده.

السابعة: »وهي نجاة الانسان من الشرك الخفي والرياء والتصنع وأمثالهامن الرذائل وذلك بالإخلاص الذي هو أهم شرط لدي سالك الطريقة واهم نتيجة لها. وكذا التخلص من أخطار النفس الامار بالسوء ومن أدران الأنانية بتزكية النفس التي هي السلوك العلمي في الطريقة».

الشرك الخفي شيء دقيق وحساس فلا يسلم منها إلا عباد اللّٰه المخلصين.

الثامنة: »هي جعل الانسان عادته اليومية بحكم العبادات وأعماله الدنيوية. بمثابة أعمال أخروية والإحسان في استغلال رأس عمر من الحياة بدقائقها وجعلها بذورا تتفتح عن زهرات الحياة الاخروية وسنابلها».

أن تعيش أنفاسك لله ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ الأنعام: ١٦٢.

وذلك بدوام الذكر القلبي، والتأمل العقلي، مع الحضور القلبي الدائم والاطمئنان، ودوام شحذ الإرادة، والنية الصافية، العزيمة الصادقة التي تلقنها الطريقة.

التاسعة: وهي العمل للوصول الي مرتبة الانسان الكامل، وذلك بالتوجه القلبي الي اللّٰه طوال سيرة وسلوكه، وأثناء معاناته الروحية التي تسمو بحياتهالمعنوية، أي الوصول الي مرتبة المؤمن الحق والمسلم الصادق، أي

نيل حقيقة الايمان والإسلام ولاصورتيهما، ثم ان يكون الانسان عبدا خالصا لرب العالمين، وموضع خطابة الجليل، وممثلا عن الكائنات من جهة، ووليا لله وخليلا له، حتى انه مرآة لتجلياته سبحانه، وفي أحسن تقويم حقا فيقيم الحجة علي أفضلية بني ادم على الملائكة.

أكثر آيات القرآن التي تحث الانسان على الإيمان فيتبعه بالعمل الصالح كما

جاء في سورة العصر ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ﴾ العصر: ١ - ٣ وغيرها.

وهكذا يطير بجناحي الايمان والعمل بالشريعة الي المقامات العليا والتطلع من هذه الدنيا الي السعادة الأبدية بل الدخول فيها.[٢٦].

المطلب الثالث: المقارنة والمفاضلة والممايزة والمحاسنة بين ما تقدمها القرآن الكريم من السعادة الحقيقية للإنسانية، وبين ما تقدمها المدنية من سعادة وهمية وليست حقيقية ومداها الأول»ان القران الكريم الذي هو رحمه للبشرية كافة. ﴿لَكَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ كُنتُمْ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ الأنبياء: ١٠٧. أي؛ وما أرسلناك بالقرآن إلا رحمة للعالمين.

انما يقبل المدينة التي تكفل سعادة العموم أو في الأقل سعادة الأكثرية المطلقة. كيف؟ وإليك تفصيل ذلك

المدينة الحاضرة قد تأسست على خمسة أسس سلبية :

١) نقطة استنادها وركيزتها: القوة، وهذه من شانها: التجاوزوالاعتداءعلى الناس ولو على حساب الأخرين. هدفها وقصدها: المنفعة وهذه من شأنها التزاحم. تحصيل اكبر قدر ممكن من المنفعة فجعل الانسان يشبه آلة عمل.

٢) دستورها في الحياة: الجدال والصداع، وهذا من شأنه التنازع. القوي يأكل الضعيف فلا مكان للضعيف.

٣) رابطتها بين الكتل البشرية العصرية والقومية السلبية التي تنمو وتتوسع بابتلاع الاخرين وشانها التصادم الرهيب.

٤) خدمتها للبشرية خدمة جذابة: تشجيع الهوى والهوسات وتلبية رغبات النفس الامارة ذلك الهوى الذي هو سبب لمسخ الانسان مسخا معنويا. وهكذا

---

٢٦ المكتوبات، وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص ٦١١.

يرى في جميع مرافق الحياة عندهم تشجيعاً للهوى والهوس الآني البهائمي.

أما المدينة التي تضمنها الشريعة الاحمدية وتامر بها:

١) فان نقطة استنادها: الحق بدلا من القوة والحق من شانه: العدالة والتوازن لأن اللّٰه لا يرضى الا بهذا.
وهدفها: الفضيلة بدلا من المنفعة والفضيلة من شأنها: المودة والتجاذب. من يستطيع أن يسدي معروفا فهو الأفضل. أي افضل الناس عند اللّٰه.

٢) جهة الوحدة فيها: الرابطة الدينية والوطنية والصنفية بدلا من العنصرية القومية، وهذه الرابطة من شأنها: الأخوة المخلصة والمسالمة الجادة والدفاع فقط عند الاعتداء الخارجي. في الاسلام نجاة للعنصرية التي فتكت بالمجتمعات الانسانية ألأخرى.

٣) دستورها في الحياة: التعاون بدلا من الجدال والصراع والتعاون من شانه: الاتحادوالتساند.﴿كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى﴾المائدة:٢.

٤) وتضع الهدى بدلا من الهوى والهدى من شانه: رفع الانسان روحيا الي مراقي الكمالات.
لأن الهوى عابرة إذا أمسكته، وعابدة إذا ملكك ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ﴾ الجاثية: ٢٣.
النصيحة «فلا ترخ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا واستعصم به والا هلكت»[٢٧].

المطلب الخامس: دواء البشرية المطلقة أن تخضع لخالقها وبارئها بالعبادة

«فما أحوج روح البشر العاجزة الضعيفة الفقيرة الي حقائق العبادة والتوكل، والي التوحيد والاستسلام! وما أعظم ما ينال منها من ربح وسعادة ونعمة! فمن

٢٧ المكتوبات، وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص ٦٢٥.

يفقد بصره كليا ير ذلك ويدركه. اذ من العلوم ان الطريق غير الضار يرجع على الطريق الضار حتى لوكان النفع فيه احتمالا واحدا من عشرة احتمالات. علما أن مسألتنا هذه، طريق العبادة فمع كونه عديم الضرر، واحتمال نفعه تسعة من عشرة، فأنه يعطينا كنزا للسعادة الأبدية، بينما طريق الفسق والسفاهة ـ باعتراف الفاسق نفسه ـ فمع كونه عديم النفع فانة سبب الشقاء والهلاك الابديين من يقين للخسران وانعدام الخير بنسبة تسعة من عشرة. وهذا الامر ثابت بشهادة ما لا يحصى من (أهل الاختصاص والإثبات) بدرجه التواتر والاجماع. وهو يقين جازم في ضوء اخبار اهل الذوق والكشف.

إن لم تشغل نفسك بما أراده اللّٰه لك سيشغلك الشيطان بما يريده منك وسيشغلك هواك بما هو أرداك. وشتان بين الأمرين.

نحصل من هذا: ان سعادة الدنيا أيضا ـ كالأخرة ـ هي في العبادة وفي الجندية الخالصة لله.[٢٨]

فعلينا اذن ان نردد دائما (الحمد لله على الطاعة والتوفيق) وان نشكره سبحانه وتعالى على أننا مسلون.

الخاتمة وأهم النتائج من الدراسة: لقد توصل الباحث على العديد من النتائج فهذه أهمها:

١) لقد أتم اللّٰه الكلمات لأدم لكي تعيش هو وزجته في الجنة سعيدا.
٢) أرسل الرسل لبني آدم لكي يسيروا على السعادة.
٣) الالتزام والتمسك بمنهج الأنبياء يجعلك سعيدا.
٤) القرآن والسنة كفيلان ضامنان لحياة هائدة سعيدة.
٥) وفهم حياة الصحابة والتابعين والشهداء والصديقين والصالحين والعلماء العاملين خير شحذ تشحذ به الامة لعزها وسعادتها.
٦) وسعيد النورسي من أفضل العلماء الذين شخصوا الدواء وأحسنوا الدواء.
٧) سعيد عاش مع آلام وآمال الناس فجاء علاجه ناجع.

٢٨ الكلمات، وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م. ص ١٤.

٨) سعيد نظر إلى المشاكل المعنوية واعطاها من الأدوية القرآنية الشافية الكافية.

٩) المشاكل المعنوية عند سعيد لم يكن يقتصر على وقته وعصره بل ينظر بنظر الثاقب إلى ما بني عليه المدنية وعلى ضوئها شخص الدواء وتصرف.

١٠) علاج ومعالجة النورسي لقضايا أساسية حساسة فيها آفاق أكثر وأكثر ويتحمل مزيدًا من الأبحاث والرؤى.

وأهـم التوصيـات: ويجد لدى الباحث جملة من الوصايا يوصي بها نفسه وسائرإخوانه القراء فلعله يشير إلى أهمها:

١) القراء، ثم القراءة ثم القراءة، نحن أمة إقرأ ومع ذلك قد استثقل القراءة عند كثيرمن الباحثين فضلا عن غيرهم.

٢) اهتمام أكثر بما خلفه وتركه لنا علمائنا من الكنوز أمثال النورسي وغيره كثير أيضاً.

٣) عقد مؤتمر دولي يعرض فيه المشاكل المعنوية التي نجح فيها النورسي بالتشخيص والعلاج.

المصادر والمراجع

- المكتوبات، سعيد النورسي وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م..
- الكلمات، سعيد النورسي وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م.
- ملحق أميرداغ، سعيد النورسي وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م.
- ملحق قسطوني، سعيد النورسي وترجمها» إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر» ط السادسة، ٢٠١١م.
- ملحق بارلا، سعيد النورسي، وترجمها «إحسان قاسم الصالحي إلى العربية ونشره دار سوزلر»ط السادسة، ٢٠١١م.

منهج النورسي في الثبات زمن المحن دراسة مقارنة

أم كلثوم بن يحي
أستاذ مشارك، جامعة الملك خالد أبها، المملكة العربية السعودية

المقدمة

الحمد لله خالق الأنام، يأمر بالحق والعدل ويدعو إلى دار السلام، ويرفع المصلحين من أهل العلم أعلى مقام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعلمين، محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

تعيش الأمة اليوم أشد فتراتها ضعفا وتكالبا من الأعداء، وردة ونكوصا من أبنائها العاقين ممن استهوتهم الحداثة فطعنوا في الدين، وسمموا عقول الشباب ممن زادهم في العلم الشرعي قليل، وقد جندوا لذلك الأموال والأرواح، ولبسوا على الناس دينهم وشغلوا الأمة عن جوهر الأزمة، هي فترة يعاني فيها القابضون على الجمر ندرة الإخوان، وضعفِ المُعين، وقلةِ الناصر، وردة بعض من صُدروا للناس كعلماء وهم أقرب للغوغاء، وبعض من ألبسهم الإعلام ثوب النخبة وهم في الأمة أصل النكبة.

وفي ظِلِّ هذه الهجمة وهذا التشكيكِ الخفي في دينِ اللّه، وما جند له من جند وعتاد، تبرزُ الحاجةُ ملحة - ونحن زمن الغربة والفتن العاصفة التي تتوالى على أمتنا كقطع الليل المظلم- إلى نور يحدد لنا طريق الثبات ليصل بنا إلى بر الأمان وإلى تجربة إيمانية ربانية تجدد العزم فينا وتعطينا الأمل في الصمود والتمكين لدين اللّه ولو بعد حين.

وليس أنسب لذلك من بديع زمانه، مجدد عصره المفكر العالم الزاهد الثائر في زمن ضعف اليقين وغربة الدين، وندرةَ الصالحين، لقد وزن بديع الزمان الأمة وهندس خطة الصمود، واستطاع أن يكون شوكة في حلق العلمانية،

لقد زرع بذرة الإيمان والصمود في قلوب أتباعه وقرائه لتصير إرثا يتوارثه الأجيال يتعمقون فهمه... يحسنون تطبيقه.... ويبنون عليه منهجهم في العمل الدعوي كمشعل ينتقل بين الأبطال يزداد توهجا وقوة حتي صادف محل التمكين فأوقد بركان التغيير ليصير حتما مقضيا وتعود تركيا إلى حضن الأمة الإسلامية بل وتصير قطبا من أقطابها.

إن ما يحدث اليوم من تغييب للإسلام الوسطي وتقزيم لدوره الحيوي والحضاري، وما يبذله القابضون على الجمر من تضحيات ليُذكِّر بالأمس القريب وما عناه الإسلام الوسطي زمن النورسي، وفي نفس الوقت يفتح نافذة الأمل.... أمل يصدح بين الصابرين ويدوي في سكناتهم وحركاتهم مسطرا بشرى النصر... أليس الصبح بقريب.

ستحاول هذه الورقة الوقوف على أبرز معالم الفترة النورسية، وأهم انجازات إمامها ما مضى منها وما هو مستجد، مقارِنةً بين الأمس واليوم... مستشرفة الغد، وبين أتباع النورسي وباقي الحركات الدعوية المعاصرة، إني وقبل الخوض في هذا البحث وأجزم أنني ممن لا يجيدون السباحة في فكر شخص لا أقل من أن يوصف بأنه محيط من العلوم وبحر من الأسرار المعرفية والحنكة السياسية، طرحت السؤال مشككة – وما ذلك التشكيك إلا لما تجرعناه من مرارة التخلف في الأمة وتكالب الأعداء وتقسيم المقسم وتجزيء المجزأ- هل منهج النورسي في صناعة جيل من المسلمين الربانين هو منهج طوباوي متوهم، أم أنه منهج رباني قابل للتحقق في المجتمع الإنساني حيث فرغ الإنسان المسلم أو كاد؟، ولعلي أجيب على ما سبق من خلال الخطة التالية:

المحـور الأول: زمن النورسي قراءة في الأحداث والتحولات الجذرية للأمة الإسلامية

المحور الثاني: رجل يزن أمة

المحور الثالث: منهج النورسي في تثبيت المسلمين زمن الغربة

أولا: استثمار النص القرآني والسِيَّر لنشر اليقين والثبات على المبدأ.

ثانيا: فقه الأولويات حصن منيع من التشتت الدعوي والفشل(الإيمان

قبل الطريقة)

ثالثا: الارتباط بالمنهج لا بالرجال.

رابعا: وجود القائد القدوة(المجدد).

خامسا: لكل فعل ردة فعل مدروسة.

سادسا: بذل الصبر وعدم استعجال النتائج.

سابعا: توقع الأسوأ واستشراف فكر العدو.

ثامنا: استثمار جميع الوسائل المتاحة دون استصغار.

تاسعا: لابد للأمة من جيلين: جيل التضحية وجيل التمكين.

المحور الرابع: تركيا تنتصر وتخلع ثوب العلمانية ولو بعد حين

المحور الخامس: الحركات الإسلامية المعاصرة في وجه التغريب والتطرف

المحور الأول: زمن النورسي قراءة في الأحداث والتحولات الجذرية للأمة الإسلامية

المصادر والمراجع

المحور الأول: زمن النورسي قراءة في الأحداث والتحولات الجذرية للأمة الإسلامية

شهدت تركيا العثمانية في مطلع القرن العشرين بداية التحول الجذري، والانتقال المفصلي من الخلافة إلى الحداثة، ومن الإسلام إلى العلمانية، ففي ٣٣ أغسطس ١٩٠٨م تبنت مجموعة من الضباط المنتمين إلى جمعية الاتحاد والترقي السرية الثورة الدستورية التي أسفرت عن إعلان السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) على إعلان إعادة العمل بدستور ١٨٧٦ المعطل منذ سنة ١٨٧٧,[٢٩]

وبعد سنة من الثورة الدستورية قامت ثورة مضادة بقيادة زعماء دين أمثال حمدي جاويش مثلوا منظمة اتحادي محمدي جمعتي، التي اتهمت الضباط قادة الثورة بالإساءة إلى الإسلام، فخرج أتباع المنظمة

٢٩ إبراهيم خليل احمد العلاف، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ١٥١٦م-١٩١٦م، ١٩٨٣، الموصل: ١٧٨-١٧٩.

في ١٣ نيسان ١٩٠٩م بقيادة في ميدان أيا صوفيا في استانبول بقيادة حمدي جاويش في تظاهرة حاشدة حاملين: «شريعت ايسترز» أي: «نريد الشريعة، نريد الشريعة»، فحاصروا البرلمان، مطالبين باستقالة الوزارة وتطبيق الشريعة وإلغاء الدستور ونفي أعضاء الاتحاد [٣٠].

لقد أتت المظاهرات أكلها فاستقالت الوزارة وهرب من الضباط من هرب وقتل من قتل، لكن الكتل السياسية المؤيدة للدستور بدأت في التوحد وتشكيل جمعية الاتحاد العثماني التي نادت بالحفاظ على الدستور من تدخل الحركات الرجعية وسيطرة السلطان على مفاصل الدولة المطلقة، وتدخل الجيش ممثلا في قائد الجيش الثالث في العملية السياسية.[٣١]

لقد أسفر التدخل المباشر للجيش عن خلع السلطان عبد الحميد، وتعيين أخيه محمد الخامس (١٩٠٩-١٩١٨)، ثم دخول الاتحاديون الحرب العالمية الأولى والتي انتهت بانتصار الحلفاء، وعند ذاك بدأ الجنرال مصطفى كمال (١٨٨٠-١٩٣٨) وهو مفتش الجيش الثالث، في ١٩ أيار ١٩١٩ حرب تحرير وطنية في سهول الأناضول وهضابه، وفي حزيران ١٩١٩ عقد مصطفى كمال اجتماعاً في أماسية مع عدد من قادة الجيش، أكد فيه أن السلطان، وكان آنذاك وحيد الدين الملقب بـ(محمد السادس ١٩١٨-١٩٢٢) وإتباعه يتعاونون مع أعداء البلاد من المحتلين والغزاة، وأثناء مؤتمر ارضروم المنعقد بين ٢٣ تموز و ٧آب ١٩١٩، طلب مصطفى كمال من سلطان تركيا النهوض للدفاع عن استقلال البلاد.

وبدأت الحرب الدينية السياسية بين السلطان محمد السادس ومصطفى أتاتورك، فاستصدر السلطان فتوى من شيخ الإسلام آنذاك: (در زادة عبد الله) فتوى توجب على «المؤمنين» محاربة «الكماليين»، واتهم

---

٣٠ فؤاد طلعت، ٢١ مارت، ارتجاع، (استانبول) ١٣٢٧، ص ص ٢-٣.

٣١ توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ١٢٨.

أتاتورك السلطان بموالاة الكفار الانجليز ودعا أتباعه إلى طرد الغزاة. [٣٢] وبالفعل استطاع أتاتورك بعد معارك ضارية طرد الانجليز، وإلغاء السلطنة واتهام السلطان محمد السادس بالخيانة والذي هرب إلى مالطا، وإلغاء ووزارة الأوقاف يدعمه في ذلك المجلس الوطني الكبير صاحب السلطة العليا في البلاد وبذلك انتهت الدولة العثمانية رسمياً وفي ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢. [٣٣]

وحتى يقضي أتاتورك على المعارضة الدينية التي بدأت في توحيد صفوفها وتنظيم قياداتها، قرر إعلان الجمهورية التركية العلمانية التي لا يمكن أن تكون بعد اليوم أرضا خصبة للمشايخ والدراويش وإتباعهم من أصحاب الطريق... وعلى مشايخ الطرق أن يفهموا هذا الكلام بوضوح وبالتالي أن يعلقوا زواياهم وتكاياهم عن طيبة خاطر، والى الأبد، قبل أن أدمرها فوق رؤوسهم»، ودخلت تركيا مرحلة جديدة من الصراع الديني العلماني وظهرت تيارات سياسية تستغل الدين لأغراض سياسية محضة، وتيارات تدافع عن إسلامية الدولة التركية، وتيارات تساند التوجه العلماني الجديد للدولة.

وبعد إعلان النظام الجمهوري الجديد في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٣م بدأت مرحلة ملاحقة رجال الدين والتنكيل بهم وقتلهم، وصدور قانون منع التكايا، وقرر خليفة أتاتورك في الحكم عصمت أينونو تحويل الآذان إلى اللغة التركية، لكن هذا القرار الجريء من الرئيس الجديد كان سببا مباشرا في خسارة حزب الشعب الجمهوري الانتخابات، وصعود نجم حزب جديد هو الحزب الديمقراطي بزعامة عدنان مندريس الذي شهدت فترته نوعا من الهدوء الداخلي والتقارب الخارجي مع أمريكا، ثم حدث الانقلاب ١٩٦٠م الذي أطاح بمندريس وأعاد تركيا إلى حضن العلمانية من جديد[٣٤].

---

٣٢ ينظر: ابراهيم خليل العلاف، تغيير مفهوم الأمة في تركيا، مجموعة من بحوث تحت عنوان: تركيا صراع الهوية، تحرير لقاء مكي، البحوث والدراسات، الجزيرة نت، ٢٠٠٦م، ص: ٠٥

٣٣ إبراهيم خليل العلاف، المرجع السابق، ص: ٠٦-٠٨.

٣٤ فكري شعبان، نشأة العلمانية وقواها في تركيا، مجموعة من بحوث تحت عنوان: تركيا صراع الهوية، ص: ١٠.

وبما أن العلمانية فرضت بالقوة على الشعب التركي المسلم فقد كان لا بد من مؤسسات تحميها وعلى رأسها الجيش فدكتاتورية العلمانية أفضل من ديمقراطية الرجعية في عيون من وصفوا أنفسهم بالمثقفين الحداثين وعيون حلفائهم من الغرب الصليبين.

المحور الثاني: رجل يزن أمة (١٨٧٣م-١٩٠٧م)

إن المصاب الجلل الذي أصاب الأمة في مقتل استنهض همة بديع الزمان النورسي فتميز عن غيره ممن حملوا هم الأمة لكن خانتهم العزيمة وقوة البصيرة، لقد شكلت مكونات الصبر وقوة العزم ممزوجة بقوة الشكيمة، ومراتب اليقين بالله برزخا حمى النورسي من طوفان اليأس الذي بغى على القلوب، ومنع العقول من تدبر الحلول وتصدير النصر للشعوب المثقلة بمرارة الهزيمة والمرعوبة من بطش المنتشي بالنصر وبالتغريب، الحاقد على كل ما هو إسلامي، المدرع بدبابات الجيوش وأبواب السجون ووسائل القمع والتنكيل ما ظهر منها وما استتر.

إن الحديث عن منهجٍ بديع لشخصٍ بديع يستلزم بالضرورة الوقوف على أهم محطات حياته الاجتماعية والعلمية والسياسية، لكن هذه الترجمة البسيطة المقتضبة لا تغني أبدا عن الرجوع إلى الكتب التي ترجمت له، فقد ولد بديع الزمان سعيد النورسي في قرية نورس الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام ١٢٩٤هـ – ١٨٧٧م (من عائلة تمتهن الفلاحة، ومن أب لم يذق في حياته حراما، وفي مجتمع كردي يغشى بيئته الجهل والتخلف شأنه شأن باقي البلاد الإسلامية في تلك الفترة - وما أشبه اليوم بالأمس-، لكن ذلك لم يمنعه من طلب العلم، في مثال واضح على أن الإنسان هو من يختار سبيله وليست الظروف من تفعل[٣٥].

٣٥ النورسي، بديع الزمان، كليات رسائل النور(٩)، سيرة ذاتية، اعداد وترجمة: احسان قاسم الصالحي، ١٩٩٨م، دار سوزلر للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص:٣٥؛ العالم يتصفح كليات رسائل النور، دار سوزلر للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص:٦.

ورغم الوضع العام للقرية والذي اتسم بالبساطة والبعد عن التعليم، فإن أسرة النورسي اعتنت بابنها فنشأ في بيت علم وفضل مما كان له أثر في تكوينه وصقل شخصيته العلمية والثورية المتزنة في آن واحد، كما أن تأثره بحب أخيه الأكبر الملا عبد الله للعلم الشرعي شحذ حماسته فراح يتنقل بين القرى متعطشا لرحيق المعرفة، ذكيا فطنا سريع الحفظ شديد الحرص، الأمر الذي جعله ينال الإجازة العلمية وهو ابن أربع عشرة سنة بعد أن تبحر في العلوم العقلية والنقلية بجهده الشخصي، فقد حفظ عن ظهر غيب، ثمانين كتاباً من أمهات الكتب العربية كما حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من حياته الخصبة الحافلة[٣٦]، وقد حاول أستاذه الشيخ أمين أن يلبسه ثوب العلماء وهو لم يبلغ الحلم، وهذا يدل على أنه كان شخصية استثنائية استرعى إليه الأنظار في وقت مبكر[٣٧].

لقد عرف بسعة العلم ودقة النظر كان يطرح الأسئلة الجوهرية، ويخوض فيما استعصى من الإشكالات ولا يقنع بغير الأجوبة الصريحة، حتى سار حديث المجالس العلمية، ومرجعا يعتد به في الاحتجاج، فعرف بين الناس باسم (الملا سعيد) وباسم(سعيدي مشهور).

لقد دفع بديع الزمان ضريبة الغيرة على دين الله والغضب له وهو شاب لا يتجاوز التاسعة عشر سنة من عمره فتعرض سنة ١٨٩٢ للاعتقال، من قبل والي ماردين، بسبب خوضه في السياسة وسخطه على أداء الحكومة، ونفي مكبلا إلى بدليس، ليجد في المنفى الجديد كل الترحيب ويعكف على قراءة أمهات الكتب، ثم انتقل طالبا للعلم بين المحاضر العلمية متبحرا في العلوم المحضة من رياضيات، وفلك، وكيمياء، وفيزياء، وجيولوجيا وجغرافيا وتاريخ وفلسفة وسواها من العلوم حتى نبغ بين أقرانه، وأذهلتهم مناظراته حتى أطلقوا

---

٣٦ عبد الله الطنطاوي، بديع الزمان النورسي، مجلة المنار، مجلة المنار، شوال١٤٢٢هـ، العدد٦٢.

٣٧ إبراهيم جانان، القضايا الأساسية للعالم الإسلامي وطرق حلها في نظر بديع الزمان، مجلة النور، العدد:٢، ص: ٢٧-٢٨..

عليه اسم « بديع الزمان»،[٣٨] اسم اختصر عبقرية فرد وزن الأمة زمن الأزمة.

وتشير السيرة الذاتية للبديع بأن ظهوره السياسي بدأ قبل سقوط الخلافة، حيث ظهرت معارضته للسلطان عبد الحميد الذي نادي بفكرة الاتحاد الإسلامي، ورأى فيها بديع الزمان فخا يراد به السيطرة على الشعوب المسلمة باسم الدين، فأنكر عليه ذلك ما جعل السلطان يفرض عليه الإقامة الجبرية، التي استمرت حتى انتصرت ثورة ١٩٠٨.

إن ما سبق ذكره يجعلنا نقف على حقيقة مهمة ألا وهي أن النورسي كان نافذ البصيرة فاروقا في الحق لا يخاف لومة لائم، غير مخدوع بالشعارات الزائفة والغطاءات الدينية التي كان السياسيون يلتحفون بها كلما أرادوا تحقيق مصالح شخصية محضة على حساب الشعوب المثقلة بالفقر والجهل والسذاجة السياسية سواء كان المسمى سلطان أو حداثي أو رئيس دولة.

لقد كتب مقالاته التي تحث الناس على التمسك بالدستور وتأكيد مسألة مهمة وهي أن النهوض لا يمكن أن يتحقق إلا بالاتحاد والعلم وتطبيق الشريعة الإسلامية، فالحرية الصحيحة التي كان ينادي إليها هي الحرية المستندة إلى الشريعة الإسلامية؛ لذلك عارض فكرة الدستور كبديل لقوانين الشريعة، وكان انضمامه إلى جمعية (اتحادي محمدي) دفاعا عن الشريعة الإسلامية التي أحاط بها الخطر المحقق من كل جانب وحينما فشلت الثورة، قدم إلى المحاكمة بتهمة العمل على «تقويض نضام الحكم الجديد» و»الدعوة إلى عودة العهد الرجعي»، وقد دافع ألنورسي عن قضيته بشجاعة، وقال ان هذه الحكومة كانت تخاصم العقل أيام الاستبداد وهي ألان تعادي الحياة، وأضاف بأنه انتمى إلى جمعية (اتحادي محمدي) بقصد إحياء السنة المحمدية وتعريف الناس بها، وأنه لا علاقة لهذه الجمعية بالسياسة.

كما كان رحمه اللّٰه متفطنا لخطر الفرقة الاختلاف فسعى جاهدا إلى توحيد الصف ونبذ الفرقة والتعصب والتحزب المذموم، فوزن الأمة وحصن الشباب

---

٣٨ عبد اللّٰه الطنطاوي، المرجع نفسه، ص:٨.

من الوقوع في فخ الآنا، ففي كتابه المكتوبات نجده يقول مبينا الفرق بين اختلاف الرحمة واختلاف النقمة:» إن تصادم الأفكار الدي يكون باسم الحق وبحساب الحقيقة يختلف بالوسائل مع الاتفاق في المقصد والأساس، فيظهر كل ناحية من الحقيقة، ويخدم الحق والحقيقة، لكن تصادم الأفكار على وجه الغرض والولاء، وعلى أسلوب من دعوى الاشتهار والرياء بحساب النفس الأمارة المتفرعنة لا يخرج عنه بارقة الحقيقة، بل تفور منه نار الفتنة، لأنه كان الاتفاق لازما في المقصد»[٣٩].

ويشرح المقصود من حديث: (اختلاف أمتي رحمة) فيقول:» إن الاختلاف في الحديث إيجابي، يعني كل واحد يسعى لتعمير مسلكه ورواجه، ولا يسعى لتخريب غيره وإبطاله، أما الاختلاف السلبي سعي بعض لتخريب بعض، على وجه الغرض والعداوة، فهو مردود في نظر الحديث، لأن المتناحرين لا يعملون عملا ايجابيا»[٤٠].

المحور الثالث: منهج النورسي في تثبيت المسلمين زمن الغربة

لقد تاهت الخلافة العثمانية ومعها الدول المسلمة بين عدو متربص وبين أبناء مفتونين، فهذا عاق وذاك منسحب مستقيل، وآخر ممتهن للشجب والحجب واجترار الشعارات بلا طائل، وقلة قليلة سعت بما ملكت من علم وسلطان لتنصر الدين وترد عنه كيد الكائدين زمن الغربة.

وشاء المولى عز وجل أن يعاصر بديع الزمان سعيد النورسي فترة تعتبر من أشد المراحل دقة وتشابكا وتنوعا في التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، والتي خطط فيها الغرب مائة مخطط لتقسيم الأمة الإسلامية، كما يقول الوزير الألماني (D. Juvara)في كتابه (مائة مخطط لتقسيم الدولة العثمانية)،

---

٣٩ النورسي، بديع الزمان، مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور، الملا محمد زاهد الملازكري، ط(١)، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، منشورات دار الأفاق الحديثة، بيروت، ص:٢٤٦.

٤٠ النورسي، المرجع السابق، ص:٢٤٥.

[٤١] فكان مثالا واضحا على القلة القليلة الصامدة العالمة العاملة، فحياته العلمية الحافلة، ورصيده الضخم من المعلومات، ورحلاته العلمية، إضافة لخبرته السياسية في نصح الحكام والقائمين بالأمور السياسية، كل ذلك مكنه من الانطلاق من مرتكزات علمية سليمة، وكان سببا رئيسا في ضبطه للمنهج الذي رآه مناسبا للأمة التي تعيش أسوأ فتراتها، حيث يتربص بها ألذ أعدائها، ويتخاذل عن نصرتها فلذات أكبادها.

هو منهج دقيق شامل لكل ما تحتاجه الأمة للصمود في وجه حملات التغريب التي يقودها أعداء الداخل، وحملات التقسيم التي يقودها أعداء الخارج، ولعل أهم محاوره الآتي:

أولا: استثمار النص القرآني والسِّير لنشر اليقين والثبات على المبدأ

إن علاقة النورسي بالقرآن الكريم علاقة فريدة من نوعها، يغلفها الحب واللهفة والرغبة الشديدة في النصرة، علاقة دامت عقودا من الزمن، لكن بدايتها الفعلية المثمرة كانت في سنة ١٨٩٧م عندما كان النورسي في مدينة «وان» وقرأ خبرا هز مشاعره، وأجبره على إعادة قراءة الواقع وترتيب أولوياته، وذلك أن وزير المستعمرات البريطاني غلادستون خطب في مجلس العموم ببلاده وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلا: «ما دام هذا القرآن بيد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به»، لقد اتخذ النورسي عقب ما قرأه على الفور قرارا مفصليا غير توجه الدعوي، فنذر نفسه لخدمة القرآن الكريم، وقال عبارته المشهورة:» لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية، لا يخبو سناها، ولا يمكن اطفاء نورها». [٤٢]

---

٤١ ليث سعود جاسم، زمخشري بن حسب الله، الغزو الفكري وأثره على سعيد النورسي في تفسيره للآيات القرآنية، مجلة الإسلام في أسيا، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، العدد الرابع الخاص، ديسمبر ٢٠١١م، ص:١٥٦.

٤٢ سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٦٦.

لقد قرر بديع الزمان النورسي حينذاك أن الجهاد الأول هو: إظهار إعجاز القرآن الكريم، وربط المسلمين به، وصمم على تكريس حياته لذلك، فقرر إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول، وأراد تسميتها: «مدرسة الزهراء»، فرحل إلى إستنبول أول مرة، وبقي بها سنة ونصفا محاولا جهده إقناع المسئولين بذلك، ولكن بدون جدوى، فرجع إلى «وان» مدرسا ودارسا.[٤٣]

إن خيبة الأمل هذه لم تزد النورسي إلا إصرارا على المضي قدما في طريق الحق مهما تورمت قدماه وهما أدمتها أشواك العقبات، لقد أدرك النورسي أن الحرب الدائرة على الإسلام لم تعد فقط حربا عسكرية بل هي إلى جانب ذلك حرب فكرية تستهدف الإسلام في عقر داره وبمعاول هدم يحملها أبناءه، فبادر بكتابة رسائل النور التي شكلت حدثا فريدا متميزا قل ما شهد التاريخ مثله، ذلك أنها استغرقت منه ما يقرب من الخمسة والعشرين عاما كان يملي فيها خواطره على طلابه الذين خطوها بأيديهم حرفا حرفا[٤٤].

إن فهم النورسي لمخطط التقسيم الجغرافي والتغريب الديني الذي كانت الدولة الإسلامية مسرحا لأحداثه، جعله يركز على بناء العقيدة السليمة للفرد المسلم، مستندا في ذلك إلى آيات القرآن الكريم وتفسيرها في رسائله، يقول النورسي رحمه الله في هذا الصدد:» إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته»[٤٥].

لقد وفق النورسي إلى جانب استثمار النص القرآني في مواجهة المد

---

٤٣ محسن عبد الحميد، النورسي الرائد الإسلامي الكبير، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد ٢٤٢ ربيع١- نونبر ١٩٨٤.

٤٤ محسن عبد الحميد، الإمام النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا، في عجالة مقتطفة في حياة الإمام النورسي، ١٩٩٥م، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص: ١٧٧.

٤٥ ليث سعود جاسم، زمخشري بن حسب الله، الغزو الفكري وأثره على سعيد النورسي في تفسيره للآيات القرآنية، ص: ١٦٥.

العلماني في توظيف السير في بيان قدرة الإنسان المسلم في بلوغ درجة الكمال الإيماني الذي يحقق للأمة الخيرية الكونية ويحصن شبابها من الانسياق وراء وهم العالم المادي وما يحمله من خراب للأمة، لقد كان النورسي يعرض نماذج بشرية متحققة في واقعنا المُعَاش، وهم بعد الأنبياء "الصحابة الكرام" هم كُمّل الأولياء، من حيث إنهم فرّغوا كل طاقاتهم لله الواحد الأحد، وكانوا بذلك أعلم الخلق -بعد الأنبياء- بالله عز وجل، وكانوا نماذج الإنسان الكامل.

وينتقل النورسي بطلبته بين العصور المزهرة للأمة الإسلامية واقفا بهم عند قامات دينية ونوابغ فكرية حفلت بها كتب التاريخ مسطرة بطولات جهادية، وموسوعات علمية ومدارس فكرية حوت رجالا يوزن الواحد بهم بألف ويزيد، موقظا بذلك حماستهم ومستنهضا هممهم، وصارفا إياهم عن سفاسف الأمور والاشتغال بالخلافات الداخلية، وموجها طاقاتهم للبناء الروحي والعقدي لذواتهم قبل شروعهم في تبني مشروع التغيير الذي استوطن عقولهم، لقد حمل أبناء النورسي الأمانة وهم أهل لها وتوارثت الأجيال من بعده فكره الوسطي الذي شكل لهم سفينة النجاة من الشقاق والنفاق التي حمت تركيا مما ابتلت به كثير من البلاد الإسلامية من تطرف بغيض، أو انحلال مقيت.

ثانيا: فقه الأولويات حصن منيع من التشتت الدعوي والفشل (الإيمان قبل الطريقة)

قد يكون العمل مطلوبا محمودا شرعا، غير أن الحاجة إلي غيره قد يكون أكبر وأعظم، وقد يعطى المرء للعمل من المكانة أكثر مما هو عليه في نفس الأمر، فما أكثر من يصرف الوقت في الأوراد والأذكار والتأمل فينسحب من الميدان ويصبح وسيلة في توهين الاتفاق وسببا في إضعاف الجماعة المسلمة،[٤٦] ومن هنا تتجلى لنا ضرورة معرفة فقه الأولويات للداعي فليس

٤٦ الكريم العكيوي، أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي « تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري»، كلية الآداب

من المقبول شرعا أن يعيش الداعي خارج حدود الزمان والمكان.

لقد تفطن بديع الزمان سعيد النورسي لذلك، فكان من أولى أولوياته العودة بالإسلام إلى نقاءه وذلك بتجديد الدعوة إلى الإيمان وتقويته عند البعض الآخر، إذ كان حريصا على أن يرسخ لدى طلبته فكرة مهمة مفادها:»أن الأساس إذا أصبح صلبا فلا يؤثر فيه مؤثر»، إذ ليس أنجع من الإيمان الراسخ كسلاح لمواجهة الفكر التغريبي المدعوم من جبهات داخلية وخارجية، المستغل لحالة الوهن التي تعيشها الأمة وشبابها الغافل عن ما يحاك له في الكواليس المغلقة، فواقع الحال فرض على النورسي أن يسمي عصره بعصر حفظ الإيمان لا عصر حفظ الطريقة.

لقد حدد النورسي ببراعة علمية قل نظيرها في عصره الآليات التي يمكن من خلالها الرقي بالإنسان من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي، ويمكن أن نقف على بعضها ودورها الفعال في تجديد الإيمان وترسيخه بين الأتباع:

١. البعد عن الانخراط السياسي في أحزاب:

تيقن النورسي أن الظروف السائدة في تركيا آنذاك ليست مساعدة أبدا على قيادة حزب سياسي ذو توجه إسلامي في ظل وجود خصوم حاقدين على الإسلام في سدة الحكم، وما يوفر ذلك من قدرة مادية وعسكرية ترجح كفتهم في القضاء على المعارضة الإسلامية ووأدها في المهد قبل تشكلها واشتداد ساعدها وهو ما لم يراه في صالح العمل الدعوي مطلقا بل هو مفسدة مطلقة قد تكلف القائمين على العمل الدعوي غاليا وتقطع أوصالهم وتبث في صفوف شبابهم اليأس وهم على بداية الطريق، لقد كان يردد أمام زائريه: (إن طلاب النور ليس لهم أية علاقة سياسية، ويجب والحالة هذه لا يتوجس أهل الدنيا من طلاب النور خفية أبدا لأننا نعمل للآخرة وليس للدنيا).

والعلوم الإنسانية بالرباط بالمغرب، بتعاون مع مركز الثقافة والعلوم باستمبول بتركيا بتاريخ ١٧ – ١٨ مارس ١٩٩٩.

٢. آلية التأليف وحث الناس على القراءة:

رأى بديع في تأليف رسائل النور خطوة مهمة لدحض (شبهات القوم)، واثبات حقائق الإيمان بأسلوب علمي دقيق، فقد كان منطلقه في الرد على الشبهات أن الإلحاد ليس مبنيا على علم تخميني، لأنه يعتمد النفي.. الذي يستند إلى مجموعة من النظريات المتفرقة الخاصة، بينما الإيمان يعتمد على الإثبات الذي كلما تعدد ثبوته فأن النتيجة تكون أقوى، يقول كولن تورنر وهو يصف رسائل النور: «إن من أهم نقاط ضعفنا هي أننا... وجهنا اهتماما أكثر من اللازم إلى الأمور الفرعية الثانوية والى مسائل من الدرجة الثانية من الأهمية بدلا من الأمور الأساسية. ورسائل النور أزالت عدم التوازن هذا فأعطت الأهمية الأولى لحقائق الإيمان، هذه الحقائق التي – إن توضحت- ظهرت بأن المسائل الفرعية الأخرى بأجمعها لا جدوى منها ولا خطر لها»، [٤٧] وفي استنبول، وجد نفسه قد عين عضوا في «دار الحكمة الإسلامية» التي كانت بمثابة أكاديمية العلوم التي تجمع كبار علماء الدولة، فاستعمل المرتب الذي كان يتقاضاه ليطبع كتبه، ثم يوزعها مجانا على المسلمين ابتغاء وجه اللّٰه.

وعندما احتلت القوات البريطانية مدينة اسطنبول ١٩٢٠م كتب كتابه «الخطوات الست» الذي سعى من خلال تأليف إلى استنهاض همم الشباب وبث الحماسة فيهم ودعوته إلى نبذ النعرات الطائفية وعدم الوقوع في فخ الفرقة، وأخذ يوزعه سرا عبر محبيه وطلابه على عامة المسلمين.

٣. إلقاء الخطب والمحاضرات:

ومثال ذلك الخطبة الشامية التي ألقاها في دمشق سنة ١٩١١م، أمام جمع غفير من علماء وعامة في الجامع الأموي الشهير بدمشق، وقد حوت بين جنباتها برنامجا سياسيا واجتماعيا متكاملا للأمة الإسلامية، ولخصت العوامل التي أدت إلى انحطاط الأمة في ستة وهي: اليأس، والكذب، والشقاق،

٤٧ كولن تورنر، التجديد وبديع الزمان، المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي – استامبول ١٩٩٢ ص ٢١١.

وضعف الرباط الإسلامي، واستبداد ذوي الأمر، والتهافت على المصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة[٤٨].

٤. الحرص على تحقق النتيجة قبل إيقاع الفعل الدعوي:

ويمثل لذلك بقوله: «إن سببًا من أسباب عدم تأثير نصيحة الناصحين في هذا الزمان هو، أنهم يقولون لسيئي الخُلُق: لا تحسدوا، لا تحرصوا، لا تعاندوا، لا تحبوا الدنيا، بمعنى أنهم يقولون لهم: غيّروا فطرتكم، وهو تكليف لا يطيقونه في الظاهر، ولكن يقولون لهم: اصرفوا وجوه هذه الصفات إلى أمور الخير، غيّروا مجراها، فعندئذ تُجدِي النصيحة، وتؤثر في النفوس، وتكون ضمن نطاق إرادة الإنسان واختياره»[٤٩].

٥. اعتماده أسلوب الترهيب بجانب الترغيب:

وكان منطلقه في ذلك ما رآه من ابتعاد للمسلمين عن الدين وتعلقهم بالدنيا، فرأى في إعادة برمجة تفكيرهم نحو البعث والنشور والعقاب والثواب طريقا لعودتهم إلى جادة الصواب، وبداية لتبنيهم العمل الجدي في الدنيا بغية الفوز في الآخرة.

٦. كان للنورسي تحفظ على باب الاجتهاد لما رآه من قلة العلماء وكثرة المتعالمين الذين اجتهدوا في تلبيس الدين على عامة المسلمين.

٧. الجهاد جهادان معنوي ومسلح:

سعى النورسي إلى ترسيخ مفهومين للجهاد لدى طلبته الذين أخذتهم حماسة الشباب إلى البحث عن خطط وسبل للدخول في الجهاد المسلح، فبين لهم أن الجهاد نوعان:

مسلح: وهو الواجب مع المحتل الصليبي إذا سولت له نفسه غزو بلاد

---

٤٨ العالم يتصفح كليات رسائل النور، ص:٩.

٤٩ النورسي، المكتوبات، ص: ٥٢.

المسلمين، بل نجده ساهم بشكل كبير في تدريب الشباب، ورغم معارضة النورسي الشديدة لدخول الدولة العثمانية الحرب، فقد اشترك هو وطلابه فيها ضد روسيا القيصرية المهاجمة من جهة القفقاس، وعندما دخل الجيش الروسي مدينة بتليس كان بجانب طلابه يدافع دفاعا مستميتا حتى أنه جرح جراحا بليغة، ووقع في الأسر وسيق إلى معتقلات سيبيريا، حيث استمر في شحذ همم الضباط الأسرى معه والبالغ عددهم ٩٠ حتى تكمن من الهرب بطريقة غريبة، واستقبل استقبال الأبطال في اسطنبول[٥٠].

معنوي: وهو الذي يفترض انتهاجه مع حكام المسلمين إذ كان يرى أن حمل السلاح في بلاد المسلمين لا يخدم إلا العدو الخارجي المتربص بالمجتمع الإسلامي من حيث هو كل: فهو يقول: (إن الجهاد المسلح لا يحشد كليا إلا ضد العدو الخارجي، فالصراع المسلح داخل البلاد الإسلامية هو ما يصبو إليه العدو الخارجي ومن هنا فانه كان يحرص على تجنب الفتن بين المسلمين)، وجعل استقرار البلاد وأمنها أولى الأولويات.

ثالثا: الارتباط بالمنهج لا بالرجال

علم النورسي طلبته درسا هو غاية في الأهمية، درس لم يجد شبابنا اليوم شيخا كالنورسي يفتح عيونهم على حقائق نوارنية تمهد لهم طريق التمكين، وتوحد صفوفهم وتجنبهم فرقة دفعت أمتنا ثمنها غاليا وما زالت، إنه درس الارتباط بالمنهج لا بالرجال، فالفكرة لا بالأشخاص بالمحمول لا بالحامل.

لقد كان النورسي يحث طلبته على ضرورة النظر إلى ما أودعه من أفكار في رسائل النور وعرضها على المنهج العلمي الدقيق، وميزان الشريعة الإسلامية، فما وافق الشرع فهو الصواب وما خالفه فلا يلتفت إليه ولا عبرة لكاتبه مهما

٥٠ أحمد علي سليمان، فلسفة الاصلاح التربوي عند الإمام النورسي، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي حول:» الفكر الإصلاحي عند الإمامين عبد الحميد بن باديس وبديع الزمان سعيد النورسي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، يومي ١٦-١٧ أبريل ٢٠١٣م، الجزائر.

علا مقامه في العلم والفكر، يقول في ذلك رحمه الله:» فلا تأخذوا شيئا إلا بعد إمراره على المحك، لأن أقوالا مغشوشة مزيفة قد كثرت في تجارة الأفكار، حتى كلامي أنا لا تأخذوه على علاته- بحسن ظنكم- منه انه صادر مني، فقد أكون مفسدا أو أفسد من حيث لا أشعر- فعلى هذا تيقظوا، ولا تفتحوا القلب لكل طارق، فليظل ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضوه على المحك، فإن ظهر أنه ذهب فأرسلوه إلى القلب واحفظوه هناك، وإن ظهر أنه نحاس فاحملوه على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيرا، من الغيبة وشيعوه بسوء الدعاء علي، وردوه خائبا إلي»[٥١].

ويدخل في هذا الأصل أيضا عدم التعيين، والكف عن ذكر الأسماء، وتسمية الأشخاص عن ذكر الأفكار ومناقشتها، بل يقتصر في ذلك على الفكرة في حد ذاتها وما ملائمتها للشرع أو مجانبتها، وفق منهج ينتقد الأفكار لا الرجال، لقد كان النورسي يرى في الحياة فترة قصيرة لتكفي للتزود للآخرة، فما كان لا يري إلا عابد أو ذاكرا أو متأملا في ملكوت الله، وكان يغضب كثيرا من الغيبة والكذب ولا يسمح بأي حال لأحد أن يغتاب عنده أحد[٥٢]، وتنبغي الإشارة إلى أن أنصار هذه الحركة لا يستسيغون تسميتها بالنورسية، ويرون أن القصد من هذه التسمية، تنفير الناس منها أو اتهامها بأنها تدعو إلى مذهب جديد، ويفضل أنصارها أن تسمى أصحاب النور.

رابعا: وجود القائد القدوة (المجدد)

لقد شكل النورسي بالنسبة للشعب التركي المكلوم لكثرة جراحه المنقذ من وحل الوهن والعجز، ففي وقت ركن الجميع إلى البكاء على الأطلال والملمات والنحيب على ما مضى وفات، تحول النورسي بين الجموع التي تجرعت اليأس، وعانت قمع المتآمرين، ورأت الأكلة تتداعى إلى قصعتها

٥١ النورسي، مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان، ص ٢٢٧.

٥٢ ذكريات عن سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص: ١١-١٢.

من كل حدب وصوب إلى رمز الصبر وبعد النظر ومقابلة الأمر بالأمر. إنه النور الذي شكل بصيص الأمل في آخر النفق المظلم، وليست صدفة أنه قال لأحد طلبته مرة بأنه محاط بالأنوار فالقرية التي ولد فيها اسمها (نورس) واسم والدته (نورية) وأستاذه (نور الدين) والجامع الذي يبيت فيه اسمه (نورشين) لذلك سمى أصحابه باسم (جماعة النور) والرسائل التي كتبها (رسائل النور) وكان ألنورسي يؤكد بأنه يهدف إلى تعليم الأجيال (نور القرآن).[٥٣]

لقد كان النورسي (الذي يحب معالي الأمور، ويسمو بنفسه وروحه وعقله عن السفاسف والترهات) يحب أعالي الجبال، وأعالي الأشجار الباسقة الشاهقة، وكان يفضل الصلاة على الصخور المرتفعة، وكان يقول لتلاميذه: «لو كان فيّ قوة شبابكم هذا لما نزلت من هذه الجبال»، لقد كان أمة في رجل، وربى تلاميذه بالقدوة، وحياته كانت أكبر كرامة.. إنه رجل عصر المصائب والبلايا والمهالك - كما قال عن نفسه- وهو عصرنا، وقد هيأ الأدوية الناجعة للجروح الإنسانية الأبدية، وقدمها إليها خلال رسائله وكتبه التي هي من نور القرآن العظيم، تدعو إلى تطهير النفس، وصقل الروح، وغرس الإيمان والإخلاص في النفوس.

خامسا : لكل فعل ردة فعل مدروسة

إن مسيرة النورسي الجهادية الدعوية حافلة بما هو عجيب غريب في الصبر والحنكة في مواجهة المواقف وتحويل الفعل الضار إلى نافع عن طريق ردة الفعل المناسبة، وتحفل سيرة النابغة النورسي بما يدل على النبوغ والذكاء السياسي والاجتماعي، والقدرة على الاستمرار بنفس الحماسة في جميع الظروف والأحوال، ولنا أن نقف على أمثلة واضحة في ذلك:

---

٥٣ نجم الدين شاهين أر، ذكريات عن ألنورسي، ترجمة عن التركية أسيد إحسان قاسم ألصالحي، (بغداد، ١٩٨٦) ص ٢٣.

١. سعيه لبناء جامعة إسلامية:

تقدم معنا أن النورسي صعق لما قرأه عن تصريح أن وزير المستعمرات البريطاني غلادستون خطب في مجلس العموم حول ضرورة القضاء على القرآن ونزعه من أيدي المسلمين نزعا مهما كلف ذلك، فنذر نفسه لخدمة القرآن الكريم، [٥٤] معتبرا أن أولى الأوليات في هذه المرحلة الحرجة هي إظهار إعجاز القرآن الكريم، وربط المسلمين به، فقرر كردة فعل موازية لفعل الوزير البريطاني إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول، وأراد تسميتها: «مدرسة الزهراء»، وكان يقول:» إن لسان العرب فيها واجب، ولسان الكورد جائز، ولسان الترك لازم»، فرحل إلى إستنبول أول مرة، وبقي بها سنة ونصفا محاولا جهده إقناع المسئولين بذلك، ولكن بدون جدوى، فرجع إلى «وان» مدرسا ودارسا.[٥٥]

إن خيبة الأمل هذه لم تزد النورسي إلا إصرارا على المضي قدما في طريق الحق، من عبث العابثين فبادر بكتابة رسائل النور[٥٦].

٢. كتابة رسائل النور:

تناولت رسائل النور مختلف المشكلات الروحية والنفسية والعقلية التي تطوف بأذهان الجيل الحاضر، وهي تنطلق من محور القرآن وتفسيره، ولم يكن بديع الزمان يكتب هذه الرسائل إلا نادرًا، فكان يملي أفكاره في حالات وجدانية متأثرة، على حين يسجل تلاميذه من حوله ما يقول.

وكان مصطفى كمال إذ ذاك قد أسفر عن وجهه، فألغى كل ما كان له طابع إسلامي، وفي مقدمته الكتابة بالأحرف العربية، واستبدل بها الحروف اللاتينية، فلم يكن من السهل أن تنشر هذه الرسائل، فاتخذ أفراد جماعة النور

---

٥٤ سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٦٦.

٥٥ محسن عبد الحميد، النورسي الرائد الإسلامي الكبير، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد ٢٤٢ ربيع١- نونبر ١٩٨٤.

٥٦ محسن عبد الحميد، الإمام النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا، في عجالة مقتطفة في حياة الإمام النورسي، ١٩٩٥م، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص: ١٧٧.

لنشر هذه الرسائل طريقة عجيبة، وهي أن يأخذ كل فرد منهم على نفسه كتابة ما يمكنه من النسخ عن كل رسالة تظهر، فإذا وزع على القراء كان على كل من هؤلاء أيضا أن يقوم بنفس الوظيفة.

لقد ظل أفراد جماعة النور قرابة عشرين عاما ينشرون رسائل النور بهذه الوسيلة، وإلى جانب الشباب أسهمت النساء المسلمات العفيفات الصالحات المجاهدات بنسخ الرسائل - الكتب - التي كان يمليها بديع الزمان على بعض تلاميذه في غفلة من الرقباء لأنه كان منفياً وموضوعاً تحت الرقابة، ثم يقوم هؤلاء بتهريبها إلى النساء، ليسهرن في نسخها، ويقضين الليالي في ذلك، حتى إذا أنجزنها، سارت بها ركبان طلبة النور في طول البلاد التركية وعرضها، حتى عمت سائر المدن والقرى التركية.[٥٧]

وأمضى النورسي في (بارلا) ثماني سنوات ونصف السنة، ألف فيها أكثر رسائل النور، وهو يعاني من عدة أمراض، ولا يشتهي الطعام، بل كان يكتفي من الطعام بكسيرات من الخبز مع قليل من الحساء «الشوربة»، ولا يقبل هدية ولا تبرعاً ولا زكاة من أحد.. كان - كما قال عن نفسه - يعيش على البركة والاقتصاد، لأن الاقتصاد والقناعة يعنيان الانسجام التام مع الحكمة الإلهية، والتوافق الكامل معها، وإن من لا يقتصد مدعو للسقوط في مهاوي الذلة ومعرض للاستجداء والهوان، كما أن الاقتصاد سبب حازم لإنزال البركة، وأساس متين للتعايش الأفضل، ولقد كفاني هذه الشهور الستة الماضية - ستة وثلاثون رغيفاً قد خبزو في كيلة من الحنطة، وما زال الخبز باقياً، ولا أعرف متى ينفد.. كان يتناول وجبتين في اليوم، يأكل فيهما ما يقوم بأوده، ويحفظ نفسه من الهلاك.

سادسا: بذل الصبر وعدم استعجال النتائج.

كانت حياة النورسي كلها حياة جد واجتهاد من أجل إظهار حقائق الإيمان وإصلاح أحوال المسلمين، وتجديد الفكر الإسلامي. وقد واجه من أجل ذلك أنواعا كثيرة من المعوقات ولحقه أذى كثير من خصومه. فقد أعلن الإلحاد

٥٧ عبد الله الطنطاوي، بديع الزمان النورسي، مجلة المنار، مجلة المنار، شوال١٤٢٣هـ، العدد٦٣.

في عصره ونكل بالمصلحين من علماء الإسلام. فقد عانى رحمة الله عليه آلام الغربة في المنافي البعيدة، ونالته وحشة السجون النائية المظلمة. لكنه لم يستسلم لشيء من ذلك لأنه جعل القرآن الكريم أنيسه وجليسه فوجد السلوان في هديه وحقائقه. وقد جعل غايته خدمة القرآن الكريم وإظهار أنواره للعالم، لأنه رأى أن عصره عصر إنقاذ الإيمان. وقد انفرد هذا الرجل بكثير من الفضائل التي تعز في هذا الزمان، منها انقطاعه الكامل للمهمة التي جعلها غاية حياته، فعزف عن كثير من المباحات، فما عرف عنه أنه بنى بيتا أو اقتني سيارة أو تزوج امرأة...أو استقر به المقام في بلدة معينة جعلها محل عيشه وموطن إقامته. ومن مميزاته أيضا قوة أفكاره التي استمدها من القرآن، فقد أقام الحجة على فساد مناهج الفلسفة الوضعية الغربية، وقدم الأدلة القوية التي ترسخ قضايا العقائد والإيمان، وجمع ذلك كله في رسائله المعروفة برسائل النور. وتميز أسلوبه رحمه الله بالمحاكمة العقلية والنفحات الوجدانية، فمن يقرأ رسائله يشعر بالرقي المعنوي والسمو الروحاني، وبالرقي العقلي والسمو الفكري.[٥٨]

سابعا: توقع الأسوأ واستشراف فكر العدو.

لقد وعى بديع حجم الهول وقلة الناصر والمعين، ووقف على مواطن الخلل في المجتمع المسلم، وخبر أطماع العدو وتوجهاتهم واستشرف خططهم، فكان منهجه في مقابلة ذلك كله هو اعتماد التغيير المنظم، والذي يعتمد التدرج ويرفض الفوضى في الطرح والمثالية في النتائج، بل هو تغيير يساير القانون يجاري القانون ولا يظهر الخروج عنه إلا للضرورة، وهو بذلك يحفظ تماسك الصف ووحدته وعدم وقوعه في الأخطاء القاتلة التي تنهي حياته قبل أن تبدأ.

٥٨ الكريم العكيوي، أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي « تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري»، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بالمغرب، بتعاون مع مركز الثقافة والعلوم باستمبول بتركيا بتاريخ ١٧ – ١٨ مارس ١٩٩٩.

المحور الرابع: تركيا تنتصر وتخلع ثوب العلمانية ولو بعد حين

لقد استطاع النورسي بإخلاصه وصدق دعوته أن يقلب الموازين شيئا فشيئا، وأن يحافظ على بذور الإيمان بين صدور المكلومين، حتى صادفت أمطار اليقين وسواعد العاملين فاختاروا لها تركيا الحديثة أرضا فبذروها وسقوها بالعمل الجاد فأنبتت جمهورية قوية لا ضعيفة، تقدمية لا رجعية تزينت بالإسلام وشاحا، وازدادت رغبتها في نصرة قضايا الأمة إلحاحا، إنها المشعل المنير وسط تجارب الأمة المريرة تنير الطريق أمام الحائرين، تشجعهم على حث الخطى وبذل المزيد ونبذ الفكر الانهزامي واستشراف مستقبل تكون العزة فيه للإسلام، يوم يرد اللّٰه الكافرين بكيدهم لم يضروه شيئا.

لقد مات النورسي وترك فراغا كبيرا بين أتباعه، لكنه خلف إرثا ثقافيا وفكريا لا يموت ولا يتقادم بالزمان، لقد تحول النورسي الفرد إلى جماعة فاقت ملايين الأفراد لتشهد تركيا ومعها العالم الإسلامي بداية التأسيس لجيل التمكين الذي أعاد تركيا إلى حاضرة العالم الإسلامي من جديد بعد عهود من التغريب.

لقد تحققت نبوءة النورسي لو بعد عقود، لقد تحول الأمل الذي بثه بين صفوف معاصريه إلى حقيقة يعيشها أحفادهم بعد عقود طويلة من الصبر والبذل: "كونوا على أملٍ، إن صوت الإسلام الهادر سيصبح أعظم الأصوات وأعلاها في انقلابات المستقبل"، ولعلنا سنعيش نبوؤته الثانية حينما قال: «إن أوربا اليوم حاملة بالإسلام وستلده يوما، والدولة العثمانية حاملة بالنهج الأوربي وستلده يوما»، فلعل مهاجري الشام سيحولوا أوربا المسيحية إلى اروبا المسلمة يوما ما».

المحور الخامس: الحركات الإسلامية المعاصرة في وجه التغريب والتطرف

إن الناظر إلى الساحة الدعوية في البلدان الإسلامية والحركات الإسلامية فيها يهوله حجم الاختلاف والتحزب والفرقة التي فرضت طوقا محكما على هده الحركات، ولا يكاد يختلف اثنين على حقيقة واضحة وضوح الشمس وهي ضرورة مراجعة النفس والعودة اللامشروطة إلى منهج الوحدة، فقد أصبح لزما

على الحركات الإسلامية المعاصرة أكثر من أي وقت مضى أن تتخلى عن بعض من ثوابتها واجتهاداتها من أجل الالتقاء عند النقطة المشتركة ألا وهي هي الدعوة إلى اللّٰه وعند الهدف الأسمى ألا وهو الحكم بشريعته، ونصرة دينه، إن الالتقاء على ما هو حسن أفضل بكثير من الاختلاف على ما هو أحسن لقد علم النورسي أتباعه أن ما يجمعهم أثر بكثير مما يفرقهم، وهو بذلك سائر على سنة الحبيب المصطفى في ضرورة توحيد صفوف المسلمين وسد الثغور أمام التباغض والتحاسد والتعاند بل والتكفير والتبديع من جهة والرمي بالتطرف من جهة أخرى والذي لا تخطئه عين فاحص.

ما أحوجنا اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى الاقتداء بالنورسي في تبني المنهج الوسطي بين وضعين متعاكسين ومتضادين، فقد بين من خلال حياته الحافلة بالمنح والمحن أن الطريق الصحيح هو المنهج الوسط بينهما، وأن القوة العقلية يجب أن ترشد بالمنهج التربوي السليم لتسير لحد الوسط وهو الحكمة والاستقامة.

خاتمة

توفي بديع زمانه عام(١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) بعد عمر حافل بالبذل والعطاء، محاط بالصبر وتحمل العناء، لقد نذر عمره وأفناه لنصرة دينه، ودفع العابثين بقيمه المتلاعبين بعقول المغيبن من شبابه، توفي تاركا تراثا ضخما من العلم والمعرفة مؤسسا بذلك لمنهج فريد بديع في التعاطي مع الأزمات والصبر على الملمات فصار شهر من نار على علم حيا وميتا، وهو الذي كان يرى في الوجود الحقيقي للإنسان الوجود اللّٰه عليه:»إن كل موجود بعد ذهابه من الوجود، يذهب إلى العدم والفناء ظاهرا، ولكن تبقى المعاني التي كان قد أفادها وعبر عنها وتحفظ، وتبقى كذلك هويته المثالية...بمعنى أن الموجود يفقد وجودا ظاهريا صوريا، ويكسب مئات من الوجود المعنوي والعلمي».[٥٩]

---

٥٩ النورسي، المكتوبات ص ٣٧٨ – ٣٧٩.

المصادر والمراجع

- إبراهيم خليل احمد العلاف، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ١٥١٦م-١٩١٦م، ١٩٨٣، الموصل.
- ابراهيم خليل العلاف، تغيير مفهوم الأمة في تركيا، مجموعة من بحوث تحت عنوان: تركيا صراع الهوية، تحرير لقاء مكي، البحوث والدراسات، الجزيرة نت، ٢٠٠٦م
- فؤاد طلعت، ٣١ مارت، ارتجاع، (استانبول) ١٣٢٧هـ.
- توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، (القاهرة، ١٩٦٠).
- فكري شعبان، نشأة العلمانية وقواها في تركيا، مجموعة من بحوث تحت عنوان: تركيا صراع الهوية.
- النورسي، بديع الزمان، كليات رسائل النور(٩)، سيرة ذاتية، اعداد وترجمة: احسان قاسم الصالحي، ١٩٩٨م، دار سوزلر للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- النورسي، بديع الزمان، مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور، الملا محمد زاهد الملازكري، ط(١)، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، منشورات دار الأفاق الحديثة، بيروت.
- العالم يتصفح كليات رسائل النور، دار سوزلر للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- عبد اللّٰه الطنطاوي، بديع الزمان النورسي، مجلة المنار، مجلة المنار، شوال١٤٢٣هـ، العدد٦٣.
- إبراهيم جانان، القضايا الأساسية للعالم الإسلامي وطرق حلها في نظر بديع الزمان، مجلة النور، العدد:٢، ص: ٢٧-٢٨..
- ليث سعود جاسم، زمخشري بن حسب اللّٰه، الغزو الفكري وأثره على سعيد النورسي في تفسيره للآيات القرآنية، مجلة الإسلام في أسيا، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، العدد الرابع الخاص، ديسمبر ٢٠١١م.
- محسن عبد الحميد، النورسي الرائد الإسلامي الكبير، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد ٢٤٢ ربيع١- نونبر ١٩٨٤.
- الكريم العكيوي، أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي « تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري»، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بالمغرب، بتعاون مع مركز الثقافة والعلوم باستمبول بتركيا بتاريخ ١٧ – ١٨ مارس ١٩٩٩.
- كولن تورنر، التجديد وبديع الزمان، المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي – استامبول ١٩٩٢.

- أحمد علي سليمان، فلسفة الاصلاح التربوي عند الإمام النورسي، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي حول:» الفكر الإصلاحي عند الإمامين عبد الحميد بن باديس وبديع الزمان سعيد النورسي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، يومي ١٦-١٧ أبريل ٢٠١٣م، الجزائر.
- ذكريات عن سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.
- نجم الدين شاهين أر، ذكريات عن ألنورسي، ترجمة عن التركية أسيد إحسان قاسم ألصالحي، (بغداد، ١٩٨٦) ص ٢٣.

دعائم لبنات بناء الحضارة الروحية الإنسانية في فكر النورسي

إبراهيم يوسف دياه
الجامعة الإسلامية بالنيجر

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على البشير النذير سيدنا ونبينا محمد بن عبد اللّٰه صلوات اللّٰه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ومما يحيي القلب ويبعث الأمل في النفس عندما نجد أن أسوة من الأمة الإسلامية يضحون جميع حياتهم لأجل الأمة ويسحرون الليالي لتخطيط نهوضها وبث اليقظة في أبنائها.

فالنورسي كان فريد عصره ووحيد زمانه في هذا الجانب، حيث نجد أنه ضحى حياته كلها لأجل الأمة مستقبلها وحاضرها، فرسائله خير شهيد على ذلك، ولذلك نجد أنه يشير في رسائله عندما قال له بعض الناس أننا لا نفهم كتابتك فأجابهم أن جيل المستقبل سيفهمون ذلك. ولذلك نجد كثيرا من الأحايين يختم رسائله بالدعاء بأن يجعلها خالدة و نبراسا للأجيال القادمة، فاستجاب اللّٰه دعاءه، وسخر من كل بقاء الأرض زمرة من العلماء يقومون بنشر رسائله وتوضيحه للناس.

فمن أهم ما كان يدعو إليه النورسي هو الإيمان الصحيح كما يريده اللّٰه ويرضاه، ولذلك نجد أنه جعل جميع علوم البشرية وسيلة للإيمان باللّٰه.

وعلى ضوء ذلك نود أن نعرف الإيمان باختصار، ولا نتدخل في مناقشة آراء المذاهب العقدية بل نكتفي بتعريفات أهل السنة والجماعة فقط، اقتضاء بأستاذنا النورسي.

تعريف الإيمان في اللغة

اشتهر في كتب اللغة أن الإيمان: هو التصديق.

ومعلوم أن التعريف الشرعي قد يتفق مع التعريف اللغوي وقد يختلف، بحيث يكون المعنى الشرعي أشمل من اللغوي وهو كذلك هنا، إذ التصديق أحد أجزاء المعنى الشرعي على الصحيح المشهور عند علماء السلف، وعلى ذلك دلت نصوص القرآن والسنة.

تعريف الإيمان في الشرع

فالإيمان في الشرع هو: (تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان.

ومما يدل على صحة هذا التعريف الذي عليه جمهور السلف أن الله تعالى عندما يصف المؤمنين يصفهم بالعناصر الثلاثة المذكورة في كثير من آي القرآن الكريم كقوله تعالى:{ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون}[1] فالإيمان بالغيب يكون بالقلب وهو التصديق، وإقامة الصلاة تجتمع فيها الأركان الثلاثة: قول اللسان، من تكبير وقراءة وذكر، وعمل الأركان-الجوارح-من قيام وركوع وسجود وقعود وغيرها. وتصديق الجنان-القلب-وذلك يشمل التصديق بما تتضمنه الآيات القرآنية من توحيد وحساب وجنة ونار، وكذلك بقية الأذكار المشروعة في الصلاة. ومثل هذه الآيات: الآيات التسع الأول من سورة {المؤمنون}. وغيرها.

ومن أوضح الأحاديث الدالة على شمول الإيمان لأعمال الجوارح الحديثان الآتيان:

الأول: حديث ابن عباس المتفق عليه-في قصة وفد عبد قيس-(أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما لإيمان بالله وحده؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، و إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة،[2]

---

١ _سورة البقرة:١-٥

٢ [صحيح البخاري بشرح فتح الباري الباري(١/١٢٩) ومسلم بشرح النووي (١/٨١ فتح)]

وصيام رمضان وأن تعطوا من الغنم الخمس.) [٣]

الحديث الثاني: حديث أبي هريرة المتفق عليه أيضا، أن الرسول ﷺ قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا اللّٰه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان[٤]. [

وعلى ضوء هذا المبدأ نجد أن بعض أهل السنة عرف الإيمان بأنه: قول وعمل: قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح[٥]

ولقد تلقى أهل السنة هذا التعريف بالقبول والتسليم، اتباعا للنصوص القرآنية، والآحاديث النبوية الصحيحة الدالة على أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

فمن الأدلة على أن الإيمان تصديق بالقلب:

قوله تعالى: ولّما يدخل الإيمان في قلوبكم[٦]

وقوله تعالى: كتب في قلوبهم الإيمان[٧]

ومن الأدلة على أن الإيمان إقرار باللسان:

قوله تعالى: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا[٨]

وقوله تعالى: وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم[٩]

ومن الأدلة على أن الإيمان عمل بالجوارح:

قوله ﷺ لوفد عبد القيس: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: اللّٰه ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الإله وأن محمد

---

٣ صحيح البخاري بشرح الفتح الباري (٥١/١) وصحيح مسلم بشرح النووي (٧/٢) واللفظ له

٤ عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيفالدكتور، نواقض الإيمان القولية والعملية، دار الوطن

٥ سورة الحجرات آية ١٤

٦ سورة الحجرات آية ١٤

٧ سورة المجادلة آية ٢٢

٨ سورة البقرة آية ١٣٦

٩ سورة العنكبوت آية ٤٦

رسول الله، و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا الخمس من المغنم[١٠]

وتنوعت عبارات السلف الصالح في تعريف الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولن: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقول: قول وعمل ونية وإتباع السنة[١١]

وكل هذا صحيح فليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي، ونجد كذلك أن الإيمان عند جمهور أهل السنة له شعب متعددة، كما أخبر بذلك أعلم الخلق ﷺ في حديث شعب الإيمان، وكل شعبة منه تسمى إيمانا، فالصلاة وسائر أعمال الجوارح من الإيمان، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والرجاء من الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزيل الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى، ويكون إليها أقرب[١٢]

و نجد أن النورسي عرف الإيمان على منوال أهل السنة والجماعة، حيث يقول: «الإيمان بالله هو إيمان بوجوده ووحدته، وباليوم الآخر بحقيته ومجيئه[١٣]

ويرى النورسي أيضا» أن شمس الأعمال القلبية هو الإيمان، والفهرسة الجامعة للأعمال القالبية (الصلاة) التي هي عماد الدين، وقطب الأعمال المالية الزكاة، إذ هي قنطرة الإسلام، وعلى ذلك يرى في بادئ الأمر أن التحلية هو فعل الحسنات: إما بالقلب أو القالب أو المال[١٤].

ويقول أيضا في تعريف الإيمان «أنه النور الحاصل بالتصديق بجميع ما

---

١٠ أخرجه البخاري في باب أداء الخمس من الإيمان ١١\١٢٩ ينظر نواقض الإيمان ص ١٧

١١ ينظر نواقض الإيمان٣٢ ص

١٢ _نفسه ص ٣٤

١٣ بديع الزمان سعيد النورسي، اشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ص ٩٠، شركة سوزلر للنشر، ط ٤، سنة ٢٠٠٤م

١٤ السابق ص٥٠

جاء به النبي عليه السلام تفصيلا في ضروريات الدين وإجمالا في غيرها[١٥]

وعلى هذا نقول أن النورسي سرك نفس الطريق الذي سلك السلف الصالح، إلا أن تعريفه للإيمان أجمع حيث يدخل تحته أعمال الجورح المحسوسة كالزكاة وغير كما سلف في التعريفات التي قدمناها.

أما مصطلح الحضارة فإنه يختلف تعريفه عند العلماء باختلاف ثقافاتهم، ونكتفي هنا بالآتي:

تقوم دراسة الحضارة على أساس التغيير الهائل الّذي أحدثته في نظام الحياة، وعلى الثورة الجذرية التي أعادت تقييم الأمور أمام الإنسان وأوجدت توازنا جديدا في إطار المعايير العقلية والثقافية المختلفة، وذلك لأنّ الحضارة من حيث مفهومها العام هي النّظام الحيوي الّذي ينتظم السلوك الإنساني والتصرف البشري وفقا للحياة العقلية الجديدة التي تنبع من حقيقة الحضارة وتتمثل فيه المواقف الإنسانية في التعامل الاجتماعي في الإطار الداخلي للمجتمع، وفي العلاقات الخارجية مع بلدان العالم[١٦]

النقطة الأولى

مختصر من سيرة بديع الزمان النورسي رحمه الله[١٧]

- ولد سنة ١٨٧٦/١٢٩٣ في قرية نُوْرْس -فهو النُوْرسي وليس النَوْرسي إذاً- وتقع هذه القرية في جنوب شرقي تركيا، وهي من مناطق الأكراد، وكان أبواه صالحين ورعين، تعلم بديع الزمان منهما الصلاح والورع.

---

١٥ إشارات الإعجاز ص٥١

١٦ عبد القادر سانغو، اللغة العربية ومصطلحات الحضارة المعصرة، بحث في مستو الماجيستير، مقدم إلى كلية اللغة والدراسات الأدبية في كلية الدعوة ليبيا طرابلس ٢٠٠٨=٢٠٠٩م

١٧ لما طالعت الكتب التي ترجمت سيرة ذاتية لبديع الزمان النورسي، كتبت مختصرا عن سيرته، ولني لما طالعت مقالة الأخ محمد بن موسى الشريف التي بعنوان «الصفات التي أنضجت دعوة النورسي وفكره» أعجبني مختصره فاقتبسته مباشرة، والله المستعان

- درس في الكُتّاب، ثم انتقل من قرية إلى أخرى، ومن مركز إلى آخر ليدرس على المشايخ، وقرأ قراءة ذاتية مطولة، واستوعب كثيراً من الكتب دراسة وحفظاً.
- في سنة ١٨٩٧/١٣١٤ ذهب إلى بلدة وان ليدرس فيها كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ، وتضلع من العلوم حتى لقب ببديع الزمان واعترف له العلماء بالتقدم والذكاء والمعرفة.
- ذهب إلى اسطنبول سنة ١٩٠٧/١٣٢٥ ليقدم مشروعاً للسلطان عبد الحميد رحمه الله لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول على غرار الأزهر في مصر لكن هذا المشروع لم ير النور لجملة من الأسباب.
- في سنة ١٩١١/١٣٢٩ سافر إلى الشام وخطب في الجامع الأموي خطبته المشهورة بالخطبة الشامية، حلل فيها أسباب الداء الذي سرى في جسد الأمة الإسلامية.
- شارك في الجهاد في جبهة القفقاس في الحرب العالمية الأولى، وأسره الروس سنتين وأربعة أشهر، وأفلت من الأسر أثناء فوضى الثورة الشيوعية البلشفية سنة ١٩١٧، وعاد إلى بلاده فاستقبل استقبال الأبطال من الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية، ومنح وسام الحرب.
- لما تولى مصطفى كمال السلطة في تركيا ألغى السلطنة العثمانية في ١٩٢٢/١١/١، ثم ألغى الخلافة في ١٩٢٤/٣/٣، ومنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدلت الأرقام والحروف العربية إلى اللاتينية، وحُرِّم الأذان بالعربية وصار بالتركية، وحظر الحجاب، وحظر طبع الكتب الإسلامية، وأرغم الرجال على لبس القبعات، وأُسست محاكم لإرهاب الناس عامة والعلماء والدعاة خاصة، ونصبت المشانق، وساد البلاد خوف ورهبة، ونشط الصحفيون في نشر الأخلاق السيئة، والاستهزاء بالدين، وانتشر الإلحاد، وصارت البلاد في مهب الريح، وهنا نفي بديع

الزمان -في جملة من نفي- إلى مناطق مختلفة، ثم نفي إلى بارلا، وهي منطقة نائية، وجرت له عدة محاكمات أظهر فيها صنوفاً من الثبات والقوة واليقين.

- عكف في منفاه على كتاب اللّٰه تعالى يستمد منه المعالم الأساسية للمنهج الذي ارتضاه في حياته، ويستمد منه الثبات والقوة واليقين، وفي أثناء هذه القراءة المطولة انقدحت في ذهنه معاني كثيرة جليلة سطرها في ١٣٠ رسالة عرفت باسم رسائل النور، وكان يمليها على من يرافقه، ثم استنسخها طلابه بخط اليد إلى أن بلغ المستنسخ ستمائة ألف نسخة !! ولم تجد طريقها للمطابع إلا بعد سنة ١٣٧٤/١٩٥٤.
- انتشر طلابه في تركيا، وانتشرت إثر ذلك دعوته في تركيا وأجزاء من العالم العربي والإسلامي في حياته وبعد وفاته، وصارت هناك
- مؤسسة تنشر أفكار الشيخ، وصار هناك مئات الآلاف من المتتلمذين على رسائله، وعقدت مئات الندوات والمؤتمرات التي تناقش فكره وتظهر شمائله.
- توفي رحمه اللّٰه تعالى في ٢٥/رمضان/١٣٧٩، ٢٣/مارس/١٩٦٠، ودفن في مدينة أورفة، وبعد ٤ أشهر من وفاته نبشت السلطات قبره، ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة حتى الآن، فرحمه اللّٰه رحمة واسعة ورضي عنه[١٨].

النقطة الثانية

نظرة النورسي إلى الكون، وكيف يمكن مسايرته تحت الحضارة الروحية الإيمانية

كان النورسي يرى أن الكون بأكمله وسيلة للإيمان بالله سبحانه وتعالى، ولذلك يقول أن كل شيء في الكون من الجمادات إلى الحيوانات تدل على

١٨ ١_ينظر إلى شكران واحدة، الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان النورسي، ترجمة محمد فاضل، سنة النشر ٢٠٠٧، سوزلر للنشر و التوزيع، وكذلك إلى مقالة محمد بن موسى الشريف، الصفات التي_أنضجت دعوة النورسي وفكره

وجود الخالق، وتدل على وحدانيته سبحانه وتعالى، فنجد في الرسالة الرابعة «قطرة من نحر التوحيد» يقول: «والكائنات كل واحد من مركباتها وأجزائها تشهد بخمس وخمسين لسانا بأنه واجب الوجود الواحد الأحد..»[١٩] ويردف هذا التعريف بقوله» فالإيمان نور لوجدان البشر وشعاع من شمس الأزل يضيء دفعة ملكوتية الوجدان بتمامها» نفس الصفحة.

وتوضيحا لهذا التعريف الجامع يقول» فينشر أنسية له مع كل الكائنات.. ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كل شيء.. ويلقى في القلب قوة معنوية يقتدر بها الإنسان أن يصارع جميع الحوادث والمصيبات.. ويعطيه وسعة يقتدر بها أن يبتلع الماضي والمستقبل[٢٠]

و قد بين النورسي جميع هذه الألسن مع ذكر البرهان والدليل القاطع الذي يدل على أن هذا الكائن كونه مخلوق اللّه سبحانه وتعالى يذكر بلسان الحال ويشهد بوحدانية واجب الوجود.

ويقول أيضا: «اعلم ! يا من أحاط به الغفلة وأظلمت عليه الطبيعة حتى صار أعمى وأصم يعبد الأسباب في ظلمات الطبيعة الموهومة!. أني أترجم لك لسانا واحدا من خمسة وخمسين ألسنة يتكلم بها كلّ واحد من مركبات الكائنات وذراتها شاهدات على وجوب وجوده تعالى ووحدته في ألوهيته وربوبيته جل جلاله.. وهو أن اضطرابات الأرواح والعقول الناشئة من ضلالاتها الناشئة من استنكاراتها الناشئة من الاستبعاد والاستغراب والحيرة في إسناد الأشياء إلى أنفسها، وإلى الأسباب الإمكانية تلجئ الأرواح والعقول للفرار إلى الواجب الواحد الأحد الذي بقدرته يحصل إيضاح كل مشكل، وبإرادته يحصل فتح كل مغلق، وبذكره تطمئن القلوب»[٢١]

وإن كان النورسي يخاطب نفسه، إلا أن هذا الخطاب يترتب عند كل من

---

١٩ بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، تحقيق، إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة، ط٤ سنة ١٩٩٩م، ص١٠٨

٢٠ إشارات الإعجاز ص ٥٢

٢١ المرجع السابق ص١٨٤

يراجع نفسه ويشخص حقيقة إيمانه بنفسه، ولما كان النورسي من هذا القبيل لم يترك لنفسه فرصة للغلبة عليه.

ويقول في موضع آخر مما يدل على أنه يشخص نفسه ويقف معها في كل لحظة: «اعلم ! أن عظمة الألوهية وعزتها واستقلالها تستلزم دخول كل شيء مطلقا عظيما أو حقيرا أعظم الأشياء وأخسها تحت تصرفها فخستك وحقارة أحوالك لا تستلزم خروجك. إذ بعدك لا يستلزم بعده، وحقارة صفتك لا تستلزم حقارة وجودك. وتلوث وجه الملك فيك، لا يستلزم تلوث ملكوتك.. وكذا لا تستلزم عظمة الخالق خروج الحقير عن تصرفه، إذ العظمة الحقيقية تستلزم الإحاطة، والإنفراد في الإيجاد...[٢٢]

النقطة الثالثة

بعض الدعائم التي يراها النورسي لبنات، لبناء الحضارة الروحية الإنسانية تحت الصرخ الإيماني الروحي.

وأثناء مطالعتي السريعة في مؤلفات الأستاذ النورسي، أدركت أنه كان يدعوا إلى بناء حضارة روحية إنسانية، ولذلك حاولت أن أسجل الدعائم الآتية:

١_النظر إلى الكون على أنه وسيلة للإيمان بالله وحده:

يقول النورسي لمن يظن أن الحضارة عبارة عن الماديات أو بعبارة لمن يعيشون الحضارة المادية المسمون بالماديين: «اعلم! يا من يدعو المسلمين إلى الدنيا، أخطأت!.. أتحسب أيها الغافل أن المطلوب بالذات من الإنسان عمارة الدنيا، واختراع الصنايع، وتحصيل الرزق وغير ذلك مما يعود إلى الدنيا؟ والحال أن صاحب الملك الذي أمره بين الكاف والنون يقول بقول يصدقه الوجود والكون والواقع وتجهيزات الفطرة الإنسانية [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون][٢٣] [وكأي من دآبة لا تحمل رزقها اللّٰه يرزقها وإياكم][٢٤] أم تزعم أن

٢٢ المرجع السابق ص٣٢١

٢٣ سورة الذاريات آية ٥٦

٢٤ سورة العنكبوت آية ٦٠

من صنعك ويصنعك دائما بتجديد وجودك في كل زمان يحتاج لما تصنع في نظام ملكه وإلى توسيطك في تصرفاته؟.. أترى كل مصنوعات البشر تساوي خلقة نخلة أو صنعة عين أو لسان؟[٢٥]

عندما يفهم البعض أن النورسي يخاطب نفسه في مثل هذه العبارات، فذلك إنما كان تواضعا منه، وكانت نفسه بعيدة عن هذه الفكرة، لأن صفحات حياته كلها ما فيه ما يدل على أنه كان من دعاة الحضارة المادية، بل إنما كان يسعى لأجل نهوض الأمة، ومعروف أن الأمة الإسلامية كانت في نومها العميق حتى قامت الحضارة الغربية وطارت بجل مزاياها.

ويقول أيضا عن هؤلاء الذين جعلوا هدفهم وغايتهم هي الحصول على ملذات الدنيا: «أتحسبون أن مهمة حياتكم محصورة في متطلبات النفس الأمارة بالسوء، ورعايتها بوسائل الحضارة إشباعا لشهوة البطن والفرج؟ أم تظنون أن الغاية من درج ما أودع فيكم من لطائف معنوية رقيقة، وآلات وأعضاء حساسة، وجوارح وأجهزة بديعة، ومشاعر وحواس متجسسة إنما هي لمجرد استعمالها لإشباع حاجات سفلية لرغبات النفس الدنيئة في هذه الحياة الفانية؟ حاشا وكلا»[٢٦]

٢_ بناء المدارس التعليمية التي تدرس فيها جميع العلوم الدينية والكونية

فالنورسي كان يريد للأمة النهضة السريعة ولكن يرى أنه لا يتم ذلك إلا بالاطلاع بما تحتوي العلوم العصرية، ولكن كل ذلك يرى أنه تستخدم لخدمة دستور الحياة البشرية.

وذلك نجد أن سعيد القديم كان يحرص كثيرا في العلوم العصرية الكونية مثل: علم الطبيعة و الفيزياء والكيمياء والجغرافية والفلك والفلسفة والتاريخ إلى غير ذلك من علوم عصره التي تكتسب لأجل بناء الحضارة المادية.

٢٥ بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي ص٢٧٦

٢٦ بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص(٦٤٢) مطبعة سوزلر سنة ١٩٩٩م

وعلى ذلك يقول النورسي لمن يسيء فهم الآيات الواردة في الدعم الأول: «اعلم! يا أيها الغافل! أن من أبعد المحالات أن لا تعلم من خلقك ما يتوارد عليك وأنت تتقلب فيه من الأحوال الاجتماعية والأطوار الدنيوية. فكن من شئت اعتقادا وفكرا ولو معطلا وماديونا، فبالضرورة والمشاهدة ترى في النطفة والبيضة والحبة والنواة فعالية وخلاقية وصنعة وتصرفا»[٢٧]

فلا يُدرك هذه المشاهدة التي يذكرها النورسي إلا بهذه العلوم التي ذكرناها آنفا.

ونجد لذلك كان يهتم النورسي بمشروع» بناء مدرسة الزهراء «التي كان ينشدها في طوال حياته حتى شارف على تحقيق آماله لولا تدخل يد القدر، الذي كاد أن يثبته لما دمر حرب العالمية الأولى خيرة طلابه الأوائل الذين كان يأمل فيهم وراثة فكرته وحمل رسائله إلى عالم الوجود.

٣_ تحسين المناهج الدراسية وتوحيدها:

فالنورسي كان يرى أن سبب تخلف منطقته أي شرقي أناضول، يرجع إلى الجهل الذي عمت المنطقة، مع سوء استخدام المناهج العقيمة التي كانوا يعتمدون عليها في تعليمهم الدهليزية. لذلك بدأ معارضة تلك المناهج منذ حديث عهده بالدراسة.[٢٨]

ويقول النورسي على ضوء تحسين مناهج التعليمية في المدارس ذلك: «ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية»[٢٩]

---

٢٧ ٢_ المثنوي العربي النوري ص٢٧٦

٢٨ ينظر في شكران واحدة، الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النزرسي، ترجمة محمد فاضل، مطبعة سوزلر للنشر والتوزيع، سنة ٢٠٠٧م ص(٢٦)

٢٩ التربية السلوكية عند بديع الزمان النورسي، بحوث ألقيت في الندوة الدولية التي نظمتها شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القاضي عياض بمراكش المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م طبع شركة نسل للطباعة ص(٦)

٤_الأخذ بأيدي فراعنة المجتمع وإرشادهم إلى الحق:

فالنورسي كان يرى أن هذا الأمر لا بد منه، ولذلك لما رأى في نومه أن الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس اللّٰه سره يأمره بأن يقوم بإرشادر مصطفى باشا فلم يتردد في ذلك بل نفذه مباشرة، وذلك يدل على أن هذا المبدأ راسخ في فكرته لبناء الحضارة الروحية الإنسانية التي تقوم على العدل والاستقامة[٣٠]

٥_الاتحاد والتعاون:

لقد كان حياته كلها كانت تنصب في تحقيق هذا الهدف الرفيع، ولذلك نجد أنه وقف أمام الثورات التي كانت تسعر في في جميع نواحي الدولة، ومقفه مع بني منطقته الحمالون معروفة حيث قال لهم: «..إن عدونا هو الجهل والضرورة والإختلاف، وسنجاهد هؤلاء الأعداء الثلاثة بسلاح الصناعة والمعرفة والإتفاق. وسنتعاون ونتصادق يدا مع الأتراك وهم إخواننا الحقيقيون الذين كانوا السبب_ من جهة_ لإيقاظنا من غفلتنا ودفعنا إلى سبيل الرقي..»[٣١]

على ضوء هذه المحاولة المتواضعة، يمكن استنتاج دعائم لبنات بناء الحضارة الروحية في فكر النورسي كالتالي:

١ فهم الإيمان بالله فهما صحيحا كما يريد اللّٰه ويرضاه والعمل به
٢ النظر إلى الكون على أنه وسيلة لاكتساب الإيمان بالله
٣ تحسين المناهج الدراسية وتوحيدها
٤ بناء المدارس التعليمية التي تضم جميع العلوم الدينية والكونية
٥ الأخذ بأيدي فراعنة الأمة
٦ الاتحاد والتعاون

وأخيرا أسأل اللّٰه سبحانه وتعالى أن يجزي القائمين بهذه المجهودات القيمة التي تجعل النفس تطمئن برجوع الدولة الإسلامية وتحقيق ما كان يتمناه أستاذنا سعيد النورسي رحمه اللّٰه وجمعنا معه في مستقر رحمته آمين آمين...

٣٠ _ينظر ما جرى بينه وبين مصطفى باش في الإسلام في تركيا ص(٢٩)

٣١ _بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص(٩٤) مطبعة سوزلر سنة ١٩٩٩م

المصادر والمراجع

١ القرآن الكريم

٢ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٤، ١٤٠٨هـ

٣ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مجوع فتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، طبع بإدارة المساحة العسكرية بالقاهرة سنة: ١٤٠٤هـ

٤ عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيفالدكتور، نواقض الإيمان القولية والعملية

٥ بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، تحقيق، إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر للطباعة، ط٤ سنة ١٩٩٩م

٦ بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق، إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر للطباعة، ط٤ سنة ١٩٩٩م

٧ محمد بن موسى الشريف، الصفات التي أنضجت دعوة النورسي وفكره، مقالة قدمها في مؤتمر اسطنبول أقيمت حول فكر النورسي.

أهمية أهل البيت

د. تاج الدين المناني و د. عبد الرشيد
الكلية الحكومية لتدريب المعلمين، كاليكوت، كيرالا، الهند

أريد أن أقدم في هذه الورقة توضيح أهمية أهل بيت النبي ﷺ كما بينها الأستاذ سعيد النورسي في مؤلفاته 'رسائل النور' خاصة في كتاب - المكتوبات - و - اللمعات - و - خلوصي - و - المحاورة - و - المحكمات - و غيرها من الأجزاء الباقية.

إِنَّ الْحَمْدَ للَّه نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
لقَدْ ربطَ اللّٰه تعالَى بينَ مَحبته سبحانَهُ ومحبة نبيِّه r قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ:] قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[(٣٢)
وجعلَ النبيُّ r محبتَهُ عنواناً ودليلاً علَى صِدْقِ الإيمانِ بالله تعالَى فقَالَ r:« لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْه مِنْ وَالِده وَوَلَده وَالنَّاس أَجْمَعِينَ»(٣٣).
وقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب رضي اللّٰه عنه: يَا رَسُولَ اللَّه لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ r:« لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّه لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ r:« الآنَ يَا عُمَرُ»(٣٤). إنَّ هذَا المعنَى مِنَ الحبِّ قَدْ تَأَصَّلَ فِي قُلُوبِ أصحابِ رسولِ الله r ونفوسِهِمْ، فضربُوا أروعَ الأمثلةِ فِي حبِّهِمْ لرسولِ اللهِ r فكانُوا أَشدَّ الناسِ حُبًّا لهُ، وتعظيمًا لقدْرِه، وإجلالاً لشخصِه، وحِفْظًا لِمَقامِه.

---

٣٢ آل عمران:٣١.

٣٣ البخاري: ١٥.

٣٤ البخاري: ٦٦٣٢.

الأستاذ سعيد النورسي من هو؟

كما بيّن في سيرته الذاتية بيده ويد طلاب النور: الاسم واللقب: بديع الزمان سعيد، اسم الوالد: ميرزا، اسم الوالدة: نورية، تاريخ الولادة: سنة ١٢٩٣ (حسب التاريخ الرومي الذي كان يستعمل رسمياً في أواخر الدولة العثمانية وتبدأ فيه السنة أول مارت، وهذه السنة توافق سنة ١٢٩٤ هـ و١٨٧٦- ١٨٧٧م.)

مسقط الرأس: قرية «نورس» التابعة لناحية «إسپاريت» المرتبطة بقضاء «خيزان» من أعمال ولاية «بتليس»، الشكل: طويل القامة، عسلي العيون، حنطي اللون، (وعلاوة على ما سبق سجل في الوثيقة التي أملاها في «دار الحكمة الإسلامية» المعلومات الآتية):

إسمي: سعيد - لقبي: بديع الزمان -إسم والدي: ميرزا، لا أنتسب إلى سلالة معروفة - شافعي المذهب - أحد مواطني الدولة العلية العثمانية، في مستهل دراستي العلمية درستُ عند أخي عبد اللّٰه ما يقارب السنتين في ناحية اسپاريت. ثم انضممت إلى حلقة تدريس الشيخ محمد الجلالي فأكملت الدروس المقررة كلها، وذلك في قصبة «با يزيد» التابعة لولاية «أرضروم». ثم بدأت بتدريس شتى العلوم في مدينة «وان» طوال خمس عشرة سنة.

وعندما أعلنت الحرب الحاضرة - العالمية الأولى - اشتركت فيها بصفة قائد المتطوعين. ووقعتُ اسيراً بيد الروس في «بتليس» ثم هربت من الأسر وعدت إلى استانبول. واصبحت عضواً في دار الحكمة الإسلامية منذ تأسيسها، فقدتُ إجازتي العلمية التي أخذتها من الشيخ محمد الجلالي في أثناء الأسر، ولي سبعة عشر مؤلفاً باللغة العربية، هي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تعليقات، قزل إيجاز، الخطبة الشامية، وبقية المؤلفات باللغة التركية وهي: نقطة، شعاعات، سنوحات، مناظرات، محاكمات، طلوعات، لمعات، رموز، اشارات، خطوات ستة، ايكي مكتب شهادتنامه سي (المحكمة العسكرية العرفية) حقيقت چكردكلري (نوى الحقائق)، أتكلم باللغة التركية والكردية كما أقرأ وأكتب باللغة العربية والفارسية.

ينقل شهود كثيرون أن الأستاذ النورسي كان قد ذكر في مجالسه الخاصة: أن نسبه ينتهي من جهة الأب إلى الإمام الحسن ومن جهة الأم إلى الإمام الحسين رضي اللّٰه عنهما إلا انه لم يصرح بذلك في رسائله حفاظاً على الإخلاص وتجنبا عن إحراز مقام معنوي في نظر الناس. فمثلاً: «يا أخي إن المنتسب إلى سيدنا علي رضي اللّٰه عنه هو أنا، فما أتاني من شئ إلا من سبيله»[1]، ومثلا: «يا أخي صالح إنك سيد - من أهل البيت - حقاّ، ونورية كذلك سيدة، ومرزا أيضا سيد»[2]، ومثلا: «إنني سيد - من أهل البيت - ولكن إحذر أن تذكر هذا لأحد، فوالدتي حسينية، ووالدي حسني»[3].

وقد حقق الباحثون نجم الدين شاهين أر وعبد القادر بادللي ومحمد ملا زاهد الملازكردي نسب الأستاذ النورسي وتوصلوا إلى الآتي: والده: صوفي ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان، من عشيرة إسباريت، أما والدته: فهي نورية بنت ملا طاهر من قرية «بلكان» التي تبعد عن قرية «نورس» ثلاث ساعات. وهي من عشيرة خاكيف. والعشيرتان من قبائل الأكراد الهكارية.

من هم أهل البيت؟:

أهل البيت أو آل البيت (كذا أهل بيت النبي آل بيت النبي) مصطلح إسلامي يشير إلى جماعة من أقرباء النبي محمد، مطهرين ومزكين. ذكرهم القرآن في آية التطهير، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تطهيرا،[4] وذكرهم الرسول في عدة نصوص واردة عنه، واكتسب هذا المصطلح أهميته وشهرته، نتيجة اختلاف المذاهب الإسلامية في تفسير ماهية أهل البيت الذين ذكرهم القرآن والرسول.

الأهل في اللغة:

ورد في لسان العرب: أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه، والجمع أهلون وأهال.

---

1 Son Şahitler 1/ 240

2 Son Şahitler 3/ 201

3 Son Şahitler 3/ 238

٤ سورة الأحزاب: آية ٣٣

وأهل القرآن حفظته والعاملون به. وأهل المذهب من يدين به. وأهل البيت سكانه. وأهل الرجل أخص الناس به.[٥]

الخلاف حول أهل بيت النبي:

تختلف الطوائف الإسلامية في تشخيص أهل البيت الذين ذكرتهم آية التطهير، هذا الاختلاف لم يقتصر على الطائفة بل كان شائعا بين شخوص المسلمين انفسهم فاختلفت الأقاويل والتفاسير. ومن هذه التفاسير ان المراد بأهل البيت هم:

١) زوجات الرسول فقط ولا أحد غيرهم.[٦]
٢) أهل الكساء (محمد، علي بن أبي طالب، فاطمة الزهراء، الحسن، الحسين) فقط.[٧]
٣) النبي محمد وحده.[٨]
٤) من ناسب النبي محمد إلى جده الأدنى.
٥) من اجتمع معه في رحم.
٦) بنو هاشم مع استثناء النساء.[٩]
٧) من اتصل بمحمد بسبب (أهل دينه) أو بنسب (قرابته).[١٠]
٨) نساء الرسول وجميع بني هاشم الذين حرموا الصدقة.[١١]

أهل البيت عند أهل السنة والجماعة:

وأهل بيت رسول اللّٰه عند أهل السنة والجماعة هم: النبي محمد، بنات وأبناء النبي، أمهات المؤمنين، وجميع بني هاشم من آل البيت والذين بقي

٥ لسان العرب ج١ ص١٦٢-١٦٤، ومفردات الراغب ص٢٩
٦ جامع البيان ج٢٢ ص٧
٧ ينابيع المودة ص٢٩٤
٨ الصواعق المحرقة ص١٤١
٩ فتح القدير ج٤ ص٢٨٠
١٠ المواهب اللدنية ج٣ ص١٢٧
١١ التسهيل لعلوم التنزيل ج٣ ص١٢٧

منهم إلى يومنا هم: آل العباس بن عبد المطلب، آل عقيل بن أبي طالب، آل علي بن أبي طالب، آل جعفر بن أبي طالب، آل الحارث بن عبد المطلب، آل أبي لهب بن عبد المطلب.

وجعل الإمام الشافعي آل البيت بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف، بناء على الحديث الذي يرويه البخاري: إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد.

وعند أهل السنة واجبات مفروضة نحو آل البيت مثل الصلاة عليهم كما ورد في الصلاة الإبراهيمية: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد».

وكذلك حبهم ومودتهم واجبة كما جاء في سورة الشورى: «ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ».[١٢]

ماذا يقول الشيعة عن أهل البيت؟

والشيعة يقولون: «ان حق الخلافة كان لعلي رضي اللّٰه عنه الاّ أنه ظُلِمَ، وعلي رضي اللّٰه عنه أفضل من الكل».

إن الشيعة قسمان: أحدهما: شيعة الولاية. والآخر: شيعة الخلافة. فليكن هذا القسم الثاني غير محق باختلاط السياسة والاغراض في دعاواهم، ولكن لا اغراض ولا اطماع سياسية في القسم الاول. فضلاً عن ذلك فقد التحقت شيعة الولاية بشيعة الخلافة. أي ان قسماً من الاولياء في الطرق الصوفية يرون ان سيدنا علياً رضي اللّٰه عنه هو الافضل، فيصدّقون دعوى شيعة الخلافة الذين هم بجانب السياسة.

الجواب: انه ينبغي النظر إلى سيدنا علي رضي اللّٰه عنه من زاويتين اَو من جهتين: الجهة الاولى: النظر اليه من زاوية فضائله الشخصية ومقامه الشخصي

---

١٢ سورة الشورى ٢٣

الرفيع. الجهة الثانية: هي من زاوية تمثيله الشخص المعنوي لآل البيت. والشخص المعنوي لآل البيت يعكس نوعاً من ماهية الرسول الكريم (ص).

فباعتبار الجهة الاولى: ان جميع أهل الحقيقة وفي مقدمتهم سيدنا علي يقدّمون سيدنا ابابكر وعمر رضي اللّٰه عنهما، فقد رأوا مقامهما اكثر رفعة في خدمة الاسلام والقرب الإلهي. ومن حيث الجهة الثانية اي كون سيدنا علي رضي اللّٰه عنه ممثلاً عن الشخص المعنوي لآل البيت.[١٣] فالشخص المعنوي لآل البيت من حيث كونه ممثلاً للحقيقة المحمدية، لايرقى اليه شئ بالموازنة. وكثرة الاحاديث النبوية الواردة في الثناء على سيدنا علي رضي اللّٰه عنه وبيان فضائله هي لأجل هذه الجهة الثانية. ومما يؤيد هذه الحقيقة رواية صحيحة بهذا المعنى: (ان نسل كل نبي منه، وانا نسلي من علي)[١٤]

ولكن إن أهل السنة والجماعة يقولون: «ان سيدنا علياً رضي اللّٰه عنه هو رابع الخلفاء الراشدين، وان ابا بكر الصديق رضي اللّٰه عنه هو أفضل منه وأحق بالخلافة، فتسلم الخلافة اولاً». والأستاذ يقول ثابتا فضل أهل السنة والجماعة: اما سبب كثرة انتشار الاحاديث بحق شخصية سيدنا علي رضي اللّٰه عنه والثناء عليه أكثر من سائر الخلفاء الراشدين فهو: ان أهل السنة والجماعة

---

١٣ ذكر ابن الجوزي في كتاب مناقب الامام احمد بن حنبل ص ١٦٣ حول التفضيل مايأتي: قال عبد اللّٰه بن احمد بن حنبل: حدث ابي بحديث سفينة، فقلت ياأبتي ماتقول في التفضيل ؟ قال: في الخلافة ابو بكر وعمر وعثمان. فقلت: فعلي بن ابي طالب ؟ قال: يابني علي بن ابي طالب من اهل البيت لايقاس بهم أحد. ـ المترجم.

١٤ والحديث نصّه: ان اللّٰه تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب (اخرجه الطبراني برقم ٢٦٣٠ عن جابر رضي اللّٰه عنه، وفي سنده يحيى بن العلاء كذاب. وساق الذهبي هذا الحديث في ترجمته (الميزان ٤/٣٩٨) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٣٢) فيه يحيى بن العلاء وهو متروك. والحديث اخرجه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عباس رضي اللّٰه عنه، قال ابن الجوزي: حديث لايصح فيه المرزبان قال ابن الكاتب كذاب ومن فوقه الى المنصور ما بين مجهول وغير موثوق به أهـ، وفي الميزان (٢/٥٨٦) قال الذهبي في ترجمته عبد الرحمن بن محمد الحاسب: لايُدرى من ذا، وخبره كذب روى الخطيب... الخ، ثم ساق الحديث. وانظر فيض القدير ٢/٢٢٣. ٢٢٤ وضعيف الجامع الصغير برقم ١٥٨٩.

وهم أهل الحق، قد نشروا الروايات الواردة بحق سيدنا علي رضي اللّٰه عنه تجاه هجوم الأمويين والخوارج عليه وتنقيصهم من شأنه ظلماً. بينما الخلفاء الراشدون الآخرون لم يكونوا عرضة إلى هذه الدرجة من النقد والجرح، لذا لم يروا داعياً لنشر الاحاديث الذاكرة لفضائلهم.

ماذا قال الأستاذ عن محبة أهل البيت؟

قال الأستاذ هكذا في أسلوبه العادي جوابا لرسالة التي أرسلها طالبه سائلا عن محبة آل البيت: اخي العزيز المحترم! لقد قرأت باهتمام وانعام نظر رسالتكم المستفيضة التي هي بمثابة بحث كامل، والغزيرة بالعلم ودقة الملاحظة وحرارة الشوق، فاقول مقدماً:

إن الامام علياً رضي اللّٰه عنه هو استاذ رسائل النور، وهو الذي يولي اهتماماً بالغاً برسائل النور في قصيدته »البديعة« باشارات رمزية، وهو استاذي الخاص في الحقائق الايمانية.

وإن محبة آل البيت قد نصّ عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: (قُل لا أسئلكم عليه اجراً الاّ المودّة في القربى) (الشورى: ٢٣) هذه المحبة اساس في مسلكنا وفي رسائل النور. ويلزم الاّ يكون لدى الطلاب الحقيقيين لرسائل النور أي ميل نحو معاداتها. فالضلالة والزندقة تستغل الاختلاف في هذا العصر، حتى أن هناك تيارات قوية تجعل اهل الايمان في حيرة من امرهم حيث تُبدل الشعائر الاسلامية ويُشنّ هجوم عنيف على القرآن والايمان، لذا لا ينبغي فتح باب المناقشة في الامور الفرعية الجزئية التي تسبب الاختلاف ازاء هذا العدو اللدود.

وكذا لايلزم قطعاً ذم الذين ارتحلوا وذهبوا الى الآخرة ودار الجزاء. فليس من مقتضى محبة آل البيت - المأمورون نحن بحبهم - بيان تقصيرات اولئك بياناً لاجدوى منه بل فيه ضرر.. لاجل كل هذا فقد منع اهلُ السنة والجماعة مناقشة الفتن التي وقعت زمن الصحابة الكرام رضي اللّٰه عنهم.

ولإشتراك الذين بُشّروا بالجنة كالزبير وطلحة وكذلك أُمنا عائشة الصديقة رضي اللّٰه عنهم اجمعين في واقعة الجمل، فقد حكم اهل السنة والجماعة

على تلك الواقعة؛ انها نتيجة الاجتهاد، وان سيدنا علياً رضي اللّٰه عنه كان محقاً وعلى صواب والآخرون ليس لهم الحق. ولكن لأن الامر ناشئ من الاجتهاد فهم معفوون. ثم انهم - اي اهل السنة والجماعة - يرون ان مناقشة امر البغاة في حرب صفّين فيها ضرر، اذ تثير المناقشة نزعتين متضادتين هما: نزعة تقف ضد محبة آل البيت، واخرى تغلو في حبهم «كالرافضة» فيتضرر الاسلام نتيجة ذلك.

ماذا يقول الأستاذ عن أهل البيت في عصر قلق؟

إن اللّٰه سبحانه وتعالى، لكمال رحمته، ودليل حمايته للشريعة الاسلامية واستمراريتها وخلودها، قد أرسل في كل فترة من فترات فساد الأمة مصلحاً، أو مجدداً، او خليفة عظيماً، او قطباً أعظم، او مرشداً كاملاً من الاشخاص العظام الأفذاذ ممن يشبهون المهدي، فازال الفساد، واصلح الامة وحافظ على الدين.

وما دامت سنة اللّٰه قد جرت هكذا، مما لاشك فيه انه سبحانه وتعالى سيبعث في أشد أوقات الفساد، في آخر الزمان، من هو أعظم مجتهد وأعظم مجدد، واعظم قطب، ويكون في الوقت نفسه حاكماً ومهدياً ومرشداً، وسيكون من اهل البيت النبوي.

وان القدير الذي يملأ ما بين السماء والارض بالسحب، ثم يفرغه في دقيقة واحدة لقادر على تهدئة عواصف البحر الجامحة في طرفة عين.. وان القدير ذا الجلال الذي يوجد في ساعة من ايام الربيع نموذج فصل الصيف، ويوجد في ساعة من ايام الصيف زوبعة من زوابع الشتاء، لقادر على تبديد الظلمات المتراكمة في سماء العالم الاسلامي والمخاطر المحدقة به على يدي (المهدي) وقد وَعدَنا بذلك، وهو منجزٌ وعده لامحالة.

وهكذا، اذا ما نظرنا الى هذه المسألة من زاوية دائرة القدرة الإلهية فهي في منتهى السهولة، واذا مانظرنا اليها وتأملنا فيها من زاوية دائرة الاسباب والحكمة الربانية فهي ايضاً في غاية السهولة - بل هو اقرب وأولى شئ للحدوث ـ حتى قرر أرباب الفكر والنظر على ان الحكمة الربانية تقتضي هكذا، وسيكون حتماً، حتى وإن لم توجد رواية عن المخبر الصادق (ص) في شأنه اي ان مجيئه أمر لازم وضروري. ذلك لان دعاء:

(اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد).. الذي تكرره الامة، في صلواتهم جميعها، كل يوم خمس مرات في الاقل، وثبت قبوله بالمشاهدة، فان آل محمد (ص) كآل ابراهيم عليه السلام كانوا يتبؤون مركز الصدارة والزعامة دوماً وفي مقدمة جميع السلالات المباركة في مختلف الاعصار والاقطار[١٥]، وهؤلاء الأبطال من الكثرة، بحيث ان مجموعهم يشكل جيشاً عظيماً جداً.

فاذا ما اتحد هؤلاء السادة وتعاضدوا فعلياً وتساندوا فيما بينهم تساندا جاداً، وكوّنوا من أنفسهم فرقة موحدة بالفعل، جاعلين الدين الاسلامي الرابطة المقدسة للأمة ومدار صحوتها، فلايمكن لجيش أية امة في العالم أن يصمد أمامهم.

فذلك الجيش الضخم العرمرم، ذو القوة والسطوة هو آل محمد (ص) وهو أخصّ جيش من جيوش (المهدي).

نعم! انه ليس هناك نسل من أنسال البشرية وسلالاتها في تاريخ العالم اليوم، له من القوة والأهمية، والذي امتاز بأعلى مراتب الشرف والحسب الرفيع والنسب العريق، واتصل بمنشئها بالشجرة والمسانيد والاعراف، مثل السادة الذين حظوا بالانتساب الى الدوحة النبوية السامية، آل البيت.

لقد كان هؤلاء السادة دوماً، منذ سالف العصور، رواد كل فرقة من فرق أهل الحقيقة، وزعماء اهل الكمال المشاهير ايضاً. واليوم هم النسل المبارك الطيب الذين يربون على الملايين، وهم المتيقظون ذوو القلوب العامرة والطافحة بالحب النبوي، حظوا بالانتساب الى الدوحة الطاهرة الزكية.. وتتهيأ

---

١٥ حتى ان أحد اولئك السادة (من آل البيت) هو السيد أحمد السنوسي، يقود ملايين المريدين، ومنهم السيد ادريس يقود أزيد من مائة ألف من المسلمين، والسيد يحيى الأمير على مئات الالوف من الاشخاص.. وهكذا نرى الكثيرين من افراد قبيلة السادة (من اهل البيت) من امثال هؤلاء القادة الابطال الميامين كما هو ظاهر، فضلاً عما وجد في الباطن كذلك قادة القواد كالسيد عبد القادر الكيلاني والسيد ابو الحسن الشاذلي، والسيد احمد البدوي وامثالهم. المؤلف.

الحادثات العظام التي ستدفع الى ايقاظ واثارة هذه القوة المقدسة التي تنطوي عليها نفوس هذه الجماعة العظيمة. فلابد ان تثور تلك الحمية السامية الكامنة لتلك القوة العظيمة، وسيأخذ (المهدي) زمام القيادة ويقودها الى طريق الحق والحقيقة.

ونحن ننتظر من سنته، ومن رحمته تعالى ـ انتظارنا للربيع عقب هذا الشتاء ـ وقوع هذا الحدث العظيم، ونحن محقون في هذا الانتظار.

واذا قيل: لماذا لم تستقر الخلافة في آل البيت، علماً انهم كانوا أحق بها؟

الجواب: ان سلطنة الدنيا خدّاعة، بينما أهل البيت مكلفون بالحفاظ على حقائق الإسلام واحكام القرآن. وينبغي لمن يتسلم زمام الخلافة الاّ تغره الدنيا، كأن يكون معصوماً كالنبي، أو يكون عظيم التقوى عظيم الزهد كالخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز والمهدي العباسي لئلا يغتر. فسلطنة الدنيا لا تصلح لآل البيت، اذ تنسيهم وظيفَتهم الاساس؛ وهي المحافظة على الدين وخدمة الاسلام. وخلافة الدولة الفاطمية التي قامت باسم آل البيت في مصر، وحكومة الموحدين في أفريقيا، والدولة الصفوية في إيران، كل منها غدت حجة على ان سلطنة الدنيا لا تصلح لآل البيت. بينما نراهم متى ما تركوا السلطنة، فقد سعوا سعياً حثيثاً وبذلوا جهداً منقطع النظير في خدمة الإسلام ورفع راية القرآن.

فان شئت فتأمل في الأقطاب الذين أتوا من سلالة الحسن رضي اللّٰه عنه، ولا سيما الأقطاب الأربعة، وبخاصة الشيخ الكيلاني. وان شئت فتأمل في الأئمة الذين جاءوا من سلالة الحسين رضي اللّٰه عنه، ولا سيما زين العابدين وجعفر الصادق وأمثالهم.. فكلٌ من هؤلاء قد أصبح بمثابة مهدي معنوي، بدّدوا الظلم والظلمات المعنوية بنشرهم أنوار القرآن وحقائق الأيمان، واثبتوا حقاً أنهم وارثو جدهم الأمجد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إن القرآن الكريم يأمر بحب آل البيت، وقد حث النبي (ص) على ذلك، فلربما يشكّل هذا الحب عذراً، حيث ان أهل الحب أهل انتشاء وسكر ـ أي ذاهلون ـ فَلِمَ لا تَنتفع الشّيعة ولا سيما الرّافضة من هذا الحب ولا ينقذهم

من العذاب، بل نرى العكس من ذلك فانهم يدانون من فرط الحب كما أشار اليه الحديث الشريف؟!.

الجواب: ان الحب قسمان، أحدهما: حب (بالمعنى الحرفي وهو حب عليّ والحسن والحسين وآل البيت محبة لله وللرسول وفي سبيلهما. فهذا الحب يزيد حب الرسول (ص) ويكون وسيلة لحب اللّٰه عز وجل فهذا الحب مشروع، لا يضر افراطُه، لانه لا يتجاوز الحدود ولا يستدعي ذم الغير وعداوته.

وثانيهما: حب (بالمعنى الاسمي وهو حبهم حباً ذاتياً، ولأجلهم، اي حب عليّ من أجل شجاعته وكماله، وحب الحسن والحسين من أجل فضائلهما ومزاياهما الكاملة فحسب، من غير تذكّر للنبي (ص)، حتى ان منهم من يحبهم ولو لم يعرف اللّٰه ورسوله. فهذا الحب لا يكون وسيلةً لحب اللّٰه ورسوله. واذا ما كان في هذا الحب افراط فانه سيفضي الى ذم الغير وعداوته.

وهكذا أفرط منهم ـ كما ذكر في الحديث الشريف ـ في الحب لعليّ وتبرأوا من أبي بكر وعمر، فوقعوا في خسارة عظيمة. فكان هذا الحب السلبي ـ غير الايجابي ـ سبباً لخسارتهم.

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم
٢) الأحاديث النبوية
٣) ابن الجوزي: كتاب مناقب الامام احمد بن حنبل
٤) ابن المنظور: لسان العرب
٥) الأستاذ سعيد النورسي: رسائل النور

العلم بين الحكمة القرآنية وبين الفلسفة البشرية عند الإمام النورسي

أ. خلاف الغالبي
جامعة محمد الأول – وجدة، المغرب

مدخل

العلم هو الإدراك، تصورا كان ذلك الإدراك أو تصديقا، يقينيا أو غير يقيني. وقد يطلق العلم على التعقل وعلى إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع، أو على ما هو به ذلك الشيء، كما يطلق على إدراك حقائق الأشياء وعلتها أو على إدراك المسائل عن دليل.. و يرى فريق من المفكرين أن العلم مرادف للمعرفة، في حين يرى بعضهم أن العلم أخص من المعرفة[١٦]، إذ العلم لا يسبقه جهل بينما قد يسبق الجهل المعرفة. ونظرا لارتباط العلم بالقراءة لدى المسلمين فقد وجد نوع من التلازم بين العلم وبين القراءة، حيث تمثلت ماهية العلم لدى الأولين ولدى من جاء بعدهم في نصوص القرآن والسنة[١٧]. ويتحدث طه جابر العلواني عن تطور مفهوم العلم وماهيته من النص المنقول وما يدور حوله من نقول إلى تعاريف متعددة تستند على الربط بين العلم ودرجة الإدراك وبين المعرفة وسبل كسبها ومناهج توليدها[١٨].. لكن مفهوم العلم في العصر الحديث تأثر تأثرا كبيرا بالثقافة الغربية السائدة ومفاهيمها حيث أطلقت كلمة "علم" على العلوم الطبيعية وما يحتاج إلى الملاحظة والاختبار كما يظهر ذلك في تعريف اليونسكو للعلم[١٩]، والذي ظهر ولا يزال

١٦ «العقل العلمي في الإسلام». علي شلق. ص: ٩.

١٧ انظر مقدمة «كتاب العلم للإمام أحمد بن شعيب النسائي»، ص: ١١.

١٨ المصدر السابق. ص: ١٤-١٧

١٩ العلم: هو كل معلوم خضع للحس والتجربة.

يظهر في الكثير من الكتابات العربية، باستثناء الكتاب الإسلاميين الذين استمر تأثرهم بالمفهوم الإسلامي الأول للعلم الذي يمثل ما كان من معرفة يقينية سواء أكان إدراكها مبنيا على الحس والتجربة أو كان مؤسسا على الإيمان بالوحي[1].

١- شرف العلم ورفعة قدره

للعلم وللعلماء في الإسلام مكانة رفيعة ودرجة عالية ومقام سام، فقد ذكرت كثير من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة العلماء بأوصاف ونعوت تدل على فضلهم وعلى أن اللّه عز وجل جعلهم أئمة للخلق بهم يقتدون: يقول تعالى: {.. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (الزمر: ٩) ويقول عز من قائل: {.. يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (المجادلة:١١)؛ وجاء في الحديث النبوي الشريف: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل اللّه له به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[2].

بل إن السنة النبوية الشريفة جعلت طلب العلم في مرتبة الواجب في حق كل فرد من أفراد المجتمع المسلم، حيث جاءت الروايات الحديثية تفيد أن «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وقد تأكدت مطلوبية العلم والتعلم في الإسلام من خلال قصة أسرى بدر، حين اشترط النبي محمد ﷺ إطلاق سراح الأسير من أسرى قريش، مقابل تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة.

وتتحدث العديد من فقرات رسائل النور، عن ماهية العلم مبرزة شرفه

---

١ انظر مقدمة «كتاب العلم»، ص: ٢١- ٢٢.

٢ رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء مرفوعا. انظر «شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك». ص: ٦٨٣.

وعلو قدره وسموه، بل تتعدى ذلك حين تجعل العلم سر تفوق الإنسان حتى على الملائكة التي تسبح بحمد الله وتقدس له، يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (البقرة: ٣٠)، إذ يستنتج الإمام النورسي من سياق قوله تعالى: {قال إني اعلم ما لا تعلمون}، أن «في البشر مصالحَ وخيراً كثيرا تغمر في جنبها معاصيه التي هي شر قليل، فالحكمة تنافي ترك ذلك لهذا. وإن في البشر لسراً أهله للخلافة غفلت عنه الملائكة وقد علمه خالقه.. وإن فيه حكمة رجحته عليهم لا يعلمونها ويعلمها من خلق»[٣].

لقد أكدت السنة النبوية الشريفة على أفضلية العلم وسبقه للعبادة (التسبيح والتقديس)، حين نصت على أن «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب». وإلى تأكيد هذه الأفضلية والأسبقية ذهب الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين قال: «العالم أفضل من الصائم القائم الساجد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه»[٤]. وذلك لأن الله عز وجل قد خلق الإنسان وفضله على سائر المخلوقات (بما فيهم الملائكة) وأهله للخلافة بما أودع الله فيه من قابلية للإدراك والعلم والتعلم، مصداقا لقوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ} (البقرة: ٣١-٣٣)، حيث تبين الآية الكريمة: {وعلّم آدمَ الأسماء كُلَّها}، «أن تعليم الأسماء معجزة من معجزات سيدنا آدم عليه السلام تجاه الملائكة، إظهارا لاستعداده للخلافة»[٥]. كما تشير كلمة (علّم)،

٣ إشارات الإعجاز - ص: ٢٣٦-٢٣٧.

٤ أنظر «مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية». ص: ٢١.

٥ الكلمات. الكلمة العشرون - ص: ٢٧٠.

«إلى تنويه العلم ورفعة درجته وأنه هو المحور للخلافة..»[٦]

العلم والتعليم وحمل الأمانة الكبرى

إن العلم والتعليم الذي يجعل الإنسان يجمع بين المعرفة بالموجودات وبين معرفة الموجد، هو الذي أهله لينال فضل حمل الأمانة الكبرى، متفضلا بذلك على السماوات والأرض والجبال، يقول الإمام النورسي:».. إن تعليم الإنسان - المالك لاستعداد جامع - علوماً كثيرة لا تحد، وفنوناً كثيرة لا تحصى حتى تستغرق أنواع الكائنات، فضلاً عن تعليمه المعارف الكثيرة الشاملة لصفات الخالق الكريم سبحانه وشؤونه الحكيمة.. إن هذا التعليم هو الذي أهّل الإنسان لينال أفضلية، ليس على الملائكة وحدهم، بل أيضا على السموات والأرض والجبال، في حمل الأمانة الكبرى»[٧].

٢- القرآن والعلم

يمثل القرآن الكريم، بالنسبة للحكيم بديع الزمان، كنزا للعلوم لا ينفذ ومعينا للحكمة لا ينضب، ف» أكثر الآيات الكريمة إنما هي مفتاح لخزينة كمال فائق، ولكنز علمي عظيم»[٨]، تسعف الكلمات العشرين الأولى من كتاب الكلمات في بلوغ سماواتها ومطاولة نجومها، كما تفيد في مشاهدة مدى سطوع شمس القرآن العظيم وكيف ينتشر هذا الضياء الساطع على كل المخلوقات والموجودات[٩].

وتطبيقا لقاعدة (الحق ما شهدت به الخصوم والأعداء)، يسوق الإمام النورسي شهادة على هذه القناعة، من الأمير بسمارك أحد أشهر رجال الفكر والفلسفة في تاريخ أوروبا الحديث، الذي يقول: «لقد درست الكتب السماوية

٦ - إشارات الإعجاز - ص: ٢٤١.

٧ الكلمات. الكلمة العشرون. ص: ٢٧٠.

٨ الكلمات. الكلمة العشرون. ص:٢٩٢.

٩ الكلمات: الكلمة العشرون. ص:٢٩٣.

بإمعان، فلم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية، وذلك للتحريف الذي حصل فيها. ولكني وجدت قرآن محمد ﷺ يعلو على سائر الكتب. وقد وجدت في كل كلمة منه حكمة. وليس هناك كتاب يحقق سعادة البشرية مثله. ولا يمكن أن يكون كتابٌ كهذا من كلام البشر. فالذين يدّعون أن هذه الأقوال أقوال محمد ﷺ يكابرون الحق وينكرون الضرورات العلمية، أي أن كون القرآن كلام اللّٰه أمر بديهي»[١٠]. لقد كانت عناية الإسلام فائقة في هذا المضمار وذلك منذ أول كلمة نزل بها الوحي من القرآن في قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (العلق: ١-٥).

القرآن مصدر العلوم والمعارف

يشير كيلتون كوب عند حديثه عن استنتاج فروع المعرفة عند النورسي[١١] أن بديع الزمان، منذ بداية تأملاته، قد جعل القرآن مصدرا لكل فروع المعرفة التي يحتاجها الإنسان لرحلته في الحياة الدنيا، مستندا في دعواه هذه على أساسين يتمثلان في تجليات أسماء اللّٰه الحسنى من جهة وفي معجزات الأنبياء عليهم السلام من جهة أخرى:

فالعلوم التي حصلها الإنسان والفنون التي أحرز فيها كل هذا التقدم، حتى حقق بها، بفضل التأهيل الإلهي والإعداد الرباني لهذا الخليفة المكرم، من الصناعات والاكتشافات الخوارق والمعجزات، ما هي في الحقيقة إلا تجسيد لما عبرت عنه الآية الكريمة {وعلم آدم الأسماء كلها}، وذلك لاستنادها إلى أسماء اللّٰه الحسنى ذات الحجب المختلفة والتجليات المتنوعة ودوائر الظهور المتباينة، هذا الاستناد الذي يضفي على الصنائع والفنون نوعا من الكمال ويحيلها إلى حقائق فعلية، «فالهندسة - مثلاً - علم من العلوم، وحقيقتُها وغاية منتهاها

١٠ صيقل الإسلام/الخطبة الشامية - ص:٤٩٨.

١١ «الوحي وفروع المعرفة العقلية والحقيقة في مؤلفات سعيد النورسي وبول تيليك». في (الإسلام على مفترق الطرق: رحلة في حياة وفكر بديع الزمان النورسي). ص: ١٦٥-١٧٠.

هي الوصول إلى اسم (العدل والمقدِّر) من الأسماء الحسنى، وبلوغ مشاهدة التجليات الحكيمة لذلك الاسم بكل عظمتها وهيبتها في مرآة علم (الهندسة). والطب - مثلاً - علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه، فمنتهاه وحقيقته يستند أيضا إلى اسم من الأسماء الحسنى وهو (الشافي). فيصل الطب إلى كماله..»[١٢].

كما أن كل إبداع من إبداعات الإنسان وكل إنجاز من إنجازاته الخارقة وكل علم من العلوم التي يبرع فيها الإنسان وكل معرفة من المعارف التي يحصلها...، كل ذلك يستند إلى معجزة من معجزات الأنبياء عليهم السلام ويعود لها: فتقنيات حفر الآبار وإنباط المياه تجد مستندها في انبجاس الماء من الصخر عندما ضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه، يقول الله تعالى: {.. وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (الأعراف: ١٦٠). وصناعة الطائرات والتحليق بها في الجو وامتطاؤها للسفر، تجد الإذن لها في معجزة نبي الله سليمان عليه السلام حين سخر له المولى عز وجل الريح تحمله في الجو خيث يريد {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} (الأنبياء: ٨١). والعلوم الطبية تجد ركائزها في إبراء عيسى عليه السلام الأكمه والأبرص بإذن الله وفي إحيائه الموتى بإذن الله كما أخبر بذلك القرآن في قوله تعالى: {.. وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي..} (المائدة: ١١٠)[١٣].

أما معجزة سيدنا آدم عليه السلام فما هي إلا كشاف هذه الصنائع والفنون كلها.

---

١٢ الكلمات. الكلمة العشرون. ص: ٢٩٠

١٣ الكلمات. الكلمة العشرون. ص: ٢٨٠ وما بعدها.

«.. أما المعجزة الكبرى للرسول الأعظم ﷺ وهي القرآن الكريم ذو البيان المعجز، فلأن حقيقة تعليم الأسماء تتجلى فيه بوضوح تام، وبتفصيل أتم، فإنه يبين الأهداف الصائبة للعلوم الحقة وللفنون الحقيقية، ويُظهر بوضوح كمالات الدنيا والآخرة وسعادتهما، فيسوق البشر إليها ويوجهه نحوها، مثيراً فيه رغبة شديدة فيها..»[١٤].

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام النورسي يرى أن معجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم تمثل سقف الإمكان لما يستطيعه الإنسان من إنجازات علمية وفنية وتقنية...، فهي المعلمة للعلماء القائدة للصناع الملهمة للحرفيين...، يقول عالمنا بديع الزمان: «نعم، إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعيّن أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها. إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضا حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله»[١٥].

فوقية العلم القرآني وهيمنته

إن علم البشر نسبي تستضعفه طبيعة الإنسان الذي مهما امتلك من مهارات وذكاء فإنه لا يستطيع أن يتخصص في مجالات متعددة وعلوم متنوعة وفنون كثيرة، كما تحده حدود الزمان والمكان، فتجعل نور نظر الإنسان عاجزا عن النفاذ في المستقبل وقاصرا عن رؤية الكيفيات المخصوصة، فالفنون لا تكتمل و العلوم لا تتبلور إلا بمرور الزمان وبتراكم المعارف والمهارات والأفكار: إذ «كما أن لحياة البشر عمراً طبيعياً ينقطع؛ كذلك لقانونه عمر طبيعيّ ينتهي البتة.. وإن للمحيط الزماني والمكاني تأثيراً عظيماً في أحوال النفوس.. وان كثيراً من

١٤ الكلمات. الكلمة العشرون. ص: ٢٩٢.

١٥ الكلمة العشرون - ص: ٢٧٩.

الخوارق الماضية تصير عادية بتكمل المبادئ.. وإن الذكاء ولو كان خارقاً لا يقتدر على إيجاد فنٍ وتكميله دفعةً بل كالصبيّ يتدرج»[١٦].

أما العلم القرآنيّ فلا تعتوره الشوائب والأغلاط لأنه كلام من تنزه عن النقائص من {.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} (الشورى:١١).

كما أن العلم القرآني (الأزلي الأبدي) يسمو فوق الزمان والمكان ويعلو عليهما، (إن هو إلا وحي يوحى) (النجم: ٤)، فالعلم القرآني وحي يمتاز، باستغراقه الزمن كله والإنسانية كلها وبهيمنته على الدين كله، وبإحاطته بالحقيقة كلها[١٧]، وقد أورد عبد اللّٰه بن محمد بن أبي شيبة، من حديث أبي معاوية الهجري عن أبي الأحوص عن عبد اللّٰه، أن رسول اللّٰه ﷺ قال:» إن هذا القرآن مأدبة اللّٰه فتعلموا من مأدبة اللّٰه ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل اللّٰه وهو النور البين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد»[١٨]. فعجائب القرآن ومعجزاته وعلومه ومعارفه وفنونه وصناعاته، مستمرة ممتدة عبر الزمان والمكان لأن القرآن «..أدام على وجه الزمان ما اشتمل عليه من العلوم. فكلما شاب الزمانُ شبّ، وكلما تكرر حلا»[١٩].

والشريعة نفسها ما هي إلا زبدة وخلاصة من جميع العلوم الإلهية والفنون الحقيقية، وهي حية ليست كاللباس يضيق على صاحبه كلما نما وكبر، بل كالجلد تنمو وتزداد وتتسع بنمو استعداد البشر لتحصيل العلوم وامتلاك ناصية الفنون، «فإن سُئلتْ قوانينُها من أين إلى أين؟ لقالت بلسان إعجازها: نجئ من الكلام الأزليّ ونرافق فكر البشر إلى الأبد..»[٢٠].

كيف لا تكون الشريعة كذلك؟ وكيف لا تكون العلوم والحقائق القرآنية

١٦ إشارات الإعجاز - ص: ١٧٣.

١٧ انظر كتاب «كيف نتعامل مع القرآن». للدكتور يوسف القرضاوي. ص: ٧٢.

١٨ «المصنف». (كتاب فضائل القرآن). ص: ١٦٥.

١٩ إشارات الإعجاز - ص: ١٨٠.

٢٠ إشارات الإعجاز - ص: ١٧٤.

كذلك؟ أليست صادرة عن خالق هذا الكون، و».. لا يُمْكِنُ ولا يُتَصوَّرُ وُجودُ إلهٍ خالقٍ للسَّمواتِ بلا علْمٍ مُحيْطٍ، وبلا قُدرَةٍ مُطلَقَة. فَهُوَ بالضَرورَةِ عَليمٌ بكُلِّ شَيءٍ بعلمٍ مُحيطٍ لازمٍ ذَاتيٍّ للذاتِ..»[٢١]، {أَلا يَعلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبيرُ} (الملك: ١٤).

٣- بين الحكمة القرآنية وبين العلوم الفلسفية

من سعيد القديم إلى سعيد الجديد

ينبه الدكتور طه عبد الرحمن، على أن الانقلاب السياسي والاجتماعي الذي تأثرت به المجتمعات الغربية، جراء الانقلاب الفكري الذي قامت به الفلسفة الحديثة ضد الحكمة الدينية، كان الدافع الذي زعزع ثقة بديع الزمان (وقد شهد هذه الانقلابات)، في إمكان الجمع بين الفلسفة والحكمة الذي يجيزه النظر العقلي. فأدى ذلك إلى «موت بديع الزمان الفيلسوف وولادة بديع الزمان الحكيم»[٢٢]، وتوضح اللمعة السادسة والعشرون أن هذه الحيرة الناتجة عن تكذيب الواقع لما يجيزه العقل قد أفرزت عجزا لعالمنا وكانت سببا في مراجعته لقناعته العقلية تلك، يقول النورسي: «ثم التفتّ إلى نفسي، فوجدتها في منتهى العجز!.. عندها صرختْ روحي وهي التي تنشد البقاء دون الفناء وتشبثت بالأشياء الفانية متوهمة فيها البقاء، صرخت من أعماقها: "مادمتُ فانية جسماً فأي فائدة ارجوها من هذه الفانيات؟ وما دمتُ عاجزة فماذا انتظر من العاجزين؟.. فليس لدائي دواء إلا عند الباقي السرمدي، عند القدير الأزلي"، فبدأت أبحث وأستقصي.. راجعت أول ما راجعت، تلك العلوم التي اكتسبتها سابقاً، أبحث فيها السلوة والرجاء. ولكن كنت – ويا للأسف - إلى ذلك الوقت مغترفاً من العلوم الإسلامية مع العلوم الفلسفية ظناً مني - ظناً خطأ جداً - أن تلك العلوم الفلسفية هي مصدر

٢١ اللمعات. اللمعة التاسعة والعشرون. ص: ٤٨٢.

٢٢ انظر مقال: «فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند الحكيم بديع الزمان». في (الإسلام على مفترق الطرق...). ص: ٢٣٥-٢٣٦.

الرقي والتكامل ومحور الثقافة وتنوّر الفكر، بينما تلك المسائل الفلسفية هي التي لوثت روحي كثيراً، بل أصبحت عائقة أمام سموي المعنوي. نعم، بينما كنت في هذه الحالة، إذا بحكمة القرآن المقدسة تسعفني، رحمةً من العلي القدير، وفضلاً وكرماً من عنده سبحانه. فغسلتْ أدران تلك المسائل الفلسفية، وطهرت روحي منها - كما هو مبين في كثير من الرسائل - إذ كان الظلام الروحي المنبثق من العلوم الفلسفية، يغرق روحي ويطمسها في الكائنات، فأينما كنت أتوجه بنظري في تلك المسائل فلا أرى نوراً ولا أجد قبساً، ولم أتمكن من التنفس والانشراح، حتى جاء نور التوحيد الساطع النابع من القرآن الكريم الذي يلقن "لا اله إلا هو" فمزق ذلك الظلام وبدده. فانشرح صدري وتنفس بكل راحة واطمئنان.. ولكن النفس والشيطان، شنّا هجوماً عنيفاً على العقل والقلب وذلك بما أخذاه من تعليمات وتلقياه من دروس من أهل الضلالة والفلسفة. فبدأت المناظرة النفسية في هذا الهجوم حتى اختتمت - ولله الحمد والمنّة - بانتصار القلب وفوزه»[٢٣].

ولا يكتفي النورسي بمراجعة نفسه وتغيير قناعته بل ينتصب داعيا إلى قناعته الجديدة ناصحا محذرا لإخوانه من سراب الفلسفة البشرية وظلامها ومن مغالطات العلوم الأجنبية وحطامها، يقول: «فيا إخوتي الشيوخ، ويا من صرفتم جزءاً من عمركم بسوء حظ النفس وشقائها - مثل نفسي - في مغالطات العلوم الأجنبية والفلسفة المظلمة.. اعلموا أن الذي يردده القرآن دوماً من "لا اله إلا هو" ذلك الآمر القدسي، ركن إيماني لا يتزلزل ولا يتصدع ولا يتغير أبداً!! فما أقواه وما أصوبه! حيث يبدد جميع الظلمات ويضمد الجراحات المعنوية»[٢٤].

بين منهج القرآن وبين منهج الفلسفة، في قراءة كتاب الكون

يعقد الإمام النورسي مقارنة بين منهج القرآن الساعي إلى التعريف بالموجد من خلال الحديث عن الموجودات، وبين منهج الفلسفة التي تركز على

---

٢٣ اللمعات. اللمعة السادسة والعشرون. ص:٢٦٧-٢٦٨.

٢٤ اللمعات؛ اللمعة السادسة والعشرون- ص:٢٧٢.

التفاصيل وتغرق في الدقائق فتنسى الجوهر وتضل الطريق.

فالكلمة الثالثة عشرة تبين تميز الحكمة القرآنية وتفوقها على العلوم البشرية المجردة، التي لا تستنير بنور الوحي ولا تهتدي بهديه (العلوم الفلسفية)، حيث تؤكد المقارنة المعقودة بين المنهجين على أن الحكمة القرآنية، حين تسعى للتعريف بالموجد (اللّٰه)، من خلال الحديث عن الموجودات، فهي تقوم بتمزيق غطاء الألفة الذي يحجب حقائق الوحي المنظور، لتفتح بذلك أمام العقول معينا لا ينضب من العلوم: إذ أكثر الآيات القرآنية، إنما هي مفتاح لخزينة كمال فائق ولكنز علمي عظيم؛ بينما تقود ثرثرة الفلسفة التي تركز على تفاصيل الموجودات وتنسى جوهرها، إلى الحيرة المدهشة والدهشة الموحشة.

يقول بديع الزمان في معرض تفتيقه للمعاني والدروس والعبر التي يمكن استفادتها من قوله تعالى: (ونُنزّل من القرآنِ ما هو شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين) (الاسراء: ٨٢) ومن قوله عز من قائل: (وما علّمناه الشِعْرَ وَمَا يَنْبَغي لهُ) (يس:٦٩): «إذا أردت أن تعقد موازنة ومقارنة بين حكمة القرآن الحكيم والعلوم الفلسفية، وأردت أن تعرف ما يمكن أن يُستخلص من كل منهما من دروس العبرة والعظة، ورمتَ أن تلمس ما ينطويان عليه من علوم.. فأمعن النظر وتأمل فيما يأتي: إن القرآن الكريم، ببياناته القوية النافذة، إنما يمزّق غطاء الألفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تُذكر إلا أنها عادية مألوفة مع أنها خوارق قدرةٍ بديعة ومعجزاتها العظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه ذلك الغطاء حقائق عجيبة لذوي الشعور، ويُلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروس بليغة للاعتبار والعظة، فاتحاً كنزاً لا يفنى للعلوم أمام العقول. أما حكمة الفلسفة، فهي تخفي جميع معجزات القدرة الإلهية وتسترها تحت غطاء الألفة والعادة، فتجاوزها دون اكتراث. بل تتجاهلها دون مبالاة بها، فلا تعرض أمام أنظار ذوي الشعور إلا أفرادا نادرة شذّت عن تناسق الخلقة، وتردّت عن كمال الفطرة السليمة مدّعية أنها نماذج حكمةٍ ذات عبرة. فمثلاً: إن الإنسان السوي الذي هو في أحسن تقويم جامعٍ لمعجزات القدرة الإلهية، تنظر إليه حكمةُ الفلسفة نظرها إلى شيء عادي مألوف، بينما تلفت الأنظار إلى ذلك الإنسان

المشوّه الذي شذّ عن كمال الخلقة، كأن يكون له ثلاثة أرجل أو رأسين مثلاً، فتثير حوله نظر العبرة والاستغراب. ومثلاً: إن إعاشة جميع الصغار من خزائن الغيب إعاشة في منتهى الانتظام التي تمثل ألطف معجزة من معجزات رحمته تعالى وأعمها في الوجود، تنظر إليها حكمة الفلسفة أمراً مألوفاً عادياً، فتسترها بستار الكفران، بينما تلفت الأنظار إلى إعاشة حشرة شذت عن النظام ونأت عن طائفتها وظلت وحيدة في الغربة فريدة في أعماق البحر، فبدأت تقتات على ورق نبات اخضر هناك حتى إنها لتثير أشجان الصيادين إلى ما يتجلى منها من لطف وكرم بل تدفعهم إلى البكاء والحزن.. فشاهد في ضوء هذه الأمثلة ثروة القرآن الطائلة وغناه الواسع في معرفة اللّٰه في ميدان العلم والحكمة.. وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل»[٢٥].

إن الحكمة القرآنية مبنية على أساس استمداد المعرفة من مصدريها: الوحي والكون معا، وبالجمع بين القراءتين (قراءة الوحي وقراءة الوجود) استطاعت أن تتميز وتتفوق على الفلسفات الوضعية القائمة على الجوانب المادية فقط حتى انحرفت بالإنسان عن المنهج الرباني وخرجت بالإنسان عن إطار إنسانيته المتسمة بتوازن محكم بين المادة والروح. وما ذاك إلا لأن التصور المادي للكون الذي يطبع الفلسفة البشرية الوضعية - المسيطرة على نظم التربية ومناهج التعليم المعاصرة- جعل المعرفة معزولة عن الحكمة، فتجاهل خالق الكون وموجده وغفل عن الغاية من الخلق والإيجاد، فنظر إلى الظواهر الطبيعية كظواهر مستقلة تتطور بنفسها لتؤلف أشكالا أخرى دون تدخل من خالقها[٢٦].

وإلى هذا الفرق بين المنهجين يشير بديع الزمان عند جوابه عن التساؤل حول المغزى من إجمال القرآن في مواضع وإبهامه في أخرى وعدم اهتمامه بالتفاصيل وبالجزئيات: «فإن قلت: لأي شيء لا يبحث القرآن عن الكائنات كما يبحث عنها فن الحكمة والفلسفة؟ فَيَدع بعض المسائل مجملاً ويذكر أخرى

٢٥ الكلمات. الكلمة الثالثة عشرة. ص: ١٥٠-١٥١.

٢٦ انظر مقدمة «كتاب العلم للإمام أحمد النسائي». ص: ٢٣؛ و«أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية». ص: ١٧٤.

ذكراً ينسجم مع شعور العوام وأفكارهم فلا يمسّها بأذى ولا يرهقها بل يذكرها سلساً بسيطاً في الظاهر؟ نقول جواباً: لأن الفلسفة عَدلتْ عن طريق الحقيقة وضلَّت عنها، وقد فهمتَ حتماً من الدروس والكلمات السابقة أن القرآن الكريم إنما يبحث عن الكائنات استطراداً، للاستدلال على ذات اللّٰه وصفاته وأسمائه الحسنى، أي يُفهم معاني هذا الكتاب، كتاب الكون العظيم كي يعرِّف خالقه. أي أن القرآن الكريم يستخدم الموجودات لخالقها لا لأنفسها»[٢٧].

هذا الإجمال وهذا الإبهام ليس قصورا في القرآن -كما توهمه أهلُ الإلحاد- ولا نقصا فيه يمكن أن يكون محل نقد، إنما هو لمعة ساطعة من لمعات إعجازه، وحاجة تستدعيها طبيعة هذا الكتاب المستغرق للبشرية في كل الأعمار والأمصار، والذي يروم الانسجام مع كل مستويات الثقافة مهما اختلفت ومع كل درجات المعرفة مهما تباينت، بحيث يجد كل واحد ضالته في القرآن. فضلا عن كونه ضرورة تقتضيها بلاغة الإرشاد. فالقرآن حين يبحث عن الشمس فإنه لا يبحث عنها لذاتها ولا يستفسر عن ماهيتها وكنهنا «بل لِمن نورَّها وجعلها سراجاً، وعن وظيفتها بصيرورتها محوراً لانتظام الصنعة ومركزاً لِنظام الخلقة، وما الانتظام والنظام إلاّ مرايا معرفة الصانع الجليل. فيعرّفنا القرانُ بإراءة نظام النسج وانتظام المنسوجات كمالات فاطرها الحكيم وصانعها العليم، فيقول: (والشمسُ تجري) ويفهِّم بها وينبه إلى تصرفات القدرة الإلهية العظيمة في اختلاف الليل والنهار وتناوب الصيف والشتاء. وفي لفت النظر إليها تنبيه السامع إلى عظمة قدرة الصانع وانفراده في ربوبيته. فمهما كانت حقيقة جريان الشمس وبأي صورة كانت لا تؤثر تلك الحقيقة في مقصد القرآن في إراءة الانتظام المشهود والمنسوج معاً»[٢٨].

أما الفلسفة التي تهتم بدقائق التفاصيل وتغرق في أعمق الجزئيات، غافلة أثناء ذلك عن العبر والعظات، غير مكترثة بالإشارات، عمية عن العلامات...

---

٢٧ الكلمات. الكلمة التاسعة عشرة. ص: ٢٦٦.

٢٨ الكلمات. الكلمة التاسعة عشرة. ص: ٢٦٧.

فإنها لا تعدو أن تكون ثرثرة وسفسطة لا تفيد إلا حيرة ودهشة. فقول الفلسفي الثرثار في الشمس، يصفها بأنها «.. كتلة عظيمة من المائع الناري تدور حول نفسها في مستقرها، تطايرت منها شرارات وهي أرضنا وسيارات أخرى فتدور هذه الأجرام العظيمة المختلفة في الجسامة.. ضخامتها كذا.. ماهيتها كذا..»[٢٩]، وهي معلومات ومسائل لا يمكنها أن تثمر كمالًا علمياً ولا ذوقاً روحياً ولا غاية إنسانية ولا فائدة دينية. هذا المثال المتعلق بنظرة العلوم الفلسفية للشمس – و غيره من الأمثلة- من شأنه أن يسعفنا في تقييم «المسائل الفلسفية التي ظاهرُها مزخرفة وباطنُها جهالة فارغة. فلا يغرّنك تشعشع ظاهرها وتُعرِض عن بيان القرآن المعجز.»[٣٠].

وتخلص هذه المقارنة التي عقدها الشيخ الحكيم بين الحكمة القرآنية وبين الفلسفة الطبيعية المادية، إلى أن العلوم الحقة التي هي (حكمة الأشياء)، لا يمكن أن تكون حكمة حقا إلا إذا كانت مناظير ومجاهر، تفضي إلى مشاهدة التجليات الكبرى لاسم اللّٰه (الحكيم) جل جلاله في الأشياء. فإذا هي شردت عن تمثل هذه التجليات وإذا هي عجزت عن الوصول إلى هذه المشاهدات، فإنها لا تستحق أن توصف بالحكمة وتنقلب حينها هذه العلوم «إلى خرافات وتصبح عبثاً لا طائل من ورائها أو تفتح سبيلاً إلى الضلالة، كما هو الحال في الفلسفة الطبيعية المادية..»[٣١].

القرآن يدعو إلى العلم والإيمان في نفس الآن

تبين المقارنة المعقودة بين منهج الحكمة القرآنية والفلسفة البشرية أن القرآن، يدعو إلى المعرفة وإلى الإيمان في نفس الآن، يقول بديع الزمان: «..اعلم! أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها..»[٣٢].

٢٩ الكلمات. الكلمة التاسعة عشرة. ص: ٢٦٧.

٣٠ الكلمات. الكلمة التاسعة عشرة. ص: ٢٦٧.

٣١ الكلمات. الكلمة العشرون. ص: ٢٩١.

٣٢ الكلمات. الكلمة التاسعة عشرة. ص: ٢٦٥.

إن العلم في نظر الإسلام ليس مقابلا للإيمان ولا خصما له فضلا عن أن يكون معاديا له، بل هو حاديه ودليله.. والإسلام على امتداد تاريخه لم يعرف الصراع بين العلم والإيمان، لأن نصوص تعاليمه وروحها تقف سدا في وجه مثل هذه المواجهة[٣٣].

لقد أسس القرآن الكريم العلوم والمعارف - منذ الوهلة الأولى- على قاعدة القراءة باسم اللّٰه، يقول تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (العلق: ١-٥). وليست القراءة باسم اللّٰه تلك التي تجعل من الكتب الدينية مادة لها وإنما هي تلك القراءة التي تسترشد بالوحي وبالقيم العليا وتجمع بين المعرفة بالموجودات وبين معرفة الموجد، فتلامس نفخة «روح اللّٰه» التي أودعها في الإنسان، إنها العلم الذي ينمو في محراب الإيمان، والعلم الذي يهتدي بنور اللّٰه كي لا يضل إلى ما لا تحمد عقباه.

إن العلم الذي يجمع بين المعرفة بالموجودات وبين معرفة الموجد، والذي يهتدي بنور وحي القرآن والسنة النبوية الصحيحة (الوحي المسطور)، ويسترشد بضياء آيات اللّٰه في الأنفس وفي الأكوان (الوحي المنظور)، هو الذي أهل الإنسان لينال فضل حمل الأمانة الكبرى.

٤- دلالات العلوم

ينص الإمام بديع الزمان في الخطبة الشامية على أن استقراء العلوم والتجارب والبحوث يؤول بنا بالضرورة إلى أن الحكم على أن نظام الكون كله، قد تأسس على التوازن والدقة والحكمة والكمال والإتقان والحسن والجمال والإبداع...، بحيث لا يمكن للعقل أن يتصور أبدع وأكمل منه فلا يسعه إلا التسليم لجميل صنعة الخالق الجليل. إذ العلوم كلها (سواء تعلق الأمر بالطب أو علم الأحياء الحيوانية أو علم الأحياء النباتية أو علم الفلك...)، «تفيدنا بقواعدها الكلية

٣٣ انظر مثلا كتاب «الرسول والعلم». ص:١٢.

وبحوثها المتعددة النظام المتقن للصانع الجليل في ذلك النوع وقدرته المبدعة وحكمته التامة فتبيّن جميعها حقيقة الآية الكريمة (الذي أحسن كلَّ شيء خَلقَه) (السجدة: ٧)»[٣٤].

ويضيف عالمنا الجليل أن قدرة الإنسان على الاهتداء بالعلوم، بهدف الوصول إلى تفرد الصانع الجليل الخالق الموجد... في صنعته وفي خلقه وفي إيجاده...، دليل واضح على شرف الإنسان وكرامته وتفضله على سائر المخلوقات: «كما ثبت بالاستقراء التام وتحريات العلوم وأبحاثها أن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها. لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية في خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلاقات بين العلل والأسباب المتسلسلة، ويستطيع أن يقلّد بمهارته الجزئية الصنائع الإلهية والإيجاد الرباني المنتظم الحكيم، ويستطيع أن يدرك بعلمه الجزئي وبمهارته الجزئية إتقان الأفعال الإلهية..»[٣٥].

وحين يساءل النورسي - في اللمعة الثلاثين- العلوم، كالطب والكيمياء وعلم المكائن والزراعة والتجارة والإعاشة والتغذية وعلم العسكرية وعلم الكهرباء... يجد أنها تجيب بأن المئات منها تشهد بما لا يدع مجالا للشك، أن نظام الكون المحكم وأن انتظامه الكامل...، كل ذلك نابع من قدرة العليم الحكيم الذي {.. أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً} (الطلاق:١٢)، ولا يمكن أن يحصل كل هذا الإتقان وكل هذا الإبداع وكل هذا الجمال وكل هذا الخير وكل هذا الحسن وكل هذا الكمال... إلا بالإرادة والاختيار والقصد والمشيئة.

إن من لم يستدل بهذه الإشارات ومن لم يهتد بهذه العلامات ومن لم يستنر في طريقه بكل الآيات، فإنه من لذة الإيمان محروم وعن أنوار العلم محجوب وعن دروب المعرفة تائه وفي غياهب الجهالة غائب: «فما أجهل مَن لا يعرف أولا يؤمن بالفاعل المختار وبالصانع الحكيم الذي تدل عليه هذه

---

٣٤ صيقل الإسلام/الخطبة الشامية. ص: ٥٠٢.

٣٥ صيقل الإسلام/الخطبة الشامية. ص: ٥٠٢.

الأنظمة البديعة والحِكَم الرفيعة التي لا حدَّ لها وهي مبثوثة في موجودات الكون قاطبة»[٣٦].

العلم طريق التوحيد

أشرنا في الفقرات السابقة إلى أن الحكمة القرآنية تمتاز عن الفلسفة البشرية لكونها دالة على الصانع الجليل: خالق الأكوان وموجد النبات والحيوان ومبدع الإنسان، ولأنها هادية إلى طريق الإيمان.

لكن النورسي يشير إلى أن العلوم الحقيقية لا تكتفي بذلك ولا ترضى إلا أن تكون سبيل التوحيد: «(فَاعلَمْ أَنَّهُ لا إلَهَ إلاّ اللّه) الَّذي دَلَّ عَلى وُجُوب وُجوده، وَصَرَّحَ بأوصَاف جَلاله وَجَماله وَكَماله، وَشَهدَ أَنَّهُ واحدٌ أَحَدٌ فَردٌ صَمَدٌ، الفُرقَانُ الحَكيمُ الحَاوي لسرِّ إجماع كُلِّ كُتُب الأنبياء والأولياء وَالمُوَحِّدينَ المُختَلفينَ في المَشَارب والمَسَالك المُتَّفقَة قُلُوبُ هَؤُلاء وَعُقولُ أولئك بحَقائق كُتُبهمْ عَلى تَصديق أساسات القُرآن المُنَوَّر جهاتُهُ السِّتُّ»[٣٧].

إنه درس التوحيد الذي تفضي إليه الحكمة القرآنية والعلوم الحقيقية، إنه الدرس العام الذي يعلمه القرآن الملائكة المقربين في الملأ الأعلى ويعلمه أطفال البشر على حد سواء، وهو الدرس المنبسط بإطلاق فلا يستثني منه أحد، وذلك مهما اختلفت الطبائع والاستعدادات ومهما تباينت المشاعر والطبقات[٣٨].

العلم فيصل بين الحق والباطل

العلم سبيل تمييز الحق عن الباطل وسبيل تفريق مسلك المؤمنين (الذين يسلكون طريق الحق) عن مسلك غيرهم (ممن سلكوا طريق الباطل)، لأنه إذا كان إفساد المفسدين وكان إجرام المجرمين وكانت فتنة الفتانين...، أمور يسهل تبينها، ويمكن الإحساس بها من غير كبير عناء، فإن تمحيص طريق الحق

---

٣٦ اللمعات. اللمعة الثلاثون. ص: ٥٢٤.

٣٧ اللمعات. اللمعة التاسعة والعشرون - ص: ٤٩٩.

٣٨ انظر اللمعات. اللمعة التاسعة والعشرون - ص: ٥٠٠.

عن طريق الباطل، يحتاج إلى أسس من العقل والحكمة والعلم، تلك الأسس التي رفعت حكمة القرآن عليها قواعدها وبنى علم القرآن عليها صرحه، حتى غدت الشريعة الإسلامية – على خلاف غيرها من الملل والأديان- مقبولة من كل عقل سليم[٣٩].

«أما (ولكن لا يعلمون) ففيه إشارات ثلاث:

إحداها: إن تمييز الحق عن الباطل وتفريق مسلك المؤمنين عن مسلكهم محتاج إلى نظر وعلم، بخلاف إفسادهم وفتنتهم، فانه ظاهر يحس به مَن له أدنى شعور. ولهذا ذيّل الآية الأولى بـ (ولكن لا يشعرون).

والثانية: إن (لا يعلمون) وأمثالها من فواصل الآيات من (لا يعقلون) و(لا يتفكرون) و(لا يتذكرون) وغيرها تشير إلى أن الإسلامية مؤسسة على العقل والحكمة والعلم. فمن شأنها أن يقبلها كل عقل سليم لا كسائر الأديان المبنية على التقليد والتعصب. ففي هذه الإشارة بشارة كما ذكرت في موضع آخر»[٤٠].

مقاصد الحكمة القرآنية

يقرر شيخنا الحكيم في (إشارات الإعجاز)[٤١]، أن القرآن الكريم ليس موسوعة علوم: فهو لم ينزل لدرس الجغرافيا والقوزموغرافيا، كما أن ذكره للكائنات ليس مقصودا لذاته، فهو لا يعدو أن يكون استطرادا، تستدعيه طرق الحجاج وتقتضيه سبل الاستدلال المفضية إلى نسبة صنعة هذا الكون الجميلة إلى صانعها الحقيقي جل جلاله.

يقوله تعالى: {.. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (فاطر: ٢٨). وهذه الآية القرآنية الكريمة تدل على أن العلم الحقيقي والحكمة الفعلية هما اللذان قادا - ولا زالا يقودان- العلماء إلى خشية الله وإلى بلوغ مقام العبودية (الغاية القصوى من خلق الإنسان).

٣٩ إشارات الإعجاز- ص: ١٠٥.

٤٠ إشارات الإعجاز- ص: ١٠٥.

٤١ ص: ١٧٧.

كما أنه بالقرآن الكريم - المعجزة الكبرى للرسول الأعظم ﷺ- تتبين الأهداف الصائبة للعلوم الحقة وللفنون الحقيقية. و تتبين كل هذه المقاصد: «أيها الإنسان! المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلية تجاه تظاهر الربوبية، وأن الغاية القصوى من خلقك أنت هي بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات»[٤٢].

٥- المستقبل للعلم والمستقبل للإسلام

"لم تعرف البشرية دينا مثل الإسلام عني بالعلم أبلغ عناية وأتمها: دعوة إليه وترغيبا فيه وتعظيما لقدره، وتنويها بأهله وحثا على طلبه وتعلمه وتعليمه، وبيانا لآدابه وتوضيحا لآثاره، وترهيبا من القعود عنه أو الازورار عن أصحابه، أو المخالفة لهدايته أو الازدراء بأهله. ومن درس الأديان السابقة على الإسلام أو قرأ كتبها المقدسة، ازداد إيمانا بعظمة الإسلام في هذا الجانب"[٤٣].

وفي هذا الصدد يرى النورسي أن القرآن قد «أوقع في العالم الإنساني تحوّلاً عظيما، وأسس ديانة واسعة، وأدام على وجه الزمان ما اشتمل عليه من العلوم»[٤٤].

وإذا كان الأمر كذلك – وهو كذلك- فإن الإمام بديع الزمان يرى أن من الموانع التي حالت دون استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضي استيلاءً تاماً، توهم وجود نوع من التناقض بين مسائل من العلم الحديث والمعنى الظاهري لحقائق الإسلام.. لكنه يرى في (صيقل الإسلام) أن هذا المانع إلى اضمحلال وزوال وذلك بفضل الجهود القيمة لعلماء الإسلام في هذا المجال: «فرسالة "المعجزات القرآنية" قد أشارت إلى كل آية من الآيات التي تعرّضَ لها أهل العلم الحديث، وأظهرت أن في كلٍ منها لمعة رائعة من لمعات إعجاز القرآن، وبيّنت ما ظنّه أهل العلم مدارَ نقدٍ في جُمَل القرآن وكلماته: أن في

٤٢ الكلمة العشرون - ص: ٢٩٢.

٤٣ «الرسول والعلم». يوسف القرضاوي. ص: ٢.

٤٤ إشارات الإعجاز - ص: ١٨٠.

كل منها من الحقائق السامية الرفيعة ما لا تطاوله يد العلم، وألجأ الفلاسفة العنيدين إلى الاستسلام والرضوخ»[٤٥]، حتى انهار هذا المانع فعلاً.

بالإضافة إلى ذلك فسعيد الحكيم مقتنع بأن الإسلام يمتلك الاستعداد الذاتي للرقي المعنوي. فالآيات المحتفية بالعقل وبالعلم وبالفكر...، والآيات التي تحث على النظر وعلى التدبر والتفكر وعلى التبصر والاعتبار... كثيرة متعددة، لذلك تجد الإمام يقول: «فانظروا مثلاً إلى قوله تعالى (فاعلموا.. فاعلم.. أفلا يعقلون.. أفلم ينظروا.. أفلا يتذكرون.. أفلا يتدبرون.. فاعتبروا يا أولي الأبصار..) وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري. فهي تسأل: لِمَ تتركون العلم وتختارون طريق الجهل؟»[٤٦].

إن استثمار الطبيعة واستيعاب قوانينها لصالح الحياة يشكل أحد معاني «العلم» في القرآن الكريم، فهو الجانب التطبيقي من العلم والذي يمثل أحد أبرز وأهم مشخصات العلم في الفكر الحديث، وهو محروز داخل الاتجاه العلمي في النظر إلى الكون. ولطالما أعطى القرآن للأشياء وظائفها العملية، حيث تؤسس كل الآيات الداعية إلى استثمار الطاقة الكونية لمفهوم العلم التطبيقي[٤٧].

ويستنتج النورسي من قراءته للطفرات العلمية وللتطورات الفنية والصناعية، التي تحققت للإنسان في العصر الحديث أن «البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة»[٤٨]. لذلك نراه يتوجه إلى إخوانه العقلاء في الجامع الأموي بدمشق، وإلى جميع إخوانه من أرباب الفكر والعلم في مساجد العالم الإسلامي، فيوجه إليهم النصح ويدعوهم إلى الانتباه والاعتبار والاتعاظ، وامتطاء صهوة العقل والأخذ بزمام العلم، لأن «المستقبل

٤٥ صيقل الإسلام/الخطبة الشامية - ص: ٤٩٦-٤٩٧.

٤٦ صيقل الإسلام/الخطبة الشامية - ص: ٤٩٥.

٤٧ «نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد للتفسير». ص: ٩٧-٩٩.

٤٨ الكلمة العشرون - ص: ٢٩٢.

الذي لا حكمَ فيه إلا للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه إلى العقل والمنطق والبرهان»[٤٩].

خاتمة

إذا كانت للعلم كل هذه المكانة وكل هذا الشرف وكل هذه الرفعة. وإذا كان بالحكمة القرآنية تتحقق للبشرية السعادة وللإنسان أسباب القوة. فلا عجب أن تأتي الدعوة القرآنية إلى وجوب تفرغ طائفة من المسلمين للتعلم والتفقه، ضمن سياق الحديث عن الجهاد والغزو والنفير، يقول تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (التوبة:١٢٢). حيث من روائع بيان القرآن في هذه الآيات، أنه قابل صيغة التحريض على الغزو بمثلها في التحريض على العلم، فكان افتتاح التحريض على الغزو بقوله تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ..} (التوبة: ١٢٠)، وجاء افتتاح التحريض على التفقه وطلب العلم بقوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً..} (التوبة:١٢٢). وجاءت الدعوة إلى النفير في طلب العلم والتفقه معطوفة على الدعوة إلى النفير في طلب العدو المعتدي.

وإن مبدأ الوحي بالدعوة إلى القراءة والتعلم لدليل قاطع على أن العلم بداية طريق الرقي والتقدم والنهوض. إذ الأمة التي تقرأ هي تلك التي تنفق على القراءة وعلى العلم الكثير، تنفق المال وتنفق الجهد وتنفق الوقت لتصل إلى قمة الحضارة بالعلم والقيم معا.

وإن النموذج الذي يقدمه الغرب اليوم نموذج فاسد لا يصلح للتأسي، فقد وصل قمة المدنية بالعلم لكنه انهزم أخلاقيا وسقط إلى الحضيض على مستوى القيم. والإنسانية اليوم في حاجة ماسة إلى من يصحح توجيه البوصلة ويعيد الأمور إلى نصابها ويقدم المثال الذي تنصهر فيه المعرفة بالأخلاق

٤٩ صيقل الإسلام/الخطبة الشامية - ص: ٤٩٥.

ويمتزج فيه العلم بالقيم.

والمسلمون اليوم مطالبون بنفض غبار هذا السبات الذي طال، وتقديم النموذج الصحيح الذي تنشده الإنسانية كي تتحقق لها السعادة. إذ الأصل في الإنسان المسلم أن اللّه تعالى أخرجه لحل مشاكل الآخرين بما يمتلكه من مفاتيح سعادة الدنيا والآخرة، مصداقا لقوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..} (آل عمران: ١١٠).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم. برواية حفص عن عاصم.
- كليتون كوب (٢٠٠٥) «الوحي وفروع المعرفة العقلية والحقيقة في مؤلفات سعيد النورسي وبول تيليك». في (الإسلام على مفترق الطرق: رحلة في حياة وفكر بديع الزمان النورسي). إعداد إبراهيم أبو ربيع. ترجمة محمد فاضل. سوزلر للنشر. القاهرة. ط:١. ص: ١٦٠-١٨١.
- طه عبد الرحمن(٢٠٠٥) "فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند الحكيم بديع الزمان". في (الإسلام على مفترق الطرق: رحلة في حياة وفكر بديع الزمان النورسي). إعداد إبراهيم أبو ربيع. ترجمة محمد فاضل. سوزلر للنشر. القاهرة. ط: ١. ص: ٢٣٣-٢٤٧.
- النورسي بديع الزمان سعيد (٢٠٠٤) "كليات رسائل النور". ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر للنشر. القاهرة. ط: ٤. عدد المجلدات: ٩المجلدات.
- دياب مفتاح محمد (٢٠٠٤) «مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية». دار قتيبة. دمشق. ط:١. ٣٢٠ص.
- الزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري الأزهري (٢٠٠٣):»شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك». مكتبة الثقافة الدينية. عدد الأجزاء: ٤ أجزاء.
- القرضاوي يوسف (٢٠٠١) «كيف نتعامل مع القرآن». مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: ١. ٥٤٤ص.
- حسن غالب (٢٠٠١) «نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد للتفسير». سلسلة كتاب قضايا إسلامية معاصرة. دار الهادي. بيروت. ط: ١. ٢٨٤ص. - القرضاوي يوسف (١٩٩٥) «الرسول والعلم» مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: ٦. ١٦٥ ض.

- النجار زغلول (١٩٩٥) «أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية». إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي. سلسلة إسلامية المعرفة (٦). الدار العلمية للكتاب. ط: ٢. الرياض. ١٨٨ص.
- النسائي أحمد بن شعيب (١٩٩٤) «كتاب العلم». دراسة وتحقيق: د. فاروق حمادة. إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي. سلسلة تيسير التراث الإسلامي (٤). الدار العلمية للكتاب. ط: ٢. الرياض. ٢٢٢ص.
- بن أبي شيبة عبد اللّٰه بن محمد (١٩٩٤) «المصنف». دار الفكر. دمشق. عدد الأجزاء: ٨ أجزاء.

قيمة الوحدة والاختلاف في فكر بديع الزمان النورسي

د. الجمعي شبايكي
نائب مدير الجامعة للتكوين في الطور الثالث والتأهيل الجامعي والبحث العلمي وكذا التكوين فيما بعد التدرج
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. الجزائر

الملخص

لقد غدا واضحا جدا في المعارف الإنسانية أن التفكير الإنساني مهما اختلفت مشاربه وغاياته يسعى لتحقيق قيما خاصة به، بحيث تكون تلك القيم بمثابة الأصول التي يقوم عليها بناء الأفكار وإنتاج المعرفة.
وهكذا فإن بناء أي علم أو نظام معرفي قانوني أو أخلاقي أو اجتماعي يتم خارج تلك القيم التي تؤسس لأفكاره وتضبط أهدافه وغاياته هو بمثابة عمل عبثي غير منضبط.
ولما كان لمدرسة رسائل النور قيمة معرفية عظيمة يستلهم منها الدارسون والباحثون الأفكار ويجددون معارفهم، كان لزاما على الباحثين القيام ببعض الحفريات عن الأصول المولدة للفكر النورسي، والتي تؤسس في مجملها ذلك النظام المعرفي المنسجم المتكامل.
ضمن هذه الإشكالية التي طرحناها آنفا: سنقوم بعملية البحث عن قيمة الوحدة والاختلاف في فكر بديع الزمان النورسي في محاولة منا لكشف أحد الأصول المولدة للفكر النورسي، وإيمانا منا بأن التفكير في القيم أو الأصول المولدة للفكر هو النمط السليم لتقييم العلوم والثورات المعرفية، والمنهج القويم لاستيعاب حاجيات الواقع المتغير.
وقد وقع اختيارنا على هذه القيمة بالذات انطلاقا من واقع المسلمين الذي يفرض عليهم الوحدة، ويحتم عليهم الاجتهاد والابتعاد عن التقليد،

وسوف تجيب الدراسة على عدة أسئلة منها:
هل الأصل الوحدة أم الاختلاف؟
هل الاجتهاد يخالف الوحدة؟
ما طبيعة الاختلاف مع الآخر؟
ما موقف النورسي من المنتقدين والمعارضين؟
هذا ونسأل اللّٰه التوفيق والسداد

العرض

تعتبر الوَحدة من القيم الإنسانية المثلى التي شاعت في الفكر الإسلامي والفكر الإنساني عامة، إذ لا تكاد تذكر إلا في معرض الإشادة والمدح[1]، ولا يذكر الاختلاف بجانبها إلا في معرض الامتهان والذم. فكثرت المقولات حولها والأمثال والحكم الشعبية حتى غدت قيمة إنسانية عالمية لا يختلف حولها اثنان ولا يتناطح عنزان، وقد عظّم الإسلام شأن الوحدة وحرص على تحقيقها فجاءت آيات قرآنية كثيرة تحث عليها منها قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل اللّٰه جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقوله: ﴿وأطيعوا اللّٰه ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن اللّٰه مع الصابرين﴾ [الأنفال:٤٥]... وحيكت قصص حولها وتغنى بها الشعراء وتفنن في الإشادة بها الأدباء... حتى غدت الوحدة والاتحاد من القيم التي لا يقع حول أهميتها اختلاف في أي دائرة من الدوائر سواء كانت دينية، أو عرقية، أو جنسية، أو وطنية، أو لغوية... الخ، نظرا لما تحققه من أمن واستقرار في كافة الأصعدة،؛ حيث تعتبر عنصرا أساسيا في الإعمار والازدهار والتقدم، وعاملا مهما في التنمية الثقافية والسياسية والاقتصادية، ومؤشرا قويا على النجاح والتفوق في كافة ميادين الحياة.

١ ولفظ الوَحدة بفتح الواو هو مصدر وَحِد ووَحَد بمعنى وحيد، انظر معجم الصحاح.....، فهي ضد التفرق والاختلاف.

لكن هذه القيمة العظيمة للوحدة والاتحاد لا تمنع وجود قيمة مماثلة للاختلاف تقابلها وتضاهيها وإن كانت في ظاهرها منافية لها ومتناقضة معها.

حيث أن إمعان النظر في الاختلاف يكشف لنا عن قيمة إيجابية لا تقل أهمية عن قيمة الوَحدة، بل تجعل من الاختلاف أساس الوَحدة وعامل كينونتها الذي يدفعها إلى الظهور والوجود، فإذا كان (في الاتحاد قوة). وهو ما يمليه الطبع السليم الذي يميل إلى رفض الاختلاف لما فيه من تشتيت القوى وإضعافها، وما يترتب عليه من آثار أخرى غير محمودة من نزاع ومشاجرة وجدال وقتال وشقاق كل ذلك يذهب بالأمن والسلام اللذان هما أساس كل مزية وتميز وإنعام. فإن الاختلاف أساس قوة الاتحاد؛ لما يقتضيه من وجود التغاير والتعدد الذي يجعل من اتحاد المنفردين قوة.

وبالجملة فإن الوَحدة والاتحاد لا يظهران إلا عند وجود الاختلاف؛ يتحققان به وينتفيان بانتفائه، والآية الكريمة التالية: تؤكد هذه السنة الكونية ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود:١١٨. ١١٩]

ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة: قال الزمخشري: يعني لاضطرارهم إلى أن يكونوا أهل ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وهذا كلام يتضمن نفي الاضطرار، وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق، ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحق، وبعضهم الباطل، فاختلفوا ولذلك قال: ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، إلا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه»[٢].

ولا يزالون مختلفين: أي مختلفين في الطبائع والاستعدادات البدنية والروحية والعقلية، قال الطوسي: «والاختلاف هو اعتقاد كل واحد نقيض ما

٢ تفسير الكشاف للزمخشري: ج٢/ ٤٢٨.

يعتقده الآخر»[٣].

فمعنى الاختلاف هو «افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال» [٤] وهو حاصل في الطبيعة البشرية مجبول عليه كل الناس في تركيبتهم البدنية، وذلك من خلال اختلاف استعداداتهم البدنية والعقلية، «وبانضمام **اختلاف** الأجواء والظروف إلى ذلك يظهر **اختلاف** السلائق والسنن والآداب والمقاصد والأعمال النوعية والشخصية في المجتمعات الانسانية، وقد أوضحت الأبحاث الاجتماعية ان لولا ذلك لم يعش المجتمع الانساني **ولا** طرفة عين»[٥].

ولذلك خلقهم: تأكيد بمضمون ولا يزالون مختلفين، واللام للصيرورة، أي خلقهم للاختلاف الذي يتضمن حرية الاختيار، أو خلقهم ليصيروا مختلفين بحسب اختياراتهم، وقيل: اللام للتعليل[٦]، قال أبو حيان: «والإشارة بقوله: ولذلك خلقهم، إلى المصدر المفهوم من قوله: **مختلفين**، كما قال: إذا نهى السفيه جرى إليه. فعاد الضمير إلى المصدر المفهوم من اسم الفاعل، كأنه قيل: **وللاختلاف** خلقهم، ويكون على حذف مضاف أي لثمرة الاختلاف من الشقاوة والسعادة خلقهم»[٧].

أما الزمخشري فقد أجاب على طريقة الاعتزال فقال: «﴿ولذلك﴾ إشارة إلى ما دل عليه الكلام، أولا من التمكين والاختيار الذي عنه الاختلاف، خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره»[٨].

وليس في هذه الجملة ما يمكن أن يعود عليه الضمير إلا الاختلاف كما قال الحسن وعطاء، أو الرحمة كما قال مجاهد، وقتادة، أو كلاهما كما قال ابن عباس.

---

٣ تفسير البيان للطوسي: ج٦/ ٨٤.

٤ تفسير مفاتيح الغيب للرازي: ج١٢/ ٧٨.

٥ تفسير الميزان للطباطبائي: ج١١/ ٦٢.

٦ انظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ج١٢/ ١٨٩.

٧ تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ج٦/ ٢٢٧.

٨ تفسير الكشاف للزمخشري: ج٢/ ٤٣٨.

ولا تتعارض علة الخلق في قوله ﴿ولذلك خلقهم﴾ مع قوله تعالى: ﴿وما **خلقت** الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الطور: ٥٦]) فاللام في الأولى هي لام الصيرورة التي تفيد لزوم حصول الفعل، أي ليصيروا مختلفين خَلقَهم، فيحصل منه العابد المطيع الذي يستحق الجنة والضال العاصي الذي يستحق النار، كقولنا: جلست على الكرسي ولذلك صنعته، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣]. أما اللام في الآية الثانية فهي لتعليل الحكمة من الخلق، وليس للتعليل الملازم للمعلوم، إذ لو كان كذلك للزم أن يكون الخلق كلهم يعبدون اللّٰه، وليس الأمر كذلك، فوجب أن نقول: أن العلة هنا غائية، أي لبيان الغاية والمقصود من الخلق، فقد تقع العبادة وقد لا تقع، مثل قولنا: ما اشتريت الكتاب إلا لأقرأه، فغاية القراءة قد تقع وقد لا تقع. قال ابن عاشور: «واللام للتعليل؛ لأنه لما خلقهم على جبلة قاضية باختلاف الآراء والنزعات وكان مريدا لمقتضى تلك الجبلة وعالما به كما بيناه آنفا كان الاختلاف علة غائية لخلقهم، والعلة الغائية لا يلزمها القصر عليها بل يكفي أنها غاية الفعل، وقد تكون معها غايات كثيرة أخرى فلا ينافي ما هنا قوله: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون لأن القصر هنالك إضافي، أي إلا بحالة أن يعبدوني لا يشركوا، والقصر الإضافي لا ينافي وجود أحوال أخرى غير ما قصد الرد عليه بالقصر كما هو بين لمن مارس أساليب البلاغة العربية»[٩] وعند الزمخشري: «**إلا** لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم **إلا** إياها. فإن قلت: لو كان مريدا للعبادة منهم، لكانوا كلهم عبادا. قلت: إنما أراد منهم أن **يعبدوه** مختارين للعبادة لا مضطرين إليها، لأنه خلقهم ممكنين، فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم»[١٠].

وقد ذكر اللّٰه تعالى الاختلاف في كتابه ونسبه إلى نفسه حيث قال: (أهم

٩ انظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ج١٢/ ١٩٠.

١٠ تفسير الكشاف للزمخشري: ج٤/ ٤٠٦.

يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون) ولم يذمه تعالى في شيء من كلامه الا إذا صحب هوى النفس وخالف هدى العقل.[11] ".

فالاختلاف إذن: هو قيمة طبيعية إيجابية في النفس البشرية والمجتمع البشري، منه تتأسس الوحدة وتستمد قوتها.

هذا ما يؤديه مفهوم التزاوج والتمازج بين الأفراد المختلفين جنسيا وفكريا، أو التقريب بين العناصر والأشياء المتضادة في الصفات، فالاختلاف لا يعني التنافر وإنما يعني أن أحد الطرفين مكمل للآخر، إذ لا يمكن للواحد فردا أو شيئا أن يجمع بين المتناقضات، فاحتاج إلى طرف آخر مغاير له ومختلف عنه ليكمله ويغطي عجزه، إضافة إلى ما فيه من روح التنافس وطلب الارتقاء والسمو في المراتب.

ومما تقدم يمكننا طرح السؤال التالي: ما طبيعة الاختلاف المنبوذ الذي به تنتفي قيمته الإيجابية ؟

بالرغم من أن الاختلاف طبيعة إيجابية حيث يكفل لكل فرد من العنصر البشري حرية الاختيار، ﴿قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتهم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتهم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين﴾ [سورة الكافرون]، إلا أنه قد يكون مرفوضا إذا اختلطت به مفسده أو مفاسد. وأكبر مفسدة يمكن أن تلامس الاختلاف هي التفرقة والعدوان،﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الانعام: ١٥٣] فهذه الآية أوضح دلالة على النهي عن الاختلاف إذا أنجر عنه تفرقة وتشرذم وعدوان، حيث يصبح العمل بقاعدة درء المفاسد أولى من جلب المصالح واجب، لحماية المجتمع وحفاظا على تماسكه وتلاحمه.

---

١١ تفسير الميزان للطباطبائي: ج١١/ ٦٠.. ٦١.

فالاختلاف ليس مرفوضا لذاته وإنما لما يلحق به من تعصب وتعد على حقوق الآخرين، فتتدنس طهارته وتذهب فائدته وتضعف قوته.

إلى هنا يمكننا أن نصل إلى النتائج التالية:

١) الوحدة قيمة إنسانية إيجابية.

٢) الاختلاف طبيعة في النفس البشرية.

٣) الاختلاف قيمة إيجابية محركة تقبل التحول إلى قيمة سلبية معيقة عن الحركة حال امتزاجه بمفسدتي الفرقة والنزاع.

٤) الاختلاف أساس التكليف، وأن الإنسان يحاسب على اختياراته الدينية والسلوكية والفعلية، ما لم يؤخذ عليها قسرا أو إجبارا.

هكذا إذن: تكشف فلسفة الوحدة والاختلاف عن جدلية ثنائية القطبين، في أحد طرفيها الصورة الإيجابية للوحدة والاتحاد، وفي الطرف الآخر الصورة الإيجابية الناجمة عن الاختلاف.

وهي فلسفة – من دون ريب - ستجعل من طبيعة الاختلاف قيمة كونية عظيمة، يبعث على الوَحدة وعلى والتجديد والتطور والنمو والحركة، ولولا الاختلاف ما ظهر في الأمة مصلحين ومجددين، ولا كان للنورسي أثر يختلف به عن غيره من الناس.

الاختلاف والوحدة عند بديع الزمان سعيد النورسي

واقع الأمة وعوامل التخلف في عصر النورسي:

هذه المقدمة التي سوف نعرضها هي ضرورية في توضيح الأفق الطبيعية التي عاش فيها بديع الزمان سعيد النورسي، حيث يمكننا بها أن نفهم بعض مواقفه وأفكاره في معالجة مشكلات الأمة التي انصهر فيها وامتزج بها:

الواقع التركي في زمن النورسي:

عاش بديع الزمان سعيد النورسي أحداثا جساما وفوضى سياسية عارمة وواقع اجتماعي مزري، حيث عاصر أواخر عمر الدولة العثمانية عند أيلانها للسقوط، وعاصر عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٢/٢٢ ١٨٤٢م ١٩١٨/٠٢/١٠م) في مواجهته لتكالب الأعداء من الداخل والخارج وغاراتهم

للقضاء على الدولة، كما عايش تنحية السلطان عن الحكم (سنة ١٩٠٩م) ومجيئ الإتحاديون بالسلطان محمد رشاد ثم دخول الدولة في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) التي انتهت بانهيار الدولة وسقوط الخلافة (سنة ١٩١٨م)، ثم وقوع البلاد تحت وطأة الجيوش الأجنبية، إلى مجيء السلطان محمد وحيد الدين السادس بن مراد (١٩١٦ ـ ١٩٢٢م) ولم تمض على خلافته بضعة شهور «حتى استولت جيوش الإنجليز واليونان والإيطاليين والأرمن على كل البلاد من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، ولم يسلم من أيديهم وتعدياتهم إلا شرق الأناضول»[١٢]، بل إن لسطنبول نفسها كانت تحت وطأة الإحتلال الإنجليزي. [١٣].

واقع الأمة الإسلامية زمن النورسي:

قضى النورسي حياته كلها في فترة انتكاسة الإمبراطورية العثمانية التي ألقت بلهيبها على العالم الإسلامي أجمع، بحيث انتقضت أطرافها واحدة تلو الأخرى حتى أصبحت جل البلاد الإسلامية تعيش ويلات الاستدمار الغاشم الذي ينهب خيراتها ويستعبد أهلها بالحديد والنار. فاحتلت فرنسا الجزائر (١٨٣٠ ـ ١٩٦٢م) والمغرب (١٨٧٢ ـ ١٩٥٦م) وتونس (١٨٨١ ـ ١٩٥٦م) وسوريا (١٩٢٠ ـ ١٩٤٦م) ولبنان (١٩٢٠ ـ ١٩٤٣م) وموريطانيا (١٩٠٠ ـ ١٩٦٠م) وامتد الاستدمار الفرنسي ليشمل الكثير من الدول الإفريقية كتشاد ومالي والنيجر والسينغال وجزر القمر ومدغشقر... الخ، واحتلت بريطانيا جنوب اليمن (١٨٣٧ ـ ١٩٦٧م) ومصر (١٨٨٢ ـ ١٩٥٢م) والسودان (١٨٩٨ ـ ١٩٥٩م) والصومال (١٨٨٤ ـ ١٩٦٠) والعراق (١٩١٤ ـ ١٩٥٨م) وفلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨م) والهند (١٨٥٨ ـ ١٩٤٧م) وبسطت نفوذها على أغلب مناطق شبه القارة الهندية وجنوب آسيا وسيطرت على كامل شبه الجزيرة العربية إما عن طريق الحماية أو الانتداب، كما وقعت

١٢ انظر محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية: ص: ٧١٧.

١٣ انظر المرجع نفسه: ص: ٧٤٨ ـ ٧٥٢. وراجع تاريخ الدولة العثمانية في الفترة الممتدة من جلوس السلطان عبد الحميد على العرش إلى تولي مصطفى كمال أتاتورك السلطة، انظر تاريخ الدولة العلية: ص ٧٠٣ ـ ٧١٧.

ليبيا في يد الاستدمار الإيطالي (١٩١١ـ١٩٤٧) وخضعت بعدها لسيطرت الاستدمار البريطاني والفرنسي إلى غاية سنة ١٩٥١م.

وهكذا في ظل انهيار الخلافة العثمانية وتكالب الأعداء على كامل المناطق الإسلامية ينخرون جسدها ويستعبدوا أهلها، وفي خضم تلك الاضطرابات الخطيرة والواقع الأليم الذي كانت تهزه الأعاصير المدمرة من حين لآخر، بزغ نجم بديع الزمان يحمل هموم الأمة ويقوم بأعباء رسالة إنقاذ الإيمان.

وعقب الحرب العالمية الثانية حدثت تغييرات في النظام في تركيا حيث تم تكريس العلمانية واتخذت قرارات لقلع شريعة الإسلام، فاستبدلت الحروف العربية ومنع الآذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية. فكان لزاما على النورسي أن يتعامل معها بدهاء وحنكة لمواكبة هذه المتغيرات وعدم مجابهتها.

وينقل لنا محمد فريد بك صورة مؤثرة عن حال المسلم في ذلك الزمن قائلا:»... ولم يكن من شيء يعزينا عما نحن فيه، بعد اندحار الدولة العثمانية، إلا الإسلام، فقد أصبحنا غرباء في أوطاننا، أشقياء في بلادنا، تعساء في مجتمعنا، أو نحن كالأيتام على مأدبة اللئام، ليس لنا وطن ندعيه لأن الغريب يستعمره، ولا لنا دولة نستند إليها لأن الأغراب يحكموننا، وصرنا نسمع سفهاء الناس يشتمون ديننا في وجوهنا، ومن كان منهم مهذبا ولم يشتم قال لنا: لقد ولى زمانكم ونحن اليوم أسيادكم وإن لم يقولوها بأفواههم قالوها بأفعالهم، وكنا نتطلع يمنة ويسرة فلا نجد على وجه الأرض كلها، وعلى كثرة عدد المسلمين فيها دولة إسلامية واحدة مستقلة حرة نستطيع أن ندعيها أو ننتسب إليها لنعتز بها بل كان العالم الإسلامي كله مستعمرات غربية أو شبه مستعمرات[١٤].

١٤ تاريخ الدولة العلية. ص: ٧٥٣.

نظرة النورسي للوحدة والعمل الجماعي:

أولا: العمل الجماعي الوحدوي:

١. أهمية العمل الجماعي:

إن المبدأ الذي يقوم عليه العمل الجماعي أن اثنان فأكثر إذا اجتمعوا على تحقيق هدف واحد شكلوا قوة عظيمة، وكلما ازداد عددهم حول ذلك الهدف صارت قوتهم قوة لا تقهر، وهو مبدأ صحيح تتفق حوله كل الثقافات الشعبية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية، حيث أن العمل الفردي مهما كانت درجة مهارته وذكائه لا يمكن أن يحقق النجاح والتفوق على العمل الجماعي.

في ضوء هذا المبدأ يمكننا أن نفهم كيف أن العالم الإسلامي الكبير من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي سيطرت عليه شرذمة قليلة من الطماعين الفرنسيين أو الانجليز، والمسلمون إذ ذاك هم أضعاف مضاعفة.

ولا نشك أبدا في أن التفرق والأنانية وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة هي سبب ضعف المسلمين وانهزامهم أمام أعدائهم، ولذلك يَعتبر النورسي العمل الجماعي والوحدة بين المسلمين من أوجب الفرائض بينهم فيقول: «إن هذا الزمان لأهل الحقيقة زمان جماعة وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير، فلأجل الحصول على حوض عظيم ينبغي للفرد إلغاء شخصيته التي هي كقطعة من الثلج في ذلك الحوض وإذابتها فيه وإلا ستذوب حتما تلك القطعة وتذهب هباء وتفوت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض أيضا، إنه لمن العجب وموضع أسف أنه بينما يُضيّع أهل الحق والحقيقة القوة العظمى في الاتفاق والاختلاف فيما بينهم، يتفق أهل النفاق والضلالة للحصول على القوة المهمة فيه، رغم مخالفته لمشربهم فيغلبون تسعين بالمائة من أهل الحقيقة مع أنهم لا يتجاوزون العشرة بالمائة»[١٥].

١٥ ملحق قسطموني: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص:١٦٢

٢. الهدف المثالي

من متطلبات قبول الاختلاف عند النورسي اجتماع المختلفين حول هدف مثالي يحليهم بالتقوى والورع الكاملين، ذلك بأنه «إن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نُسيت تلك الغاية، أو تنوسيت، تحولت الاذهان الى أنانيات الافراد وحامت حولها»[١٦].

لأن «ميل الجسم إلى التوسع لأجل النمو إن كان داخليّا فهو دليل التكامل. بينما إن كان من الخارج فهو سبب تمزق الغلاف والجلد، اي أنه سبب الهدم والتخريب لا النمو والتوسع.

وهكذا، فإن وجود إرادة الاجتهاد والرغبة في التوسع في الدين عند الذين يدورون في فلك الإسلام ويأتون إليه من باب التقوى والورع الكاملَين وعن طريق الامتثال بالضروريات الدينية فهو دليل الكمال والتكامل. وخير شاهد عليه السلف الصالح أما التطلع إلى الاجتهاد والرغبة في التوسع في الدين إن كان ناشئا لدى الذين تركوا الضروريات الدينية واستحبوا الحياة الدنيا، وتلوثوا بالفلسفة المادية، فهو وسيلة الى تخريب الوجود الاسلامي وحل ربقة الاسلام من الاعناق»[١٧].

٣. نسبية الحق:

شاعت في الآونة الأخيرة خاصة في الأوساط الفلسفية والدراسات الهيرمنيوطيقية نظرية نسبية الحق، ونسبية المعرفة، وهي من النظريات الهامة في نظريات المعرفة، لكن من الغريب أن يبادر النورسي مبكرا بتأكيد نسبية الفهم والاجتهاد في الأوساط الإسلامية، من خلال الفصل بين الشريعة وفهم الشريعة، بين المشرع والمجتهد، الوقت الذي نؤكد فيه أن هذه المسألة لم تكن مطروحة في الفكر الإسلامي البتة، وهو ما يؤكد لنا نقاوة فكره وصفاء مشربه.

فيقول في ذلك: «كل من لديه استعداد وقابلية على الاجتهاد وحائز على

---

١٦ اللوامع/ كتاب الكلمات:، ص: ٨٥١.

١٧ الكلمات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ٥٦٤.٥٦٥.

شروطه، له أن يجتهد لنفسه في غير ما ورد فيه النص، من دون أن يلزم الاخرين به، اذ لا يستطيع أن يشرّع ويدعو الامة الى مفهومه. اذ فهمه يُعدّ من فقه الشريعة ولكن ليس الشريعة نفسها، لذا ربما يكون الانسان مجتهداً ولكن لا يمكن ان يكون مشرّعاً»[١٨].

واستنادا إلى هذه القاعدة أو النظرية يقرر النورسي أن ادعاء امتلاك الحق المطلق من أهم الأسباب المؤدية إلى النزاع والخصومات والفُرقة، إذ كل فرد «لا بد أن يكون هو «حق» بدلا من هو «الحق[١٩]»وهو «حسن» بدلا من هو «الحسن»، إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه: أن هذا «حق» ولا أتعرض لما عاداه، فإن يك جميلا فمذهبي أجمل، بينما لا يحق له القول في مذهبه: أن هذا هو «الحق» وما عداه باطل، وما عندي هو «الحسن» فحسب وغيره قبيح وخطأ» لأن الإسلام دين السلام والأمان ينبذ كل أشكال الصراع والخصام والنزاع إلا مع العدو.

في هذا الإطار تأتي دعوته لفض النزاع والخصومة بين أهل السنة والشيعة لأن مئات الروابط المقدسة تربط بينهما وتدعو إلى بث الأخوة وتحقيق الاتحاد «فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة، ويا أيها الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلكا لكم، ارفعوا فورا هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه...»[٢٠].

٤. الاختلاف قيمة طبيعية:

ذكرت في بداية البحث أن الاختلاف هو قيمة طبيعية إيجابية في النفس البشرية والمجتمع البشري، بما يؤديه في مفهومه الإيجابي تكامل بين عناصره المختلفة.

غير أن تَقبُّل الاختلاف بنظرة إيجابية لم يكن مطروحا بصورة واضحة لا

---

١٨ اللوامع/ كتاب لكلمات:، ص: ٨٤٨.

١٩ بإضافة الألف واللام التي تفيد الاستغراق (الإطلاقية).

٢٠ اللمعات: ترجمة إحسان قاسم صالحي، ص٢٨.

في زمن النورسي ولا قبله، الأمر الذي يجعل النورسي بروحه الصافية وايمانه الراسخ من السَبّاقين الذين قدّموا لنا مفهوما للاختلاف يمكن معه أن تتعدد صور الحق، مبررا ذلك بـ «عجز البشرية من أن تصل جميعاً الى مستوى واحد، وعدم تمكنها من السير على نمط واحد في حياتها الاجتماعية... فلو تمكنت البشرية - باكثريتها المطلقة - ان تحيا حياة اجتماعية واحدة، واصبحت في مستوى واحد، فحينئذ يمكن أن تتوحد المذاهب، ولكن مثلما لا تسمح احوال العالم، وطبائع الناس لبلوغ تلك الحالة، فان المذاهب كذلك لا تكون واحدة.

وكما أن الماء يأخذ احكاماً خمسة مختلفة (واجب ومحرم ومكروه ومسنون ومباح) حسب أذواق المرضى المختلفة وحالاتهم، فهكذا. بمثل ذلك. «تتغير الاحكام الإلهية بسَوْقٍ من الحكمة الإلهية وحسب التابعين لها. فهي تتبدل حقاً، وتبقى حقاً ويكون كل حكم منها حقّا[٢١]»[٢٢].

٥. سد ثغور الفرقة

إن اختلاف البشر في أحوالهم وحياتهم الاجتماعية يستدعي اختلاف آرائهم وأفكارهم وفهومهم، وبالتالي وقوع الشحناء والتنازع التي تهدد وحدة المسلمين وتماسكهم وهي أهم من تحقيق الحريات أو مصالح الأفراد، ولهذا السبب يرى النورسي لزوم سد الثغور التي يأتي منها هلاك الأمة وخرابها فـ«كما تُسَد المنافذ حتى الصغيرة منها عند اشتداد العواصف في الشتاء، ولا يستصوب فتح أبواب جديدة، وكما لا تفتح ثغور لترميم الجدران وتعمير السدود عند اكتساح السيول، لأنه يفضي إلى الغرق والهلاك.. كذلك من الجناية في حق الإسلام فتح أبواب جديدة في قصره المنيف، وشق ثغرات في جدرانه مما يمهّد السبيل للمتسللين والمخربين باسم الاجتهاد، ولا سيما في زمن المنكرات، ووقت هجوم العادات الأجنبية واستيلائها، وأثناء كثرة البدع

٢١ واضح من كلام النورسي أنه لا يقصد تعدد الحق في ذاته وإنما تعدد صوره وأحكامه.

٢٢ انظر الكلمات): ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ٥٦٩.

وتزاحم الضلالة ودمارها»[٢٣].

وفي هذا السياق نفسه يرى النورسي أن تحقيق ضروريات الدين أهم بكثير من الاشتغال ببعض الجوانب النظرية أو الفرعية حيث «أن الضروريات الدينية التي لا مجال فيها للاجتهاد لقطعيتها وثبوتها، والتي هي في حكم القوت والغذاء، قد أُهملت في العصر الحاضر واخذت بالتصدع، (٥٦٢) فالواجب يحتم صرف الجهود وبذل الهمم جميعاً لاحياء هذه الضروريات واقامتها، حيث ان الجوانب النظرية للاسلام قد استثرت بافكار السلف الصالحين وتوسعت باجتهاداتهم الخالصة حتى لم تعد تضيق بالعصور جميعاً؛ لذا فان ترك تلك الاجتهادات الزكية والانصراف عنها الى اجتهادات جديدة اتباعاً للهوى انما هو خيانة مبتدعة»[٢٤].

ثانيا: آليات التفوق الجماعي

١. الذوبان في (نحن):

لا يمكن تنمية الروح الجماعية إلى بجمع الأفراد حول غاية وهدف مثالي تذوب فيه الذات في (نا) و(أنا) في (نحن)، فإن» لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نُسيت تلك الغاية، أو تنوسيت، تحولت الاذهان الى أنانيات الافراد وحامت حولها.، اي: يتقوى (أنا) كل فرد، وقد يتحدد ويتصلب حتى لا يمكن خرقه ليصبح (نحن) فالذين يحبون (أنا) أنفسهم لا يحبون الآخرين حبّا حقيقياً»[٢٥]. وهو المبدأ الذي سعى النورسي جاهدا للحفاظ عليه وتنميته في صفوف طلاب رسائل النور، فتحت عنوان الكسب المعنوي الجماعي كتب يقول: «فنفترض أنفسنا ضمن جميع الإخوة وكل منا يتكلم باسم الجميع في هذا الشهر المبارك، فنقول بصيغة الجمع: أجرنا، ارحمنا، واغفر لنا، ووفقنا،

٢٣ المصدر نفسه، ص: ٥٦٢.

٢٤ المصدر نفسه، ص: ٥٦٣.

٢٥ اللوامع/ كتاب الكلمات: ص: ٨٥١.

واهدنا، واجعل ليلة القدر في هذا الشهر شهر رمضان خيرا في حقنا من ألف شهر، وننوي في كل دعاء ضمير الجمع (جميع إخواننا، وعليكم أخيكم هذا الضعيف بالذات في (نا) ضمن وظيفته المرهقة بتلك النية الخالصة»[٢٦].

ولما كان طلاب النور ليسوا بمنأى عن مرض العجب والرياء الذي يمكن أن يحصل لهم من خلال شهرة أو تفوق أو ما شابه ذلك، كان إظهار الشخص المعنوي هو العلاج النافع، بأن «حوّلوا (انا) الى (نحن) أي تركوا الانانية ودخلوا ضمن دائرة الشخصية المعنوية للجماعة ويسعون في اعمالهم باسم تلك الشخصية، أي يقولون «نحن» بدلاً من «أنا».. وكما قد نجا أهل الطرق من الرياء بوسائل قتل النفس الأمارة والأخذ بقاعدة: «الفناء في الشيخ» و»الفناء في الرسول».. فان احدى تلك الوسائل هي «الفناء في الاخوان»، أي اذابة الشخصية الفردية في حوض الشخصية المعنوية لاخوانه وبناء أعماله على وفق ذلك»[٢٧].

٢. مجلس الشورى لدعم التساند ودفع الفرقة عند الاختلاف:

ما من شيء يضر العمل الجماعي ويوهن قوته العظيمة ككثرة الاختلافات والاعتراضات والانتقادات المفضية إلى النزاع والفرقة، خاصة إذا وجدت تلك الفُرج من يستغلها ويستفيد منها في زعزعة جدار الوحدة وفك رباط التضحية، لأجل ذلك لا ينفك النورسي من حين لآخر ينبه طلابه «أن أهل الضلالة لعجزهم عن صد السيوف الألماسية لرسائل النور يريدون زعزعة رابطة الطلاب الوثيقة مستفيدين من عروق واهية نابعة من اختلاف المشارب او المشاعر مستغلين متطلبات العيش ولوازمه والغفلة التي تخيم في الربيع. اياكم واياكم ان تجد الفرقة فرجة فيما بينكم. احذروا. فالانسان لايخلو من خطأ. ان باب التوبة مفتوح. فاذا مادفعتكم النفس والشيطان الى الاعتراض على اخيكم وانتقاده على حق، قولوا: اننا مكلفون بالتضحية بحياتنا وكرامتنا وسعادتنا الدنيوية في سبيل الحفاظ على التساند الذي هو الرابطة الوثقى لرسائل النور، فضلاً عن

٢٦ كتاب الملاحق: ملحق قسطموني: رجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ١٨٠.١٨١.

٢٧ المصدر نفسه: ص: ١٨٣.١٨٤.

مثل هذه الامور الجزئية. فوظيفتنا التضحية بكل ما يمت بصلة بالدنيا والانانية لما تكسبنا رسائل النور من نتائج جليلة»

لكن تباين الرؤى والمشارب والأحوال يستدعي وقوع الاختلاف بين الأفراد، فكيف عالج النورسي هذه المعضلة؟

يوجه النورسي طلبته في حال حدوث نقاش ونزاع حول مسألة ما، أن «شاوروا بعضكم بعضاً. لا تتشددوا، اوغلوا برفق، الناس ليسوا سواسية في المشارب. ينبغي ان يتسامح بعضكم مع البعض الآخر في الوقت الحاضر».

فالشورى ترياق النزاعات ليس فقط داخل جماعة النور وإنما أيضا الخلافات الناشبة بين المسلمين مع بعضهم البعض بسبب فوضى الآراء والاجتهادات، وهذا بما تمثله الشورى من شخص معنوي له قدرة خارقة عل جمع الأفراد وإحكام الرأي وإسماع الصوت؛ لذلك دعا النورسي لإقامة ما يسمى بمجلس الشورى قائلا: «...نجد أنّ المشيخة قد أودعت إلى اجتهاد شخص واحد، في وقت تعقّدت فيه العلاقات وتشابكت حتى في أدق الأمور، فضلاً عن الفوضى الرهيبة في الآراء الاجتهادية، وعلاوة على تشتت الأفكار وتدني الأخلاق المريع الناشئ من تسرب المدنية الزائفة فينا... من المعلوم أنّ مقاومة الفرد تكون ضعيفة أمام المؤثرات الخارجية، فلقد ضُحي بكثير من أحكام الدين مسايرة للمؤثرات الخارجية... لسنا في الزمان الغابر، حيث كان الحاكم شخصاً واحداً، ومفتيه ربما شخص واحدٌ أيضاً، يصحح رأيه ويصوبه. ذلك أنّ هذا الزمان هو زمان الجماعة، والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة. فمجالس الشورى تملك تلك الشخصية، فالذي يفتي لمثل هذا الحاكم ينبغي أن يكون متجانساً معه، أي: ينبغي أن يكون شخصاً معنوياً نابعاً من مجلس شورى عالٍ، كي يتمكن من أن يُسمعَ صوتَه للآخرين، ويسوق ذلك الحاكم إلى الصراط السوي في أمور الدين. وإلا فسيبقى صوته كطنين الذباب... نعم، إنّ كل من يجد في نفسه كفاءة واستعداداً للاجتهاد يمكنه أن يجتهد، ولكن لا يكون هذا الاجتهاد موضع عمل إلا عندما يقترن بتصديق نوع من إجماع الجمهور. فمثل هذا الشيخ - أي شيخ الاسلام المستند إلى مجلس شورى- يكون قد نال هذا السر. فكما نرى في كتب الشريعة: أن مدار

الفتوى: الإجماع، ورأي الجمهور، يلزم الآن ذلك أيضاً ليكون فيصلاً قاطعاً لدابر الفوضى الناشبة في الآراء... الحاجة أستاذ لكل أمر. هذه قاعدة، فالحاجة شديدة لمثل هذا المجلس الشوري الشرعي»[٢٨].

٣. الابتعاد عن السياسة:

أستطيع القول بأن الابتعاد عن السياسة وعدم الخوض فيها مع الخائضين هو مبدأ أساسي يتميز به نهج حركة النور للمحافظة على وحدة صف الطلاب ونقاوة أهدافهم، وذلك من خلال حرص النورسي الدائب على دعوة «القريبين من دائرة رسائل النور من ارباب العلم واهل الطريقة واصحاب المشارب الصوفية الانضمام الى تيار النور، ليمدّوه بما لديهم من رأسمال سابق، والسعي لتوسيع دائرته وحث طلابه وبث الشوق في نفوسهم، واذابة الانانية والقائها كقطعة ثلج في حوض الماء السلسبيل للجماعة ليغنم ذلك الحوض الكوثري كاملاً. والاّ فمن يفتح نهجاً جديداً ويسلك طريقاً آخر، يضرّ هذه الجادة القرآنية المستقيمة القويمة من دون ان يشعر، ويتضرر هو بنفسه أيضاً، بل قد يكون عمله نوعاً من العون للزندقة دون شعور منه».

ويبرر النورسي نهجه في السياسة من خلال خطاب تحذيري للطلاب والمسلمين عامة: «حذار.. حذار.. ايها الاخوة من أن تقذفكم التيارات الدنيوية ولاسيما السياسية منها ولاسيما التيارات التي تلفت الانظار نحو الخارج، الى التفرقة، اذ تجعلكم بعد ذلك عاجزين ضعفاء أمام الفرق الضالة المتحدة... فحذار أن يجري فيكم حكم ذلك الدستور الشيطاني والعياذ بالله: «الحب في السياسة والبغض في السياسة» بدلاً من الدستور الرحماني (الحب في اللّٰه والبغض في اللّٰه) (١) إذ عندها تعادون أخاً لكم هو في الحقيقة كالملاك وتولون الحب لرفيق في السياسة وهو كالخناس وتبدون الرضا لظلمه، وتشاركونه في جنايته ضمناً. فحذار حذار من هذا!».

نعم فالسياسة مهما كان نوعها مرفوض الاشتغال بها والخوض فيها داخل

٢٨ صيقل الإسلام:، ص: ٣٥٢.٣٥٣.

حركة النور، لأنها؛ «تفسد القلوب، وتدع الأرواح الحساسة في عذاب. فالذى يروم سلامة القلب وراحة الروح عليه أن يترك السياسة».

بل إن أعظم خطر عانى منه المسلمون في زمن النورسي ولا زالوا يعانون منه إلى حد الآن هو فساد القلوب وتزعزع الايمان بفعل انتشار التيارات الفلسفية والفكرية المختلفة والانبهار بالحضارة الغربية. ومن ثم فقد غدا «العلاج الوحيد لإصلاح القلب وانقاذ الايمان انما هو النور وإراءة النور. فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز النصر، تدنى اولئك الكفار الى درك المنافقين. والمنافق - كما هو معلوم - أشد خطراً من الكافر وأفسد منه. فصولجان السياسة إذاً لا يُصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً»[٢٩].

ويؤكد النورسي استحالة الجمع بين نهج النور في إصلاح القلوب وإنقاذ الإيمان ونهج الهراوة والنفاق في معترك السياسة وصولجانها قائلا: «إن شخصاً عاجزاً مثلي، لا يمكنه أن يستعمل النور والهراوة معاً في هذا الوقت، لذا فأنا مضطر إلى الاعتصام بالنور بما أملك من قوة، فيلزم عدم الالتفات إلى هراوة السياسة أيّا كان نوعها. أما ما يقتضيه الجهاد المادي، فتلك الوظيفة ليست مناطة بنا حالياً. نعم! إن الهراوة هي لوقف تجاوز الكافر أو المرتد عند حدّه، ولكن لا نملك سوى يدين، بل لو كانت لنا مائة من الأيدي ما كانت تكفي إلاّ للنور فلا يد لنا تمسك بهراوة السياسة.

ويتأكد هذا الموقف أكثر إذا علمنا «ان سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالاكثرية في سبيل الاقلية، بل تضحي قلةٌ قليلة من الظلمة بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها... لو قتل مغرورٌ بريئاً دون ورع، تحقيقاً لحرصه واشباعاً لنزواته وهوى رغباته، فانه مستعد لتدمير العالم والجنس البشري ان استطاع»[٣٠].

---

٢٩ اللمعات: ص: ١٥٨.

٣٠ اللوامع/ كتاب الكلمات:، ص: ٨٦٢.

٤. رحابة الصدر في مقابل النقد والاعتراض:

يذكر النورسي أنه تعرض للنقد الشديد من أحد الشيوخ الوعاظ بحجة تركه لسنة نبوية (اطلاق اللحية)، فيقول لطلبته: "بلّغوا ذلك العالم الواعظ عني السلام. فانني أقبل انتقاده لشخصي واعتراضه عليّ بتقدير وبرحابة صدر. وانتم بدوركم لا تسوقوا ذلك العالم الفاضل ولا امثاله من العلماء الى المناقشة والمناظرة. ولو حدث تعدّ وتجاوز علينا، فلا تقابلوه حتى بالدعاء عليهم. اذ ان ذلك المتجاوز أو المعترض ايا كان، هو أخونا من حيث الايمان لأنه مؤمن. حتى لو عادانا، فلا نستطيع ان نعاديه بمثل عدائه، حسب ما يرشدنا اليه مسلكنا. لأن هناك اعداء شرسين وحيّات لاذعة ونحن لا نملك سوى النور، لا الصولجان. والنور لا يؤلم، بل يلاطف بضيائه، ولاسيما الذين هم ذوو علم فلا تثيروا غرورهم العلمي ان كانوا على غرور وانانية، بل استرشدوا ما استطعتم بدستور الآية الكريمة: ﴿واذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً﴾ (الفرقان: ٧٢).

ويقرر بهذا الصدد قاعدتين اثنتين تُبنى عليهما جميع مواقف النور النقدية والاعتراضية:

الأولى: أن تلك الأخطاء والتقصيرات الشخصية يتحملها أصحابها ولا تسري على الشخص المعنوي (جماعة النور) الذي يتشكل من جميع الأفراد الآخرين.

الثانية: يلزم تقبل الانتقاد برحابة صدر والابتعاد عن المناقشات والمناظرات، وكذا الردود اللاذعة، لأن طلبة النور لا يملكون سوى النور الذي ينشر ضياءه بلطافة وأمان»[٣١].

وهو مسلك لا يجعل نقاط اختلاف ونزاع موضع نقاش مع المؤمنين بالله واليوم الآخر حتى لو كانوا من النصارى[٣٢].

ووفق هذا المسلك يضع الأسس التالية للعمل مع المعترضين:

«اتباعاً لدستور الآية الكريمة: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾

---

٣١ انظر الملاحق (ملحق قسطموني): ص: ٢١٤-٢١٥.

٣٢ انظر المصدر نفسه.

(آل عمران:١٣٤).

وحفاظاً على إيمان المؤمنين من التصدع، وذلك بالمحافظة على حسن الظن القائم بينهم وبين شيوخهم أو رؤسائهم.

وبناء على ما يلزم من إنقاذ الأركان من طلاب النور المخلصين من سَورة الغضب المضرة - مع كونها محقة - على اعتراضات باطلة.

واجتناباً لما يستفيد منه أهل الإلحاد من هذه الخصومة بين طائفتين من أهل الحق بجرح الطائفة الأولى بسلاح الأخرى واعتراضاتها، وتهوين شأن الثانية بدلائل الأولى ثم دحرهما معاً.

على طلبة النور حسب الأسس المذكورة:

الاّ يواجهوا المعارضين بالحدة والتهور، ولا يقابلوهم بالمثل. بل عليهم ان يكتفوا بالدفاع عن أنفسهم فحسب، مع إظهار روح المصالحة، والإجابة بوضوح عن نقاط الإعتراض، حيث ان الأنانية في عصرنا هذا قد تطاولت واشرأبت بعنقها حتى أصبح كل شخص لا يريد ان يذيب أنانيته - التي هي كقطعة ثلج بطول قامته - ولا يرغب في تغييرها بل يسوّغ لنفسه ويراها معذورة دائماً. وها هنا ينشأ النزاع والخصومة ويكون موضع استفادة أهل الباطل والضلال على حساب أصحاب الحق وأهله... فعند وقوع مثل هذه الحوادث علينا بالتأني، وضبط النفس، والثبات، وعدم الولوج في العداء، وعدم التهوين من شأن رؤساء الطائفة المعارضة، فلو افترض - فرضاً محالاً - ان اعتراضاً على رسائل النور ورد حتى من القطب الأعظم ومن مكة المكرمة، فان طلاب رسائل النور يثبتون ولا يتزعزعون، بل يتلقون اعتراض ذلك القطب الأعظم على صورة التفاتة كريمة وتحية وسلام. ويحاولون كسب توجهه وتقبيل يده وإيضاح مدار الاعتراض لأستاذهم العظيم»[٣٣].

٥. نبذ العنف:

لقد ركب النورسي شعاع النور يضيئ به ظلمات الجهل وهذا يتعارض مع

٣٣ سيرة ذاتية، ص: ٢١٧.

استعمال القوة والعنف، فكان رده على إحدى الحركات التي أثارت الأكراد على الدولة:

«نحن الأكراد مسلمون والأتراك إخواننا فلا تجعلوا الأخ يقاتل أخاه، فهذا لايجوز شرعا. إن السيف لايشهر إلا بوجه الأعداء الخارجين ولا يستعمل السيف في الداخل. إن السبيل الوحيد أمامنا للخلاص في هذا الزمان هو القيام بإرشاد الناس إلى حقائق القرآن وإلى حقائق الإيمان والقيام بمكافحة الجهل الذي هو أكبر أعدائنا، لذا أرى أن تصرفوا نظركم عن محاولتكم هذه لأنها محكومة بالإخفاق، إذ سيهلك آلاف من الرجال والنساء بسبب حفنة من القتلة المجرمين» [٣٤].

الخاتمة

لقد بذل النورسي جهدا جبارا في دعوته إلى وحدة صف المسلمين وتزكية تماسكهم، كما استعمل آليات متنوعة هي بمثابة الأسس والدعائم التي تحافظ على تلك الوحدة وتصونها من أنانية الأتباع وتكالب الأعداء، فما أحوجنا اليوم في هذا الزمن المؤلم إلى هذا المسلك الجليل.

المصادر والمراجع

١) ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير: الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، الطبعة الأولى ١٩٨٤ هـ

٢) ابن كثير اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم: دار طيبة للنشر. الرياض. السعودية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

٣) أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين، تفسير البحر المحيط: دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ، ت: صدقي محمد جميل.

٤) أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير. القاهرة. مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٠.

٣٤ انظر سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة: محمد علي أورخان، ص: ١١٤.

٥) الرازي محمد فخر الدين، تفسير مفاتيح الغيب: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ /١٩٩١م).
٦) الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: درا الكتاب العربي. بيروت. لبنان، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).
٧) الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)،
٨) الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: دار احياء التراث العربي .بيروت. لبنان، ت: أحمد حبيب قصير العاملي.
٩) النورسي بديع الزمان سعيد: الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط ٣، دار إخلاص نور نشريات، أنقرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٠) فريد بك محمد: تاريخ الدولة العلية، دار النفائس. بيروت. لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ت: إحسان حقي.
١١) النورسي بديع الزمان سعيد: كتاب الملاحق، نشر: شركة سوزلر للنشر. فرع القاهرة. مصر، الطبعة الثالثة (١٩٩٩م)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي.
١٢) النورسي بديع الزمان سعيد: اللمعات، شركة سوزلر للنشر، د.ط. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي.
١٣) النورسي بديع الزمان سعيد: سيرة ذاتية، شركة سوزلر للنشر، د.ط. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي.

«مشروع إصلاح التربية والتعليم عند النورسي وسعيه لتأسيس مدرسة الزهراء»

د. سعيدي مزيان
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر العاصمة)
أستاذ محاضر وخبير في تاريخ الحركات التّنصيرية بالمغرب العربي وأساليب مجابهتها

المقدمة

يعدّ بديع الزمان سعيد النورسي، رحمة اللّه عليه، (١٢٩٥- ١٣٧٩ه / ١٨٧٦- ١٩٦٠) أحد أعلام المدرسة الإصلاحية المجددين في الفكر الإسلامي المعاصر وهو يمثل منهجا معرفيا خاصا شأنه شأن الأفغاني ومحمد عبده وعبد الحميد بن باديس وقد عاش حياة حافلة بالعلم والتأليف واهتم بالدفاع عن حصون الإسلام المهددة بطريقة توافق المستجدات المعاصرة، وكان حريصا على أن يقدم الإسلام في صورة مشرقة وفي ثوب يناسب ظروف التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي. وإزاء هذه الحملة التغريبية الشرسة كان التيار الدعوي الإصلاحي النوري ينطلق من أهمية فكرة الدين وتأثيره في حياة الشعوب الإسلامية، بل إنه رأى بأن هذه الشعوب لا يمكن أن تقوم لها قائمة إلا بالإسلام. ولقد كان سبب دعوته إلى ضرورة العودة إلى الإسلام هو إدراكه أن الإسلام ليس دينا تقليديا صوفيا، ولكنه يملك مقوّمات العالمية. فهو بحق من العلماء الذين أعطوا أهمية كبيرة للعلم، إذ من النادر وجود رجل علم في عصره يملك كلّ هذه البصيرة النافذة عن مستقبل العلم، ويشهد له قوله: « إنّ البشرية في أواخر أيّامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وستستمد كلّ قواها من العلوم والفنون فيتسلّم العلم زمام الحكم والقوّة.»

في سنة ١٨٩٤ ذهب إلى مدينة «وان» وانكبّ فيها بعمق على دراسة كتب الرّياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ

حتّى تعمّق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمّي بـ»بديع الزمان» اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.

وفي هذه الأثناء نُشر في الصحف المحلية أنّ وزير المستعمرات البريطاني «غلادستون» قد صرّح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النّواب قائلاً: «ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به.»

زلزل هذا الخبر كيانه وأقضّ مضجعه، فأعلن لمن حوله: «لأبرهننّ للعالم بأنّ القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها.»

فشدّ الرّحال إلى استانبول عام ١٩٠٧ وقدّم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩م) لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها إسم «مدرسة الزهراء» ـ على غرار الأزهر الشريف ـ تنهض بمهمّة نشر حقائق الاسلام وتدمج فيها الدّراسة الدّينية مع العلوم الكونية، في ضوء مقولته المشهورة:

«ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الكونية الحديثة وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولّد الحيل والشبهات في هذا، والتعصّب الذّميم في ذاك.»

كان له سعيه المحمود هذا وهو يناهز الثلاثين من العمر حين طغت حركات التغريب و العلمنة على فكر و آراء المتعلمين حيث وصل الأمر بالبعض من الذيّن تأثروا بالفكر الأوروبي الغربي إلى الاعتقاد بأنّ الإسلام هو المسؤول عن تخلف الإمبراطورية العثمانية والعالم الاسلامي. هذا ما أثبت للنورسي أنّ هناك ضرورة ملحّة لإصلاح النظام التعليمي في المدارس وتحديث العلوم الإسلامية على ضوء التطورات الجديدة في المعرفة والعلوم.

في خضم هذه الأحداث عرض بديع الزمان النورسي على السلطان رشاد (١٩٠٩-١٩١٨ م) وزعماء حركة الاتحاد والترقي المرافقين للسلطان في كوسوفا اقتراحا أكّد فيه حاجة الولايات الشرقية الماسة إلى مثل هذه الجامعة، إذ تقع في قلب العالم الإسلامي. قبل الجميع اقتراحه ووعدوه أن يتمّ افتتاح جامعة

في الولايات الشرقية، وفي أكتوبر من العام الموالي اندلعت حرب البلقان الأولى وفقدت الإمبراطورية سيطرتها في كوسوفا، وعليه طالب النورسي بالتسعة عشر ألف ليرة ذهبية المخصصة لبناء الجامعة، فقبل طلبه وأعطي ألف ليرة ذهبية مقدّما، بعدها رجع إلى وان وهناك على شواطئ بحيرة وان وضع حجر أساس مدرسة الزهراء.

فما هي مرتكزات مشروعه الاصلاحي في ميدان التربية والتعليم والأخلاق وما هو مآل مدرسة الزهراء ؟

١ - التعريف بشخصية بديع الزمان وعصره:

نسبه: نستطيع أن نسجل من مجموع المصادر، ونقلا عن لسان النورسي أنّ أصل عائلته كأجداده من ولاية «إسبارطة» وهي ولاية تقع في غربي تركيا وأنّ نسبه ينتهي إلى أهل البيت، فمن جهة الأب إلى سيدنا الحسن رضي اللّٰه عنه ومن جهة الأب إلى سيدنا الحسين رضي اللّٰه عنه (أورخان م. ١٩٩٩، ص ٨)

أسرته : هو من أسرة كردية متوسطةالحال تشتغل بالزراعة وعلى قدر كبير من التدين، كان والده «ميرزا ابن علي»، لقب بالصوفي لورعه و تقواه، اشتغل إماما في قرية خيزان من قرى الولاية)بتليس(شرق الأناضول، كاف يضرب به المثل فلم يذق حراما ولم يطعم أولاده من غير الحلال، حتى أنّه إذا ما عاد بمواشيه من المرعى شدّ أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين، وقد توفي في العشرينات ودفن في مقبرة قرية «نورس». والدته نورية بنت ملا طاهر من قرية «بلكان»، هي بالقرب من قرية «نورس» وهي من عشيرة حكيف، والعشيرتان من قبائل الأكراد الهكارية، عرفت أيضا بالتقوى والصلاح، فلم تكن ترضع أطفالها إلا وهي على طهر ما استطاعت إليه سبيلا، وعندما سئلت:ما طريقة تربية أولادك حتى حازوا هذا الذكاء النادر؟ أجابت: لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي إلا الأيام المعذورة شرعا، ولم أرضع أولادي إلا على طهر ووضوء. (الصالحي، ق. ٢٠١٥، ص ١٤)

سيرته : لقد كتب في سيرته عديد الكتاب منهم: سمير رجب (الداعية

الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي) ومصطفى ربحي العاشور (بديع الزمان النورسي نظرة عامّة في حياته وآثاره) ومحمد حرب (سيرة إمام مجدّد بديع الزمان النورسي) ومحمد سعيد رمضان البوطي (النورسي حياته وبعض آثاره) ونجم الدين شاهين (جوانب غير معروفة عن حياة سعيد النورسي) و(ذكريات عن سعيد النورسي) التي ترجمها إلى العربيّة أسيد إحسان قاسم، وكتب محسن عبد الحميد (النورسي متكلّم العصر الحديث) وعبد اللّٰه محمود الطنطاوي (منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي) وجمال الأحمر (الإمام بديع الزمان النورسي، حياته ودعوته وجهاده) ولعل أوفاها جميعا دراسة إحسان قاسم الصالحي، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي (محمد علي شاهين، م. ٢٠١٤).

بعد مرحلته التعليمية الأولى على يد أخيه الملا عبد اللّٰه، تنقّل في المدن والقرى وبين الأساتذة والمدارس لتلقي العلوم الإسلامية من مصادرها المعتبرة بشغف عظيم، ولقد عُرف بذكاء خارق وحافظة قوية، شهد له بها جميع أساتذته بعد امتحانات صعبة ومتكررة. حفظ كتبا عن ظهر قلب، منها كتاب "جمع الجوامع" في أصول الفقه في أسبوع واحد والقاموس المحيط في اللغة العربية إلى حرف السين.

وفي سنة ١٨٩٢ ذهب «الملا سعيد» إلى «ماردين» حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة ويجيب عن أسئلة الناس، فوشي به إلى الوالي فأصدر أمراً بإخراجه، وسيق إلى «بتليس»، فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم ألح عليه أن يقيم معه، وهناك وجد الفرصة سانحة لمطالعة الكتب العلمية لاسيما علم الكلام والمنطق وكتب التفسير والحديث والفقه والنحو حتى بلغ محفوظه من متون هذه العلوم نحو ثمانين متناً، وفي سنة ١٨٩٤ ذهب إلى مدينة «وان» وانكبّ بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمّي بـ»بديع الزمان» اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع. وذكر بأن أسلافه في مسألة الدعوة إلى الوحدة:

الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ومن العلماء الأعلام علي سواعي والعالم تحسين، وغيرهم ممن دعا إلى الإتحاد الإسلامي وعلى رأسهم السلطان سليم، الذي قال: "إن مغبة الإختلاف والتفرقة يقلقاني حتى في قبري، فسلاحنا في دفع صولة الأعداء إنما هو الإتحاد ما لم تتحد الأمة فإني أتحرق أسى." (النورسي، سيرة ذاتية. ص ٥٢)

عرف عصر الأستاذ النورسي، رحمه الله، اضطرابا سياسيا وتفككا عاما نخر في جسم الدولة العثمانية لأسباب داخلية وأخرى خارجية متنوعة. كانت أوربا الإستعمارية قد خططت لابتلاعها وأسمتها "الرجل المريض". ولقد بذل السلطان عبد الحميد الثاني وسعه في سبيل المحافظة على الوضع الراهن والتفكير الجدي في إيقاظ الأمة وإنقاذ الدولة، لكن محاولاته كانت أضعف من أن تلقى صدىً أمام الظروف السياسية والحضارية وأمام الكيد الخارجي الذي استعمل ضعاف النفوس والخونة وسيلة لتسريع عملية السقوط، وقد تمثلت في جمعية الاتحاد والترقي (سليمان، أ. ١٩٧١. ص ص ٣٠-٣١).

حاولت جمعية الإتحاد والترقي ضم سعيد النورسي إلى صفها لكن هذا الأخير فوّت عليهم الفرصة ووصفهم بأنهم المعتدون على الدين المولون ظهورهم إلى الشريعة، فهاجمهم الأستاذ في كتاباته وكشف عن مخططاتهم.

وفي سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٧م) ذهب إلى مدينة «وان» وانكبّ فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ، حتى تعمَّق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمّي بـ «بديع الزمان»؛ اعترافًا من أهل العلم بذكائه الحاد.. وعلمه الغزير.. واطلاعه الواسع. (أورخان م. ١٩٩٩، ص ٢٥-٢٦).

فشدّ الرحال إلى استانبول عام ١٩٠٧ وقدّم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني؛ لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم: «مدرسة الزهراء» - على غرار الأزهر الشريف - تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية، في ضوء مقولته المشهورة: «ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الكونية الحديثة

وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك».(الصالحي، ق. ٢٠١٥، ص ١٩).

وكانت شهرته العلمية قد سبقته إلى هناك فتجمع حوله الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة نادرة، فاعترف له الجميع بالإمامة وبأنهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أحداً، حتى أن أحدهم عبّر عن إعجابه الشديد بعد أن اختبره اختباراً دقيقاً، قال: «إن علمه ليس كسبياً وإنما هو هبة إلهية وعلمٌ لدنيّ».

وفي سنة ١٩١١ ذهب إلى بلاد الشام وألقى خطبة بليغة من على منبر الجامع الأموي دعا فيها المسلمين إلى اليقظة والنهوض وبيّن فيها أمراض الأمة الإسلامية وسبُل علاجها ثم رجع إلى إستانبول وعرض مشروعه بخصوص الجامعة الإسلامية على السلطان «رشاد» فوعده السلطان خيراً، وفعلاً خُصّص المبلغ وشرع بوضع الحجر الأساس للجامعة على ضفاف بحيرة «وان» غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون إكمال المشروع (النورسي، سيرة ذاتية. ص ٥٠٧)

وعلى الرغم من معارضة «سعيد النورسي» لدخول الدولة العثمانية الحرب، فإنه حالما أُعلنتْ اشترك هو وطلابه في الحرب ضد روسيا القيصرية المهاجمة من جهة القفقاس، وعندما دخل الجيش الروسي مدينة «بتليس» كان بديع الزمان يدافع مع طلابه عن المدينة دفاعاً مستميتا حتى جرح جرحا بليغا وأسر من قبل الروس. وسيق إلى معتقلات الأسرى في سيبريا، وفي الأسر أستمر على إلقاء دروسه الإيمانية على الضباط الذين كانوا معه والبالغ عددهم «٩٠» ضابطاً ثم هرب من الأسر بأعجوبة نادرة وبعناية ربانية واضحة، ومرّ في طريقه بوارشو فألمانيا وفينا.. وعندما وصل إلى استانبول مُنح وسام الحرب واستقبل استقبالاً رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية، وكلّفته الدولة بتسنّم بعض الوظائف، رفض جميعها إلا ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في «دار الحكمة الإسلامية» التي كانت لا توجّه إلا لكبّار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيم «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» الذي ألفّه في

خِضَمّ المعارك، و»المثنوي العربي النوري»

وبعد دخول الغزاة إلى استانبول أحسّ النورسي أن طعنة كبيرة وجّهت إلى العالم الإسلامي، ولذلك شمّر عن ساعد الجد، فبدأ بتأليف كتابه «الخطوات الست» هاجم فيه الغزاة بشدة وأزال دواعي اليأس الذي خيّم على كثير من الناس، ولشهرته الواسعة وجهاده المتواصل دُعي إلى أنقرة عدة مرات، فتوجّه إليها سنة ١٩٢٢، حيث استقبل في محطة القطار بحفاوة من قبل أركان الدولة. ولكن سرعان ما خاب ظنه بمن دعوه، إذ وجد أن معظمهم لا يؤدون الفرائض الدينية، فتوجّه إلى المجلس النيابي «مجلس المبعوثان» وألقى خطاباً مؤثراً استهلّه بـ: أيها المبعوثون إنكم لمبعثون ليوم عظيم. وهناك عرض أيضاً مشروع إنشاء الجامعة الإسلامية فلقي القبول، إلاّ ان ظروفاً سياسية حالت دون إكمال المشروع. نتيجة موجة الشك والإلحاد التي تسربت إلى المسؤولين المفتونينن بالمذاهب الغربية.

في هذه الأثناء ألف رسالة الطبيعة ووصف بوضوح الأحوال التي دفعته إلى مجابهة أرباب الاتجاه الإلحادي والمسلك الذي اتبعه لتحقيق هدفه، يقول النورسي: «فجئت - ضمن هذه الرسالة - ببرهان قوي حاد قاطع، يقطع رأس تلك الزندقة ويدحرج أشلاءها، وقد صنفتها بالعربية، واستقيت وأفكارها من نور هذه الآية الكريمة }قالت رسلهم أفي اللّٰه شك فاطر السماوات والأرض{ (إبراهيم: ١٠) لإثبات بداهة وجود اللّٰه سبحانه ووضوح وحدانيته. «(النورسي، اللمعات، ص ٢٦٦)

بحلول سنة ١٩٢٣ توجّه بديع الزمان إلى مدينة «وان» واعتزل الناس في جبل «أرَك» القريب من المدينة طوال سنتين متعبداً ومتأملاً، ورغم ذلك لم ينجُ من شرارة الفتن والاضطرابات فنفي مع الكثيرين إلى «بوردور» جنوب غربي الأناضول. ثم نفي وحده إلى «بارلا» ووصل إليها في شتاء سنة ١٩٢٦. فظُن أن سيقضى عليه هناك ويخمد ذكره ويطويه النسيان ويجف هذا النبع الفياض.

غدت «بارلا» مصدر إشعاع عظيم لنور القرآن، إذ ألّف الأستاذ النورسي هناك معظم «رسائل النور». وتسربت هذه الرسائل عن طريق الاستنساخ

اليدوي وانتشرت من أقصى تركيا إلى أقصاها، إذ ما كان الأستاذ النورسي يُساق من منفى إلى آخر، ويُزج في السجون والمعتقلات في عديد من ولايات تركيا طوال ربع قرن من الزمن، إلاّ ويقيض اللّٰه من يستنسخ هذه الرسائل وينشر هذا الفيض الإيماني حتى أيقظ هذا الفيض روح الإيمان الراكد وأرسي دعائم علمية ومنطقية في غاية البلاغة بحيث يفهمه العوام ويتزود منه الخواص. (سنة، أ. ٢٠١٣)

٢ - مؤلفاته:

كتب النُّورْسيُّ رسائل علميّةً لمعالجة المشكلات الاجتماعيّة، ألّفها ما بيْن عاميْ ١٩٢٦- ١٩٦٠م باللغتين التركية والعربية، وتزيد على مئة وثلاثين رسالة، فجُمعت في تسعة مجلدات باسم «كليّات رسائل النور» دَوّن فيها منهجه الإصلاحيَّ الذي حمله طلاّبُه، وهي: إشارات الإعجاز في مظان الايجاز، الشعاعات، اللمعات، المكتوبات، الكلمات ثمّ، الملاحق، سيرة ذاتية، صيقل الإسلام، المثنوي العربي النّوري. وقد بيّن النُّورْسيُّ سببَ رواجِ رسائلِه فقال: إنّ سبب الاهتمام الذي نالته رسائل النور نابع من أهمية الزمان نفسه، ومن شدّة الهدم الذي أحدثه هذا العصر في الشريعة المحمدية والشعائر الأحمدية، ومن فتنة آخر الزمان الحالية التي استعاذت منها الأمة الإسلامية منذ القدم، ومن زاوية إنقاذ إيمان المؤمنين من صولة تلك الفتنة.

(النُّورْسي: الملاحق في فقه دعوة النور، ص ٢٢٣)

وقد بيّن النُّورْسيُّ تأثّرَه بالقرآن الكريم، فقال: «إنه مهما يظهر من قوّة التأثير والجمال في أسلوب كتاباتي، فإنها ليست منّي ولا مما مضغه فكري، بل هي من لمعات ضرب الأمثال التي تتلألأ في سماء القرآن الكريم»

(النُّورْسي: المكتوبات، ص ٤٨٧)

ثمّ إنّ رسائل النور كما يصفها الأستاذ النُّورسي: «**تفسيرٌ معنوي للقرآن الكريم**» في هذا العصر، و«لمعةٌ من لمعات إعجازه»؛ ذلك أن تفاسير القرآن نوعان:

فنوعٌ يُعنَى ببيان معاني ألفاظه وآياته، ويقِفُ على أسباب نزوله وحالاته، ويستخرج منه أحكامه وإرشاداته، وهذا النوع هو الشائعُ بين التفاسير؛ أما النوع الآخر فيتوجَّه إلى مقاصد القرآن الكبرى وحقائقه العظمى، من التوحيد والنبوَّة والإيمان والآخرة والحشر والجزاء، مُستجلياً معانيها، كاشفاً عن دقائقها، مُحلِّقاً في آفاقها.

وهذا النوع الآخر من التفسير وإن وُجِد على نحوٍ مُجمَلٍ في تفاسير النوع الأول، إلا أن رسائل النور قد جعلتْ منه ركيزتها وأساسَها، فاجتمع فيها ما تفرَّق في تفاسير شتى، وحَوَتْ من الدقائق واللطائف ما لا يوجد في غيرها من المؤلفات، فقرَّبتْ قارئَها من القرآن متجاوزةً به قيود الزمان والمكان، وعقدَتْ بين القرآن وبين تاليه صلةً وثيقةً من حيث كونه الخطاب الأزليَّ المتوجِّه لكل إنسان، فكانت سبَّاقةً مجدِّدةً تستجلي نور الوحي والنبوَّة لأبناء هذا العصر.

فلا غَرْوَ بعد هذا أن نجدها قد غدتْ طوقَ النجاة لإيمانِ الأجيال في هذا الزمان، تنتشلهم من تِيه الشكّ والحيرة، وتسكب في قلوبهم اليقين والطمأنينة؛ ولا غَرْوَ أن نراهم قد جعلوها وِرْدهم ومَنْهَلَهم، ومحور اهتمامهم ومدارستهم، إذْ وجدوا فيها مَعيناً من المعاني لا ينضُب، وموقظا من سبات الغفلة لا يَفتُر، ومربيا حاذقاً يهذّب الوجدان، ويقوّم السلوك، ومرشداً يصفّي الأرواح ويسمو بها.

ولقد كان من ثمراتِ رسائل النور كذلك أنْ خرَّجتْ ـ وما تزال تخرّج ـ أجيالاً من شبابٍ مؤمن جاد وعى دورَه ومهمّه في هذه الحياة، فصان نفسه عن حياة العبث والرذيلة، ونجا بفكره من مُضلّات الفتن والأهواء، وأخذ بمعالي الأمور وترفّع عن سَفْسافِها، وانصرف إلى القيام بما يعنيه، فإذا به يقدم نموذجاً يحتذى في إصلاح المجتمعات والنهوض بالأوطان. فلا عجَب بعدئذٍ أن تترجم فتُقرأ بشتى اللّغات، وأن تنتشر «مدارس النُّور» بمنهجها الخالص دعوةً وتآخيا وتفانيا لا في أرجاء تركية وحدها، ولا في أصقاع العالم العربي والإسلامي فحسب، بل في أنحاء العالم وأقاصيه. (لمحة عن رسائل النور على الموقع الالكتروني: http://www.rasaelalnour.com)

ترجمة رسائل النور:

وفق الأستاذ «إحسان قاسم الصالحي» لترجمة كليات رسائل النور كاملة إلى اللغة العربية في تسعة مجلدات وطبعت في كل من استانبول والقاهرة. وتولت الأستاذة «شكران واحدة» (مريم ويلد) ترجمة: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات.. من كليات رسائل النور، كما ألّفت مجلداً كاملاً في تاريخ حياة الأستاذ النورسي فضلاً عن ترجمتها عدداً كثيراً من الرسائل الصغيرة، وهكذا أخذت الترجمات طريقها إلى الانتشار، فترجمت مجموعة من الرسائل إلى الألمانية والروسية والفارسية والكردية والمالوية والصينية والبوسنية وكثير من لغات دول آسيا الوسطى وغيرها من اللغات. واستطاعت رسائل النور أن تبني مدرسة إيمانية قرآنية، أنقذت كثير من الناس من التيه والحيرة والجهل والوقوع في براثن الشرك الجلي والخفي، ذلك لأنها نابعة من القرآن الكريم وإدراك لطبيعة العصر وحركته وأفكاره وكتبت بأسلوب مطابق لروحه، يفهمه الخاص والعام. (لمحة عن رسائل النور على الموقع الالكتروني: http:// www.rasaelalnour.com)

٣ - مشروع مدرسة الزهراء (الخلفية التاريخية و الأبعاد):

أجمل الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في كتاب (سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي) الأسباب الموجبة لتأسيس مدرسة الزهراء، ومواقع تأسيسها، وشروطها، وارداتها، وفوائدها وثمراتها، ولمناسبة المقام ندرجها هنا:

قدم النورسي إلى السلطان عبد الحميد العريضة الآتية لضرورة إنشاء مدرسة الزهراء في الولايات الشرقية جاء فيها:

«على الرغم من أن الحكومة على علم بأحوال أهالي كردستان الذين يمثلون عنصراً مهماً في الأمة العثمانية، فاني أرجو السماح لي بتقديم بعض المطاليب الخاصة بالخدمة العلمية السامية. إنّ في هذا العالم، عالم الرقي والحضارة، ينظر بعين الشكر والتقدير إلى أوامر الحكومة بإنشاء مدارس في قصبات كردستان وقراها، أسوة بالاخوة الآخرين وبجنب ما تنجزه من خدمات في مرافق

أخرى. الاّ أن مدى الاستفادة من هذه المدارس ينحصر في الذين يعرفون اللغة التركية، بينما يحرم الأكراد من العلوم والمعارف لعدم معرفتهم باللغة التركية ولعدم معرفة معلميهم باللغة المحلية، لذا لا يجدون أمامهم سوى الانخراط في المدارس الدينية طريقاً للمعرفة، مما يسبب شماتة الغرب لتفشي الجهل وحدوث الاضطرابات وانتشار الشبهات والأوهام فيما بينهم. وهذا ما يدعو أهل الغيرة والحمية إلى التأمل حيث الأكراد قد ظلوا في أماكنهم، بينما استفاد من هم اوطأ منهم من كل جهة منذ القدم من توقفهم هذا.

فهذه النقاط الثلاث تقض مضجع أهل البصيرة، لأنها تمهّد لضربة عنيفة توجّه إلى الأكراد في المستقبل. وعلاج هذا النقص هو قيام الحكومة بفتح ثلاث مدارس نموذجية للتعليم في مواقع مختلفة من كردستان»

إحداها: في بيت الشباب التي هي مركز عشائر الارتوشي.

ثانيتها: وسط موتقان وبلقان وساسون.

ثالثتها: في وان التي تمثل وسط حيدران وسبكان..(فاضل، ح. ٢٠١٢: نقلا عن جريدة الشرق وكردستان، ١٩ تشرين الثاني ١٩٠٨م)

وتدرس في هذه المدارس العلوم الدينية مع العلوم الحديثة الضرورية، وليكن في كل مدرسة خمسون طالباً في الأقل تتكفل الحكومة بمعاشهم.

ومن الأسباب المهمة لحياة كردستان المادية والمعنوية مستقبلاً هو إحياء بعض المدارس. ويتم بإرساء أسس المعارف في هذه المنطقة، فتتقرر وحدة الأمة عليها، وتسلّم قوتها العظيمة - التي تضيع نتيجة الاختلافات الداخلية - إلى الحكومة لتوجيهها لمقاومة الأعداء في الخارج. وبهذا يتيسر لأهل المنطقة السبيل لإظهار جوهر فطرتهم واستعدادهم لتقبل المدنية واستحقاقهم العدل. (فاضل، ح. ٢٠١٢)

الأسباب الموجبة لتأسيس مدرسة الزهراء:

١- تدني العلوم في المدارس الدينية.(النورسي، صيقل الاسلام، ص ٤٥٠)

٢-إصلاح الولايات الشرقية:.(النورسي، صيقل الاسلام، ص ٤٥٠)

٣-المؤامرة الخبيثة على القرآن:

وقد وجدنا وسيلتين في هذه السبيل:

الوسيلة الأولى: رسائل النور التي تقوي وشائج الاخوة الإيمانية بتقوية الإيمان. والدليل على ذلك تأليفها في وقت الظلم والقسوة الشديدة، وتأثيرها البالغ في انحاء العالم الإسلامي وفي اوروبا وامريكا - في الوقت الحاضر - وغلبتها على المخلّين بالنظام والفلسفة الملحدة، وظهورها على المفاهيم الإلحادية السارية كالفلسفة الطبيعية والمادية مع عدم جرحها من قبل اية محكمة او لجنة خبراء. وسيتبنى امثالكم بإذن اللّٰه ممن كشفوا عن مفتاح الأخوة الإسلامية، هذه الرسائل التي تمثل نوراً من أنوار القرآن الكريم وينشرها في العالم الإسلامي كله.

الوسيلة الثانية: قبل خمس وستين سنة أردت الذهاب إلى الجامع الازهر باعتباره مدرسة العالم الإسلامي، لأنهل فيه العلوم. ولكن لم يُكتب لي نصيب فيه، فهداني اللّٰه إلى فكرة وهي:

إنّ الجامع الأزهر مدرسة عامة في قارة أفريقيا، فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غراره، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على أفريقيا. وذلك: لئلا تفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والقفقاس وتركستان وكردستان وذلك لأجل إنماء الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة فتنال شرف الامتثال بالدستور القرآنى: { إنّما المؤمنون إخوة } (الحجرات: ١٠)

وكذلك لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين. وتتصالح الحضارة الأوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة. ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول. لذا بذلت جهدي كله لتأسيس هذه الجامعة في مركز الولايات الشرقية التى هي وسط بين الهند والبلاد العربية وإيران والقفقاس وتركستان، وسميتها مدرسة الزهراء. فهي مدرسة حديثة ومدرسة شرعية في الوقت نفسه. فمثلما بذلت جهدي في سبيل إنشاء هذه الجامعة بذلته في سبيل نشر رسائل النور .(النورسي، الملاحق: ص ٤١٦).

٤- دفعاً للنعرات القومية واقراراً للسلام في المنطقة : (النورسي، الملاحق: ص ص ٤١٧-٤١٩)

فقد بذل النشاط لاصلاح نظام التحصيل الديني في المدارس الدينية القديمة التي يطلق عليها في المصطلح العثماني اسم (المدرسة) ويعكس كتاب النورسي (محاكمات) فكرة الحاجة إلى تجديد جاد في أصول التدريس في العلوم الاسلامية.(حرب، م. ١٩٩٩. ص ٣٧٣)

أقترح أن يكون اسم هذه الجامعة الزهراء لتكون منافسة للجامع الأزهر في مصر تمكن للعلوم الطبيعية والتجريبية أن تسير جنبا إلى جنب مع ا العلوم الدينية والعقيدة الاسلامية. وكان يقصد بذلك:أن يستطيع الذين لا يفهمون جقيقة الايمان إلا بلغة العلوم الطبيعية أن يفهموها ولعل إخفاق النورسي في اقناع السلطان عبد الحميد باقامة هذه الجامعة هو الدافع لأتباع النورسي أن يمضوا بخطوات واسعة في تاليف الكتب التي تربط بين العلم والايمان ونشرها سواء بالكتب المبسّطة للناس أو بالكتب المتخصصة وبالمقالات ذات المستوى العالي لغير البسطاء. وهذا الانطباع بين التوفيق بين العلوم النقلية والعلوم العقلية قد تمكن في نفس النورسي والنورسيين نتيجة لحياته وجياتهم في منطقة شرق الأناضول وهي منطقة كانت وقتها متخلفة. (حرب، م. ١٩٩٩. ص ٣٨٩)

شروطها:

أولها: التسمية باسم المدرسة لأنه مألوف ومأنوس وجذّاب، ومع كونه عنواناً اعتبارياً الاّ أنه يتضمن حقيقة عظيمة ممّا يهيّج الأشواق وينبّه الرغبات.

ثانيها: مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية معَ جعل اللغة العربية واجبة، والكردية جائزة، والتركية لازمة. وذلك لتخليص المحاكمة الذهنية (العقلية) من ظلمات السفسطة الحاصلة من أربعة أنواع من الأقيسة التمثيلية الفاسدة وازالة المغالطة التي تولدها الملكة المتفلسفة على التقليد الطفيلي.

نعم ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة،

فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية.، (النورسي، صيقل الإسلام: ص ٤٢٨)

الشرط الثالث: انتخاب المدرسين فيها، أما من العلماء الأكراد من ذوي الجناحين أي الموثّقين والمعتمدين من قبل الأكراد والأتراك او ممن يعرفون اللغة المحلية ليُستأنس بهم.

الشرط الرابع: الإستشارة باستعداد الأكراد وقابلياتهم، وجعل صباوتهم وبساطتهم نصب العين، وكم من لباس يُستحسن على قامة، يستقبح على أخرى، وتعليم الصبيان قد يكون بالقسر أو بمداعبة ميولهم.

الشرط الخامس: تطبيق قاعدة تقسيم الأعمال بحذافيرها، حتى يتخرج من كل شعبة متخصصون مَهَرة مع أنها مداخل ومخارج بعضها ببعض.(النورسي، صيقل الإسلام: ص ٤٢٨)

الشرط السادس: ايجاد سبيل بعد تخرج المداومين وضمان تقدمهم واستفاضتهم حتى يتساووا مع خريجي المدارس العليا ويتعامل معهم بنفس المعاملة مع المدارس العليا والمعاهد الرسمية، وجعل امتحاناتها كامتحانات تلك المدارس منتجة، دون تركها عقيمة.

الشرط السابع: اتخاذ دار المعلمين - موقتاً - ركيزة لهذه المدرسة ودمجها معها، ليسري الانتظام والاستفاضة من العلم من هذه إلى تلك والفضيلة والتدين من تلك إلى هذه، حتى يكون كل منها ذا جناحين بالتبادل. (النورسي، صيقل الإسلام: ص ٤٢٨)

وارداتها:

الأولى: الأوقاف، لو انتظمت انتظاماً حقيقياً، لأسالَت إلى هذا الحوض عيناً سيالة بتوحيد المدارس.

الثانية: الزكاة، فنحن شافعيون وأحناف، فاذا أبدت - بعد حين - تلك المدرسة الزهراء خدماتها للاسلام والإنسانية، فلا ريب أن يتوجه اليها قسم

من الزكاة وتحصرها لنفسها باستحقاق، وحتى لو كانت لها زكاة الزكاة لكفتها.

الثالثة: النذور والصدقات... فكما ان هذه المدرسة تكوّن وتمثل عند العقول أسمى مدرسة وبنظر القلوب والوجدان أقدس زاوية تكية وذلك بما تنشره من ثمرات وما تعمه من ضياء وما تقدمه للاسلام من خدمات جليلة. أي فكما هي مدرسة دينية فهي مدرسة حديثة، وتكية أيضاً. وحينها يتوجه اليها قسم من النذور والصدقات التي هي من جملة التكافل الاجتماعي في الإسلام.

الرابعة: الإعارة.. بتوسيع واردات دار المعلمين - بعد الدمج لأجل التبادل المذكور- توسيعاً نسبياً، يمكن اعارة تلك الواردات اليها موقتاً، وحينما تستغني - بعد مدة - ستردّ تلك العارية. (النورسي، صيقل الإسلام: ص ٤٢٨)

فوائدها وثمراتها:

الأولى : توحيد المدارس الدينية واصلاحها...

الثانية : إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت، تلك التي أصابت سيف الإسلام المهنّد بالصدأ.

نعم إن شأن الإسلام الصلابة في الدين وهي المتانة والثبات والتمسك بالحق، وليس التعصب الناشئ عن الجهل وعدم المحاكمة العقلية، وفي نظري ان أخطر انواع التعصب هو ذلك الذي يحمله قسم من مقلدي اوروبا وملحديها، حين يصرّون بعناد على شبهاتهم السطحية، وليس هذا من شأن العلماء المتمسكين بالبرهان.

الثالثة : فتح باب لنشر محاسن المشروطية.

نعم، ليس هناك في العشائر من فكرٍ يجرح المشروطية، ولكن ان لم تستحسن في نظرهم فلا يستفاد منها. وهذا أشد ضرراً، فلاشك أن المريض لا يستعمل دواءً يظنه مشوباً بالسم.

الرابعة: فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية، بفتح نبع صافٍ لتلك العلوم بحيث لا ينفر منها أهل المدارس الدينية، ولقد قلت مراراً بأن فهماً خطأً وتوهماً مشؤوماً قد أقاما - لحد الآن - سدّين أمام

جريان العلوم.(النورسي، صيقل الإسلام: ص ٤٣٠)

الخامسة: اكرر ما قلته مراراً - بل مئة مرة - ان هذه المدرسة تصالح بين أهل المدرسة الدينية والمدرسة الحديثة وأهل الزوايا التكايا وتجعلهم يتحدون - في الأقل- في المقصد، وذلك بما تحدث فيما بينهم من الميل وتبادل الأفكار.

نعم، نشاهد بأسى وأسف أن تباين أفكارهم كما فرّق الإتحاد فيما بينهم فان تخالف مشاربهم قد أوقف التقدم والرقي أيضاً وذلك لأن كلاً منهم بحكم المتعصب لمسلكه ونظره السطحي لمسلك الآخر، انساق إلى الافراط والتفريط، ففرّط هذا بتضليل ذاك، وأفرط ذاك بتجهيل هذا.

الخلاصة: ان الإسلام لو تجسّم لكان قصراً مشيداً نورانياً ينور الأرض ويبهجها فأحد منازله مدرسة حديثة، واحدى حجراته مدرسة دينية، واحدى زواياه تكية، ورواقه مجمع الكل، ومجلس الشورى، يكمل البعض نقص الآخر.. وكما أن المرآة تمثل صورة الشمس وتعكسها فهذه المدرسة الزهراء ستعكس وتمثل وتمثل أيضاً صورة ذلك القصر الإلهي الفخم في البلدان الخارجية. (النورسي، صيقل الإسلام: ص ٤٣٠)

٤- مرتكزات مشروع إصلاح منظومة التّعليم عند بديع الزّمان النّورسي:

أحسّ بديع الزمان النورسي بأنّ الكتب الاسلامية القديمة لم تعد كافية للدعوة الاسلامية وفهم بأنه لا يكفي العمل على إزالة الشبهات التي راجت ضد الاسلام في العصر الحديث، تحصيل العلم على المنهج القديم والكتب القديمة لذلك إهتم النورسي بتعلم العلوم الأخرى مثل الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والفلك والجيولوجيا. كما بذل النشاط لاصلاح نظام التحصيل الديني في المدارس الدينية القديمة التي يطلق عليها في المصطلح العثماني اسم (المدرسة) ويعكس كتاب النورسي (محاكمات) فكرة الحاجة إلى تجديد جاد في أصول التدريس في العلوم الاسلامية. «إن الوسيلة الوحيدة لآصلاح هذا إنما يكمن في وضع العلوم الدينية في المدارس المدنية وتدريس العلوم العلمية بدلا من الفلسفة اليونانية القديمة في المدارس الدينية ووضع

علماء متبحرين في التكايا من أجل تثقيف وتنوير طبقة الدراويش المتصوفة».

يقول سعيد شامل في حديث له مدرج في كتاب «المثقفون يتحدثون عن سعيد النورسي: «لو جاء بديع الزمان قبل قرن لتغيّر مستقبل العثمانيين.» (حرب، م. ١٩٩٩. ص ٣٧٣)

دعا النورسي إلى التجديد لكنه لم يكن تجديدا ثوريا بل كان يدعو إلى تجديد لا ينبغي أن يتجاوز الفكر إلى النضال الحركي. كان يدعو إلى تجديد لا يرى فيه حرجا أن يهادن الغرب حتى يتمكن الدعاة من إقرار الاسلام في النفوس وكان يدعو إلى تجديد لا مشاكسة فيه للحاكم حتى يتمكن الفكر من السريان في المجتمع.

كانت دعوته إلى التجديد أن يتجاوز الاهتمام بالعلوم الدينية إلى بذل الاهتمام نفسه أيضا إلى شؤون الدنيا في علومها وفي فنونها وذلك بالنظر في مستحدثات العصر ووضعها في أطرها التعليمية والتربوية ومن ثم تعميمها في المجتمع كان بديع الزمان النورسي يدعو إلى تجديد يرفض في تحقيقه استخدام العنف مع الحكم حتى يساعد بذلك الكلمة المسلمة الدعوية في الوصول إلى المسلمين وإلى غير المسلمين. (حرب، م. ١٩٩٩. ص ٣٨٦)

إنّ الاختراعات العلمية الحديثة إنما تؤيد الدين الإسلامي. ولكنه لم يرد العلوم الحديثة على حساب الإسلام، فهو يقول إن «ضياء القلب هو العلوم الدينية ونور العقل هو الفنون المدنية، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذلك». (النورسي، المثنوي العربي النوري: ص ١٤).

فأخذ النورسي موقفاً وسطاً، مثل موقف جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد إقبال، وحسن البنا وغيرهم الذين نادوا بالمزج بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية بناء على تعليم الرسول «خذ ما صفا، ودع ما كدر»، ولأن «الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها». (ييلديرم، س. ١٩٩٧)

يرى النورسي ضرورة التعليم الفردي، كما يرى ضرورة تلازم العلم والإيمان معاً: قال النورسي: «إن الإنسان قد جاء إلى هذه الدنيا لكي يرتقي ويكتمل

عن طريق شيئين: العلم والدعاء». وهو بذلك يؤكد أن في التعليم الفردي مزجا بين عمليتين: «التعليم والإيمان». يدرك طالب النور بعملية التعليم الفردي واجباته تجاه اللّٰه، وتجاه الحياة التي يحياها (بيلديرم، س. ١٩٩٧ (.

كما كان النورسي ممن أكّد على تحديث أسلوب الدعوة والإرشاد، وركز على القضايا الراهنة التي تهدد كيان الإسلام. دعا المسلمين إلى التعمق في العلوم، والخوض في البحث والتحقيق «فعلى الوعّاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محقّقين، كي يتمكّنوا من الإثبات والإقناع، وأن يكونوا أيضاً حكماء مدقّقين، كي لا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين، كي يوافق كلامهم حاجات العصر، وعليهم أن يزنوا الأمور بموازين الشريعة». (الطنطاوي، ع. ١٩٩٧)

إنّ تجديد النورسي يدعو إلى تخليص المسلمين من البدع والعادات ويوجههم إلى الأخذ بفهم ووعي بتوطيد العقيدة في النفوس أيضا دون تقييد بمآثر أحد بعينه من المجتهدين الماضين أو انحصار في طريقة ومنهج دون غيره ودون رفض لكل مآثر الماضين ومناهجهم. (حرب، م. ١٩٩٩. ص ٣٨٦)

وبناءً على ذلك كانت توجيهات الإمام النورسي للأئمة والمرشدين والمربيين أن ينأوا بأنفسهم وبمريديهم وطلابهم عن تناول الخرافات والأساطير، وأن يعتمدوا الحقائق وحدها في بناء الشخصية المسلمة وتكوينها، وأن تستند أقوالهم إلى الحجة القاطعة والدليل الساطع، وأن ينأوا عن المبالغة والتهويل، وأن يعيشوا عصرهم وأن تكون الشريعة هي المعيار الثابت لقياس كل الحقائق وكل الأشياء، ولهذا كان للرجل دوره العظيم في إزالة المعوقات وتوجيه المعلمين من خلال مواقفه ولقاءاته بهم ورسائله إليهم (أبو محمد، إ ر، ٢٠٠٢، ص ص ٢٢-٢٦)

مواجهة الأعداء الثلاثة:الجهل والفقر والاختلاف: إنّ جميع المفاسد الاجتماعية تنبع من هذه الأعداء الثلاثة وبالتالي من الجهل: حيث يقول النورسي: «ثم إن أعداءنا ليسوا هم – أي الأجانب- بل إن عدونا هو الجهل وما تولد منه من منع إعلاء كلمة اللّٰه وما نتج عنه من مخالفة الشريعة. ثم البؤس وثمرته سوء الأخلاق وسوء التصرفات، والخلاف وما يتولّد عنه من الحقد

والنفاق. وغاية اتحادنا هي الهجوم على هذه الأعداء الخالين من الإنصاف». كما أنه يرى الجهل أساس كل سوء، يرى أن الخلاص يكون بالعلم، يستشف هذا المعنى من قوله: «كنت أرى الأحوال البائسة للعشائر في الولايات الشرقية، فأدركت أن جزءاً من سعادتنا الدنيوية سيتحقق بالعلوم الجديدة للمدنية». ويُعَدُ النورسي من علماء زمانه القلائل الذين أعطوا أهمية كبيرة للعلم، إذ من الصعب أن نجد رجل علم في أوائل هذا العصر يملك كل هذه البصيرة النافذة عن مستقبل العلم. يشهد له قوله: «إن البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة» (. (النورسي، الكلمات، ص ٢٩٢)

إصلاح المدارس الدينية ونشرها: فهذه المدارس لم تكن تستطيع تنشئة رجال يستطيعون مجابهة احتياجات العصر وذلك لوجود ثلاثة نواقص فيها هي: النظام، والرقي، والتخرج. ويقصد بالنواقص المتعلّقة بالنظام: أي الخلل المهم في بنيتها الداخلية. فالمدارس الدينية كانت تُخرّج نمطاً واحداً من الإنسان، إذ لم تكن تملك شُعَباً متخصصة، بينما يتمنى الأستاذ أن تكون لهذه المدارس شُعَباً متخصصة مثلها في ذلك مثل دار الفنون «الجامعة»، أي تتفرّع إلى شُعَب مترابطة فيما بينها، وفي ذلك يقول الأستاذ: «يجب أن يطبق هنا تقسيم الأعمال بتمامه» وأيضا تنظيم هذه المدارس من جديد بحيث يوضع لها أولا قسم فيه دروس أساسية، ثم ينقسم إلى أقسام متخصصة أي تكون جامعة لها كلياتها المختلفة. ويقصد بالرقي، الرقي العلمي، وهو يرى أن لهذا النقص أسبابا عديدة، منها: حلت دروس الآلة محل الدروس الأصلية. ويقصد بدروس الآلة اللغة وما يتعلق بها من علوم. فالطلاب لم يكونوا يستطيعون تجاوز هذه العلوم ويقضون أعمارهم في فك رموز العبارات. كما أن البرامج الرسمية لهذه المدارس الدينية كانت حافلة بالكتب التي تتناول المسائل نفسها ولم يكن بمقدور الطلاب أن يتجاوزوا هذه الكتب التي كانت تستغرق أعمارهم. فالمتون الأصلية وشروح هذه المتون وهوامش هذه الشروح، وأحياناً

هوامش الهوامش... الخ. كانت سجناً لأفكار الطلاب وهدراً لأوقاتهم، وما كانت تسمح لهم بالخروج عن قبضتها. كما أن عدم وجود الاختصاصات لم يكن أمام الطلاب أية فرصة للإبداع حسب ميولهم الفطرية، وحسب تعبيره فإن الميل عند الجميع كان نحو البروز وحب السيطرة والنزوع إلى التحكم، ولم يكن هناك من يهتم بتطوير نفسه علميًّا، لذا «فقد سارت هذه المدارس الدينية نحو الاندثار»، وعامل آخر كان يعرقل الرقي العلمي وهو عدم وجود العلوم الوضعية في هذه المدارس الدينية. ويقترح بديع الزمان إدخال هذه العلوم -أو العلوم المدنية بتعبيره -إلى هذه المدارس الدينية وإدخال الدروس الدينية إلى المدارس الاعتيادية. فعدم وجود العلوم الوضعية في المدارس الدينية يقود طلاب هذه المدارس إلى التعصب وعدم وجود الدروس الدينية في المدارس الاعتيادية يقود الطلاب إلى الشك وإلى الاحتيال.

أمّا مسألة التخرج فإنها تتعلق بساحة عمل خريجي هذه المدارس الدينية. لقد أدت النواقص الموجودة في المدارس الدينية إلى عدم توجه الطلاب الأذكياء وأصحاب الكفاءات إلى هذه المدارس «فالأذكياء ذهبوا إلى المدارس الاعتيادية، والأغنياء استنكفوا من طراز عيش المدارس الدينية (النورسي، المناظرات، ص ١٢٧).

قال بديع الزمان منبهاً إلى الآثار السلبية المترتّبة عن إهمال موضوع التخرج في هذه المدارس الدينية، فذكر عند تعديده للشروط التي يجب توفرها في «مدرسة الزهراء» التي كانت المثل الأعلى للمدارس الدينية عنده- والتي بذل جهوده لتأسيسها طوال ٥٥ عاماً، بأن الملتحقين بها يجب أن يعاملوا على قدم المساواة مع طلاب الدراسات العليا الملتحقين بالمؤسسات التعليمية الأخرى، ويجب أن تُعد امتحاناتهم على نفس الدرجة من الاعتبار والأهمية لامتحانات المؤسسات التعليمية الأخرى وإلا كانت امتحاناتها عقيمة» (النورسي، المناظرات، ص ١٢٧)

وهكذا ناضل بديع الزمان من أجل إصلاح المدارس الدينية وزيادة عددها، وشجع في الوقت نفسه على تعليم الصغار. وعندما سُنَّ قانون توحيد

التدريس بعد إعلان الجمهورية ومَنْعِ الدروس الدينية تماماً في المدارس، انتشر في طول البلاد وعرضها شعار لا نعرف مصدره مفاده: «إنّ هذه المدارس مدارس كفار لا ترسلوا أبناءكم إليها وعندما بدأ مفعول هذا الشعار في بعض العهود يسري لدى الأوساط الدينية، كان بديع الزمان يقول: إن جميع العلوم الوضعية تتحدث بألسنتها الخاصة بها عن اللّٰه. لا تستمعوا أنتم إلى المعلمين بل استمعوا إليها، أي أنه بدلاً من التوصية بمنع إرسال الصغار إلى المدارس كان على العكس من ذلك يشجع على إرسالهم إليها.» (جانان، إ. ٢٠١٠.)

٥ ـ أهم الأبعاد التربوية في منهج الاصلاح لبديع الزّمان النّورسي:

ماهو مفهوم التربية في رسائل النور ؟ ماهو منطلقها ؟ ما أهم خصائصها ؟

الانسان عند النورسي ليس هيكلا ماديا مجردا أو عقلا منطقيا باردا إنه كائن حساس فريد ومتميز واسع الدوائر الوجودية ذو خصائص عقلية وروحية ووجدانية وأخلاقية شاملة خليفة الأرض مبتلى بتوتر عميق بين محدودية امكاناته و لا نهائية آماله في الكمال والخلود. (النورسي، الشعاعات ص ١٨)

فكان من سمات منهجة التربوي: شمولية التناول والمنهجية والأصالة التي عجز ادعياؤها الوضعيون من التوفيق بينها وبين المعاصرة لقيام مناهجهم على اقتناء أهوائي، أو اجتهاد غير قائم على منهج متسق وموحد وضمن ضوابط اصولية خالصة وفهم عميق لروح الأمة وفطرة الانسان والواقعية التي تنظر إلى الانسان كما هو ولكنها تدفعه إلى المثال بيسر وحكمة وتبصر. (عبيد، م. ١٩٩٣. ص ٨٤ و أبو محمد، إ. ٢٠٠٢. ص ص ١٢-١٣).

البعد الايماني: فقد أدرك النورسي أن الانسان كائن ميتافيزيقي و لايشبع حاجاته العقلية والروحية والعاطفية إلا التوحيد. فأية نظرية مادية أو عقلية لأو علمانية لم و لا ولن تقدر على أشباع هذه الحاجة العميقة. لقد ردم النوريسي الأغوار الروحية العميقة لانسان زمانه بعرض فكرة القرآن عن مبدأ الانسان ومصيره وغاية وجوده وقدره وعن أسرار الكون والحياة.

في المجال العقلي: عمل على تجريد الفكر من المعلومات الغيرحيوية والغير

عملية وغير الحقيقية ومن أفضل ما وضعه من شروط للتوصل إلى الحقيقة: الشروط الوجدانية والعقلية والروحية كتجنب الغفلة والمعصية والغرور والتعصب والوهم والنفي اللامسؤول والافتلاض والتنظير غير العلمي كما دعا إلى تنقية كتب التراث من التفسيرات والآراء التي دحضها العلم بيقينياته.

في مجال التربية الأخلاقية: سعى إلى بناء مجتمع يقوم على الحق بدلا من القوة وعلى ابتغاء رضا اللّٰه بدلا من التزاحم على طلب المنافع ويقوم ببناءه على البر والتقوى لا على الصراع والجدل وتشد لبناته الأخوة الدينية الجامعة و لا تشتته العنصريات وتهذب رغبات الانسان فيه و لا تطلقها بعشوائية وفوضوية. (عبيد، م. ١٩٩٣. ص ص ٨٤ - ٨٥)

لما سئلت عائشة عن خلق الرسول الكريم ﷺ قالت: كان خلقه القرآن. انطلاقا من ذلك فإنهإذا لم ترسم لهذه النفس الانسانية فضائلها المميزة فإن الانسان يستوي عند الغضب بالنمر الجائع وعند الزهد بالسبع المريض، وما أجدرنا أن نتمسك بالفضائل التي نادى بها الاسلام ونتخلق بأخلاق القرآن الكريم. (عفيفي و السايح، ٢٠٠٥. ص ١٧٠).

وحينما عالج الامام النورسي الأخلاق في كليات رسائل النور انطلق من الارتباط القائم بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية ولذلك يقول: «وظيفة الانسان الحقة هي العبودية واجتناب الكبائر

ويقول أيضا: «المسلم التقي هو الذي يجاهد نفسه والشيطان خشية الوقوع في الخطأ والذنوب» (النورسي، الكلمات، ص ص ١٨-٢٠)

أمّا عن الأثر الإيجابيّ لرسائل النُّور وطلاّبها في تقديم الخدمات والمحافظة على الأمن

فقد أدّبَ النُّورْسيُّ تلاميذَه بالأخلاق القويمة، وقد ظهرَتْ أخلاقُهم بحفظهم الأمن داخل السجون، ومعالجتهم المشكلات التي صادفتهم بمنهجه التربويّ الأخلاقي، وممّا قاله بهذا فليشاهد مسؤولوا السجن ومَن يتولون أمره، أنّ من ظنّوهم مجرمين قتلة، »: الخصوص وحسبوهم سفهاء مُخلّين بالنظام،

قد أصبحوا طلاب مدرسة تربوية مباركة يتعلمون فيها الأدب الجميل والخلق القويم، وغدوا أعضاء نافعين للبلاد والعباد». (النُّورْسي: الشعاعات، ص٢٤٦)

وهذا يدلّ على أهميّة رسائله وطلابه في حفظ النظام في المجتمع، فقد حوّلوا السجنَ الذي هو أكثر المؤسسات خطرا إلى مدرسة تربوية، وعلّموا نزلاءَه الأدب الجميل، فافتخر النُّورْسيُّ بهم، وطالب المسؤولين بإسنادِهم ليتمكنوا من أداء واجبهم الدّعويّ، وخدمة مجتمعهم، فقال:

إنّ الخدمات الإيمانية التي قدمها طلابُ النور، أركانُ مدرسة الزهراء، لهذه الأمّة والوطن والعالَم الإسلاميين ووضْعهم الحدّ أمام مكايد الملحدين المخرّبين، هي حسنات عظيمة تُذهب ألوف سيئاتهم - لو كانت لهم سيئات بفرض محال - لذا يجب عدم انتقاد أعمال أولئك الأركان وحركاتهم - وفي مقدمتهم خسرو- بل يلزم إسنادهم بإخلاص تامّ، وتوثيق رابطة الأخوة معهم بوفاء خالص. (النُّورْسي: الملاحق، ص ٣٣)

التربيـة العاطفيـة: أدرك النورسي أن العواطف لا تغتال و لا تقتل ولا تصادر بل تحدد لها الضفاف وتوجه للبناء وتؤطر باطار من الحق والخير والعدل «نحن لا نقول لك لا تحمل ودا ولا حبا إنما تقول اجعل محبتك لما ذكرته في سبيل اللّٰه ولوجهه الكريم: واشار إلى مكاسب التوجه إلى اللّٰه في الحركة العاطفية والايمانية والأخلاقية والنفسية والمادية.(الكوسوفي، إ. ٢٠٠٤. ص ص ٩٩- ١٠٠).

التربية الجمالية حث النورسي الفرد المسلم على النضباط بالضوابط الشرعية في التمتع بالجمال لتتكامل لذاته وتنفتح أمامه آفاق ملونة رحبة للحسن ولتأمن لذته من ألم التكدير وألم خوف الزوال

التربيــة البدنيــة: أكد على نقاط مهمة منها ضرورة تحديد كمية الطعام المتناول والنهي على الاسراف والربط بين السلوك الأخلاقي المنحرف والأمراض العضوية والتركيز على أهمية العلاج المادي للأمراض والارشاد إلى العبادة وبيان أهميتها لسلامة الجسد والاشارة إلى أهمية الطب الروحي والنفسي في الشفاء من الأمراض والاسهاب الرائع في بيان حكم الأمراض

المتنوعة (عبيد، م. ١٩٩٣. ص ص ٨٨ - ١٠٠).

التربية الإرادية: إن ما كان يرشد إليه من الأشكال الشعائرية والصيغ الروحية: الاستعاذة من الشيطان والاستغفار واهمال الوساوس وعدم بعثرة قوى الصبر في جوانب غير أساسية وخيالية دورا في ادامة نشاط الارادة الحرة أما تحذيراته من اليأس والقنوط والطمع وحب الظهور والخوف والحزن والاستعجال والاستبداد بالرأي والتقليد والتسويف والراحة والاسراف والرياء والعجب والأنانية فكانت تصوغ من الارادة خلقا آخر يتحدى الوهن والتآكل والتفتت.(عبيد، م. ١٩٩٣. ص ٩٢ و الكوسوفي، إ. ٢٠٠٤. ص ص ٩٩- ١٠٠ و ورغي، ش، ٢٠٠٨.)

فكان ينبّه أهل جميع المسالك الفكرية والعقدية إلى ضرورة اتّباع الصحابة: فقد أكّدَ النُّورْسيُّ على فضل أصحاب النبيّ وأثنى عليهم حيثما مرّ ذِكْرهم، ومن ذلك قوله: «الصحابةُ الكرام - رضي اللّٰه عنهم أجمعين – كانوا أكثر الناس تفكّرا بالآخرة، وأرسخهم يقيناً بفناء الدنيا، وأوسعهم فقهاً بحكمة إخفاء اللّٰه سبحانه لوقت القيامة؛ وذلك بفضل الصحبة النبويّة وفيضها عليهم... إنّ إجماع أهل السنّة لهو حجّة قاطعةٌ بأنّ الصحابة الكرام هم أفضل البشَر بعد الأنبياء عليهم السلام (النُّورْسي: الكلمات، ص ٣٩١)

فالنُّورْسيُّ ينبّه أهلَ جميع التيارات الفكرية والعقدية إلى ضرورة اتّباع الصحابة؛ لقرْبهم من عصر الرسالة النبويّة، ولاشتمال مسالكهم على الحقائق الكافية لإنقاذ الإيمان، والتي تمدّ المسلمين بالقدرة على مواجهة التحديات، وبهذه الروح العالية الواثقة من انتصار الإسلام انطلق لمواجهة التحدّيات والأوهام المتراكمة منذ مئات السنين، وفي ذلك يقول: «أعلن بلا حرج ولا تردّد إنّ الذي دفعني وشجعني إلى مبارزة أفكار العصور الخوالي، والتصدي للخيالات والأوهام التي تَقوّت واحتشدت منذ مئات السنين، إنما هو اعتقادي ويقيني بأنّ الحق سينمو نمو البذرة النابتة، وإنْ تَستّرت تحت التراب وأنّ أهله سينتصرون وإنْ كانوا قلة وضعفاء بظلم الأحوال، واعتقادي أنّ حقيقة الإسلام هي التي ستسود قارات العالم وتستولي عليها.» (النورسي، صيقل الإسلام، ص ص ٣٣-٣٤)

فكان تأليفُ النُّورْسيِّ لرسائل النور منطلِقاً منْ يقينه بأنّ اللّٰه تعالى سيُظهِر هذا الدين وينصره. (ملكاوي، م وصالح، ن. ٢٠١٣. ص ٢٧٦)

من وسائل التربية ومفاتيحها النورسية:

ابراز خصوصية التربية النسوية فقد اعتبر النساء مخلوقات طيبة مباركة ونعى على التربية الغربية أو المتغربة التي لم تر في المرآة سوى هيكلها المادي وجمالها الحسي متجاهلة الاهتمام بتجميل روحها وهندسة خلقها وترقية شعورها وتأصيل ابداعها الفكري والأدبي والعلمي والفني وحذر من الجهات الخفية التي تخطط لدفع المرأة إلى مساقط الرذيلة كما أكد على تربية الطفل تربية اسلامية صحيحة. (عبيد، م. ١٩٩٣. ص ٩٢ و (ملكاوي، م وصالح، ن. ٢٠١٣. ص ص ١٥٥-٢٠٠)

٦- مميّزات مشروعه:

لم يكن النورسي يملك الموهبة الأسلوبية الأدبية في اللغة العثمانية أو التركية الحديثة لكنه لم يكن يملك الايمان والعمق في الكتابة: كان في البداية كاتبا باللغة الكردية لغة قومة ثم بعد ذلك كتب باللغة العثمانية وألف بها رسائله وجرّب أيضا الكتابة باللغة العربية جريا على عادة المسلمين فوفّق. لم يكن بديع الزمام أديبا ولم يكن يملك من أدوات الكتابة الأدبية شيئا ومع ذلك فقد كان رائدا بأفكاره لتيارات الأدب الاسلامي المكتوب باللغة التركية ورغم عدم امتلاكه لناصية الأدب فقد ذاعت كتاباته وحفظها أتباعه ويكاد يكون النورسي الداعية الوحيد بين كل الحركات الاسلامية المعاصرة الذي يحفظ أتباعه (خاصة كوادر طلابه) كل مؤلفاته ويتخذومها دائما الحجة فيما يقولون ويترسمونها فيما يفعلون.

ورسائل النور هي التي أنتجت الآن تيارا اسلاميا قويا في تركيا يئثر في مجريات الحركة الاسلامية ويؤثر في السياسة والاجتماع وطريقة الدعوة إلى الفكر الاسلامي وهي رسائل أنتجت الآن ما يقرب (وفق ما يذكر أتباعه) من

خمسة ملايين تابعا أو ما يسمونه بالتركية (نورجو) أي تابع بديع الزمان النورسي أو تابع النورسي أو من طلاب رسائل النور. (ملكاوي، م وصالح، ن. ٢٠١٣. ص ص ٣٨٧ - ٣٨٨)

ترجم فكر النورسي إلى لغات كثيرة إسلامية وغربية فقد ترجم إلى اللغة العربية واللغة الأوردية واللغة البنغالية وإلى الغة الأنجليزية واللغة الألمانية ولعل هناك لغات أخرى ترجم إليها هذا الفكر كما أجريت عنه دراسات في الجامعات الأروبية و جامعات العالم الاسلامي ومراكز بحوثه في الهند ومصر والسعودية وباكستان والعراق وسوريا والأردن والمغرب والجزائر. (ملتقى الامامين عبد الحم بن باديس وبديع الزمان النورسي. ٢٠١٣)

كتب النورسي وصفة لعلاج أمراض العالم الاسلامي على أساسين: الأمل في أم المستقبل لن يكون إلا للاسلام وأن الحكم لن يكون إلا للحقائق القرآنية وأن المستقبل سيكون للاسلام وحده والصدق:فإن لم يكن جيل الصدق متصلا بين أفراده في حياتهم الاجتماعية فإنه من المحال أن يتداولوا بينهم أخلاق الاسلام ومبادئه والمحبة: التي يجب أن نجعل من أسلحة جهادنا في سبيل اللّٰه الحب والتآلف ومقابلة الأعداء بقلوب بيضاء نقية تحقق الانسانية والخير للجميع و إقامة الشورى الشرعية التي تجعل الأجيال تتلاحق في خبراتها وتجاربها ورفض المظاهر الحادثة للحضارة الغربية والعودة إلى أساس الايمان. (ملكاوي، م وصالح، ن. ٢٠١٣. ص ٣٩٠)

مستقبل مدرسة الزهراء:

توفي مؤخراً الشيخ «عبداللّٰه باديلي» أشهر تلاميذ »سعيد النورسي» اليوم بالعاصمة «أنقرة» بعد صراع مع المرض. وكان «عبداللّٰه باديلي» يترأس أعمال إنشاء جامعة «مدرسة الزهراء» بمدينة «شانلي أورفا» التي تعتبر وصية «سعيد النورسي»، وكان من المقرر إنشاؤها داخل مدينة «فان» غير أن أعمالها الإنشائية لم تكتمل بعد. وصرح «باديلي» قبل وفاته بفترة قصيرة، حيث قال إن إنشاء تلك الجامعة تعتبر وصية «سعيد النورسي» وأحد أكبر أحلامه، والتى

أصر عليها كثيراً ولطالما رغب فى إنشائها داخل «شانلي أورفا».

من جانبه قال محافظ ونائب مدينة «شانلي أورفا» عن حزب العدالة والتنمية «خليل أوزجان» إن رئيس الجمهورية «رجب طيب أردوغان» يتابع هذا الأمر بنفسه، وأن الحكومة سوف تبذل قصارى جهدها من أجل إتمام إنشاء الجامعة. موضحاً أنه سيبدأ العمل بإنشاء الجامعة عقب تحديد المكان الذى ستبنى عليه. تحقيقاً لحلم أحد علماء تركيا البارزين في العصر الحديث »سعيد النورسى» و تلميذه «باديلي» الذى نهج نفس نهج أستاذه ولم يخرج أبداً عن نهج «رسالة النور». (تلميذ سعيد النورسي. ٢٠١٤)

قيمة بديع الزمان النورسي:

وصف الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ الامام النورسي قائلا:» بعد أن عكف على رسائله ومؤلفاته بضع عقود- بقوله: «إننا بإزاء رجل يفور روحه بأسرار الإيمان، ويتفطر فؤاده بفجر اليقين، وهو قادر على إيقاظ هوامد أفكارنا، وبعث الحياة في موات نفوسنا وشلل أرواحنا، وقد أوتي فضيلة النطق بكل جليل وجميل من الأفكار، وإن شهابا ثاقبا من سماء روحه كفيل بإشعال هشيم نفوسنا، وجعلها تلتهب شوقا إلى اللّٰه، وتحترق محبة فيه. (الدباغ، أ. ١٩٩٣، ص ١٢)

يقول سعيد شامل في حديث له مدرج في كتاب «المثقفون يتحدثون عن سعيد النورسي: «لو جاء بديع الزمان قبل قرن لتغيّر مستقبل العثمانيين»

وأنّ المرحوم – سعيد النورسي- جدلي باعتبار الشخصية يعني أنه مناظر قدير لا يكتفي بالانزواء وتسطيرأفكاره على الورق لإنه مربّ كبير يعرف كيف يربي تلامذته عن طريق المباحثة والمناقشة مثله في هذا مثل الامام العظيم تماما.» (محمد حرب، م. ١٩٩٩. ص ٣٧٤).

ختاما لم أجد بدّا من الاستشهاد بقول مترجمه إحسان قاسم الصالحي حين قال: «فنحن نحمد اللّٰه أجزل الحمد ونشكره شكرا لا منتهى له على أن رسائل النور أصبحت ترياقا شافيا لجروح عصرنا الدامية ومعجزة معنوية من

معجزات القرآن الحكيم ولمعة من لمعاته فلقد استطاعت بموازناتها العديدة أن تحارب أشد المعاندين المتعنتين بسيف الاسلام القرآني الألماسي وتنصّب الحجج وتقيم الأدلّة على الوحدانية الالهية وحقائق الايمان بعدد ذرات الكون. ولعلّ هذا هو السرّ الذي جعلها لا تغلب و لا تنهزم، منذ سنين خلت، في وجه أشدّ الحملات شراسة، بل كانت هي الغالبة على الدوام».(الصالحي، ٢٠١٥. ص ١٦٧).

رحمك اللّٰه يا بديع الزمان وجعل مقامك في عليين. آمين يا رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- النورسي (بديع الزمان)، كليات لرسائل النور، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨.
- النورسي (بديع الزمان)، كليات لرسائل النور، صيقل الإسلام آثار سعيد القديم، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨
- النورسي (بديع الزمان)، كليات لرسائل النور، الملاحق في فقه دعوة النور،، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨
- النورسي (بديع الزمان)، كليات لرسائل النور، المكتوبات،، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨
- النورسي (بديع الزمان)، كليات لرسائل النور، المثنوي العربي النوري،، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨ ا
- النورسي (بديع الزمان)، كليات لرسائل النور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٨
- أبو محمد (إبراهيم)، التعليم في ضوء فكرسعيد النورسي، سولزر للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢.
- ييلديرم (سعاد)، «مكانة بديع الزمان النورسي في الفكر والحركة الإسلامية»، ورقة بقدمها الأستاذ من جامعة مرمرة، تركيا في المؤتمر الذي عقد في الأردن ١٩٩٧/٦/١٢. http:// www.resailinnur.com
- الدّباغ (أديب إبراهيم)، هوامش على فكر بديع الزمان سعيد النورسي وسيرته الذاتية، بحث منشور ضمن كتاب: (بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد

الفكر الإسلامي)، المنعقد يومي ٢٨-٢٩ سبتمبر ١٩٩٢ م باستانبول، نشر دار سوزلر، القاهرة، ١٩٩٣ م.

- الصالحي (إحسان قاسم)، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠١٥
- الطنطاوي (عبد الله)، منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي، ورقة قدمها في المؤتمر عقد في الأردن ١٢جوان ١٩٩٧. أنظر: http://www.resailinnur.com/akademi/semp٩٧var١٢/htm.
- الكوسوفي (بكر اسماعيل)، الإمام بديع الزمان النورسي وأثره في الفكر الاسلامي، ألبا برص للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٠٤.
- الملتقى الدولي حول: الفكر الاصلاحي عند الامامين عبد الحم بن باديس وبديع الزمان النورسي «٦-٧ جمادي الثانية ١٤٣٥ه / ١٦-١٧ أفريل ٢٠١٣م، جامعة العلوم الاسلامية بقسنطينة، الجزائر.
- أورخان (محمد علي)، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة للنشر و التوزيع والتصدير، ط ١، القاهرة، ١٩٩٩.
- تلميذ، "سعيد النورسي" يرحل قبل تحقيق حلم أستاذه والحكومة تتعهد بإتمامه (٢٩ ديسمبر ٢٠١٤م) على الموقع: http://www.turkey-post.net
- حجازي (سامي غفيفي) و السايح (أحمد عبد الرحيم)، قضايا معاصرة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي، سوزلر للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥.
- حرب (محمد)، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٩٩٩.
- جانان(إبراهيم)، «القضايا الأساسية للعالم الإسلامي وطرق حلها في نظر بديع الزمان»، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة الأولى،، العدد الثاني، يوليو ٢٠١٠، تصدرها مؤسسة إستنابول للثقافة والعلوم، إستنابول، تركيا.
- سنة (ناصر أحمد)، التنوير برسائل النور، وصاحبها «بديع الزمان سعيد النورسي»، على الموقع http://islamselect.net
- شاهين (محمد علي)، بديع الزمان سعيد بن ميرزا النورسي (١٢٩٠-١٣٩٧ ه / ١٨٧٣- ١٩٦٠ م) على موقع: http://www.startimes.com
- عبيد (محمد رشدي)، ملامح تربوية في رسائل النور، أشغال ملتقى بديع الزمان النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الاسلامي، استانبول (٢٧-٢٩ /١٩٩٢، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣.
- فاضل (حازم ناظم)، مدرسة الزهراء في مؤتمر عالمي، (ورقة عن مؤتمر عالمي أقيم في مدينة وان التركية بعنوان: « مدرسة الزهراء.. وفلسفة التعليم عند النورسي»، نظمتها

محافظة (وان) وجامعة (يوزنجي ييل) بالتنسيق مع اكاديمية وقف رسائل النور ومركز النور للدراسات والبحوث في اسطنبول للفترة من ١٢-١٤ تشرين الاول، أكتوبر ٢٠١٢. على الموقع: http://www.r-alnoor.com/vb/showthread.

- سليمان (أحمد السعيد) التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٧١.
- ورغي (الشيخة)، البعد الروحي في منهج الدعوة عند بديع الزمان سعيد النورسي، مذكرة لنيل درجة الماجستير قسم: أصول الدين، تخصص: دعوة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، الجزائر، - ١٤٢٩-١٤٢٨ / ٢٠٠٧-٢٠٠٨م
- لملم (إبراهيم)، المنهج الدعوي في فكر بديع الزمان سعيد النورسي من خلال رسائله، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدعوة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية قسم: الشريعة الشعبة: فقه وأصول جامعة العقيد الحاج لخضر، الجزائر، ١٤٣١ /٢٠١٠م.
- ملكاوي (محمد أحمد عبد القادر) و صالح (نهيل علي حسن)، «المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي»، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة السابعة والعشرون،، العدد السّادس والخمسون، ذو الحجة ١٤٣٤ه أكتوبر ٢٠١٣م.
- لمحة عن رسائل النور على الموقع الالكتروني: http://www.rasaelalnour.com

تجلي القيم الإيمانية في لغة رسالة سمو القرآن للنورسي

د. الشريف حبيلة
قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي التبسي – تبسة - الجزائر

كلام لابد منه

حينما طلب مني الدكتور محي الدين صالح التعليق على كتاب بديع الزمان سعيد النورسي «أنوار الحقيقة في التصوف والسلوك» وكنت إلى غاية هذا الوقت لم أقرأ من كتبه كتابا واحدا، إلا ما كان من الدكتور سعيد رمضان البوطي في كتابه (من الفكر والقلب)١، عندما خص بديع الزمان بمقالتين، ولم أكترث كثيرا رغم إعجابي بهذا الرجل خاصة تلك الطاقة الروحية التي حدثنها عنها الكاتب، وتدور السنون لألتقي بالدكتور صالح بمصر وفي مقر الرابطة العالمية للأدب الإسلامي بالقاهرة، حيث يقدم لي «أنوار الحقيقة» هدية، ثم يطلب مني التعليق على ما جاء فيها في بضع أوراق لا تتجاوز العشر.

عدت وكلي عزم على أن أقرأ الرسائل خاصة وقد عرفت ما كان من تأثير لها على الناس في مختلف البقاع، تسكن القلوب بمجرد مطالعتها، وهو السبب الذي دفعني أكثر إلى محاولة اكتشافها، واكتشاف القوة التي جعلتها كذلك. نعم لقد اكتسبت ذلك من قوة صاحبها القدوة والنموذج من خلال الدلالات والمعاني التي تتضمنها، لكن هاجسا علميا يقول لي وأنا أقرأها أن سببا آخر يكمن خلف قوتها. لذا وضعت خطة لدراستها، ورأيت أن تناول الكتاب جملة يحتاج إلى وقت وجهد أكبر وعمل يتجاوز المقال، فكان أن اخترت رسالة واحدة من الكتاب لتكون موضوع الدرس، ولم أجد أفضل وأنسب من الرسالة التي كانت مفتاح هذه المجموعة، وقد عنونها بديع الزمان ب»سمو القرآن».

وحتى لا أقع في التقريرية والتفسيرية المباشرة التي تؤدي إلى الشرح

البسيط والساذج، انتخبت منهجا نقديا اعتدناه في دراسة النص الأدبي وهو الدراسة النصية والدلالية لفعل الكتابة في مستواها اللغوي٢، لعل السبب الآخر لاختيار منهج كهذا هو المستوى اللغوي الرفيع الذي كتبت به الرسائل، حتى وإن كانت في غير لغتها الأم، فإن ترجمتها تنبئ عن رفعة لغتها.

ولن أتعرض بالتعريف للمنهج أو الرسائل، إنما يعرض الأول نفسه كأداة دراسة من خلال مراحل البحث، أما الرسائل فلا تحتاج لمن يعرف بها.

نص الرسالة: سمو القرآن

إذا أردت أن تفهم كيف يسمو القرآن على سائر الكلمات الإلهية و تعرف مدى تفوقه على جميع الكلام. فانظر و تأمل في هذين المثالين:

المثال الأول: أن للسلطان نوعين من المكالمة، و طرازان من الخطاب و الكلام:

الأول: مكالمة خاصة بوساطة هاتف خاص مع أحد رعاياه من العوام، في أمر جزئي يعود إلى حاجة خاصة به.

والآخر: مكالمة باسم السلطنة العظمى، و بعنوان الخلافة الكبرى و بعزة الحاكمية العامة، بقصد نشر أوامره السلطانية في الآفاق، فهي مكالمة يجريها مع أحد مبعوثيه أو مع أحد كبار موظفيه.. فهي مكالمة بأمر عظيم يهم الجميع.

المثال الثاني: رجل يمسك مرآة تجاه الشمس، فالمرآة تلتقط . حسب سعتها . نورا و ضياء يحمل الألوان السبعة في الشمس.

فيكون الرجل ذا علاقة مع الشمس بنسبة تلك المرآة، و يمكنه أن يستفيد منها فيما إذا وجهها إلى غرفته المظلمة، أو مشتله الخاص الصغير المسقف، بيد أن استفادته من الضوء تنحصر بمقدار قابلية المرأة على ما تعكسه من نور الشمس و ليست بمقدار عظم الشمس.

بينما رجل يترك المرآة، و يجابه الشمس مباشرة، و يشاهد هيبتها و يدرك عظمتها، ثم يصعد على جبل عال جدا و ينظر إلى شعشعة سلطانها الواسع المهيب و يقابلها بالذات دون حجاب ثم يرجع و يفتح من بيته الصغير و

من مشتله المسقف الخاص نوافذ واسعة نحو الشمس، واجدا سبلا إلى الشمس التي هي في أعالي السماء ثم يجري حوارا مع الضياء الدائم للشمس الحقيقية. فيناجي الشمس بلسان حاله و يحاورها بهذه المحاورة المكللة بالشكر و الامتنان فيقول:(إيه يا شمس ! يا من تربعت على عرش جمال العالم! يا لطيفة السماء و زهراءها ! يا من أضفيت على الأرض بهجة و نورا، و منحت الأزهار ابتسامة و سرورا، فلقد منحت الدفء و النور معا لبيتي و مشتلي الصغير، كما وهبت للعالم أجمع الدفء و النور).

بينما صاحب المرآة السابق لا يستطيع أن يناجي الشمس و يحاورها بهذا الأسلوب، إذ أن آثار ضوء الشمس محددة بحدود المرآة و قيودها، و هي محصورة بحسب قابلية تلك المرآة و استيعابها للضوء.

وبعد فانظر من خلال منظار هذين المثالين إلى القرآن الكريم لتشاهد أعجازه، وتدرك قدسيته و سموه.

أجل إن القرآن الكريم يقول:{و لو ما في الأرض من شجر أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللّٰه، إن اللّٰه عزيز حكيم} لقمان٢٧ و هكذا فإن منح القرآن أعلى مقام من بين الكلمات جميعا، تلك الكلمات التي لا تحدها حدود، مرده أن القرآن قد نزل من الاسم الأعظم ومن أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى، فهو كلام اللّٰه، بوصفه رب العالمين، و هو أمره بوصفه إله الموجودات، و هو خطابه بوصفه خالق السموات و الأرض، و هو مكالمة سامية بصفة الربوبية المطلقة، و هو خطابه الأزلي باسم السلطنة الإلهية العظمى. و هو سجل الالتفات و التكريم الرحماني نابع من رحمته الواسعة المحيطة بكل شيء. و هو مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الألوهية، إذ في بدايات بعضها رموز و شفرات. و هو الكتاب المقدس الذي ينثر الحكمة.

ولأجل هذه الأسرار أطلق على القرآن الكريم ما هو أهله و لائق به اسم(كلام اللّٰه).(ص٧)

أما سائر الكلمات الإلهية: فإن قسما منها كلام نابع باعتبار خاص، و بعنوان جزئي، و بتجل جزئي لاسم خصوصي، و ربوبية خاصة، و سلطان خاص، و

رحمة خصوصية. فدرجات هذه الكلمات مختلفة متفاوتة من حيث الخاص و الكلي، فأكثر الإلهامات من هذا القسم إلا أن درجاتها متفاوتة جدا.

فمثلا: إن أبسطها و أكثرها جزئية هي إلهام الحيوانات، ثم إلهام عوام الناس، ثم إلهام عوام الملائكة، ثم إلهام الأولياء، ثم إلهام كبار الملائكة.

ومن هذا السر نرى أن وليا يقول:»حدثني قلبي عن ربي» أي: بهاتف قلبه. و من دون وساطة ملك، فهو لا يقول: حدثني رب العالمين. أو نراه يقول: إن قلبي عرش و مرآة عاكسة لتجليات ربي. و لا يقول: عرش رب العالمين، لأنه يمكن أن ينال حظا من الخطاب الرباني وفق استعداداته و حسب درجة قابليته و بنسبة رفع ما يقارب سبعين ألف حجاب.

نعم إنه بمقدار علو كلام السلطان الصادر من حيث السلطنة و سموه على مكالمته الجزئية مع أحد رعاياه من العوام، و بمقدار ما يفوق الاستفادة من فيض تجلي الضوء من الشمس التي هي في السماء على استفادة فيضها من المرآة، يمكن فهم سمو القرآن الكريم على جميع الكلام الإلهي والكتب السماوية.

فالكتب المقدسة و الصحف السماوية بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم في درجة العلو و السمو. كل له درجته و تفوقه، كل له حظه من ذلك السر للتفوق، فلو اجتمع جميع الكلام الطيب الجميل للإنس و الجن-الذي لم يترشح عن القرآن الكريم- فإنه لا يمكن أن يكون نظيرا قط للقرآن الكريم و لا يمكن أن يدنو إلى أن يكون مثله.

و إذا كنت تريد أن تفهم شيئا من القرآن الكريم قد نزل من الاسم الأعظم و من المرتبة العظمى لكل اسم من الأسماء الحسنى فتدبر في (آية الكرسي) و كذا الآيات الكريمة التالية و تأمل في معانيها الشاملة العامة السامية:

{وعنده مفاتيح الغيب}الأنعام ٥٩

{قل اللهم مالك الملك} آل عمران٢٦

{يغشي الليل النهار حثيثا و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره} الأعراف٥٤

{يا أرض بلعي ماءك و يا سماء أقلعي}هود٤٤
{تسبح له السموات السبع و الأرض و من فيهن}الاسراء٤٤
{ما خلقكم و لا بعثكم إلا كنفس واحدة} لقمان٢٨
{إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال..}الأحزاب٧٢
{يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب...}الأنبياء١٠٤
{و ما قدروا اللّٰه حق قدره و الأرض جميعا قبضته يوم القيامة}الزمر٦٧
{لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته..}الحشر٢١

وأمثالها من الآيات الجليلة، ثم دقق النظر في السور المبتدئة ب{الحمد لله} و {تسبح...} لترى شعاع هذا السر العظيم ثم أنظر إلى السور المستهلة ب{الم} و {الر} و {حم} لتفهم أهمية القرآن لدى رب العالمين.

وإذا فهمت السر اللطيف لهذا الأساس الرابع، تستطيع أن تفهم: السر في أن أكثر الوحي النازل إلى الأنبياء إنما هو بوساطة مالك، أما الإلهام فبلا وساطة.

وتفهم السر في أن أعظم ولي من الأولياء لا يبلغ أي نبي كان من الأنبياء. وتفهم السر الكامن في عظمة القرآن وعرته القدسية و علو إعجازه. و تفهم سر لزوم المعراج و حكمة ضرورته، أي تفهم السر في رحلته صلى اللّٰه عليه و سلم إلى السموات العلا و إلى سدرة المنتهى حتى كان قاب قوسين أو أدنى و من ثم مناجاته معه سبحانه، مع أنه جل جلاله {أقرب إليه من حبل الوريد} ثم عودته بطرف العين إلى مكانه.

أجل! إن شق القمر كما أنه معجزة لإثبات الرسالة، أظهرت نبوته إلى الجن والإنس. كذلك المعراج هو معجزة عبوديته صلى اللّٰه عليه و سلم أظهرت محبوبيته إلى الأرواح و الملائكة.

اللهم صل و سلم عليه وعلى آله، كما يليق برحمتك و برحمته، آمين. ٣

إطلالة

بداية أخبر القارئ أن اختيار الرسالة الأولى المعنونة ب»سمو القرآن» يعود لكونها فاتحة المجموعة، ليس بمعنى البداية، إنما لأنها جمعت معاني باقي

الرسائل جميعا، و تضمنتها، حيث تنبني عليها و تتأسس كل الرسائل الباقية، بل تتوالد كدلالات توحي بها الرسالة الأولى. و لعل المستوى اللغوي هو الذي أعطى الرسائل القدرة على الاستحواذ على قلب و عقل القارئ.

لذا تكون البداية من هذه النقطة، فنظرة سريعة إلى الرسالة تبرز على سطح النص قدرة أسلوبية و دلالية واضحة، صحيح أن سعيد النورسي لم يكتب الرسائل على أنها إبداعا أدبيا، و مع ذلك توفرت فيها السمات الأدبية التي تخاطب كفاءة متلق ما على دراية بهذه السمات، يتذوقها قبل أن يدرك دلالاتها، فالطريق إلى المتلقي يتم هنا عبر اللغة التي قد لا يعي القارئ العادي أدبيتها، لكنه يتأثر بها و تستحوذ عليه.

فالكاتب يتوجه مباشرة إلى المتلقي، تشير على ذلك الأفعال الموجه للمخاطب (أردت، تفهم، تعرف، أنظر، تأمل.....). ليس هناك حاجز بين صوت النورسي و القارئ أو السامع/المتلقي، إذ يتحقق الخطاب عبر اللغة التي تشتغل على مستوى التركيب و على مستوى الدلالة، حيث يلجأ الكاتب إلى تكثيفها من خلال النص القرآني الذي يعطيها شحنة عقلية وعاطفية تؤكدها أكثر، حتى إذا وقعت في عقل وقلب المتلقي لا تتزعزع، و ذلك من أسباب قوة الرسالة في التأثير.

ويشكل الخطاب من جهة ابتهال متعبد يتقرب إلى اللّٰه، وفي الوقت نفسه يتوجه إلى القارئ الذي يقف ليقرأ أو ليسمع، وكأنه أمام شخص يؤدي شعيرة الصلاة في خشوع، متقنة الأداء و الأسلوب، فيغنم عبادة اللّٰه و انقياذ المتلقي المشاهد السامع، الذي لا يجد إلا أن يكبر خلفه مصليا متقنا صلاته، و هكذا ما زال العدد يزيد و يزيد بفضل إتقان الأداء. و هو ما تفعله الرسالة في القارئ، وعندئذ تغدو عملية التخاطب مزدوجة، في مستواها اللغوي.

يعمد سعيد النورسي في مقاطع من الرسالة إلى توظيف صيغ الغائب ليحكي في مثالين عن قدرة التأثير التي يتميز بها الخطاب المباشر دون وساطة في مقابل الخطاب غير المباشر الذي لا يتحقق إلا بوساطة، و هنا تتجلى قدرة الكاتب على استحضار حاضره و ماضيه و مستقبله الذي يحيل

إلى ذاتيته و ما تمتلئ به من إيمان تتحكم في الزمان و المكان، و تتجاوزهما لتصير مستقلة، فيحضر الكلام الذي يلي المثالين محتضنا خفقان القلب المدرك لحقيقة الوجود التي يستمدها من حقيقة القرآن، هنا فقط تتشابك لغة البشر/الكاتب مع لغة القرآن، تسمو الأولى إلى الثانية و تستند إليها و منها تستمد قوة اليقين.

هذه اللغة هي التي توحد بين سعيد النورسي و أتباعه و غير أتباعه، فيعجز كل محاول التفريق بينهم. يمارس هذا التواصل بين الكاتب و القارئ صيرورة لا تنقطع، تحافظ عليها اللغة الموظفة المليئة بالمحبة و الرحمة و الشفقة و السمو تحت راية التوحيد.

تحديد مقاطع الرسالة :

تبدو الرسالة في ظاهرها خطابا واحدا، لكن بمجرد قراءتها بالتركيز على البناء اللغوي نكتشف أنها مكونة من ثلاثة مقاطع لغوية:

المقطع الأول: تشكله الوحدات الآتية:

١) إذا أردت أن تفهم كيف يسمو القرآن على سائر الكلمات الإلهية و تعرف مدى تفوقه على جميع الكلام. فانظر و تأمل في هذين المثالين.(ص ٥)

٢) وبعد فانظر من خلال منظار هذين المثالين إلى القرآن الكريم لتشاهد أعجازه، وتدرك قدسيته و سموه.(ص٧)

٣) وإذا كنت تريد أن تفهم شيئا من القرآن الكريم قد نزل من الاسم الأعظم و من المرتبة العظمى لكل اسم من الأسماء الحسنى فتدبر في(آية الكرسي) و كذا الآيات الكريمة التالية وتأمل في معانيها الشاملة العامة السامية:

{وعنده مفاتيح الغيب}الأنعام ٥٩

{قل اللهم مالك الملك} آل عمران٢٦

{يغشي الليل النهار حثيثا و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره} الأعراف٥٤

{يا أرض بلعي ماءك و يا سماء أقلعي}هود٤٤

{تسبح له السموات السبع و الأرض و من فيهن}الاسراء٤٤
{ما خلقكم و لا بعثكم إلا كنفس واحدة} لقمان٢٨
{إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال..}الأحزاب٧٢
{يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب...}الأنبياء١٠٤
{و ما قدروا اللّٰه حق قدره و الأرض جميعا قبضته يوم القيامة}الزمر٦٧
{لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته..}الحشر٢١

وأمثالها من الآيات الجليلة، ثم دقق النظر في السور المبتدئة ب{الحمد لله} و {تسبح...} لترى شعاع هذا السر العظيم ثم أنظر إلى السور المستهلة ب{الم} و {الر} و {حم} لتفهم أهمية القرآن لدى رب العالمين.

٤) وإذا فهمت السر اللطيف لهذا الأساس الرابع، تستطيع أن تفهم: السر في أن أكثر الوحي النازل إلى الأنبياء إنما هو بوساطة مالك، أما الإلهام فبلا وساطة.(ص١١)

٥) وتفهم السر في أن أعظم ولي من الأولياء لا يبلغ أي نبي كان من الأنبياء. و تفهم السر الكامن في عظمة القرآن و عرته القدسية و علو إعجازه. و تفهم سر لزوم المعراج و حكمة ضرورته، أي تفهم السر في رحلته صلى اللّٰه عليه و سلم إلى السموات العلا و إلى سدرة المنتهى حتى كان قاب قوسين أو أدنى و من ثم مناجاته معه سبحانه، مع أنه جل جلاله {أقرب إليه من حبل الوريد} ثم عودته بطرف العين إلى مكانه.(ص١١)

المقطع الثاني: تشكله الوحدات الآتية:

١) المثال الأول: أن للسلطان نوعين من المكالمة، و طرازان من الخطاب و الكلام:

الأول: مكالمة خاصة بوساطة هاتف خاص مع أحد رعاياه من العوام، في أمر جزئي يعود إلى حاجة خاصة به.

و الآخر: مكالمة باسم السلطنة العظمى، و بعنوان الخلافة الكبرى و بعزة الحاكمية العامة، بقصد نشر أوامره السلطانية في الآفاق، فهي مكالمة يجريها مع أحد مبعوثيه أو مع أحد كبار موظفيه.. فهي مكالمة بأمر عظيم يهم الجميع.

(ص٥)

٢) المثال الثاني: رجل يمسك مرآة تجاه الشمس، فالمرآة تلتقط. حسب سعتها. نورا و ضياء يحمل الألوان السبعة في الشمس. فيكون الرجل ذا علاقة مع الشمس بنسبة تلك المرآة، و يمكنه أن يستفيد منها فيما إذا وجهها إلى غرفته المظلمة، أو مشتله الخاص الصغير المسقف، بيد أن استفادته من الضوء تنحصر بمقدار قابلية المرأة على ما تعكسه من نور الشمس و ليست بمقدار عظم الشمس. (ص٦)

بينما رجل يترك المرآة، و يجابه الشمس مباشرة، و يشاهد هيبتها و يدرك عظمتها، ثم يصعد على جبل عال جدا و ينظر إلى شعشعة سلطانها الواسع المهيب و يقابلها بالذات دون حجاب ثم يرجع و يفتح من بيته الصغير و من مشتله المسقف الخاص نوافذ واسعة نحو الشمس، واجدا سبلا إلى الشمس التي هي في أعالي السماء ثم يجري حوارا مع الضياء الدائم للشمس الحقيقية. فيناجي الشمس بلسان حاله و يحاورها بهذه المحاورة المكللة بالشكر و الامتنان فيقول:(إيه يا شمس ! يا من تربعت على عرش جمال العالم! يا لطيفة السماء و زهراءها ! يا من أضفيت على الأرض بهجة و نورا، و منحت الأزهار ابتسامة و سرورا، فلقد منحت الدفء و النور معا لبيتي و مشتلي الصغير، كما وهبت للعالم أجمع الدفء و النور).(ص٦)

بينما صاحب المرآة السابق لا يستطيع أن يناجي الشمس و يحاورها بهذا الأسلوب، إذ أن آثار ضوء الشمس محددة بحدود المرآة و قيودها، و هي محصورة بحسب قابلية تلك المرآة و استيعابها للضوء.(ص)

٣) فمثلا: إن أبسطها و أكثرها جزئية هي إلهام الحيوانات، ثم إلهام عوام الناس، ثم إلهام عوام الملائكة، ثم إلهام الأولياء، ثم إلهام كبار الملائكة.

ومن هذا السر نرى أن وليا يقول:»حدثني قلبي عن ربي» أي: بهاتف قلبه. و من دون وساطة ملك، فهو لا يقول: حدثني رب العالمين. أو نراه يقول: إن قلبي عرش و مرآة عاكسة لتجليات ربي. و لا يقول: عرش رب العالمين، لأنه يمكن أن ينال حظا من الخطاب الرباني وفق استعداداته و حسب درجة قابليته

و بنسبة رفع ما يقارب سبعين ألف حجاب.(ص٨)

المقطع الثالث: يتشكل من الوحدات الآتية:

١) أجل إن القرآن الكريم يقول:{و لو ما في الأرض من شجر أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللّٰه، إن اللّٰه عزيز حكيم} لقمان٢٧ و هكذا فإن منح القرآن أعلى مقام من بين الكلمات جميعا، تلك الكلمات التي لا تحدها حدود، مرده أن القرآن قد نزل من الاسم الأعظم و من أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى، فهو كلام اللّٰه، بوصفه رب العالمين، و هو أمره بوصفه إله الموجودات، و هو خطابه بوصفه خالق السموات و الأرض، و هو مكالمة سامية بصفة الربوبية المطلقة، و هو خطابه الأزلي باسم السلطنة الإلهية العظمى. و هو سجل الالتفات و التكريم الرحماني نابع من رحمته الواسعة المحيطة بكل شيء. و هو مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الألوهية، إذ في بدايات بعضها رموز و شفرات. و هو الكتاب المقدس الذي ينثر الحكمة.

و لأجل هذه الأسرار أطلق على القرآن الكريم ما هو أهله و لائق به اسم(كلام اللّٰه).(ص٧)

٢) أما سائر الكلمات الإلهية: فإن قسما منها كلام نابع باعتبار خاص، و بعنوان جزئي، و بتجل جزئي لاسم خصوصي، وربوبية خاصة، و سلطان خاص، و رحمة خصوصية. فدرجات هذه الكلمات مختلفة متفاوتة من حيث الخاص و الكلي، فأكثر الإلهامات من هذا القسم إلا أن درجاتها متفاوتة جدا.(ص٨)

نعم إنه بمقدار علو كلام السلطان الصادر من حيث السلطنة و سموه على مكالمته الجزئية مع أحد رعاياه من العوام، و بمقدار ما يفوق الاستفادة من فيض تجلي الضوء من الشمس التي هي في السماء على استفادة فيضها من المرآة، يمكن فهم سمو القرآن الكريم على جميع الكلام الإلهي و الكتب السماوية.

فالكتب المقدسة و الصحف السماوية بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم

في درجة العلو و السمو. كل له درجته و تفوقه، كل له حظه من ذلك السر للتفوق، فلو اجتمع جميع الكلام الطيب الجميل للإنس و الجن-الذي لم يترشح عن القرآن الكريم- فإنه لا يمكن أن يكون نظيرا قط للقرآن الكريم و لا يمكن أن يدنو إلى أن يكون مثله (ص٩)

أجل! إن شق القمر كما أنه معجزة لإثبات الرسالة، أظهرت نبوته إلى الجن و الإنس. كذلك المعراج هو معجزة عبوديته صلى اللّٰه عليه و سلم أظهرت محبوبيته إلى الأرواح و الملائكة.

اللهم صل و سلم عليه و على آله، كما يليق برحمتك و برحمته، آمين.(ص١١)

و يجب أن ننبه إلى أن استخلاص هذه المقاطع ليس قائما على بداية الواحة منها و نهايته و مرتبا ترتيبا ضمن الخطاب الذي هو الرسالة، إما في الأول أو في الوسط أو في الأخير. إنما هذا التحديد تقتضيه بنية الخطاب اللغوية، أي ما يسمى بالتماسك الداخلي لبناء النص، لذا فهذه المقاطع تتماسك و تنجم بفعل العلاقات الداخلية لا بفعل علاقات التتابع، هذا مع الحفاظ على استقلال كل مقطع بنيويا رغم تداخله مع باقي المقاطع في السياق العام للرسالة. ٣

قراءة أولية:

و كما لاحظنا فإن المقطع الأول يتكون من خمس وحدات لغوية وهي وحدات سريعة نوعا ما و قصيرة إذا ما قورنت بالوحدة الثالثة، عدا الوحدة الخامسة فإنها تبدو أطول و تتخلل المقطع الثاني و الثالث. تأتي هذه الوحدات موزعة عبر الرسالة.

بينما يتكون المقطع الثاني من ثلاث وحدات رغم قلتها هي أطول من وحدات المقطع الأول.

و يتكون المقطع الثالث من ثلاث وحدات هي الأطول في الخطاب/ الرسالة، مما يولد دلالات مبدئية خاصة و أن المقطع يتحدث عن سمو القرآن، تبرز دلالته في ضوء المقطعين الأول و الثاني أكثر في مستويات اللغة، و في

علاقة المقاطع بعضها ببعض حيث يأتي الثاني لينير دلالات الثالث، و يوجد الثالث كخطاب يتضمنه المقطع الأول رسالة إلى المخاطب تحمل معاني سمو القرآن الكريم.

تقوم الرسالة على صياغة يغلب فيها استعمال الأسماء على الأفعال خاصة في المقطع الثالث، الذي يختص بإظهار عظمة القرآن الكريم و سموه، فالنص يتناول موضوع السمو و التعالي بالخطاب القرآني، يعرضه الكاتب عرض نظريا، يطلق فيه خواطر هي حقائق ثابتة، لا تتقيد بزمان و لا بمكان. تتجرد منهما لتكسب صفة المطلق، لأنها حقائق قرآنية صادرة من الحق سبحانه و تعالى، لذا تغيب العلامات الدالة على الزمان و المكان.

و كان الوصف العنصر الغالب مما أعطى الرسالة سمة تعليمية تتناسب مع خاصيتها كرسالة موجهة إلى متلقي، و خطاب من مرسل إلى مرسل إليه يؤسسه المقطع الأول الذي تتوالى فيه الأفعال الموجهة للمخاطب(أردت، تفهم، تعرف، انظر، تأمل.....) هذا التعاقب للأفعال يعطي الرسالة صفة البرهان أو الإثبات القائم، و الاستنتاج القياسي، فالحقيقة العامة المتجلية في عظمة اللّٰه تعالى تستلزم عظمة القرآن ما دام هو كلام اللّٰه. و هي حقيقة تحول واقعا مجسدا و حياّ في حياة الكاتب/ سعيد النورسي، و برهانا صادقا على دوره الرائد و المثالي في تجسيد هذه القيمة الخالدة و ما تتضمنه من قيم، تعمل اللغة ومن خلفها الكاتب على نقلها بصق إلى القارئ في شاعرية و شفافية.

تحليل مقاطع الرسالة :

المقطع الأول:

إذا أعدنا ترتيب الأفعال الموظفة في الوحدات حسب عدد مرات ورودها في المقطع فإنها تكون كالآتي:

أردت مرة واحدة

تفهم ٩ مرات

تعرف مرة واحدة

انظر٣ مرات
تأمل مرتين
تشاهد مرة واحدة
تدرك مرة واحدة
كنت مرة واحدة
تريد مرة واحدة
دقق مرة واحدة
ترى مرة واحدة
تدبر مرة واحدة
تستطيع مرة واحدة

و الآن نعيد ترتيبها حسب وظيفتها العقلية و المعرفية، و دلالتها في السياق:

١) أردت، كنت، تريد، تستطيع.
٢) انظر، تأمل، تشاهد، دقق، ترى، تدبر.
٣) تعرف، تدرك.
٤) تفهم.

وقد عمدنا إلى تصنيف الأفعال على أساس اشتراكها في الوظيفة والدلالة، ثم رتبناها حسب المراحل التي تتم بها المعرفة، و إنشائيتها في الرسالة، أي بنيتها في الخطاب، لذا يمكن أن نحكم بأن الكاتب قد تعمد ذلك من أجل تحقيق الفهم، و بالتالي حصول اليقين.

إذا نظرنا إلى مجموعة الأفعال الأولى وجدناها تحيل إلى الإرادة، أي حصول الإرادة لدى المخاطب من أجل معرفة عظمة القرآن، لذا كانت الأفعال (أردت، كنت، تريد، تستطيع) أي أن الخطوة الأولى في مثل هذه المعرفة لا تكون إلا بالإرادة الذاتية، و برغبة المخاطب/ المتلقي.

إن سعيد يبحث عن الإرادة الكامنة في قلب متلقيه، ليزيل عنها الغبار فتتحرك نحو النور، الذي يحدث في القارئ نوع من الفضول يدفعه لمواصلة باقي مراحل المعرفة. إنه ذكاء عظيم في مخاطبة النائمين، وعبقرية فذة في

استنهاض الإرادة، اعتمادا على اللغة الموظفة، حتى وإن كانت الرسالة في غير لغتها الأصلية، لأن ما يهم هو التركيب.

وعندما ننتقل إلى المجموعة الثانية، وهي تمثل المرحلة الثانية لحصول المعرفة، ولا تتحقق إلا بتحقق المرحلة الأولى، فالأفعال(انظر، تأمل، تشاهد، دقق، ترى، تدبر) تقوم و تبني بعد تحقق بنية الأفعال في المرحلة الأولى، و لا تعني مجرد صياغتها تحققها، إنما تحققها هو حصولها الفعلي، إنجازها من طرف المتلقي في واقعه، هنا يمكن القول أنها اكتملت بنيويا.

و الجدير بالذكر أن فعل الأمر هو المسيطر، أربع أفعال أمر (انظر، تأمل، دقق، تدبر) مقابل ثنين مضارعين(تشاهد، ترى) لكنهما دلاليا يتضمنان الأمر في علاقتهما بأفعال الوحدة ضمن سياق الرسالة.

يوجه النورسي للمخاطب هذه الأفعال بعدما يوقظ فيه الرغبة و الإرادة في المعرفة، ليتأمل و يتدبر و يشاهد، وحين تصل الرسالة إلى هذه المرحلة تسرد عشر آيات، ثم بعض بدايات السور، تشترك كلها في الدلالة على عظمة قائلها اللّٰه سبحانه و تعالى، و منها يستمد القرآن عظمته، و الآيات نفسها تتضمن أفعال المرحلة الثانية يوردها النورسي في سياق الرسالة مباشرة بعد الفعل (تأمل). و هي دعوة إلى المخاطب من طرف الكاتب، و القرآن الكريم ذاته ليتدبر و يتأمل ما جاء فيها من عظمة، و يشاهد القدرة الحقيقية الخالدة.

فإذا حصل التدبر و التأمل تتحقق المعرفة، و الإدراك وهي المرحلة الثالثة التي تمثلها الأفعال(تعرف، تدرك) إذ يعرف المتلقي/ القارئ عظمة الخالق المتجلية في مخلوقاته الواردة في الآيات التي ساقتها الرسالة في المرحلة الثانية، و كذا عظمة كلام اللّٰه الذي هو القرآن.

هنا يتحقق الفهم، الذي يحتل مساحة واسعة، يتكرر تسع مرات تأكيدا على تحققه بعيدا عن كل شك وريب، فلم يعد لدى القارئ أيّ تردد أو اضطراب وارد يخص الفهم، فهم بأن اللّٰه عظيم و كلامه يستمد منه عظمته، فهو- القرآن - عظيم و ما جاء فيه يستحق التطبيق، حتى يصير المطبق بدره إنسانا عظيما وسط غيره من البشر، فيستحق مرتبة عظيمة في الجنة.

و قد عمد سعيد النورسي إلى تكرار الفعل(تفهم) ليزيل اللبس و الشك عندالمتلقي، ويتأكد بأنه فعلا فهم، فلا ريبة في قلبه بعد ذلك، و هذا هو سبب اقتناع أتباعه بمجرد سماع كلماته هكذا تتحقق المعرفة الصحيحة الصادقة، و بتحققها يحصل اليقين.

المقطع الثاني:

تغيب الأفعال في المقطع الثاني إلا ناذرا، يتشكل من وحدتين تأتي الأولى مباشرة بعد المقطع الأول يتصدرها الفعل تأمل، تكونه أمثلة ثلاثة، يستحضرها سعيد النورسي من أجل تحقيق الفهم، والقياس عليها، أي قياس و تعليل المقطع الثالث بالمقطع الثاني.

والمثال في هذا المقام سواء الاسم (مثال) أو المتن يبرز حدة الشرح و الإقناع، و التعليل، يعزز ذلك الأسلوب القائم على الاسترسال و المقارنة بين مقامين مختلفين يقابلان مقامين مختلفين في المقطع الثالث، وبالمقارنة يتضح المقصد و الفارق الدلالي الجوهري الناتج عن الاختلاف، فالخطاب منطلق من السلطان يتخذ في مساره إلى المتلقي مستويين أو طرازين كما قال سعيد النورسي، نوضح ذلك من خلال هذه الترسيمة:

مرسل ← مرسل إليه
القناة

تكون القناة إما مباشرة أو غير مباشرة

المثال الأول:
المستوى الأول: السلطان ← الرعية خطاب غير مباشر
الخطاب
بوساطة هاتف

الخطاب

المستوى الثاني: السلطان ←——— الوزير خطاب مباشر
بلا وساطة

المثال الثاني:

و فيه يحاول شخصان الاستفادة من نور الشمس، الأول يستفيد مستخدما مرآة، و الثاني يواجه النور مباشرة.

النور
المستوى الأول: الشمس ←——— الرجل الأول
عبر المرآة
استفادة غير مباشرة

النور
المستوى الثاني: الشمس ←——— الرجل الثاني
من غير مرآة
استفادة مباشرة

نحصل على الثنائية: (خطاب مباشر/ خطاب غير مباشر، بوساطة).
أو (اتصال مباشر/ اتصال غير مباشر، بوساطة).

و يتم الاتصال أو الخطاب وفقا للرتبة والمكانة التي يحتلها المرسل إليه عند المرسل، فكلما تدرجت الرعية أكثر في مراتبها نحو السلطان، كلما زالت بينها و بينه الوسائط، و كان الخطاب مباشرة و ذا أثر بالغ، و كلما اقترب الرجل أكثر من الشمس، و واجهها كلما استفاد أكثر من نورها.

هنا يأتي القياس الذي يمارسه النورسي، إذ يقيس مرتبة القرآن، و مكانته عند اللّٰه على هذين المثالين، من أجل الإفهام و تحقيق الإدراك للمتلقي، فنجد في المقطع الآتي ما يلي:

١- اللّٰه سبحانه وتعالى ——— القرآن الكريم
٢- اللّٰه سبحانه و تعالى ——— الكتب و الصحف السماوية

فكون القرآن الكريم نزل من أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من أسماء اللّٰه الحسنى، يعد كلام اللّٰه و هو أهل لذلك. و من ثم يكون له الأثر البالغ في القارئ أو السامع. عكس الكلمات الأخرى التي قالها اللّٰه تعالى لاعتبارات خاصة.

هذا ما يحققه القياس الذي أراده سعيد النورسي كما يتضح في الرسم الآتي:

قياس

المثال ← الحقيقة (عظمة القرآن الكريم)

ثم يأتي التعليل الذي يؤديه المثال الثالث، لكن هذه المرة ليس تحت عنوان (المثال)، إنما بتوظيف عبارة(فمثلا)، لكي تتماسك، و تنسجم مع وظيفتها، و هي التعليل، دون أن تختلف عن المثالين السابقين من حيث البناء، وذلك في قول الوليّ: «حدثني قلبي عن ربي» و يتضمن دلاليا القول الغائب في النص «حدثني ربي عن طريق هاتف(رسول)»، فنحصل على:

١- الرب جل جلاله ——— الحديث من غير وساطة ——— الولي الحديث مباشر

٢- الرب جل جلاله ——— الحديث بوساطة ——— الولي الحديث غير مباشر

يقع الحديث في المستوى الأول مباشرة في القلب، و في المستوى الثاني يتم بوساطة، ويكون التعليل حسب الرسم الآتي:

تعليل

الحقيقة (عظمة القرآن) ← المثال

بهذه الطريقة يمارس المقطع الثاني وظيفته، القياس و التعليل، من أجل

الإقناع، إقناع المتلقي بالحقيقة الكبرى، و هي عظمة القرآن المتجلية في كلماته، التي يريد سعيد النورسي من المتلقي التأمل فيها، ثم إدراكها، ثم فهمها.

المقطع الثالث:

يمثل المقطع الثالث موضوع الرسالة/ الخطاب الموجهة إلى القارئ المرسل إليه من طرف سعيد النورس المرسل. يقوم المقطع الأول بتأكيدها و البرهان عليها، يحضران كعنصرين ينيران بنيتها، ويشاركان في انبنائها دلاليا.

تعرض الرسالة عظمة القرآن باعتبار صدوره من اللّٰه عز وجل، في مقابل الكلمات الأخرى و الكتب السماوية. ثم باعتبار من نزل عليه، و هو الحبيب المصطفى ﷺ.

في الوحدة الأولى تتجلى عظمة القرآن الكريم و سموه في مقابل سائر الكلمات الإلهية:

القرآن الكريم/ ب – سائر الكلمات الإلهية

في الوحدة الثانية تظهر عظمة القرآن الكريم في مقابل الكتب السماوية:

أ - القرآن الكريم/ ب – الكتب السماوية

في الوحدة الثالثة تظهر عظمة القرآن الكريم و سموه في من نزل عليه محمد صلى اللّٰه عليه و سلم:

اللّٰه تعالى ـــــــــ القرآن الكريم ـــــــــ محمد صلى اللّٰه عليه و سلم

بهذه الطريقة يقدم سعيد النورسي عظمة القرآن الكريم في هذه الرسالة التي تتضمن باقي الرسائل الواردة في الكتاب (أنوار الحقيقة) عبر لغة استطاعت أن تخترق ببنائها و أسلوبها أذن و عين القارئ، لتصل إلى قلبه و عقله، ثم نراها متجلية في سلوكه، و هو هدف الرسالة، هدف ظهر في عنوان الكتاب (أنوار الحقيقة، مباحث في التصوف و السلوك).

تركيب:

إن الرسالة قد تكون فعالة بقوة إيمان صاحبها، و صدق كلامه، و استقامة

سلوكه، لكن قدرته على المخاطبة، و صياغتها لغويا في مثل هذا المستوى المتعالي مكنها من بلوغ مرامها. إنها حقيقة يستهدفها الإخبار و يقصدها، بحيث ينتظم الكلام و فق هذا المقصد.

في حدود ما تقدم، يقوم المقطع الأول بمهمة التنبيه، و بعث الإرادة في نفس المتلقي. بينما يقوم المقطع الثاني بمهمة التعليل و البرهنة. و يأتي المقطع الثالث ليؤدي مهمة التعريف و التعليم، وكذا التذكير بحقيقة القرآن، لذا كانت له المساحة الأكبر في الرسالة.

وما يعطيها صفة الحقيقة المطلقة الثابتة الخالدة هو تجردها من الزمان و المكان. فهي لا تحاكي حادثا وقع في واقعنا اليومي، أو حادثا تاريخيا، فتكون خاضعة لتغيرات الزمان و تبدلاته، تتبدل بتبدل ظروفها، إنما هي واقعة في المطلق الذي يتجاوز الزمن المادي. إنها عقيدة محكومة بزمن النص القرآني، الذي بدوره يستمد أزليته من أزلية قائله سبحانه و تعالى.

لذلك يريد سعيد النورسي تنبيه الغافلين لعلاقة الإنسان بهذه الحقيقة سواء كان مرسلا لها أو متلق. و هنا يمتلك القائل أو الناقل لهذه الحقيقة حضورا في نص الرسالة. يغيب سعيد النورسي، فلا تدل عليه اللغة بضمائرها و أفعالها، إنما نتلمسه كقيمة روحية من خلال اللغة ذاتها، حين تلبس هذه الروح المؤمنة الممتلئة باليقين، بينما يحضر المتلقي المخاطب في المقطع الأول، و يغيب في المقطع الثاني و الثالث، حينما تركز الرسالة على الحقيقة الكبرى (عظمت القرآن الكريم).

و تتخذ بنية النص من حيث علاقتها بصاحبها طابعا حياديا، لا هوية للنص على مستوى اللغة تفصح عن كونها رسالة من خلال ما جاء أعلى غلاف الكتاب في الزاوية اليمنى (من كليات رسائل النور)، لا تقع في زمن محدد بين مرسل و مرسل إليه معلومين، و لا في مكان ما، باستثناء اسم المؤلف (سعيد النورسي) على الغلاف، و هذا يعطي الرسالة صفة المطلق، أي أنها تخاطب القارئ في كل مكان و زمان، و كأنها رسالة تتجدد كتابتها لترسل عبر الزمان و المكان، إنها رسالة خالدة.

نعود لنؤكد ما قلنا سلفا، و هو موقع الرسالة في بناء الكتاب، فقد جاءت فاتحة له، وتضمنت دلاليا الرسائل الأخرى، فتفرعت عنها، لتشرح بالتفصيل، الحقائق الكبرى الواردة جملة في الرسالة الفاتحة.

و بما أنها احتوت حقيقة عظمة القرآن الكريم و سموه، بما يحويه من مواضيع الرسائل الأخرى، استحقت أن تكون فاتحة الرسائل. استطاع سعيد النورسي أن يوظف لغة تشكلت لتناسب هذه الصفة. فكانت لها القوة و القدرة على الانتقال من كونها حقيقة في مستوى اللغة إلى حقيقة في مستوى الاعتقاد، ثم تتحول إلى حقيقة مجسدة في سلوك الإنسان الذي هو المتلقي.

و نختم القول بأن الرسالة، إذا استطاعت أن تقدم و تخبر عن عظمة القرآن، فإنها و هي تفعل ذلك اكتسبت شيئا من هذه العظمة، فكانت عظيمة في مقابل الكلام البشري الآخر، دليل على عظمة قائلها العظيم في مقابل البشر الآخرين، لذا فمن أراد أن يكون عظيما فعليه أن يشرب من نبع العظمة الأصيل و هو القرآن العظيم كلام اللّٰه.

الهوامش

١) سعيد رمضان البوطي: من الفكر و القلب فصول من النقد في العلوم و الاجتماع و الأدب، دار الهدى، عين مليلة الجزائر ١٩٩٠، ص٢٤٤

٢) انظر مريم فرنسيس: في بناء النص و دلالته (محاور الإحالة الكلامية)، دراسات لغوية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨

٣) سعيد النورسي: أنوار الحقيقة، مباحث في التصوف و السلوك ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزر النشر، القاهرة، ط١/٢٠٠٢ ص٥

٤) يمنى العيد: في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، دار الأفاق الجديدة بيروت ط١/١٩٨٣ ص١٧٣

«إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» لسعيد النورسي: دراسة موضوعية

د. شيخ محمد
مركز البحوث والآداب العربية، كلية مدينة العلوم العربية بوليكال

هذه دراسة موضوعية حول كتاب «إشارات الإعجاز في مظان الايجاز». كتاب ألفه الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي باللغة العربية. وقام الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بتحقيق الكتاب فأحسن إخراجه وطباعته والتعليق عليه. يحتوي الكتاب تفسير سورتي الفاتحة والبقرة بأحسن الصور وأتقن المعاني. قصد الشيخ النورسي أن يفسر القرآن الكريم مع العناية بإبراز وجوه البلاغة عامة ومراعاة نظرية النظم خاصة التي تطورت على يد الجاحظ والرماني والباقلاني وعبد القاهر الجرجاني.

كان هدف المؤلف عند تأليف هذا الكتاب التعريف على أهمية رسالات القرآن لجميع الناس والتفسير على دلائل اعجازه. يقول الشيخ سعيد النورسي في مطلع الكتاب:

«أولا: ان مقصدنا من هذه الاشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن؛ لأن الاعجاز يتجلى من نظمه. وما الاعجاز الزاهر الا نقش النظم.

وثانيا: ان المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الاصلية اربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة.»[٣٥]

قد حاول الشيخ سعيد النورسي في تفسير كلام اللّٰه الكريم محاولة متناهية بتقديم الأدلة العقلية والنقلية. إنه قد بذل قصارى جهده في إتيان التحديات القائمة ضد من قاموا على إعجاز القرآن. ومن خواص هذا الكتاب إدخال بعض الأسئلة وأجوبتها من بين السطور في المواد التي لها أهمية بالغة.

---

٣٥ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص. ٢٢

هذه الدراسة تنقسم إلى أربعة أقسام. وهي:-

١ الموضوعات العقدية

٢ الموضوعات الخلقية

٥ الموضوعات اللغوية

٨ أقوال العلماء عن القرآن

أ- الموضوعات العقدية

يبحث الشيخ النورسي في هذا الكتاب عن المسائل المختلفة المتعلقة بالإيمان والإعتقاد. يفسر الكاتب الآيات الكريمة بالمعانى والدلالات لجميع الموضوعات مثل الإيمان والكفر، الهداية والضلالة، والنفاق و المنافقون، والشيطان، والآخرة و يوم الدين، والجنة والنار، والملائكة، و رحمة اللّٰه الواسعة، و أسرار النبوة، وإعجاز القرآن، وأهل الكتاب وما إليها. المسائل التي تتعلق بالعقيدة هي أخذت معظم الأجزاء لهذا الكتاب.

الإيمان

هذا، تعريف رائع من العلامة السعيد النورسي لحقيقة الإيمان وهو المقرر عند علماء أهل السنة والجماعة أيضا:

«واعلم ان الايمان هو النور الحاصل بالتصديق يجميع ما جاء به النبي عليه السلام تفصيلا في ضروريات الدين واجمالا في غيرها.»[١]

ويقول في موضع آخر:

«ثم إن الإيمان – كما فسره السعد – نور يقذفه اللّٰه تعالى في قلب من يشاء من عباده، هي بعد صرف الجزء الاختياري. فالإيمان نور لوجدان البشر وشعاع من شمس الازل يضيئ دفعة ملكوتية الوجدان بتمامها. فينشر أنسية له مع كل الكائنات.... ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كل شيئ.... ويلقي في القلب قوة معنوية يقتدر بها الإنسان أن يصارع جميع الحوادث والمصيبات... ويعطيه وسعة يقتدر بها ان يبتلع الماضي والمستقبل. وكما ان الإيمان شعاع

١ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز. ص. ٥١

من شمس الأزل؛ كذلك لمعة من السعادة الأبدية أي الحشر. فينمو بضياء تلك اللمعة بذور كل الآمال، ونواة كل الاستعدادات المودعة في الوجدان، فتنبت ممتدة الى الأبد، فتنقلب نواة الاستعداد كشجرة طوبى.»[٢]

الكفر

يبين الكاتب عن أخطار الكفر:

«..... بأن في الكفر مصائب عظيمة، وفوات نعم عظيمة، وتولد آلام شديدة، وزوال لذائذ عالية.... مصرحة بجملها بأن الكفر أخبث الأشياء وأضرها.

الإخلاص

يعرف العلامة سعيد النورسي للإخلاص تعريفا رائعا حيث يقول في سورة الفاتحة: «....ان الايمان بلا إخلاص ليس بإيمان.»[٣]

العبادة

«وإعلم أيضا إن العبادة سبب لسعادة الدارين.. وسبب لتنظيم المعاش والمعاد.. وسبب للكمال الشخصي والنوعي..»[٤]

«ولفظ» آمنوا «بدل» أخلصوا في إيمانكم «إشارة إلى أن الإيمان بلا إخلاص ليس بايمان...»[٥]

«ومنها: ان بامتثال الأوامر وإجتناب النواهي يحصل للإنسان نسب كثيرة إلى مراتب عديدة في الهيئة الاجتماعية فيصير الشخص كنوع ،اذ كثير من الأوامر لاسيما التي لها تماس بالشعائر والمصالح العمومية كالخيط الذي نيط به حيثيات ونظم فيه حقوق، لولاه لتمزقت وتطايرت.»[٦]

يقول العلامة سعيد النورسي عند تفسير سورة الفاتحة حول العبادة حيث يقول:

---

٢ نفس المصدر ص. ٥١، ٥٢

٣ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص. ١٠٢

٤ نفس المصدر ص. ١٤٨

٥ نفس المصدر ص. ١٤٨

٦ نفس المصدر ص. ١٤٨

«أي نعبد نحن معاشر أعضاء وذرات هذا العالم الصغير- وهو أنا- بالشكر العرفي الذي هو إطاعة كل ما أمر به... ونحن معاشر الموحد ين نعبدك بإطاعة شريعتك..... ونحن معاشر الكائنات نعبد شريعتك الكبرى الفطرية ونسجد بالحيرة والمحبة تحت عرش عظمتك وقدرتك»[٧]

ويوضح سر اقتران العبادة والإعانة في الآية مفسرا علاقة السابق للاحق:-

لأن العبادة حق اللّٰه على العبد، والإعانة إحسانه تعالى على عبده.»[٨]"

ويقول المؤلف – رحمه اللّٰه:

«العبادة هي أهم المقاصد من مقاصد الإنسان وحاجاته التى يتوجه بها إلى المعبودين.»

«أي نحن معاشر الأعضاء ومعاشر الموحدين ومعاشر الكائنات نطلب منك التوفيق والإعانة على كل الحاجات والمقاصد التى أهمها عبادتك.»[٩]

الإخلاص

ألإخلاص ركن من الأركان في قبول العبادات. لا ينبغي للمسلم تجنبها في أي حالة من حياته. يقول عنه المؤلف في تفسير آية ((إياك نعبد)):-

«واعلم إن تقديم «إياك» للإخلاص الذي هو روح العبادة. وإن في خطاب الكاف رمزا إلى علة العبادة لأن من اتصف بتلك الأوصاف الداعية إلى الخطاب استحق العبادة»[١٠]

ويقول عن أهمية الإخلاص في العبادة:

«وكذا رمز إلى ان العبادة بالاخلاص تكون عبادة.. وايضا إيماء إلى ان العبادة مقصودة بالذات لا وسيلة محضة.. وكذلك رمز إلى ان العبادة لابد ان لا تكون لأجل الثواب والعقاب.»[١١]

٧ نفس المصدر ص. ٣٠

٨ نفس المصدر ص. ٣١

٩ نفس المصدر ص. ٣١

١٠ اشارت الإعجاز في مظان الايجاز. ص. ٣٠

١١ نفس المصدر ص. ١٦١

النفاق

«ان المنافق يزيد على الكفر جنايات أخر كالاستهزاء والخداع والتدليس والحيلة والكذب والرياء.»[١٢]

ويقول: «....الجنايات الأربع الناشئة من النفاق وهي الخداع، والإفساد، وتسفيه المؤمنين، والاستهزاء بهم....»[١٣]

ويضرب مثلا للنفاق والآفات المترتبة منه:

«كما ان من نظر بمرآة البصر السوداء رأى كل شيئ أسود قبيحا. فذلك من احتجبت بصيرته بالنفاق وفسد قلبه بالكفررأى كل شيء قبيحا مبغوضا' يحصل في قلبه عناد و حقد مع كل البشر بل كل الكائنات.»[١٤]

الهداية والضلالة

يوجد في هذا الكتاب جزء مقسوم في موضوع الهداية. وهو يقول:-

«وأيضا ان اللّٰه تعالى بحكم (اعطى كل شيئ خلقه ثم هدى)[١٥] هدانا بإعطاء الحواس الظاهرة والباطنة، ثم هدانا بنصب الدلائل الآفاقية والأنفسية، ثم هدانا بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ثم هدانا أعظم الهداية بكشف الحجاب عن الحق فظهر الحق حقا والباطل باطلا.»[١٦]

يقول المؤلف رحمه اللّٰه في تفسير الضلالة:

«واعلم! ان كل الألم في الضلالة وكل اللذة في الايمان.»[١٧]

انظر تعريف الشيخ السعيد النورسي للصراط المستقيم حين يقول:

اعلم هن الصراط المستقيم هو العدل الذى هو ملخص الحكمة والعفة

---

١٢ اشارات الإ'جاز في مظان الايجاز ص. ٨٨

١٣ نفس المصدر ص. ٩٢

١٤ نفس المصدر ص. ١٠٠

١٥ سورة طه. ٥٠

١٦ اشارات الاعجاو في مظان الايجاز ص. ٣١

١٧ نفس المصدر ص. ٣٧

والشجاعة...»[١٨]"

ثم يضيف المؤلف قائلا:

ومن مر على هذا الصراط يمر على الصراط الممتد على النار.»[١٩]"

وفق منظور المؤلف ان اللّٰه قد وزع بين المخلوقات ثلاث قوى رئيسية. وهي:

القوة الأولى: القوة الشهوية البهيمية الجاذبة للمنافع

القوة الثانية: القوة الغضبية السبعية الدافعة للمضرات والمخربات.

القوة الثالثة: القوة العقلية الملكية المميزة بين النفع والضر.

ثم يبين المؤلف الفرق بين الإنسان والحيوان في هذه القوى المذكورة:

«لكنه تعالى – بحكمته المقتضية لتكمل البشر بسر المسابقة – لم يحدد بالفطرة تلك القوى كما حدد قوى سائر الحيوانات، وإن حددها بالشريعة، لأنها تنهى عن الافراط والتفريط وتأمر بالوسط، يصدع عن هذا (فاستقم كما أمرت).»[٢٠]

الإنسان مخصص بميزة «عدم التحديد الفطري» أي بمعنى ان اللّٰه تبارك وتعالى لم يحدد قوى الإنسان الثلاثة كما حدده سبحانه سائر الحيوانات. بسبب هذه الميزة تنقسم أفعال الإنسان إلى ثلاث مراتب

الأولى: النقصان وهي التفريط

الثانية: والزيادة وهي الافراط

الثالثة: الوسط وهي العدل

ثم يبحث المؤلف حول موقف الأنبياء في العقائد والعبادات:

إن قلت:- مسالك الانبياء متفاوتة وعباداتهم مختلفة؟"

قيل لك:ان التبعية في اصول العقائد والاحكام. لأنها مستمرة ثابتة دون الفروعات التي من شأنها التغير بتبدل الزمان.«[٢١]

١٨ نفس المصدر ص. ٣٢

١٩ اشارات الإعجاز في مظاان الايجاز ص. ٣٣

٢٠ سورة هود ١١٢

٢١ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص. ٣٤

ويقول في موضع آخر:

«ان مذهب أهل السنة والجماعة هو الصراط المستقيم، وما عداه إما افراط او تفريط»[٢٢]

التقوى

«اما لفظ «تتقون» فإشارة – بحكم ترتبه على عبادة الطيقات المذكورة- إلى مراتب التقوى وهي: التقوى عن الشرك. ثم التقوى عن الكبائر. ثم التقوى بحفظ القلب عما سواه تعالى.. وكذا التقوى بالتجنب عن العقاب.. وأيضا التقوى بالتحرز عن الغضب..»[٢٣]

نرى في هذا الكتاب العظيم بعض التوضيحات عن مادة التقوى وما يلزم على صاحبها من خصال إعتقادية. يقول المؤلف رحمه اللّٰه:

« ألا ترى ان التقوى هي التخلى عن السيئات وقد ذكرها القرآن بمراتبها الثلاث، وهي: ترك الشرك، ثم ترك المعاصي، ثم ترك ما سوى اللّٰه. والتحلية فعل الحسنات: إما بالقلب او القالب او المال. فشمس الاعمال القلبية «الإيمان» والفهرستة الجامعة للأعمال القالبية «الصلاة» التي هي عماد الدين، وقطب الأعمال المالية «الزكاة» اذ هي قنطرة الإسلام.»[٢٤]

القرآن و إعجازه

إن في كل كلام من القرآن ثلاث قضايا:

احداها:هذا كلام اللّٰه

والثانية: «معناه المراد حق» وانكار كل من هاتين كفر.

والثالثة: «معناه المراد هذا» فإن كان محكما أو مفسرا فالإيمان به واجب بعد الاطلاع، والإنكار كفر.»[٢٥]

«ان القرآن لأنه نزل لجميع الانسان في جميع الأعصار يكون هذه النقط

٢٢ نفس المصدر ص. ٧٩

٢٣ نفي المصدر ١٦١

٢٤ نفس المصدر ص. ٥٠

٢٥ نفس المصدر ص. ٧٤

الثلاث دلائل اعجازه. والذي علم القرآن المعجز انَّ نظر البشير النذير وبصيرته النقّادة أدق وأجل وأجلى وأنفذ من ان يلتبس او يشتبه عليه الحقيقة بالخيال، وان مسلكه الحق أغنى وأعلى وأنزه وأرفع من ان يدلس أو يغالط على الناس!.»[٢٦]

يجيب المفسر لتهمة كبيرة ودعوى باطلة هي بعض الكلمات والحوادث التي وردت في القرآن مكررة تمل القراء وتنافي البلاغة.

«إن قلت: إن في القرآن الموجزالمعجزأشياء مكررة تكرارا كثيرا في الظاهر كالبسملة و(فبأي آلاء) الخ.... و(ويل يومئذ) الخ....وقصة موسى وأمثالها، مع ان التكراريمل وينافي البلاغة.

قيل لك: (ما كل ما يتلألأ يحرق) فان التكرار قد يمل، لا مطلقا. بل قد يستحسن وقد يسأم. فكما ان في غذاء الانسان ما هو قوت كلما تكرر حلا وكان آنس، وما هو تفكه ان تكرر مل وان تجدد استلذ، كذلك في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوة للأفكار وغذاء للأرواح كلما استعيد استحسن واستؤنس بمألوفه كضياء الشمس. وفيه ما هو من قبيل الزينة والتفكه، لذته في تجدد صورته وتلون لباسه.

اذا عرفت هذا فاعلم ! انه كما ان القرآن بمجموعه قوت وقوة للقلوب لا يمل على التكرار بل يستحلى على الإكثار منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت كلما تكرر تلألأ.....»[٢٧]

الآخرة

توجد جوانب الآخرة المتعددة مفسرة على وفق تفسير علماء أهل السنة والجماعة.

«إن الحشر حق؛لأن في الكائنات نظاما أكمل قصديا... وإن في الخلقة حكمة تامة... وان لا عبثية في العالم.... وان لا اسراف في الفطرة.... والمزكي

---

٢٦ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص. ١٧٧

٢٧ نفس المصدر ص. ٣٩

لهؤلاء الشواهد الاستقراء التام بجميع الفنون التي كل منها شاهد صدق على نظام نوع موضوعه.... وأيضا ان في كثير من الأنواع مثل اليوم والسنة وغيرهما قيامة مكررة نوعية.... وايضا جوهر استعداد البشر يرمز الى الحشر... وأيضا عدم تناهي آمال البشر وميوله يشير اليه... وايضا رحمة الصانع الحكيم تلوح به.... وايضا لسان الرسول الصادق عليه السلام يصرح به.... وأيضا بيان القرآن المعجز في أمثال (وقد خلقكم أطوارا) و (وما ربك بظلام للعبيد) يشهد له. تلك عشرة كاملة، مفاتيح للسعادة الأبدية وأبواب لتلك الجنة.»[٢٨]

يأتي الكاتب بمثال أوضح لتثبيت حقيقة المحشر فيقول:

«نعم ! كما ان جمع نفرات عسكر فرقة اذن لهم بالإستراحة والانتشار اذا دعوا بآلة المعروفة- فيتسللون عن كل طرف ومكمن، فبجتمعون متحدين تحت لوائهم- يكون أسهل وأسهل من جلبهم أول الأمر الى انتظام تحت السلاح؛كذلك ان جمع الذرات التي حصلت بينها المؤانسة والمناسبة بالامتزاج في وجود واحد إذا نوديت بصور اسرافيل فبنساب الكل من كل فج عميق ملبية لأمر خالقها يكون أسهل وأمكن في العقل من انشائها وتركيبها أول المرة.»[٢٩]

«إن جهنم مخلوقة موجودة الآن لا كما زعمت المعتزلة.....

فإن قلت: إذا كانت جهنم موجودة الآن فأين موضعها؟

قيل لك: نحن معاشر أهل السنة والجماعة نعتقد وجودها الآن بل لا نعين موضعها.»[٣٠]

ويقول مرة:

« ان السفيه من ترك الآخرة بالغرور والغرض واللذة الفانية دون من اشترى الباقي بترك الهرسات[٣١] الفانية»[٣٢]

٢٨ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص. ٦١

٢٩ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص. ٦٢

٣٠ نفس المصدر ص. ١٨٤

٣١ الهرس: طرف من الجنون وخفة العقل والمقصود هنا الأغراض النفسية وامانيها.

٣٢ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص. ١٠٧

الصدق والكذب

الصدق وفق منظور الكاتب من أسمى الصفات التي تتعلق بالعقيدة والتي لا بد أن يلبسها الفرد المسلم في حياته اليومية، والكذب بالعكس. يقول المؤلف:

«إذ الكذب أساس الكفر، بل الكفر كذب ورأس الكذب، وهو الأولى من علامات النفاق. وما الكذب الا افتراء على القدرة الإلهية' وضد للحكمة الربانية... وهوالذي خرب الأخلاق العالية... وهو الذي صير التشبثات العظيمة كالشبحات المنتنة... وبه انتشر السم في الإسلام... وبه اختلت احوال نوع البشر... وهو الذي قيد العالم الإنساني عن كمالاته... وأوقفه عن ترقياته... وبه وقع أمثال مسيلمة الكذاب في أسفل سافلين الخسة... وهو الحمل الثقيل على ظهر الإنسان فيعوقه عن مقصوده... وهو الأب للرياء والأم للتصنع...[٣٣]

الرابط «إذ الصدق هو أساس الإسلامية' وهو خاصة الإيمان' بل الإيمان صدق ورأسه.... وهو لكل الكمالات.... وهو الحياة للأخلاق العالية.... وهو العرق الرابط للأشياء بالحقيقة... وهو تجلى الحق في اللسان.... وهو محور ترقي الإنسان.... وهو نظام العالم الإسلامي... وهو الذي يسرع بنوع البشر في طريق الترقي- كالبرق – إلكعبة الكمالات..... وهو الذي يصير أخمد الناس وأفقره أعز من السلاطين.... وبه تفوق أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس... وبه ارتفع ((سيدنا محمد الهاشمي)) عليه الصلاة والسلام إلى أعلى عليين مراتب البشر.[٣٤]

النبوة و دلائلها

وفقا لرأي المؤلف أن المقصد الهام من مقاصد القرآن هو إثبات نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام. الكاتب يطرح أمام القراء أربع دلائل لإثبات نبوة الرسول ﷺ:

الأولى: إن مدار نبوة الأنبياء وأساسها وكيفية معاملاتهم مع أممهم يوجد

---

٣٣ نفس المصدر ص. ٩٧

٣٤ نفس المصدر صز٩٧

بأكمل وجه في محمد عليه الصلاة والسلام الذي هو أستاذ البشر في سن كمال البشر.

الثانية: أن كل حال من أحواله وكل حركة من حركاته عليه السلام يلوح بالمبدأ على صدقه وبالمنتهى على حقانيته.

الثالثة:- إن الزمان الماضي والحال والاستقبال اتفقت على تصديق نبوته.

الرابعة:- إن صحيفة الماضي المشتملة على قصص الأنبياء المذكورة على لسانه عليه السلام في القرآن برهان على نبوته.

٣. الموضوعات الخلقية

الأستاذ سعيد النورسي في هذا الكتاب الرائع يوضح عن قدرة اللّٰه تعالى في خلق السماوات والأرض، فضلا عن الايضاح في نزول المطر وخلق الرعد والبرق. ويثبت السيد نورسي بقلمه الثابت بأن «العالم مخلوق لأجل الإنسان». يغطي هذا الكتاب جميع ما يتصل بالحياة ومراحلها. ويفسر عن نعم اللّٰه العظيمة والدقيقة تفسيرا دقيقا.

مرة، قال عن صنعة اللّٰه العجيبة في الكون والطبيعة:-

«ان الطبيعة صنعة اللّٰه تعالى وشريعته الفطرية. وأما قواها فأحكام تلك المسائل.»[٣٥]

هذا تفسير متقن في السماوات عند آية ﴿والسماء بناء﴾

أما ﴿والسماء بناء﴾ فإشارة الى انه تعالى لما جعل لكم السماء سقفا وبناء صارت نجومها قناديل لكم فلا يتوهم التصادف في تفريق تلك القناديل وانتشارها كما يتوهم التصادف في وضعية الجواهر التي ترمى على الأرض منتشرة.»[٣٦]

ويثبت الكاتب أن جميع الدلائل الخلقية تشير إلى وحدانية اللّٰه في الكون. فيقول:

---

٣٥ نفس المص\ر ص. ١٥٤

٣٦ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص. ١٦٢

«إن تعاون الأرض والسماء ومناسبتهما في توليد الثمرات- لتعيش نوع البشر وجنس الحيوان - ومشابهة آثار العالم وتعانق أطرافه وأخذ بعض يد بعض بتكميل بعض انتظام بعض، وتجاوب الجوانب وتلبية تعض لسؤال حاجة بعض، ونظر الكل إلى نقطة واحدة، وحركة الكل بالانتظام على محور نظام واحد، تلوّح بل تصرّح بأن صانع هذه الماكينة الواحدة واحد وتتلو على كل:»[٣٧]

وفي كلّ شيء له آية تدل على أنه واحد

وقال في موضع آخر:

«هو الذي خلق الأرض وفرشها ومهدها لكم، ولأنه هو الذي خلق السماء وجعلها سقفا لبنائكم فلا تعتقدوا تأثيرا حقيقيا للأسباب الطبيعية التي هي منشأ الوثنية، ولأنه هو الذي أرسل الماء إلى الأرض لرزقكم ومعيشتكم، ولا نعمة الا منة فلا شكر ولا عبادة إلا له.»[٣٨]

وقال مرة:

«انه تعالى لما جعل لكم السماء سقفا وبناء صارت نجومها قناديل لكم فلا يتوهم التصادف في تفريق تلك القناديل وانتشارها كما يتوهم التصادف في وضعية الجواهر التي ترمى على الأرض منتثرة.»[٣٩]

وقال مرة أخرى:

«كأنها هي العلة بالنظر غلى الانسان. أي ان الانسان يستفيد من الأرض عرصة لبيته والسماء سقفا له والنجوم قناديل والنباتات ذخائر»[٤٠]

ج - الموضوعات اللغوية

إن كتاب «اشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» لسعيد النورسي دليل واضح في مزايا اللغوية للآيات القرآنية. يتناول الكاتب جميع الأسس والمبادئ من

---

٣٧ نفس المصدر ص. ١٥٤

٣٨ نفس المصدر ١٥٨

٣٩ نفس المصدر ١٦٢

٤٠ نفس المصدر ١٦٣

علم البلاغة. الكاتب يبحث مراتب البلاغة مثل القياس والبيان والمعاني والأساليب وما إليها. إن تأثير عبد القاهر الجرجاني واضح جدا في كتابات سعيد النورسي.

«الطريق الأول: هو ان قوم العرب كانوا بديين امّيين ولهم محيط عجيب يناسبهم.. وقد انتبهوا بالانقلابات العظيمة في العالم.. وكان ديوانهم الشعر وعلمهم البلاغة، ومفاخرتهم بالفصاحة في أمثال سوق عكاظ.. وكانوا أذكى الاقوام.. وكانوا أحوج الناس لجولان الذهن إذا.. ولقد كان لأذهانهم فصل الربيع، فطلع عليهم القرآن بحشمة بلاغته فمحا وبهر تماثيل بلاغتهم وهي «المعلقات السبعة» المكتوبة بذوب الذهب على جدار الكعبة. مع ان اولئك الفصحاء البلغاء- الذين هم أمراء البلاغة وحكام الفصاحة- ما عارضوا القرآن وما حاروا ببنت شفة، مع شدة تحدّي النبي عليه السلام لهم ،ولومه لهم، وترذيله لهم مع ان من بلغائهم من يحط بيافوخه كتف السماء، ومنهم من يناطح السّماكين بكبره فلولا انهم ارادوا وجربوا أنفسهم فأحسوا بالعجز، لما سكتوا عن المعارضة البتة، فعجزهم دليل اعجاز القرآن.

والطريق الثاني: هو ان اهل العلم والتدقيق واهل التنقيد الذين يعرفون خواص الكلام ومزاياه ولطائفه تأملوا في القرآن سورة سورة، وعشرا وعشرا، وآية آية، وكلمة كلمة، فشهدوا بانه جامع لمزايا ولطائف وحقائق لا تجتمع في كلام بشر. فهولاء الشهداء الوف الوف. والذي يدل على صدق شهادتهم هو ان القرآن أوقع في العالم الانساني تحولا عظيما، واسس ديانة واسعة، وادام على وجه الزمان ما استمل عليه من العلوم. فكلما شاب الزمان شبّ، وكلما تكرر خلا. فاذا «ان هو الا وحي يوحى»

والطريق الثالث: كما حققه الجاحظ: هو ان الفصحاء والبلغاء مع شدة احتاجهم الى إبطال دعوى النبيّ عليه السلام، ومع شدة حقدهم ونادهم له تركوا المعارضة بالحروف الطريق الأسلم والأقرب والأسهل، والتجأوا الى المقارعة بالسيوف الطريق الأصعب الأطول المشكوكة العاقبة الكثيرة المخاطر، وهم بدرجة من الذكاء السياسي، لا يمكن ان يخفعليهم التفاوت بين هذين

الطريقين. فمن ترك الطريق الأول لو امكن- مع انه أسد إبطالا لدعواه- واختار طريقا أوقع ماله وروحه في المهالك فهو إما سفيه، وهو بعيد ممن ساسوا العالم بعد ان اهتدوا.. وإما انه أحس من نفسه العجز عن السلوك في الطريق الأول فاضطر للطريق الثاني.»[٤١]

يقول المؤلف حقيقة عامة في بلاغة القرآن:

«اعلم ! هن من اساس البلاغة الذي به يبرق حسن الكلام تجاوب الهيئات وتداعي القيود وتآخذها عاى المقصد الأصلي، وامداد كل بقدر الطاقة للمقصد، الذي هو كمجكع الاودية والحوض المتشرب من الجوانب، بان تكون مصداقا وتمثالا لما قيل:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير»[٤٢]

«إعلم أن أساس اعجاز القرآن في بلاغة نظمهز وبلاغة النظم على قسمين: قسم كالحية وقسم كا لحلة.

فالأول: كا للآلئ المنثورة والزينة المنضورة والنقش المرصع. ومعدنه الذي يتحصل منه هو توخّي المعاني النحوية الحرفية فيما بين الكلم، كإذابة الذهب بين أحجار فضة. نثمرات هذا النوع هي اللطائف التي تعهد ببيانها فن المعاني...

والقسم الثاني: هو كلباس عال وحلة فاخرة قدت من اسلوب على مقدار قامات المعاني ، وخيطت من قطعات خيطا منتظما فيلبس على قامة المعنى أو القصة أو الغرض دقعة. وصناع هذا القسم والمتكلف به فن البيان.. ومن أهم مسائل هذا القسم التمثيل. ولقد أكثر القرآن من التمثيلات إلى ان بلغت الألف ،لأن في التمثيل سرا لطيفا وحكمة عالية، اذ به يصير الوهم مغلوبا للعقل، والخيال مجبورا للنقياد للفكر، وبه يتحول الغائب حاضرا، والمعقول محسوسا، والمعنى مجسما، وبه يجعل المتفرق مجموعا، والمختلط ممتزجا، والمختلف

٤١ نفس المصدر ص. ١٨٠

٤٢ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص. ٤٥

متحدا، والمنقطع متصلا، والأعزل مسلحا.»[٤٣]

ثم ينقل المؤلف فصلا من كتاب «أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني:-

فصل في مواقع التمثيل و تأ ثيره

اعلم ان مما اتفق العقلاء عليه: ان التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، و نقلت عن صورها الأصلية الي صورته، كساها ابهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب اليها، واستشار لها من أقاصي الأفئدة صا بة وكلفا، وقسر الطباع علي ان تعطيها محبة وشغفا.

فان كان مدحا كان أبهي وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب علي الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح، واقضي له بغر المواهب والمنائح، وأسير علي الألسن و اذكر، وأولي بان تعلثه القلوب وأجدر.

وإن كان ذما كان مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أحد

. وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه اقهر ، وبيانه أبهر.

وان كان افتخارا كان شأوه ابعد، وشرفه اجد، ولسانه ألدّ.

وان كان اعتذارا كان إلى القلوب اقرب ، وللقلوب أخلب،وللسخائم اسل، ولغرب الغضب افل، وفي عقد العقود انفث، وعلى حسن الرجوع أبعث. وان كان وعظا كان أشفى للصدر، وادعى غلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلي الغياية ، ويبصر الغاية ويبرئ العليل، ويشفي الغليل.... وهطذا الحكم إذا استقريت فنون القول وضروبه، وتتبعث أبوابه وشعوبه. [٤٤]

ثم ان في الآيات الآتية دلائل اعجاز واسرار بلاغة فذكرناها هنا لمناسبتها لمسائل المقدمة الآتية.

فمثال التمثيل في مقام المدح ما ذكره القرآن في وصف الصحابة من:

---

٤٣ نفس المصدر ص. ١١٣

٤٤ أسرار البلاغة ص. ١٢٨

«ومثلهم في الإنجيل كزرع اخرج شطئه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع»[٤٥] وقس نظائره..

وفي مقام الذم:

«فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث»[٤٦] و «مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا[٤٧]» و «انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون»[٤٨] وقس.

وفي مقام الاحتجاج والاستدلال:

«مثلهم كمثل الذي استوقد نارا»[٤٩] و «او كصيب من السماء فيه ظلمات» الى آخره و «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء» و «مثل الذين اتخذوا من دون اللّٰه أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا» و «انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله» و «ضرب اللّٰه مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا» وقس عليه.

نظير مثال الافتخار - وان لم يسم افتخارا - بيان عظمته تعالى وكمالاته الإلهية قوله تعالى: «وما قدروا اللّٰه حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون» وقس عليه.

ومثال التمثيل في مقام الاعتذار لا يوجد الا حكايات أهل الأعذار الباطلة للاحتجاج عليهم كقوله:

«وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب»[٥٠] وقس...

---

٤٥ سورة الفتح ٢٩

٤٦ سورة الأعراف ١٧٦

٤٧ سورة الجمعة ٥

٤٨ سورة يس ٨

٤٩ سورة البقرة ١٧١

٥٠ اشارات الإعجاز في مظان الايجاز ص . ١١٤، ١١٥

«ثم ان أساس التمثيل هو التشبيه. ومن شأن التشبيه تحريك حس النفرة أو الرغبة أو الميلان أو الكراهية أو الحيرة أو الهيبة ' فقد يكون للتعظيم أو التحقير أو الترغيب أو التنقير أو التشويه أو التنزين أو التلطيف غلى آخره.... فبصورة الأسلوب يوقظ الوجدان وينبه الحس بميل أو نفرة.»[٥١]

ويقول في موضع آخر:-

«إن البلاغة هي مطابقة مقتضى الحال. والحال: ان المخاطبين بالقرآن على طبقات متفاوتة، وفي أعصار مختلفة. فلمراعاة هذه الطبقات، ولمجاورة هذه الأعصار، ليستفيد مخاطب كل نوع ما قدر له من حصته، حذف القرآن في كثير للتعميم والتوزبع، واطلق في كثير للتشميل والتقسيم، وأرسل النظم في كثير لتكثير الوجوه، وتضمين الاحتمالات المستحسنة في نظر البلاغة والمقبولة عند أهل العلم العربي ليفيض على كل ذهن بمقدار ذوقه...»[٥٢]

الشيخ سعيد النورسي يأتي بخير مثال للمحاسن اللغوية للقرآن حين يقول:-

«ثم تدبر في ((ال)) (الكتاب)؛ لأنها كما تفيد الحصر العرفي المفيد للكمال؛تفتح باب الموازنة وتلمح بها إلى ان القرآن كما جمع محاسن الكتب قد زاد عليها فهو اكملها....

ثم قف على التعبير ب ((الكتاب)) كيف يلوح بأن الكتاب لا يكون من مصنوع الأمي الذي ليس من أهل القراءة والكتابة.»[٥٣]

ثم يقول:-

فيا من آنس قيمة التركيب من جانب التحليل، وأدرك فرق الكل عن كل ! انظر نظرة واحدة الى تلك القيود والهيئات لترى كيف كل حصته الى المقصد المشترك مع دليله الخاص، وكيف يفور نور البلاغة من الجوانب.

---

٥١ نفس المصدر ص. ١١٧

٥٢ نفس المصدر ص. ٥٦

٥٣ نفس المصدر ص. ٤٦

اعلم! انه لم يربط بين جمل ((الم..... ذلك الكتاب..... لا ريب فيه... هدى للمتقين)) بحلقات العطف لشدة الاتصال والتعانق بينها، وأخذ كل بحجز سايقتها وذيل لاحقتها. فان كل واحدة كما انها دليل لكل جهة؛ كذلك نتيجة لكل واحدة بجهة أخرى. ولقد انتقش الاعجاز على هذه الآية بنسخ اثني عشر من خطوط المناسبات المتداخلة....»[٥٤]

الأمثال

« كما ان من نظر بمرآة البصر السوداء رأى كل شيئ أسود قبيحا. فذلك من احتجبت بصيرته بالنفاق وفسد قلبه بالكفررأى كل شيء قبيحا مبغوضا' يحصل في قلبه عناد و حقد مع كل البشر بل كل الكائنات.»[٥٥]

هذا تفسير آية ((في فما ربحت تجارتهم))

«انها ترتبت ترتبا فطريا سلسا على نسق اسلوب التمثيل وهو هذا: ان تاجرا مغبونا مخذولا اعطي له رأس مال غال فاشترى به السموم وما يضره' فتصرف فيه' فلم يربح ولم يفد' بل ألقاه في خسارة على خسارة' فأضاع رأس ماله' ثم أضل الطريق ' بحيث لا يستطيع ان يرجع.»[٥٦]

«فوائد' ولو سائط خدمتها استفادات.. اما هذه فشر محض وضرر بحت. نظير هذا الاسناد» نام ليله» بدل « نام في اليل» ' اذا الأول يفيد ان ليله أيضا ساكن وساكت كالنائم لا يحرك ليلته شئ ولا يموّجه طارق.»[٥٧]

د- أقوال العلماء عن القرآن

نرى في آخر صفحات الكتاب الأقوال والآراء من العلماء الذين سايروا القرآن في خطوة من خطوات حياتهم. هذه الإنطباعات النفسية يزيد للكتاب جمالا ورونقا. أقوال الشخصيات البارزة من مختلف قارات الأرض موجودة في الكتاب مثل بوكاي و بيكارد و حتي ودرمنغم و ريسلر و سارتون وغيرهم.

٥٤ نفس المصدر. ص. ٤٧

٥٥ نفس المصدر ص. ١٠٠

٥٦ نفس المصدر ص. ١١١

٥٧ نفس المصدر ص. ١١١

الرومي والنورسي ومنهجهما في الدعوة للسلم مع الآخر دراسة مقارنة

د. عارف الزغول و د. عبدالكريم علي جرادات
أستاذان مشاركان في اللغة الفارسية وآدابها، جامعة اليرموك الأردنية وجامعة آل البيت الأردنية على التوالي

ملخص

يعدُّ السلم من أهم العناصر الأخلاقية في الموروث الصوفي، وهو عندهم سلم بلا شرط أو بدل لكل أفراد البشر، وبصرف النظر عن جنسهم أو لونهم أو نسبهم أو مذهبهم أو دينهم، فالسلم في المسلك الصوفي فوق القدرة والخشونة؛ لأن أثرهما سطحي ومؤقت وردة الفعل عليهما عنيفة، بينما السلم فهو عميق دائم هدفه التعايش السلمي واحترام الآخر والتخلي عن التعصب بكل أشكاله، وقد حرص الرومي والنورسي، على الدعوة إلى السلم والسلام وكان فكرهما متسامحًا متساهلاً مع كل الأفكار والمعتقدات وحرِص كل منهما حسب منهجه، على إقرار السلم والصلح بين المسلمين وبين بني البشر كافة، وتبنى مولانا الرومي التصوف الإسلامي المتمثل بالطريقة القائمة على الشريعة،، وعدّ الطريقة السبيل الوحيد للحوار بين الأديان والمذاهب والمعتقدات والأعراق والتفاهم بينهم، فمن الصعوبة بمكان جمع شخصين من ديانتين مختلفتين للحوار بواسطة الشريعة، وهنا تبرز ليبرالية التصوف وحرية الطبع فيه، فكان يتساوى في الطريقة المجوسي والبرهمي والمسيحي واليهودي والمسلم، و حتى عابد الأصنام، فالجميع كانوا يجلسون قبالة بعضهم في خانقاه واحدة، ويشتركون في السماع والذكر الخفي والجليّ. ولعلّ ما يدلل على مصداقية ذلك ما نجده في الهند؛ فالمسلمون والهندوس إخوة في الإنسانية ومتساوون في طرق التصوف، أما الإمام النورسي، المتأثر بالرومي، فخالفه واعتمد على

القرآن والشريعة وعلى العقل والمنطق في دعوته للسلم، دون أن يغفل الطريقة، وأثرها في إقامة السلم والإخاء بين المسلمين.

سيعمل البحث على دراسة مواطن الدعوة للسلم والإخاء في آثار الرومي والنورسي والمقارنة بين منهج الشيخين الجليلين في دعوتهما للسلم.

الكلمات المفتاحية: الرومي، النورسي، السلم، الآخر، الطريقة، الشريعة.

المقدمة

إنّ انتشار الحروب والقتل والعنف في بعض المجتمعات وخاصة في منطقتنا مردّه الاختلاف الديني و المذهبي والقومي والسياسي ويجب السعي إلى إقرار السلام في هذه المجتمعات والتخلص من التمييز المذهبي والقومي فجاء التصوف الإسلامي المستمد من الشريعة الإسلامية ليعمل على فهم الأديان والمذاهب المختلفة، حيث نجد في العصور الإسلامية بعض الفِرق الصوفية شافعية وبعضها حنفية وأخرى حنبلية، بل إن البعض كان ظاهرياً والآخر شيعياً، وقلّما حدث اختلاف بين تلك الفرق لذلك كان الهدف الأساس للتصوف هو الوصول إلى السلام بين المسلمين و بين بني البشر والذي يعد أعلى مرتبة من السلم الاجتماعي والسياسي فالله عز وجل يدعونا إلى دار السلام ﴿**واللهُ يَدْعُـو إِلَى دَارِ السَّـلاَمِ وَيَهْـدِي مَـن يَشَـاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْـتَقِيمٍ**﴾[1] والإسلام في مجمله مأخوذ من السلام ومبني عليه فكيف له بأن يكون دين قتال و جدال؟! حتى إن الجهاد في الإسلام يحمل معانيا غير معنى قتال المعتدين لقوله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] فكل ما يتصل بعبادة الخالق هو جهاد وأعلى مراتبه الجهاد الأكبر وهو الجهاد مع النفس. وكما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام في دعائه ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ

١ يونس، الآية ٢٥.

٢ العنكبوت، آية ٦٩.

آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[٣] فطلب عليه السلام، السلمَ والأمن قبل التحصين من الشرك وهو دليل عميق على أن تحقيق الرخاء والسعادة في الكون قائم على وجود الأمن والسلم، الذي أمر بهما القرآن في غير آية: منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٤].

إن أسلوب التصوف يتبع الشريعة من الناحية النظرية أي الأسلوب الذي عينه الدين وهو التوحيد والطهارة والصلاة والصوم والحج والجهاد والزكاة وبيان المعاملات في الدنيا والحساب في الآخرة، أما من الناحية العملية فالتصوف «هي الطريقة التي يتحقق من خلالها إجراء هذه التشريعات وهذه المعاملات وهي التي تزين الأعمال بصفاء الضمائر وتهذيب الأخلاق من الملوثات كالرياء، والجفاء، والشرك الخفي، والحقد، والحسد، والمكر، والغرور»[٥] و «يقتصر عمل الشريعة على هداية الناس إلى الطريق القويم أما الطريقة فهي السبيل للوصول إلى الحقيقة»[٦].

إن الادعاءات والاتهامات التي توجه للتصوف من أنه ليس إلا التكدي والبطالة والكسل وتربية البطون والانزواء ما هي إلّا اتهامات باطلة فكل من يتصف بها من الصوفية فهو ليس منهم بل هو دخيل يعمل لمصلحته الدنيوية ولا يمكننا أن نعده من الصوفية، فالصوفيون الحقيقيون انتقدوا وحاربوا هذه الظواهر التي كانت قلة من الدجالين والمنافقين يمتهنوها.

التصوف والتربية

إذا عرفنا التربية بأنها عملية لإكساب الإنسان الصفات الحسنة التي تمكنه من

---

٣ إبراهيم، الآية ٣٥.

٤ البقرة، الآية ٢٠٨.

٥ التصفية في أحوال المتصوفة (صوفي نامه)، قطب الدين أبو المظفر بن اردشير العبادي، ص١٧.

٦ تاريخ التصوف، قاسم غني، ص ٢٥٨.

القيام بأعمال الحياة وتجعل منه إنسانًا مقبولًا لنفسه وللآخرين، فإن التصوف يعمل على إكساب الإنسان صفات وأعمال محببة يقول أبو محمد الحريري في التصوف «هو التقرب من كل صفة حسنة وتجنب كل صفة سيئة»[٧].

إن الهدف الأصلي للتصوف هو تربية النفس وتأمين حرية الإنسان فالتربية الصوفية هي «تجنب الغفلة عن الحقيقة» [٨]. ولقد أخذت التربية الصوفية دعوتها للتعايش السلمي والصلح والسلام من الفكر الإسلامي الأصيل الذي أكدت عليه الآيات القرآنية والسنة النبوية قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان في الوقت الذي كانت فيه هذه المفاهيم غائبة عن أذهان البشر فمنع الإسلام الكراهية و الحقد والعداء لأتباع الديانات الأخرى وضَمّن سبحانه وتعالى دعوته هذه في ثلاث مجموعات من آيات القرآن الكريم الأولى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[٩]. والمجموعة الثانية تتضمن إتباع أسلوب المحبة والإحسان مع غير المسلمين وتحديد علاقات المسلمين وسلوكهم مع الأديان الأخرى، فلم ينههم عن معاداتهم فحسب بل أوجب عليهم معاملتهم بإحسان ومحبة ﴿لا ينهاكم اللّٰه عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن اللّٰه يحب المقسطين﴾[١٠]. وتؤكد المجموعة الثالثة من هذه الآيات على التعايش السلمي مع الأديان الأخرى؛ فيجب محاورتهم على أساس التعقل والمنطق؛ لأن ذلك هو الأفضل والأكثر تأثيرًا من أسلوب الحدة والخشونة اللذين يولدان العصبيات الدينية لقوله تعالى ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[١١]

---

٧ مناقب الصوفية، قطب الدين عبادي المروزي، ص٣٣.

٨ شرح فصوص الحكم، خواجه محمد بارسا، تحقيق جليل نجاد، ص ٤٥٩.

٩ البقرة، آية ٢٥٦.

١٠ سورة الممتحنة، الآية ٨.

١١ العنكبوت، آية ٤٦.

تصوف النورسي:

ولِد النورسي»لأب صوفي مشهور بورعه»[١٢]وبدأ النورسي حياته الدينية والعلمية كسائر أبناء عصره بالتتلمذ على يد كبار مشايخ الصوفية ولم يكن تدريس العلوم الشرعية في ذلك الزمان منفصلاً عن روح التصوف، فوجود كل واحد منهما مهم لوجود الآخر، إلا أن النورسي لم يكن مؤمنًا بالتصوف التقليدي الذي ينعزل به الإنسان عن البشر وينأى بنفسه عن حياتهم الاجتماعية والسياسية وعن همومهم، بل كان من الداعين إلى إصلاح التصوف والتجديد فيه، ويُذكر أن النورسي أول ما ألف المثنوي العربي الأقرب إلى الروح والقلب والى روح التصوف كما هو المثنوي الفارسي، على خلاف رسائل النور التي استمدها من ضياء القرآن وتشريعاته ويذكر النورسي بأن مثنويه كان بمثابة «مشتل رسائل النور وغراسها قد سعى فيه كالطرق الخفية إلى المعرفة الإلهية في تطهير الأنفس وداخل الإنسان فوفق إلى فتح الطريق بواسطة الروح والقلب»[١٣]، والمتمعن بتفاصيل حياة النورسي ومؤلفاته تنكشف له الصبغة الصوفية في شخصيته، وأكثر مانشاهدها في مثنويه فهو يستخدم إشارات ورموز صوفية متعددة، وكان الإمام النورسي حريصًا على عدم تأسيس فرقة وطريقة صوفية، ولو فعل ذلك لتبعه الكثير وسلكت مسلكه الجماهير، فاختار الإمام النورسي طريق الشريعة التي تعتمد على الحجج العقلية والأدلة المنطقية ورجحها على الروحانيات؛ لأن الزمن كان زمن التحديات ويعتمد على العقل والمنطق والبرهان، فكان يقول لطلبته بأن» يكونوا محققين كي يتمكنوا من الإثبات والإقناع، وان يكونوا أيضًا حكماء مدققين كي لا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر، وعليهم أن يزنوا الأمور بميزان الشريعة»[١٤]

---

١٢ النورسي، سعيد، رسائل النور، السيرة الذاتية، ط٢، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، سوزلر للنشر، ١٩٩٨، ص٣٥.

١٣ المثنوى العربي ص ٤٩

١٤ الطنطاوي، عبدالله، منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي، دار العلم، دمشق، ص٦٣.

فكانت الشريعة عنده هي المعيار الثابت لقياس الحقائق، فركز على التربية الشرعية مع طلابه لقناعته بعجز التصوف في ذلك الوقت عن مواجهة تحديات تلك المرحلة وعجزه أيضا عن تحقيق ما كان يربو إليه الإمام في دعوته، ولم يكن النورسي ليقبل بأن يطلق عليه لقبًا صوفيًا وذلك لما كان يراه من تصرفات البعض منهم المخالفة لواقع دعوته ويؤكد ذلك بقوله» أنا لست شيخًا صوفيًا، وإنما أنا عالم ديني، ولكني لم اقل لمن أتاني إلا أن الزمان ليس زمان الطريقة»[١٥]، ومع كل ما سلف فإنه لم يتنكر للطريقة ولم ينفها بل يذكر بأن» أعلى مراتب الطريقة وأسمى درجات الحقيقة لا يعدوان كونهما أجزاء من كلية الشريعة، وهما دائمًا وأبدا يبقيان بحكم الخادم للشريعة ووسيلة إليها ومقدمة لها»[١٦]، وكل من يقول من المتصوفة «أن الشريعة قشر ظاهري، وحقيقتها هي لبها ونتيجتها وغايتها» فهو واهم، وأما المتصوفة الحقيقيون أهل الطريقة وأصحاب الحقيقة» فإنهم كلما تقدموا في مسلكهم وارتقوا في معارجهم، وجدوا أنفسهم منجذبين أكثر إلى الحقائق الشرعية، متبعين لها، مندرجين ضمن غاياتها ومقاصدها»[١٧].

وقد عمل الإمام النورسي على مهاجمة المتصوفة الذين غيبوا عقولهم في طرقهم، ونعتهم «بالجهلاء المجذوبين الفاقدين للعقل»[١٨]، ويذكر النورسي أن» التصوف، والطريقة، والولاية، والسير والسلوك حقيقة روحانية نورانية مقدسة، طافحة باللذة والنشوة»[١٩] ودافع عن الطريقة الحقّه التي تخدم الشريعة وذكر فوائدها ويقول بأنه «لو صرفنا النظر عن النتائج السامية التي توصل إليها الطريقة سواء منها الدينية أو الأخروية أو الروحية، ونظرنا فقط إلى نتيجة واحدة منها ضمن نطاق العالم الإسلامي نرى أن الطريقة هي في مقدمة الوسائل

١٥ النورسي، سعيد، كليات رسائل النور، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط٢، ٢٠٠١، ص٥٨٣.

١٦ -كليات رسائل النور، ص٧٩.

١٧ كليات رسائل النور، ص ٥٨٤.

١٨ كليات رسائل النور، ص ٥٦٦.

١٩ كليات رسائل النور، ص ٥٧١.

الإيمانية التي توسع من الأخوة الإسلامية بين المسلمين وتبسط لواء رابطتها المقدسة في أرجاء العالم الإسلامي»[٢٠]. يؤكد النورسي في الاقتباس السابق بأن الطريقة هي أنجع وسيلة لتحقيق الإخوة بين المسلمين.

أهم مزالق التصوف عند النورسي:

١) ترجيح بعض السالكين من الطرق الصوفية الولاية على النبوة.
٢) تفضيل قسم من المفرطين، الأولياء على الصحابة الكرام.
٣) ترجيح بعض المتطرفين والمتعصبين جدا للطريقة لأوراد طريقتهم وآدابها على أذكار السنة النبوية.
٤) إن بعض المتطرفين من أهل التصوف يظنون خطأ أن «الإلهام» بمرتبة «الوحي».
٥) تفضيل بعضهم الكرامات والأذواق والأنوار على فروض الدين[٢١].

أهم ثمرات وفوائد الطريقة عند النورسي:

١) ظهور الحقائق الإيمانية وانكشافها ووضوحها إلى درجة عين اليقين بواسطة الطريقة الصحيحة المستقيمة.
٢) هي تحقيق الوجود الحقيقي للإنسان بانسياق لطائفه جميعا إلى ما خلقت لأجله.
٣) التخلص من وحشة الانفراد والوحدة، والشعور بالأنس المعنوي في الحياة الدنيا.
٤) خلاص الإنسان من الوحشة الهائلة التي تكتنفه في حياته الدنيا؛ وذلك بما تقوم به الطريقة الصائبة الصافية من تفجير ينابيع محبة الله ومعرفته في الإيمان.
٥) الشعور بالحقائق اللطيفة في التكاليف الشرعية وتقديرها بواسطة القلب.

---

٢٠ كليات رسائل النور، ص ٥٧٤.

٢١ كليات رسائل النور، ص ٥٩٠.

٦) نيل مقام التوكل، ودرجة الرضا، ومرتبة التسليم.
٧) نجاة الإنسان من الشرك الخفي والرياء والتصنع وأمثالها من الرذائل وذلك بالإخلاص الذي هو أهم شرط لدى سالك الطريقة واهم نتيجة لها[٢٢].

موقفه من المذاهب:

في إحدى مخاطبات الإمام للناس يوصيهم بأنه إن كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة:﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[٢٣]، وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية»[٢٤] وكأنه رحمه اللّٰه يعيش في عصرنا ويصف حالنا كيف أن أعداء الدين أوقعوا الفتن المذهبية بين المسلمين وأوصلوهم إلى الذل والهوان.

ولا يرى الإمام النورسي أي مشكلة في تعدد المذاهب وهي بنظره على اختلاف وليس خلاف ومن الطبيعي أن يكون هناك آراء متعددة ولكن هدفها واحد وهو الوصول إلى الحقيقة «فتصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح، ولكن إن كانت المناقشة والبحث، عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار، بل تتولد شرارة الفتن، فلا تجد بين أمثال هؤلاء اتفاقا في المقصد والغاية، ذلك لأنه ليس من اجل الحق، فترى فيه الإفراط البالغ دون حدود، مما يفضي لانشقاقات غير قابلة

٢٢ كليات رسائل النور، ص ٥٩٢.
٢٣ الحجرات، آية ١٠.
٢٤ كليات رسائل النور، ص ٣٥٠.

للالتئام. وحاضر العالم شاهد على هذا.»[٢٥]، وحرص النورسي على السلم بين أفراد البشر وحارب الظلم بشتى أنواعه وشدد بأن لا يحمل المؤمن لأخيه المؤمن أي حقد أو عداء مخاطبًا إياهم بقوله أن»خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف»[٢٦]، ونبه أهل المسالك والمذاهب إلى اجتناب التعصب الأعمى « فعندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول» إن مسلكي حق أو هو أفضل» ولكن لا يجوز لك أن تقول: «أن الحق هو مسلكي أنا فحسب» لان نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكونا محكًا ولا حكمًا يفضي إلى بطلان المسالك الأخرى»[٢٧]، ونبه إلى أن العناد والتنافر والتفرقة يصيبان الحياة الاجتماعية بضرر بالغ وأن الحديث النبوي الشريف «اختلاف أمتي رحمة» لا يعني التفرق والتحزب والاعتداد بالرأي، فالحقيقة تتظاهر جلية من تصادم الأفكار ومناقشة الآراء وتخالف العقول، وما هذا الاختلاف الذي ورد في الحديث النبوي الشريف إلا هو الاختلاف الايجابي البناء المثبت، ومعناه أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا، أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلاً في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل ايجابي بناء»[٢٨].

نظرته إلى التعصب القومي:

لقد كان العلامة سعيد النورسي يبغض التعصب بكل أشكاله وشتى

---

٢٥ كليات رسائل النور، ص ٢٤٧-٢٤٨.

٢٦ كليات رسائل النور، ص ٢٤١.

٢٧ كليات رسائل النور، ص ٢٤٢.

٢٨ كليات رسائل النور، ص ٢٤٧.

ألوانه فنفى عن نفسه صفة التعصب لقوميته الكردية لأن هذه القوميات من المفروض أنها تحللت في الإسلام ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، لذلك كانت نظرة النورسي للقومية السلبية والنظرة العنصرية «نظرة السم القاتل وبأنها مرض أوربي خبيث سار، وذلك حسب الأمر النبوي الجازم بأن الإسلام يجب العصبية الجاهلية، ولقد بذلت ما وسعني من الجهد لعلاج هذا الداء الخبيث»[٢٩].

ويبين الشيخ الجليل بأن اللّٰه سبحانه وتعالى خلق الأمم والشعوب للتعارف وليس للتنافر فيقول في كتابه العزيز ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾[٣٠]، أي «خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوبا كي يعرف بعضكم بعضا وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا»[٣١] وإن كانت الطائفة أو العرق يفرق بين بني البشر فهناك ألوف المشتركات تجمع بينهم» فخالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، وهكذا واحد، واحد.. إلى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة»[٣٢]، وصنف النورسي القومية على نوعين نوع «سلبي مشئوم مضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر. وهذا يولد المخاصمة والنزاع... وان التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله، بسبب من الفكر القومي، هلاك عظيم، وخطب جسيم»[٣٣]، والنوع الآخر القومية الايجابية «النابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية، هذا الفكر الايجابي القومي، ينبغي أن يكون خادما للإسلام، وان

٢٩ _ كليات رسائل النور، ص ٧٩.

٣٠ الحجرات ١٣

٣١ كليات رسائل النور، ص ٤١٣.

٣٢ كليات رسائل النور، ص ٤١٤.

٣٣ كليات رسائل النور، ص ٤١٤-٤١٥.

يكون قلعة حصينة له، وسورا منيعا حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلا عنه»[٣٤]، وقد دعا على الدوام إلى «وحدة العقيدة ونبذ القوميات الزائفة»[٣٥].

السلم عند الرومي:

إن الدين الإسلامي دين رحمة وشفقة ودين استدلال ومنطق وليس دين سيف وإجبار وإنّ نشرَ السلام والحق والعدل بالقوة يبقى عملاً سطحيًا، فلم تفلح القوة في دمج المخالفين للدين في إطار التربية الإسلامية الصحيحة، وبقيت عباداتهم بحدود التقليد، وبما أن العالم الآن أصبح قرية صغيرة فواجب علينا معاملة المخالفين بالمنطق والحوار المبنيين على السلام، وتتجلى هذه الدعوة بوضوح في أفكار الصوفية وتربيتهم، وإن أشهر من نادوا بهذه الدعوة من متصوفة الفرس هو مولانا جلال الدين الرومي، فهو من أهم من نادوا بتجديد الحياة الدينية وإحياء الكرامة الإنسانية وتمثل ذلك في أشعاره التي تشتمل المباحث التالية:

الوعي الإنساني:

يرى مولانا أن الإنسان لا يستطيع الحصول على حريته إلا إذا استطاع التحرر من الأسر الفكري التلقيني والتقليدي، والإنسان يمثل محور التصوف عند مولانا وليس عقيدته، لأن الإنسان نقطة ارتكاز الوجود، واعتبر مولانا الحروب والخلافات بين الأديان والمذاهب نتيجة لعدم المعرفة والنظرة السطحية، وباعتقاده أن الفرق بين المشرع والصوفي يكمن في أن المشرع يحكم من خلال سماعه أما الصوفي فيحكم من خلال سماعه و مشاهداته، فالصوفي يحكم على الأمور من خلالهما لذلك نجده على صلح دائم مع المشرع والحكيم والفيلسوف ويحول كل عداء أو خلاف إلى سلام وصفاء وصداقة فالجميع يتساوى في نظر الصوفية وبقول مولانا الجميع على صبغة الله التي صبغهم عليها:

---

٣٤ كليات رسائل النور، ص ٤١٥.

٣٥ سعود جاسم، ليث، الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات الزائفة، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ص١٧.

صبغة الله هست خم رنگ هو پيسها يك رنگ گردد اندر او[٣٦]

هي صبغة اللّٰه التي صبغها للبشر وكل ما هو مختلف هو واحد تحت اسمه. في إشارة للآية القرآنية الكريمة:(صبغة اللّٰه ومن أحسن من اللّٰه صبغة ونحن له عابدون)[٣٧]

الأديان في نظر مولانا تشترك بالتوحيد وتشترك بعقيدة الموت والحشر والنشر والحساب والكتاب والمعاد وأن دعوة الأنبياء واحدة إلا أن الخلاف ظهر بين الأفراد وليس بين الأديان كما يقول مولانا:

نام احمد نام جمله أنبيا است
چون كه صد آمد نودهم پيش ما ست[٣٨]

إن اسم أحمد اسم لجملة الأنبياء فهو يمثل كل ما سبقه منهم.

لقد كان مولانا مؤمنًا بحرية الأديان واحترامها جميعا لقوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٣٩]

وكان يعتقد بأن كل هذه الحروب ليس لها أساس سوى الجهل والنفاق والأنانية وأن السلام الشامل وتساوي البشر ووحدة الأديان من أهم مرتكزات التربية الصوفية وأن الوطن والقومية ليس لهما أي معنى خاص في هذه التربية، فالوطن هو الحياة الأبدية التي ترتقي إليها الروح بعد فناء الجسد:

ما ز بالاييم و بالا می رويم
ما ز دريايیم و دريا می رويم

٣٦ مولوی، جلال الدين محمد، مثنوی معنوی، به كوشش توفيق سبحانی، بيت ١٠٦٢.
٣٧ البقرة، آية ١٣٨
٣٨ مولوی، جلال الدين محمد، مثنوی معنوی، به كوشش توفيق سبحانی، ص ٤٨.
٣٩ البقرة، آية ٢٨٥

ما از آن جا و از این جا نیستیم
ما ز بی‌جاییم و بی‌جا می رویم
خوانده‌ای انا الیه راجعون
تا بدانی که کجاها می رویم[٤٠]
نحن من العالم الاعلى وسنعود إليه
نحن من بحر الفيض وعائدون إليه
نحن من ذلك المكان ولسنا من هذا
نحن في اللامكان ونعود للمكان
اقرأ إنا إليه راجعون
تعلم إلى أين نحن ذاهبون

الجنس والعرق:

التربية الصوفية في نظره ليست قائمة على الجنس والعرق أو على الاختلاف الديني والعقائدي لذلك نجد الحاكم والمحكوم والغني والفقير واليهودي والمسيحي والمسلم يجتمعون في مكان واحد دون أدنى تعصب؛ لذلك يجب القول بأن أهم عوامل إحلال السلام التحرر من قيود التعصب الديني والعقدي، حيث يرى مولانا أن هذه الاختلافات والألوان الدينية هي وليدة المجتمع البشري ومُحدثة في العالم الدنيوي أما في العالم الأخروي العالم الرباني فإن الوحدة هي الأساس ولا وجود لهذا الاختلاف، والإنسان إذا لم يتخلص من هذا اللون الديني والطائفي وتلقيناته سيبقى التعصب مذهبه لأنه استمد دينه عن طريق التقليد الأعمى والجهل فهو يتصور أن الاعتداء والكراهية لمن يخالفه هما اللذان يقربانه من الكمال في الدين، أما التربية الصوفية فتمحو الألوان كلها وتوصل سالكها إلى العالم الإلهي الذي لا لون له، عندها يترفع الإنسان عن أي خلاف وعداء؛ لأن العالم الرباني هو عالم

٤٠ مولوى، غزليات شمس، فروزانفر، طهران، غزل ١٦٧٣.

الوحدة ويتساوى فيه الجميع فالتسامح بين الناس ينبع من هذا الأساس.

لقد ذكر مولانا أن البشرية في عصره قد غرقت في بحور التعصب الديني والطائفي فكانت في زمانه الحروب الصليبية، وقتل المسلمين لبعضهم وحرق وهدم لمدارسهم وكانوا يتصورون أن ما يفعلونه هو في سبيل نصرة الإسلام و إرضاء لوجه اللّٰه عز وجل، إن ما ذكره مولانا ينطبق تماما على زمننا الحاضر؛ فالأديان والطوائف والمذاهب تتقاتل كلها في سبيل اللّٰه عز وجل وهو جلّ جلاله براء من عملهم هذا.

الحب والعشق

ويرى مولانا جلال الدين أن أحد الأمور الأخرى ذات الأهمية الكبيرة في إحلال السلام هي تربية الإنسان على الحب والعشق فعندما يصبح الإنسان محبا عاشقا يتطهر من صفاته الذاتية ويصل إلى مرحلة الفناء فيتخلص من قيود الرغبات ويتسع وجوده ليتناسب مع وجود المعشوق الحقيقي وهو الخالق عز وجل فالعشق في تربية مولانا الصوفية باعث على الوحدة والسلام وإن كل هذه الاختلافات الموجودة بين الأديان ما هي إلا حجاب ظاهري يغطي صورة العشق الإلهي وكما يقول مولانا

« العشق هو الذي يقرب المسافات ويزيل الاختلافات بين روحين متخا صمتين » [٤١]

وقد كتب مولانا في الحب والعشق، يقول «إن جميع المرضى يتمنون البرء من سقمهم، إلا أن مرضى الحب يستزيدون من المرض ويحبون أن يضاعف في ألمهم وحنينهم. لم أرَ شرابا أحلى من هذا السم، ولم أرَ صحة أفضل من هذه العلة، إنها علة ولكنها تُخلص من كل علة، فإذا أصيب بها الإنسان لم يصب بمرض قط، إنها صحة الروح، بل روح الصحة. يتمنى أصحاب النعيم أن يشتروها بنعمتهم ورخائهم.

٤١ زرين كوب، عبدالحسين، بحر در كوزه، ص ٢٨٨.

أيها الحب بك القلب اشتغل يا طبيبا فيه تنزاح العلل

لم أرَ طاعة أفضل من هذا الإثم. إن الأعوام التي تنقضي بغيره لا تساوي ساعة من ساعات الحب».

ويرى «أن للحب شعلة إذا التهبت أحرقت كل ما سواه، فلا كبر، ولا خيلاء، ولا حزن، ولا حسد، ولا بخل، ولا عيب من عيوب النفس».[٤٢]

أصل الإنسانية:

عامل مهم آخر من عوامل إحلال السلام في التربية الصوفية في نظر مولانا هو التركيز على أصل الإنسانية فالاختلافات الواقعة بين البشر بسبب الدين والمعتقدات لا تتفق وفطرة الإنسان وأصل دعوة الأنبياء. فالحقيقة الإنسانية لا لَوْن دينيًا أو عقديًا لها وإن الأصل الإنساني هو القاسم المشترك الذي يجمع بين أفراد البشر فمن الصواب العودة لهذا الأصل؛ لأن الفطرة الإنسانية بعيدة كل البعد عن أي لون ديني أو عرقي أو طائفي، وقد سبق الصوفية الكثير من الفرق في هذا الأمر، فهم ينظرون إلى جميع الأديان والمذاهب والأعراق نظرة واحدة ولا يعادون أيا منها بقول مولانا:

از نظرگاه است ای مغز وجود، اختلاف مومن و گبر و جهود.[٤٣]

اعلم يا عقل الوجود أن الرأي هو سبب الاختلاف بين المسلم والمسيح واليهود.

إن نظر الإنسان القاصر لا يستطيع إدراك الحقيقة المطلقة أو فهمها كما هي، لذلك يلجأ للتأويل والتفسير ومن هنا فإن الاختلاف على الحقيقة يكون ناشئًا من اختلاف هذه التأويل.

منبسط بوديم و يک گوهر همه،
بی سر و بی پا بوديم آن سر همه.

٤٢ حكايات وعبر من المثنوي، جلال الدين الرومي، السيد محمد جمال الهاشمي، ص٣٢.

٤٣ مثنوى معنوى، دفتر سوم، بيت ١٢٥٨.

یک گهر بودیم همچون آفتاب،
بی گره بودیم و صافی همچو آب.
چون به صورت آمد آن نور سره،
شد عدد چون سایه های کنگره.
کنگره ویران کنید با منجنیق،
تا رود فرق از میان این فریق.[٤٤]

كان الناس على فطرة واحدة وجوهر واحد، تدخّل العقل بحركة فضولية وغير سوية في عمل الروح وهمتها، فتعددت الآراء والأفكار وأصبح كل منها بمثابة قلعة تحجب الحقيقة، حطموا هذه القلاع حتى يزول الفرق بين هذا الفريق وذاك.

استنادا لما يقول مولانا، نحن البشر نشترك جميعا في أصل الإنسانية وإن الخلافات الموجودة بين عقائد البشر هي من صنع الشيطان الساكن في داخلنا والذي أبعدنا عن حقيقة وجودنا الإنساني كما يصف ذلك مولانا:

تفرقه در روح حیواني بود نفس واحد روح انساني بود[٤٥]

إن التباين يكمن في الروح الحيوانية وإن الروح الواحدة تكمن في الإنسانية.

فالإنسان الذي لا يدرك قدر روحه الإنسانية وعظمتها وسعتها ليس بإنسان بل حيوان في حظيرة الدنيا ومن هنا وبسبب الوحدة الإنسانية ينتهي الخلاف بين الأديان، ولا يبقى خلاف بين البشر فكلها خلافات نسبية.

إن لمعرفة الأصل الإنساني دور كبير في تحقق السلام وأن الأنبياء هم الأصل الإنساني، لذلك لم نجد بينهم أي خلاف أو عداء وكانت رسالتهم واحدة وهي الصلح والسلام و وحدة البشرية من منطلق الإنسانية.

وبنظر مولانا فإنه لا يمكن أن يقع خلاف بين أصل الشريعة وأصل الطريقة؛ لأن الشريعة في نظره مقدمة للدخول في الطريقة، وإن التسامح وسيلة قوية لإقامة

٤٤ مثنوي معنوي، دفتر دوم، ص ٦٣٤.

٤٥ مثنوي معنوي، دفتر ششم، ص ١٢٣.

السلام بين الأديان والمذاهب ولا يمكن أن يتحقق التسامح إلا بالتعقل والتفكر:

چو فرمودەست حق كالصلح خير رها كن ماجرا را اى يگانه[٤٦]

بما أن الحق سبحانه أمرنا بأن الصلح خير، فلم لا تترك العداء والتعصب لرأيك.

ويقول مولانا إنه إذا كانت الطرق مختلفة فالمقصود واحد، ألا ترى أن الطرق إلى الكعبة كثيرة فالناس تأتي من الروم والشام والصين والهند واليمن والفرق بين هذه الطرق كبير وواسع، ولكن إذا نظرت إلى المقصود فهو واحد يجتمعون على محبته حيث تزول الخلافات والاتهامات التي كانت بينهم في الطريق من تكفير وإبطال للعقائد.

الأضداد في نظر مولانا مصيرها التوائم والتوافق والتصالح وهذا ضروري لاستمرار حياة البشر:

خشمهاى خلق، بهر آشتى است دام راحت دائما بى راحتى است[٤٧]

الخلافات بين البشر تفضي إلى الصلح والتعاسة جاذبة للسعادة دائما.

المحبة وإصلاح النفس:

ويدعو مولانا الناس إلى المحبة فهي السحر الذي يضمن استمرار حياة البشر:

از محبت تلخها شيرين شود
از محبت مسها زرين شود
المرارة تتحول إلى حلاوة بالمحبة
ويصبح النحاس ذهبًا بالمحبة أيضا
از محبت شاه بنده مى شود
از محبت مرده زنده مى شود

---

٤٦ مولي، غزليات شمس، تحقيق فروزانفر، غزل ٢٣٤٥.

٤٧ جلال الدين الرومي، المثنوي المعنوي، المجلد الثالث، ص٣٢٦.

بالمحبة يصبح الملك عبدا
ويحي بها الميت أيضا

ويتساءل مولانا كيف للإنسان الانشغال بمحاربة الآخرين وينسى نفسه التي هو في حرب دائمة معها فالأولى الانشغال بالنفس بدل الانشغال بالآخرين:

جنگ فعلی هست از جنگ نهان
زین تخالف آن تخالف را بدان
الحروب الواقعية ناتجة عن حروب النفس الخفية
فاعلم أن هذا الخلاف ناتجًا عن ذاك الخلاف
هست احوالم خلاف همدیگر
هریکی با هم مخالف در اثر
إن أحوالي كلها مخالفة لبعضها
وكل اثر لها مخالف للآخر
موج لشکرهای احوالم ببین
هر یکی بادیگری در جنگ وکین
انظر إلى أحوالي كالجيوش تموج
وهي مع بعضها في عداء وحروب
می نگر در خود چنین جنگ گران
پس چه مشغولی به جنگ دیگران

لو نظرت إلى الحرب العظيمة الدائرة في نفسك، لما انشغلت بمحاربة من هم حولك.

الخاتمة

إن نظرة مولانا إلى السلم نظرة صوفية اجتماعية مستمدة من الشريعة الإسلامية، فالسلم عنده نابع من وحدة الأديان ووحدة الإنسان وما الحروب

وسفك الدماء والظلم بين بني البشر إلا لجهلهم ونظرتهم الضيقة وبعدهم عن الحقيقة الربانية، لذلك لن يتمكن الإنسان من إقامة علاقات إخوة وصداقة مع الآخر ما دام أسير تعصبه القومي والمذهبي.

وقد لخص مولانا نظرته حول الأديان والعقائد والاختلافات الناشئة بينها بقوله «أن الدين في الأصل واحد وتفرع فنشبت الحروب بين الأفرع، و ستعلمون يوم القيامة عندما تصبحون واحد وتنظرون إلى مكان واحد ويكون لسانكم واحد بأن دينكم واحد»[٤٨].

يحث مولانا الإنسان إلى نبذ التعصب والنظرة السطحية الضيقة ويدعوه إلى التسامح والعفو والإحسان والستر والتساهل، لتيقنه بأن هذه الأمور مجتمعة تساعد على تهيئة أرضية مناسبة لإقرار السلم الاجتماعي والتصالح بين بني البشر.

مجمل القول أن التصوف في نظر الرومي هو عامل ومقوم أساس من مقومات السلم الاجتماعي لأن الإنسان إذا كان في سلم مع ربه ونفسه فمن المؤكد أيضًا أنه سيكون في سلم مع الآخر، فاستخدم الطريقة لإثبات ما تحث عليه الشريعة من إقامة للسلم والسلام بين بني البشر.

ومع أن الإمام النورسي كان شديد الإعجاب بمولانا وأفكاره ومتأثرًا به، إلّا أنه اتبع منهجًا مغايرًا له في دعوته للسلم وقد يكون ذلك بسبب العصر والتحديات التي كانت في زمنه، زمن المادة المعتمد على البراهين والأدلة الحسية والمنطقية، وحاول النورسي في مناسبات عدة نفي صفة التصوف عن نفسه حتى لا يتوهم الناس بأنه صوفي ويضيع كل ما بناه على أساس الشريعة، ويتخذه الناس حجة لتغليب الطريقة على الشريعة بسبب تبنيه لها وعمله بها، فلم يكن راضيًا لأي مسلم بأن يكون جزءا خاملا وغير فعال في هذه الأمة، لذلك كان يوجه خطابه للعقل والروح والقلب معًا، ومما يذكر بأن التصوف في عصره وصل إلى حالة غير مرضيه فانتشر الدجل والكذب

٤٨ جلال الدين الرومي، فيه ما فيه، ص ٤٣.

بين بعض المتصوفة وتناقضت أقوالهم مع أعمالهم مما أدى إلى كره الناس لهم، ولم يكن الإمام النورسي وهو الملم بالعلوم العقلية والنقلية منذ صغره أن يوجه النقد للمتصوفة إلّا بهدف الإصلاح، فاختار طريق الشريعة كأسلوب مباشر لحض الناس على الإخوة والسلم ونبذ التعصب، بينما عاش جلال الدين الرومي في عصر غلب عليه طابع التصوف فاتبع الطريقة في دعوته للناس إلى السلم، ولم يغفل عن الشريعة وعن أهميتها في إقامة السلم بين بني البشر وعدّها الأساس، وأكد في مثنويه على التلازم الوثيق بين الشريعة والطريقة وأهتم بهما معًا إلّا أن دعوته للسلم مع الآخر كانت بواسطة الطريقة المستمدة من الشريعة فكان الشرع بالنسبة له كالمصباح الذي تحمله الطريقة في سعيها للوصول إلى الحقيقة.

الإنسان وقضايا المواطنة: رؤية إسلامية

د. علي محمد مصطفى ديهوم
رئيس قسم العلوم السياسية بالجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا

الإنسان وقضايا المواطنة رؤية إسلامية

تعتبر مسألة المواطنة من أهم القضايا التي تشغل فكر الكثير من المفكرين منذ بداية الحضارة الإنسانية، حيث بدأ التشكل الجنيني للمواطنة في دولة المدينة ثم تابع تطوره واكتماله عبر المراحل التاريخية المتتالية إلا أن الكثيرين جعلوا مفهوم المواطنة مرتبطاً بمفهوم الدولة القومية وأنها بلغت قمة نضجها مع تأسيس الدولة القومية، ويرون كذلك أن مفهوم المواطنة غريب تماماً على المعتقدات الدينية وخصوصاً الإسلام، وأن مفهوم الجماعة السياسية في الإسلام تخلو من أية محاولة لتطوير سياق المواطنة كشرط ضروري لنشوء حكم القانون، في حين يرى آخرون أن الفرد من خلال المفهوم الإسلامي للجماعة السياسية يتمتع بكامل شروط المواطنة وبالتالي ومن خلال هذه الورقة البحثية تحاول التعرض لمفهوم المواطنة بشكل عام والمنظور الإسلامي للمواطنة تحديد مكونات وأبعاد المواطنة بحسب هذه الرؤية، وكذلك التعرض لقضايا المواطنة في إطار التطورات الدولية ولاسيما العولمة.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي التالي: ما هي الرؤية الإسلامية لقضايا المواطنة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

١) التعرف على مفهوم المواطنة وتكوينها.
٢) التعرف على الرؤية الإسلامية لقضايا المواطنة.

منهجية البحث:

استخدم الباحث توليفه من المناهج وهي المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي وذلك للإجابة على التساؤل والوصول إلى مجموعة النتائج والتوصيات.

تقسيمات البحث:

للإجابة عن التساؤل التي تطرحه مشكلة البحث سيتم تقسيم البحث إلى عدة محاور وهي كالآتي:

أولاً: الإطار النظري لمفهوم المواطنة:

١) مفهوم المواطنة.
٢) مكونات المواطنة.

ثانياً: المنظور الإسلامي للمواطنة.

أولاً: الإطار النظري لمفهوم المواطنة:

لقد مرت المواطنة بدورة كاملة، بدأت هذه الدورة مع التشكل الجنيني لمتغير المواطنة في دولة المدينة الإغريقية والرومانية، ثم تابع المتغير تطوره واكتماله عبر المراحل التاريخية المتتابعة وبلغ قمة نضجه مع تأسيس الدولة القومية التي تولت في حالة تطورها واكتمال بنيتها رعاية حقوق وواجبات المواطنة، وفي عصر العولمة بدأت المواطنة تواجه أزمة حيث بدأت عملية انفصال المواطنة عن الدولة القومية التي ساعدت على تأسيسها أو تحولت إلى أشكال جديدة للمواطنة، كالتحول إلى مواطنة إنسانية رحبة بلا تحديد أو تمييز، وهو ما يعني تآكل مواطنة الدولة لصالح نمو مواطنة عالمية، مازالت في بداياتها الأولى والمبكرة.

وذلك أن متغير المواطنة قد قطع شوطاً تاريخياً طويلاً حتى أكتمل وبلغ

غايته، وارتباطاً لذلك فقد شكلت موجات التحرر الإنساني المتتابعة توسيعاً مستمراً لمتغير المواطنة بحيث استوعب في النهاية فئات العامة في البشر إلى جانب الصفوة التي احتكرتها في البداية، هذا إلى جانب أن متغير المواطنة قد تحرر من حصار الأغلبية له ليصبح من حق كل الجماعات والفئات التي أقصيت إلى هامش المجتمع، حيث أدى إدماجها إلى تأسيس حالة من المواطنة الشاملة والمتجانسة التي تشكل قاعدة للمشاركة المتجانسة التي يقودها الجميع في كل ما يخص الوطن المشترك.

ولقد شهدت المواطنة مجموعة من التحولات البارزة على صعيد التطور الواقعي والفكري وأولى هذه التحولات تبلورت في إطار دولة المدينة اليونانية والرومانية القديمة، حيث بدأ تطور بعض الحقوق والامتيازات التي امتلكوها في نطاق الإطار المكاني والاجتماعي في مقابل حرمان البعض الآخر منها استناداً إلى عواطف الارتباط والأنس بالمكان عند البعض الذي امتلك حقوقاً متميزة في مقابل عواطف الوحشة والاغتراب عند البعض الآخر الذي حرم من هذه الحقوق بل عانى من فرض الحقوق والالتزامات، ولعل الحياة القبلية العربية والتقليدية وما نشأ عنها من حكومات، كانت أيضاً مثل التجارب السياسية الإغريقية والرومانية، حيث توفر قدراً من المشاركة السياسية للمواطنين الرجال الأحرار، ويعود ذلك إلى ما يتطلبه تماسك القبيلة وعلاقات القبائل المتحالفة من مشاركة في اتخاذ القرارات الجماعية الخاصة بهم، وعند بزوغ فجر الإسلام تطور الوضع مما يحمله الإسلام من منظور إنساني للوحدة الإنسانية والمساواة في الحقوق والحريات والواجبات وإلى جانب المساواة فقد كانت مبادئ العدل والقسط والإنصاف من المبادئ الجوهرية التي أكد عليها الإسلام، وجاءت بها آيات القرآن الكريم{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}» الآية: (النحل:٩٠).

وكذلك يأتي مبدأ الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليؤكد إلى جانب المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات والحكم بالعدل والقسط والإنصاف، لتحقيق مبدأ المواطنة. (الكواري، ٢٠٠٠: ٠٣)

ومع تبلور بناء الدولة القومية في أوروبا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ تطور المواطنة، فقد قادت الدولة القومية في أوروبا صراعاً مع الكنيسة، لتأكيد مبدأ الدولة القومية والتحرر من كل الأطر الفئوية والأثينية والانتماءات والولاءات الضعيفة، وفرضت حقوقاً وواجبات متساوية لكل البشر في المجتمع حيث اعتبرت المساواة ركنا أساسياً من أركان المواطنة. ومع بروز عصر العولمة بدأت عمليات تحول جديد حيث بدأت تظهر في إطاره إرهاصات لشكل جديد للمواطنة، حيث برزت مجموعة من المتغيرات التي تعمل في اتجاه تحرير المواطنة من حدودها القومية، وفك الارتباط بين المواطنة وبين الدولة القومية، والسعي باتجاه مواطنة عالمية. (ليلة، ٢٠١٣: ٧٥)

١- مفهوم المواطنة:

تشير دائرة المعارف البريطانية إلى المواطنة بأنها «علاقة بين فرد ودولة «كما يحددها قانون تلك الدولة، ومما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق تلك الدولة، وتؤكد دائرة المعارف البريطانية على أن المواطنة تدل ضمناً على مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات وتختم دائرة المعارف البريطانية مفهومها للمواطنة بأنها على وجه العموم تسبغ على المواطن حقوقاً سياسية مثل حق الانتخاب وتولي المناصب العامة. (بن عبد العزيز، ٢٠١٤: ٢٦٤)

كما تعرف «موسوعة الكتاب الدولي» المواطنة بأنها «عضوية كاملة في دولة أو بعض وحدات الحكم، وتؤكد أن المواطنين لديهم بعض الحقوق مثل حق التصويت، وحق تولي المناصب العامة، وكذلك عليهم بعض الواجبات مثل واجب دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم». (صونية، ٢٠٠٨: ٣٠)

ولقد عرفت المواطنة في قاموس علم الاجتماع على أنها: «مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي وبين مجتمع سياسي «دولة»، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني مهمة الحماية وتتحدد هذه العلاقة بين الشخص والدولة عن طريق القانون كما يحكمها مبدأ المساواة ويضيف أن المواطنة تشير في القانون الدولي على فكرة القومية

وذلك رغم أن الأخيرة أوسع في معناها من الأولى، وطالما أن المواطنة تقتصر فقد على الأشخاص الذين تمنحهم الدولة حقوق معينة فإن المنظمات والشركات المساهمة لها قومية لا مواطنة ويشير المفهوم في علم الاجتماع إلى الالتزامات المتبادلة بين الأشخاص والدولة بحصول الأوليين على بعض الحقوق السياسية والمدنية بانتمائهم إلى مجتمع سياسي معين ويكون عليهم في الوقت نفسه بعض الواجبات. (غيث، ٢٠٠٦: ٥٦)

وتعرف موسوعة كولير الأمريكية كلمة «Citizenship» وتقصد بها مصطلح المواطنة ومصطلح الجنسية دون تمييز، بأنها «أكثر أشكال العضوية في جماعة سياسية اكتمالا». (الدجاني، ١٩٩٩: ٩٦)

كما تعرف موسوعة العلوم الاجتماعية المواطنة على أنها «المشاركة الكاملة في دولة لها حدود إقليمية، ويتضمن المصطلح في طياته أساساً شاملاً، فالمواطنون هم إما جميع البالغين، وإما بعض الفئات العامة منهم» الدكور وأصحاب الملكية» والمصطلح في أغلبه مفهوم غربي نشأ في اليونان وروما وجرى استخدامه في الدول المدنية الصغيرة في أوروبا في العصور الوسطى ثم امتد استخدامه بشكل هائل في المجتمعات الرأسمالية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكذلك عرفت الموسوعة المواطن بأنه «فرد من مجتمع وعضو كامل الحقوق والواجبات في الدولة، بحيث يضبط دستور دولته حقوقه الأساسية والثابتة». ونشأ هذا المفهوم مع انتصار الثورة الفرنسية (١٧٨٩) على النظام الملكي، بحيث تحول الأفراد من مجرد رعايا لا حقوق لهم عند مسئوليهم إلى مواطنين في ظل نظام ديمقراطي تتشكل فيه السلطة من الأسفل إلى الأعلى، بحيث لا تنفك السلطة أن تكون مجرد عقد بين الاثنين قابل للإبطال حالما فقد المواطنون الثقة في حاكميهم ولهذا يرى الكثير ارتباط المواطنة بالديمقراطية. (معتوق، ٢٠٠١: ٨٧)

كما تعرف المواطنة بأنها «لا تعني مجرد معرفة الفرد بالحياة السياسية ومشاركته في عملياتها كالتصويت بانتظام، ولكنها تتجلى في وعي الفرد واهتمامه بشؤون المجتمع، وقدرته على العمل بكفاءة لصالحه بل تعني

العضوية التي يتمتع بها الأفراد في المجتمع»، وتتضمن القبول والتسليم بتبادل الاهتمامات بين جميع الأفراد، والإحساس بالاهتمام المشترك من أجل رفاهية المجتمع والقدرة على العطاء لتحقيق مزيد من التطور للمجتمع. (B. Crick، ٢٠٠٠: ٤٨)

ويعرف عبد الكريم خلاب» المواطنة بأنها «المواطن يأخذ جذوره من الوطن في أوسع معانيه الذي يمنح المنتمي إليه الإقامة والحماية، والتعليم، والاستشفاء، والحرية، وحق الحكم والتوجيه واستغلال الفكر وتلك حقوق يتيحها الوطن للمواطن يضيف ويلتقي المفهوم الأسمى للمواطن مع المفهوم الأسمى للإنسان لينتقل مفهوم المواطن إلى مفهوم أشمل هو المواطنة. فتصبح المواطنة إنسانية مضافاً إليها التعلق بشخص آخر يشاركه الوطن، يقتسم معه مضامين الوطن والمواطن.

والمواطن هو الذي يضع القانون الذي يضبط مسيرة الوطن في طريقه إلى المكان الأرفع، على اعتبار أن القانون هو أسمى تعبير عن إدارة الأمة، ويعتبر اختيار نظام الحكم المظهر الأول للمواطنة. (الكوارى وآخرون، ٢٠٠١: ٣٦)

ويعرف المعجم الموسعي لمصطلحات التربية المواطنة بأنها «الوضع الذي يكون فيه المرء متمتعا بحقوق وواجبات كمواطن»، ويضيف أيضاً أن المواطنة الصالحة تعني التعاون مع أفراد الجماعة التي ينتسب إليها المرء لتحقيق النشاط التي تقوم بها الجماعة، وقيام المرء بواجبات ومسئوليات تجاه جماعته أو مجتمعه والإسهام في النشاطات المدنية في بيئته بطريقة إيجابية وبناءه والقيام بالواجبات والمسئوليات الوطنية والمدنية بدافع الذات وبقناعة، وليس بدافع الخوف. (النجار، ٢٠٠٣: ٥٣٩)

كما تعرف المواطنة بأنها تعني «علاقة عضوية بين الفرد والوطن، تنهض على أساس مجموعة من القيم، وتستند إلى مجموعة من الشروط والضمانات، وترتب مجموعة من الحقوق والواجبات المتبادلة على طرفيها، ومن ثم فهي تأخذ العديد من التطبيقات التي تختلف باختلاف المجتمعات والمراحل التاريخية». (زرنوقة، ٢٠٠٥: ٣٠٧)

كما تعرف المواطنة بأنها «تعبير عن التعلق والارتباط الروحي والنفسي القائم بين الفرد وبين وطنه ومواطنيه الذين تربطهم به علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية واقتصادية وسياسية»، وبقدر هذا التعلق أو الارتباط يمكن إخلاص المواطن لوطنه وقيامه بواجباته ومسئولياته نحوه، وتضحيته في سبيله وحبه وولاءه له. (الشيباني، ١٩٩٥: ٣٥)

من الملاحظ من خلال التعريفات السابقة أنه في الدولة الديمقراطية يتمتع كل من يحمل جنسية الدولة من البالغين الراشدين بحقوق المواطنة فيها وهذا الوضع ليس نفسه في الدول غير الديمقراطية حيث تكون الجنسية مجرد» تابعية» لا تتوفر لمن يحملها بالضرورة حقوق المواطنة السياسية هذا إن توافرت الحقوق أصلاً لأحد غير الحكام وربما للحاكم الفرد المطلق وحده، والمواطنة في الأساس تعني المشاركة من المنظور السياسي والانتماء من المنظور الاجتماعي، وهي وعي الإنسان بأنه مواطن فاعل في أحوال بلاده وليس مجرد مقيم يخضع لنظام معين دون أن يشارك في وضع القرارات داخل هذا النظام. وهذا يعني أن كل المواطنين سواء في الحقوق والواجبات أو لدعوة أن تكون الوحدة على الولاء القومي والوطن، مع المساواة التامة بين أبناء الوطن الواحد، وعدم التفرقة بينهم على ساس ديني أو طائفي أو جنسي، فمعيار الأفضلية عندهم في المجتمع للكفاءة والنزاهة وخدمة المجتمع والوطن. (عبد الرزاق- عبد الغني، ٢٠١٢: ٠٩)

وبذلك تكون المواطنة هي الرابطة الاجتماعية والقانونية بين الأفراد ومجتمعهم السياسي الديمقراطي وهي المؤسسة التي تربط الأفراد ذوي الحقوق بمؤسسات الحماية الدولية وعليه فهي عنصراً أساسي للديمقراطية، وبهذا ينطوي مفهوم المواطنة على جملة من الحقوق الممنوحة للأفراد وواجبات مفروضة عليهم وطالما أن المعنى الحقيقي للمواطنة يعتمد على انتماء الفرد وولاءه لوطنه، تكون المواطنة عبارة عن تنظيم علاقة على مستويين:

المستوى الأول: العلاقة القائمة بين الأفراد والدولة.

المستوى الثاني: العلاقة القائمة بين الأفراد بعضهم ببعض.

وهنا يحتم أن تكون المواطنة قائمة على أساسين هما:

- المشاركة في الحكم يحب أن تكون هذه المشاركة من خلال العملية الديمقراطية التي تقوم على مجموعة من المعايير تتمثل في المساهمة الفاعلة. والمشاركة والمساواة وأن يتوفر لكل مواطن الحق في اكتساب المعلومات بشكل يمكنه من اتخاذ هذه القرارات.
- المساواة بين جميع المواطنين حيث يتمتع كل فرد من المواطنين بحقوق والتزامات مدنية وقانونية واجتماعية وسياسية وبيئية متساوية.

وبهذا نجد أن مفهوم المواطنة مرتبط بشكل وثيق بهذين البعدين الأساسيين منصوص عليهما بشكل واضح لا يحتمل التأويل في دستور ديمقراطي. (مكروم، ٢٠٠٤:٣١٨)

٢- مكونات المواطنة:

للمواطنة عناصر ومكونات أساسية ينبغي أن تكتمل حتى تتحقق المواطنة وهذه المكونات هي:

١) **الانتماء:** وهو شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس وإخلاص بالارتقاء بوطنه وللدفاع عنه، أو هو إحساس تجاه أمر معين يبعث على الولاء له واستشعار الفضل في السابق واللاحق، ومن مقتضيات الانتماء أن يفتخر الفرد بالوطن والدفاع عنه والحرص على سلامته. فالمواطن منتمي لأسرته ولوطنه ولدينه وتعدد هذه الانتماءات لا يعني تعارضها بل هي منسجمة مع بعضها ويعزز بعضها البعض الآخر.(الذيب، عبدو، ٢٠١٥: ٣٦٠)

٢) **الحقـوق:** إن مفهوم المواطنة يتضمن حقوق يتمتع بها جميع المواطنين وهي في نفس الوقت واجبات على الدولة وتتمثل هذه الحقوق في الأتي:

- الوصول إلى المحاكم.
- حق التعاقد.
- المعاملة المتساوية في ظل القانون.

- حق الغريب والمواطن في الهجرة.
- حرية الحديث.
- حرية التدين.
- الحق في الخصوصية.
- حيازة الملك والخدمة والتنازل عنهما.
- اختيار الإقامة.
- اختيار المهنة.
- الخدمات الصحية.
- إعادة التأهيل البدني.
- حق التعليم
- معاشات التقاعد.
- الإعانة العامة.
- تعويض البطالة.
- تأمين إصابة العمل.
- معاش مصابي الحروب.
- حق التعويض من الأضرار.
- حق الترشح لتولي المناصب.
- حق انتخابات الحكام.
- الحق في تكوين الأحزاب السياسية والجمعيات والتنظيمات.
- التجنيد السياسي.
- جمع وتقديم التبرعات السياسية.
- حقوق الأقلية في معاملة منصفة.
- حقوق الاحتجاج. (غانم، ٢٠٠٥: ٨٣٠)

٣. الواجبات:

تختلف الدول عن بعضها البعض في الواجبات المترتبة على المواطن باختلاف

الفلسفة التي تقوم عليها الدولة، فبعض الدول ترى المشاركة السياسية كواجب و، وتكون هذه الواجبات مقابل لحقوق ويجب أن يؤديها المواطنون بشكل متساوي بين الجميع وبدون تمييز، وتتمثل هذه الواجبات في الآتي:

- دفع الضرائب للدولة.
- إطاعة القوانين والنظم.
- الدفاع عن الوطن.
- الحفاظ على المرافق العامة.
- التكاتف والتعاون مع أفراد المجتمع.
- المساهمة في تنمية الوطن.
- المساهمة والمشاركة في العملية السياسية وصناعة القرارات.

٤. القيم العامة:

وتعني أن يتخلق المواطن بالأخلاق العامة والتي منها:

الأمانة: ومن معاني الأمانة عدم استغلال الوظيفة أو المنصب لأي غرض شخصي.

الإخلاص: ويعني الإخلاص في أداء العمل خدمة للوطن وتحقيقاً لمصالحه العليا.

الصدق: وهو يتطلب عدم الغش أو الخداع أو التزوير فالصدق يجعل المواطن عضواً نافعاً لوطنه.

الصبر: يعد من أهم العوامل التي تساعد على ترابط المجتمع واتحاده وتحقيق الاستقرار السياسي والسلم الاجتماعي. (الشيخ، ٢٠٠٠: ٧٤)

ثانياً: المنظور الإسلامي للمواطنة:

على الرغم مما زعمه بعض الباحثين من المستشرفين، بل والعرب المتأثرين بدعواهم، من أن مفهوم المواطنة غريب تماماً على الإسلام، وأن مفهوم الجماعة السياسية في الإسلام تخلو من آية محاولة لتطوير سياق المواطنة،

كشرط ضروري ليس لنشوء حكم القانون فحسب بل لظهور المجتمع المدني الذي يستطيع السيطرة على سلطات الدولة، على الرغم من هذا يرى بعض المفكرين أنه كان هناك ولا يزال مصطلح يمكن اعتباره معادلاً دقيقا للمصطلح الغربي «مواطن» بمعنى الفرد الكامل العضوية في المجتمع السياسي والذي له حقوق وعليه واجبات تحتم عليه المشاركة في الحياة العامة، وهو مصطلح «مسلم» ويرجع هؤلاء ذلك إلى أن هوية المجتمع الدينية والسياسية في بدايات المجتمع الإسلامي كانت من المسلمات، حيث يتمتع الفرد بحكم كونه مسلماً بعضوية فورية كاملة في المجتمع السياسي وبالمعنى الإيجابي يحمل حديث الرسول r، هذا المفهوم حيث يقول في الصحيحين «المسلمون ذمتهم واحدة ويسعى بذمتهم أدناهم، ومن أحقر مسلماً فعليه لعنة اللّٰه والملائكة والناس أجمعين» وهنا تبدو الإشارة واضحة أن الفرد المسلم مشارك فعال ومتساو في أمور الجماعة، ويستطيع بمبادرة منه أن يلزمها بالتزامات معينة تتكفل بها تجاه غير الأعضاء فيها، وإن ما يسود لدى البعض من بلبله إنما هي من التشويش الحاصل في الإشارة إلى المجتمع السياسي كحقيقة ومفهوم، ويستند المفهوم الإسلامي للجماعة السياسية على الدين، ولأجل أن يتمتع الفرد بكامل شروط المواطنة، عليه أن يكون مسلماً، وهذا هو الشرط الضروري والكافي لحالة المواطنة، بينما تعتمد مكانة عبر الأعضاء على صلتهم التعاقدية مع المجموعة الأصلية، وفي هذا لا يتخلف الإطار الفكري لمفاهيم المواطنة التي تبناها النظام الدولي بعد عام ١٩٤٥ من حيث المبدأ، والفارق الوحيد هو في أساس المواطنة، حيث تعتمد الجماعات السياسية الحديثة الترابط التاريخي القائم بين الفرد ووجود إقليمي معين كأساس للعضوية فيها، مع استثناء من لا ينطبق عليهم هذا الشرط من حقوق المواطنة الكاملة، تأخذ آليات حقوق الإنسان العالمية، ومنها ميثاق الحقوق المدنية والسياسية، هذه الافتراضات كحقائق مسلم بها، ولا توجد حقوق غير متساوية لغير المواطن في أي بلد. (الافندى، ٢٠٠١: ١٤٦)

وإذا كان الانتماء الأول والأكبر والأساس، بالنسبة للمسلم، هو إلى الإسلام

وأمته وإلى دار الإسلام وحضارته، قال تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (التوبة: ٢٤)

وقال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً } (الأحزاب:الآية ٦)

فإن تخيير المسلم بين الانتماء للإسلام وبين هذه الدوائر الأخرى للانتماء لا يكون إلا في حالات قيام التعارض أو التضاد بين الانتماء إلى الإسلام، كانتماء أول وجامع، وبين الانتماءات الأخرى كدوائر فرعية، أما إذا اتسقت دوائر الانتماء في فكرية الإنسان وتكاملت في ممارساته الحياتية، فلن يكون هناك تناقض في الفكر والعمل الإسلامي بين كل دوائر الانتماء الفطري للإنسان، ولأن الإسلام منهاج شامل لمملكة السماء وعالم الغيب، وللعمران البشري وسياسية وتدبير عالم الشهادة، فإن إقامته كدين لا تأتي إلا في واقع ووطن ومكان وجغرافيا، وهذا الواقع والوطن والمكان والجغرافيا لن يكون إسلامياً إلا إذا أصبح الانتماء الوطني فيه بعداً من أبعاد الانتماء الإسلامي العام، فعبقرية المكان، في المحيط الإسلامي هي واحدة من تجليات الإسلام الذي لا تكتمل إقامته بغير الوطن والمكان والجغرافيا، ومن هنا تأتي ضرورة الوطن لإقامته «دنيا الإسلام» وعمرانه، وضرورة الدين، ليكون الوطن إسلامياً، وتتحقق إسلامية عمرانه، أي ضرورة أن تكون الانتماء الوطني «الوطنية» درجة في درجات سلم انتماء المسلم إلى الإسلام، كجامع أكبر وأول لإبعاد ودوائر الانتماء، فالإسلام هو الذي يستدعي ويتطلب وجود الوطن والوطنية، لأنه لا تكتمل إقامته دون وطن يتجسد فيه، فليس هو بالدين الذي تكتمل إقامته «بالإخلاص الفردي» كما «خلاص المسلم وتقدمه» لا يمكن إلا أن يمكن إسلامياً. (عمارة، ٢٠٠٠: ٠٧)

ولقد اجتهد بعض علماء الفكر الإسلامي المعاصرين في بيان الموقف في قضية الجنسية، والمواطنة مستفيدين في بعض الأحكام العامة التي تضبط علاقة الدولة الإسلامية برعاياها، ويروا إن الجنسية بوجه عام على أنها الرابطة السياسية والقانونية بين الدولة ومجموعة الأشخاص المكونين لعنصرها القائم على مزيج من المشاعر العاطفية والمصالح المادية والاعتبارات التاريخية والمنعكسة في مجال القانون في صورة التزامات معينة على عاتق كل من الطرفين وقد استنبط علماء الفقه الإسلامي مفهوم «أهل دار الإسلام» وجود رابطة بين طرفين، الدار وأهلها، فالدار هي الكيان الحضاري الذي وجودهم من خلاله، وقد عبر عن نفسه في حقيقة عقيدة إقليمية وسياسية، والأصل هم الذين ينتسبون إليها ويقيمون في إقليمها بصفة مستقرة، ويدينون بالولاء لها، والرابطة هي حدود ما بين الدولة وأهلها، وهي حدود سياسية لأن ممارسة الدولة على أهلها أو وطنها متوطنة بتحقيق مقاصد السياسة الشرعية، والتشريعية، لأن ثمة تشريعات ملزمة للدولة ولرعاياها ينبغي الوعي بها، بشأن ما يفعل وما لا يفعل، وما يكتسب من حقوق، وما يؤدي من واجبات، وأهل الدار المعتبرون الذين لهم حق اكتساب جنسية دار الإسلام هم المسلمون وكذلك الذميون، المسلمون لأن كون كل شخص منهم مسلماً يجعله أهلاً للانتماء إلى جماعة المسلمين ودولتهم، والتبعية لها والارتباط بها قانوناً، فكل مسلم إذن في دار الإسلام يتمتع بجنسيتها على أساس توافر الصبغة الإسلامية، وأما الذميون فلأنهم بذمتهم من أهل دار الإسلام الذين يتساوون مع المسلمين في الارتباط برباط الجنسية. (منجود، ١٩٩٦: ٢٧٨)

ويرى المفكر الإسلامي «راشد الغنوشي» أن تمتع أهل ديانات وأعراق مختلفة بحقوق المواطنة أو بكثير منها في ظل حكومات إسلامية عبر تاريخ الإسلام بدءاً بدولة المدنية التي تأسست على دستور مكتوب اعترف بحقوق المواطنة بجميع المكونات الدينية والعرقية للسكان باعتبارهم «أمة من دون الناس» حسب تعبير دستور المدنية المعروف باسم «الصحيفة» حيث حددت الصحيفة العلاقات بين السلطة وأفراد المجتمع داخل المدينة على

تنوعاتهم الدينية والقبلية، ورسمت علاقات المجموعات مع مؤسسات الدولة الناشئة، وبينت الواجبات والحقوق لكافة أفراد الدولة «الأمة»، من خلال دستور مكتوب باسم الصحيفة يرسخ مفهوم المواطنة في هذه الدولة، فقد نصت على أن «اليهود أمة والمسلمون أمة» أي أمة العقيدة وأن «المسلمون واليهود أمة» (هي أمة السياسة أو المواطنة) بالتعبير الحديث أي شركاء في نظام سياسي واحد يخولهم حقوقا متساوية باعتبارهم أهل كتاب وأهل ذمة أي مواطنين حاملين لجنسية الدولة المسلمة من غير المسلمين، وقال عنهم أحد أكبر أئمة الإسلام الخليفة الراشد الرابع على ابن أبي طالب (رضي الله عنه) «إنما أعطوا الذمة ليكون لهم مالنا وعليهم ما علينا». (سلطان، ٢٠١٠: ١٥)

ولقد تمتع سكان المدنية من غير المسلمين بحقوق المواطنة ومنها حماية الدولة لهم، مقابل أدائهم واجباتهم في الدفاع عنها، وبينما تمتع كل الأقوام وأتباع الديانات ممن يقيم في أرض الدولة بحقوق المواطنة ومنها جنسية الدولة الإسلامية وبدل النصرة والحماية لهم من كل عدو يستهدفهم، فإن المسلمين الذين لم يلتحقوا بأرض الدولة الإسلامية محل سيادتها لا يتمتعوا بذلك. وإجمالاً يمكن القول وحسب ما تم النظر إليه فالمواطنة في الإسلام لا تختلف كثيراً عن الإطار الفكري للمفاهيم التي تبنتها بعض الدول الغربية من حيث المبدأ والفارق الوحيد هو في أساس المواطنة حيث تعتمد الجماعات السياسية الحديثة على الترابط التاريخي القائم بين الفرد ووجود إقليمي معين كأساس العضوية فيها مع استثناء من لا ينطبق عليهم هذا الشرط من حقوق المواطنة الكاملة أما المواطنة في المجتمع الإسلامي هي حقوق تلقائية للإفراد لانتمائهم لوطن واحد وذلك لأن الإسلام دين كوني لا يقوم على مبدأ الفصل أو المجتمعات المغلقة أو حتى رسم الحدود الصارمة كما أن المواطنة في الإسلام تعني الانتماء والولاء للأمة وليس للدولة في حد ذاتها على أن يكون الولاء والطاعة للدولة محكومين بمدى الالتزام بقواعد ومبادئ الشريعة الإسلامية وطالما أن المعنى الحقيقي للمواطنة في مواجهة تنظيم علاقة يقوم على مستويين هما:

المستوى الأول: العلاقة القائمة بين الأفراد والدولة.

المستوى الثاني: العلاقة القائمة بين الأفراد بعضهم ببعض. (الحميد، ٢٠١٣)

وبهذا يضع الإسلام أساساً جديداً لحق المواطنة، لا يقوم على قرابة الدم أو صلة العقيدة، وإنما يتكون حق المواطنة فيه من عنصرين كلاهما إيجابي فأما العنصر الأول فهو الانتماء إلى الإقليم، وأما العنصر الثاني فهو الوفاء والالتزام.

فمفهوم المواطنة ليست قضية انتماء هش يقوم على مشاعر تعبر عن الولاء إذ الانتماء والولاء إذا خلا من المصداقية القائمة على الوعي والثقافة والممارسة، فإنه يبقى بعيداً عن تحقيق المواطنة الرشيدة الكفيلة بتعزيز التنمية في المجتمع في مختلف نطاق تفاعلاته.

الخاتمة

من خلال ما تم طرحه في هذه الدراسة يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية:

١) إن المواطنة تجسيد لنوع من الشعب يتكون من مواطنين يحترم كل فرد منهم الآخر ويتحلون بالتسامح تجاه التنوع الذي يزخر به المجتمع.

٢) إنه ومن أجل تجسيد المواطنة في الواقع، على القانون أن يعامل ويعزز معاملة كل الذين يعتبرون بحكم الواقع أعضاء في المجتمع، على قدم المساواة بغض النظر عن انتمائهم القومي أو طبقتهم أو جنسهم أو عرقهم أو ثقافتهم أو أي وجه من أوجه التنوع بين الأفراد والجماعات، وعلى القانون أن يحمي وأن يعزز كرامة واستقلال واحترام الأفراد، وأن يقدم الضمانات القانونية لمنع أي تعديات على الحقوق المدنية والسياسية، وعليه أيضاً ضمان قيام الشروط الاجتماعية والاقتصادية لتحقيق الإنصاف، كما أن على القانون أن يمكن الأفراد من أن يشاركوا بفاعلية في اتخاذ القرارات التي تؤثر على حياهم، وأن يمكنهم من المشاركة الفعالة في عمليات اتخاذ القرارات السياسية في المجتمعات التي ينتسبون إليها.

٣) إن المواطنة في الإسلام لا تختلف كثيراً عن الإطار الفكري لمفاهيم المواطنة التي تتبعها بعض الدول الغربية من حيث المبدأ.
٤) يضع الإسلام أساساً لحق المواطنة، لا يقوم على قرابة الدم أو صلة العقيدة وإنما يتكون حق المواطنة فيه من خلال الانتماء للإقليم والوفاء والالتزام.
٥) لقد تمتع أهل الديانات والأعراف المختلفة بحقوق المواطنة أو بكثير منها في ظل حكومات إسلامية عبر التاريخ.
٦) إن أول دستور إسلامي مكتوب والمعروف باسم «الصفيحة» في المدينة المنورة أعترف بحقوق المواطنة لجميع المكونات الدينية والعرفية للسكان.

المصادر والمراجع

1. B. Crick: Essay on Citizenship (London. Continuum. 200).

٢) أحمد صدقي الدجاني، (١٩٩٩)، مسملون ومسيحيون في الحضارة العربية والإسلامية، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة.

٣) خيرة بن عبد العزيز، (٢٠١٤)، الحكم الراشد بين الفكر الغربي والإسلامي دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة الحاج الخضر، مكتبة الجزائر.

٤) زيد سلطان، (٢٠١٠)، مفهوم المواطنة في الدولة الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٥٣٢.

٥) زينب المختار الذيب، نعيمة بشير عبدو، (٢٠١٥)، الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة، مؤتمر العلم الأول لكلية الأدب جامعة طرابلس «دور العلوم الإنسانية في معالجة قضايا المجتمع»، طرابلس.

٦) سعيد بن عبد الله الحميد، (٢٠١٣)، المواطنة في الإسلام واجبات وحقوق القاهرة.

٧) السيد عبد المطلب غانم، (٢٠٠٥)، المواطنة على المستوى المحلي، مؤتمر السابع عشر، القاهرة.

٨) صلاح سالم زرنوقة، (٢٠٠٥)، قراءة في مفهوم المواطنة في وثائق الحزب الوطني، في أعمال المؤتمر السنوي السابع عشر، القاهرة.

٩) عبد الودود مكروم، (٢٠٠٤)، القيم ومسؤوليات المواطنة، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٠) عبد الوهاب الأفندي، (٢٠١٠)، إعادة النظر في المفهوم التقليدي للجماعة السياسية في الإسلام، مجلة المستقبل العربي، بيروت.
١١) العبدي صونية، (٢٠٠٨)، المجتمع المدني المواطنة والديمقراطية «جدلية المفهوم والممارسة»، مجلة كلية الأداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثالث، يونيو.
١٢) علي خليفة الكواري وآخرون، (٢٠٠١)، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
١٣) علي خليفة الكواري، (٢٠٠٠)، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، أعمال المؤتمر الدولي العاشر لدراسات الديمقراطية، الدوحة.
١٤) علي ليلة، (٢٠١٣)، المجتمع المدني العربي «قضايا المواطنة وحقوق الإنسان»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
١٥) عمر التومي الشيباني، (١٩٩٥)، مقدمة في الفكر التربوي الحديث، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس
١٦) فريد النجار، (٢٠٠٣)، المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية، مكتبة لبنان، بيروت.
١٧) فريدريك معتوق، (٢٠٠١)، معجم العلوم الاجتماعية، دار الأكاديمية، بيروت.
١٨) محمد عاطف غيث وآخرون، (٢٠٠٦)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
١٩) محمد خلف ابن الشيخ، (٢٠٠٠)، المواطنة الصالحة، الرياض، الدار السعودية.
٢٠) محمد عبد الرزاق، أماني عبد الغني، (٢٠١٢)، في تحرير مصطلح الدولة المدنية، المركز المصري للدراسات والمعلومات، القاهرة.
٢١) محمد عمارة، (٢٠٠٠)، الإسلام والوطنية، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٩٧، القاهرة.
٢٢) مصطفى منجود، (١٩٩٦)، الدولة الإسلامية، المعهد العالمي الفكر الإسلامي، ١٩٩٦.

الأخلاق الإسلامية وأصولها العقدية عند الإمام سعيد النورسي في ضوء رسائل النور

م. د. عوض جدوع احمد
جامعة ديالى – كلية العلوم الاسلامية، ديالى – العراق

الملخص

يَهدفُ هذا البحث الى التعريف بالإمام النورسي وانتاجه الفكري المُدّون في كليات رسائل النور، وبيان منهجه في دراسة الأخلاق الإسلامية وأصولها العقدية، وذلك بتوضيح مفهوم الأخلاق الاسلامية وطبيعتها ومجالاتها ومصدريتها وأصولها، مع بيان الأصول والخصائص العقدية التي تقوم عليها الأخلاق وتناولها النورسي بالبحث، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على وصف الظاهرة المتمثلة في الاخلاق الاسلامية وأصولها العقدية، وذلك باستقراء النصوص الخاصة بالأخلاق الإسلامية في رسائله، والوصول الى منهجه العقدي في تقويمها وتنميتها، وكان من أهم نتائج البحث ان النورسي يرى ان الأخلاق هي نظام القرآن الذي يطبع الروح الإنسانية بماهيتها ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة، لاكتساب معناها الكوني. وقد اتبع في منهجه العقدي خطوات عملية مستخدماً أهم أصول العقيدة الإسلامية التي ترتكز عليها منظومته الأخلاقية، ومستعيناً بما يناسبه من الخصائص العقدية، فكان له منهجه المتميز في تقويم الاخلاق وتنميتها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فان العرض لموضوع الأخلاق بالدراسة والبحث أمر مُحببٌ للنفس،

وخاصة اذا كان الغرض من ذلك الطرح هو: التعرف على طبيعة الأخلاق الحسنة الفاضلة؛ لإتباعها، والتخلق بها، والسير وفقاً لاحكامها، وفي المقابل: التعرف على ما يضادها من مساوئ الأخلاق وقبائحها؛ لاجتنابها، والتخلص منها، والعمل على إقصائها واخفائها من المعاملات الإنسانية – خاصة بين المسلمين – شيئاً فشيئاً، حتى يسمو المؤمن بأخلاقه الى أرقى درجات الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وذلك بجعل ذلك كله دستوراً ومنهجاً للحياة على اختلاف اتجاهاتها، يهتدي به المسلم فيه بنور العقيدة الأيمانية الصحيحة.

فالأخلاق في الاسلام تحتل مكانة واسعة وشاملة لجميع حركات المسلم النابعة من إعتقاده، وهي سلوك عملي يتناول حياة المسلم في جميع أوقاته وأحواله.. حيث تنطلق السلوكيات العملية من الإعتقادات القلبية المتصلة بالإيمان وما يستقر في القلب من يقين حول أهم أركان هذه العقيدة الغراء.

مشكلة البحث وأهميته: موضوع الأخلاق الإسلامية وأصولها العقدية – وان كانت قد نالت حظها من الإيجاب والتأكيد في العديد من الدراسات والبحوث السابقة – إلا انها عند النورسي في ضوء رسائله تتخذ صورة خاصة ومميزة من حيث التأثير الإيجابي على الفرد والمجتمع، ومن هنا جاءت أهمية البحث، وانحصرت مشكلة البحث في بيانها، وللإجابة عن السؤال التالي:

ما مفهوم النورسي للأخلاق الإسلامية وطبيعتها ومجالاتها ومصادرها وأصولها ؟ وما منهجه العقدي في بيانها ؟

أهداف البحث: بناءً على ما سبق يسعى هذا البحث الى تحقيق الأهداف التالية:

أولا: توضيح البيئة التي عاش فيها النورسي وأثرها في رسائل النور.

ثانيا: بيان مفهوم النورسي للاخلاق وطبيعتها ومجالاتها ومصادرها وأصولها.

ثالثا: تحليل أهم الأصول والخصائص العقدية في تقويم الاخلاق المذكورة في رسائل النورسي وبيان منهجه فيها.

منهج البحث: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بالرجوع

الى رسائل النور لاستخراج الأخلاق الاسلامية من نصوصها، وإبراز منهجه العقدي في بيانها.

خطة البحث: ركز الباحث عمله في بيان الأخلاق الإسلامية على حسب ما دونه النورسي في رسائل النور، واستنباط منهجه العقدي حولها، فجاءت خطة هذا البحث كما يلي:

المبحث الأول: التعريف ببديع الزمان النورسي ورسائله.

المطلب الأول: التعريف ببديع الزمان سعيد النورسي.

المطلب الثاني: التعريف برسائل النور.

المبحث الثاني: مفهوم النورسي للأخلاق الاسلامية ومجالاتها ومصادرها.

المطلب الأول: مفهوم النورسي للأخلاق الإسلامية وطبيعتها ومجالاتها.

المطلب الثاني: المنهج العام للنورسي في مصادر الاخلاق الاسلامية وأصولها.

المبحث الثالث: أبرز الاصول والخصائص العقدية في رسائل النور وآثرها في تقويم الأخلاق.

المطلب الأول: الأصول العقدية التي تقوم عليها أسس الأخلاق الإسلامية.

المطلب الثاني: الخصائص العقدية للأخلاق الإسلامية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف ببديع الزمان النورسي ورسائله.

المطلب الاول: بديع الزمان سعيد النورسي

أولا: أسمه ولقبه: سعيد بن ميرزا بن علي النورسي، ويلقب ببديع الزمان، وله عدة ألقاب، منها: بديع الزمان، وهو الاكثر شهرة، وسعيد المشهور، وقد أطلق عليه لذكائه، وسعيد القديم عندما كان منشغلا بالسياسة، وسعيد الجديد، عندما تحول عنها الى خدمة حقائق الايمان وغرسها في نفوس أفراد المجتمع،

وهو الذي أطلقهما على نفسه، وأما لقب الاستاذ فأطلقه عليه طلابه [1].

ثانيا: مولده وأسرته

ولادته: ولد الإمام الجليل بديع الزمان سعيد النورسي (سنة ١٨٧٧م الموافق ١٢٩٤ه)، في قرية «نورس» التابعة لناحية «إسباريت» المرتبطة بقضاء «خيزان» التابع لولاية «بتليس» شرقي الأناضول [2].

- أسرته:- وهو من أسرة كردية متدينة، متوسطة الحال، تشتغل بالفلاحة والزراعة، والده «ميرزا بن علي» لُقّب بالصوفي لتقواه وورعه، والدته «نورية بنت مُلاّ طاهر»، عُرفت أيضا بالتقوى والصلاح، فلم تكن ترضع أطفالها إلا وهي على طُهر ما استطاعت الى ذلك سبيلاً.، وكان أخوه الكبير (الملا عبد اللّٰه) عالما يشتغل بالتدريس [3]، وتعدّ هذه الامور كلَها مؤثرات اجتماعية بشكل ملحوظ في بناء شخصية النورسي.

ثالثا: نشاته وتعلُّمه

ظهرت على النورسي مبكراً إمارات الذكاء والنبوغ منذ طفولته، ولما دخل (الكتّاب) وتتلمذ على أيدي المشايخ والعلماء، بهرتهم قوة ذاكرته وذكاؤه ودقة ملاحظته وقدرته على الاستيعاب والحفظ، الامر الذي جعله ينال الاجازة العلمية وهو أبن أربع عشرة سنة بعد ان تبحر في العلوم النقلية والعقلية بجهده الشخصي وحفظ ثمانين كتاباً من أمّهات العلوم العربية والإسلامية، كما حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من حياته الخصبة الحافلة [4]، وتميز عن أقرانه بحب الاطلاع وكثرة الاستفسار ودقة الملاحظة، وكان يحرص على حضور مجالس الكبار التي كان يدعو إليها والده في بيته، ويناقش فيها مع

---

١ ينظر: النورسي: سيرة ذاتية، (ص٣٥ بتصرف)، الكلمات، (ص٣٦٩ بتصرف)، القرني: المنهج التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي، (ص١٦ بتصرف).

٢ ينظر: النورسي: سيرة ذاتية، (ص٣٥ بتصرف).

٣ نظر: زكردي: لمحة سريعة من خلاصة حياة الامام الجليل بديع الزمان، (ص٥٠)

٤ ينظر: لملم: المنهج الدعوي في فكر بديع الزمان سعيد النورسي من خلال رسائله، (ص٢٤).

علماء القرية مسائل كثيرة، وفي هذا الصبا المبكر، جلبت أهتمامه مسائل فلسفية وفكرية عميقة، كانت تدعوه الى التأمل والتفكير، يقول عن نفسه: «فلقد حدّثتُ خيالي في عهد صباي كما أشار اليه في رسالة((الحشر)): ((أي الأمرين تفضّل؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك الى العدم، أم وجوداً باقياً مع حياة اعتيادية شاقة ؟)) فرأيته يرغب في الثانية، ويضجر من الأولى قائلاً: ﴿إنني لا أريد العدم بل البقاء ولو كان في جهنم !﴾[٥]

ولقد تعددت تنقلاته في سبيل تحصيل طلب العلم من قرية «طاغ» الى «بتليس» ثم «بايزيد» فـ «سعود» فـ «تلو» فـ «ماردين» هذه الاخيرة التي تلقى دروسه فيها على يد الشيخ «محمد الكفروي»[٦]

كما عكف على دراسة العلوم العصرية أو العلوم الكونية الطبيعية (الرياضيات، الفلك، الكيمياء، الفيزياء، الجيولوجيا، الجغرافيا، التاريخ، الفلسفة الحديثة) وسوها من العلوم حتى غدا عالما فيها، ومناظرا فذا للمختصين، حيث صار له رصيد ضخم من المعلومات مكنه من الانطلاق على مرتكزات علمية سليمة.[٧]

وقد برع النورسي في عدد من العلوم الشرعية والفكرية جعلته أحد المجددين ومنها: علوم القرآن الكريم والحديث والفقه والتفسير والسيرة النبوية، وعلوم اللغة العربية، وعلم المنطق، والفلسفة القديمة والحديثة وتيارتها الفكرية [٨]، وقد أثنى عليه العلماء، وكتفي بما وصفه محسن عبد الحميد بقوله: «الامام الممتحن، وحكيم المرحلة الصعبة»[٩].

---

٥ ينظر: النورسي: الشعاعات،(ص٢٧٧-٢٧٨)

٦ ينظر: الصالحي، احسان: بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، (ص٦١)

٧ ينظر: لملم، ابراهيم: المنهج الدعوي في فكر بديع الزمان سعيد النورسي، (ص٣٤).

٨ ينظر: عبد الحميد، محسن: النورسي الرائد الاسلامي الكبير، (ص١٢ بتصرف)

٩ ينظر: عبد الحميد، محسن: التربية السلوكية عند النورسي،(ص١١٣).

رابعا: سمات جهود النورسي الاصلاحية

اتَسمت جهود النورسي الاصلاحية بالسمات التالية [١٠]:

أولا: التدرج في الاصلاح والتغيير الذي يبدا بافراد المجتمع.

ثانيا: الوسطية وعدم التعصب.

ثالثا: التركيز على علاج أمراض القلوب.

رابعا: توحيد الصفوف ونبذ الاقليمية تمشّياً مع عالمية الاسلام.

خامسا: السعي لمداواة جروح البلاد وتقديم مصلحتها على مصلحته الخاصة.

سادسا: الشمول لمختلف جوانب الحياة التي تهم الفرد والمجتمع.

وقد ظل النورسي نشيطاً في منهجه الاصلاحي بالرغم من تقدمه في السن ومرضه، فقد كان يتابع ما يجري في العالم الاسلامي، ويزور المدن التي ينتشر فيها طلابه، الى ان فارق الحياة في عام ١٩٦٠ م، وكان عمره أربعاً وثمانين سنة، قضاها في الدعوة والجهاد الفكري ضد تيار العلمنة، ولم توقف وفاته دعوته؛ اذ ظلت رسائله مؤثرة وقاعدة للاصلاح، واستمرت من بعده في اداء وظيفته[١١].

المطلب الثاني: رسائل النور

تُعدّ رسائل النور موسوعة إيمانية رائعة تسدّ حاجة هذا العصر، وتخاطب مدارك أبنائه. وقد أستقاها النورسي من فيض نور القرآن الكريم، وهي تفسير للقرآن الكريم يعتمد على حقائق الآيات وإثبات معانيها بتوضيحها عبر استشهادات يتحاور فيها العقل والقلب. وهي تفسير لمعاني القرآن الكريم أكثر مما هي تفسير لألفاظ الآيات وعباراتها.

تتألّف رسائل النور من أكثر من ١٣٠ رسالة، هي أساس فكره ودعوته، حيث دون فيها منهجه الاصلاحي الذي حمله طلابه، وتتميّز بخصائص مهمّة أدّت

---

١٠ ينظر: الطنطاوي، عبد الله: منهج الاصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي، (ص١٣٩-١٤٨بتصرف)

١١ ينظر: النورسي: سيرة ذاتية، (ص ٤٦٨ بتصرف)

الى التفاف قارئيها حولها، وجذبهم نحوها لانبثاقها من القرآن الكريم واتباعها للسنة المشرفة. ويمتاز أسلوب النورسي في رسائل النور بأنه أسلوب علمي دقيق واضح.

وهذه الرسائل – كما بين النورسي - تتوزع على أربع مجموعات رئيسية عمدتها المجموعة الاولى المسماة: (الكلمات)؛ إذ منها تنبثق المجموعة الثانية: (المكتوبات) التي بدورها تتشعب عنها المجموعة الثالثة (اللمعات)، ثم المجموعة الرابعة: (الشعاعات) وهي متفرعة عن سابقتها.

وألف النورسي بالاضافة الى هاته المجموعات الاربعة الرئيسية رسائل أخرى مستقلة منها: «المدخل الى النور»، و» مفتاح لعالم النور «وهي آخر رسالة كتبت، و «المحاكمات»، و «ترجمة حياة»، و «سنوحات»، و «مناظرات»، و «ديوان حربي عرفي»[١٢].

وكان تأليف رسائل النور ونشرها شيئاً فريداً ومتميزاً في تاريخ الدعوات الاسلامية المعاصرة، ذلك لأن النورسي لم يكن يكتب كثيراً من رسائله بيده، وإنما كان يملي هذه الرسائل على بعض طلابه. وقد استغرق الوقت من سنة ١٩٢٦م الى سنة ١٩٥٠م لتأليف رسائل النور جميعها، أي قرابة خمس وعشرين سنة[١٣].

وقد تضمنت رسائل النور معالم منهجية بارزة ساقتصر على ذكر أهمها:

المعلم الأول: تسميتها بـ «رسائل النور»، وقد عبر النورسي عن سر اطلاق هذه التسمية بقوله: «ان سبب اطلاق اسم رسائل النور... هو ان كلمة» النور «قد جابهتني في كل مكان طوال حياتي منها قريتي اسمها: نورس، اسم والدتي المرحومة نورية، اسم استاذي في الطريقة: سيد نور محمد، واحد أساتذتي في الطريقة القادرية: نور الدين واحد أساتذتي في القران: نوري، واكثر من يلازمني من طلابي من يسمون باسم: نور، واكثر ما يوضح كتبي وبنورها هو

١٢ ينظر: الكيلاني، جمال الدين و الصميدعي، زياد: بديع الزمان سعيد النورسي «قراءة جديدة في فكره المستنير»، (ص٣١-٣٢)

١٣ ينظر: عبد الحميد، محسن: الإمام النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا، (ص١٧٧)

التمثيلات النورية، واكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الالهية هو: اسم «النور» من الاسماء الحسنى. ولشدة شوقي نحو القران وانحصار خدمتي فيه، فان امامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي اللّٰه عنه»[١٤].

المعلم الثاني: طبيعة الظروف الذي ألفت فيه، حيث ان الاهتمام الذي نالته الرسائل مرجعه - في الاساس – الى صعوبة الظروف التي ظهرت فيها، وهذا ما يوضحه النورسي نفسه، بقوله: «ان سبب الاهتمام الذي نالته رسائل النور نابع من أهمية الزمان نفسه، ومن شدة الهدم الذي أحدثه هذا العصر في الشريعة المحمدية والشعائر الاحمدية، ومن فتنة اخر الزمان الحالية التي استعاذت منها الامة الاسلامية منذ القدم، ومن زاوية انقاذ ايمان المؤمنين من صولة تلك الفتنة»[١٥].

المعلم الثالث: ان المنطلق الاكبر للنورسي في رسائل النور هو القرآن الكريم، الذي عاش اجواءه وظلاله مدى حياته، وقد بين النورسي تاثره بالقرآن الكريم، بقوله: «انه مهما يظهر من قوة التاثير والجمال في اسلوب كتاباتي، فنها ليست مني ولا مما مضغه فكري، بل هي لمعات ضرب الامثال التي تتلالا في سماء القران الكريم» [١٦].

المعلم الرابع: قدرتها على علاج جميع المشكلات: افتخر النورسي كثيرا ومصرحا بقدرة رسائله على معالجة جميع المشكلات، ومن ذلك قوله: «فتجاه هذه الحالات المحيرة لا بد من ثبات عظيم، وصلابة تامة، ووفاء خالص، وغيرة على الاسلام تفوق كل شيء وبخلافه ستبقى خدمة الايمان عقيمة بائرة وتكون ضارة... الا فليعلم أهل السياسة علما قاطعا رغم اننا لا علاقة لنا بهم؛ ان العلاج الوحيد لانقاذ الامة في هذه البلاد وفي هذا العصر من الفوضى والارهاب، ومن التردي المريع والتدني الرهيب؛ هو أسس رسائل النور»[١٧].

١٤ ينظر: النورسي: الملاحق في فقه دعوة النور، (ص٧٠-٧١)

١٥ ينظر: المصدر نفسه، (ص٢٢٣)

١٦ ينظر: النورسي، المكتوبات، (ص٤٨٧).

١٧ ينظر: النورسي: الملاحق في فقه دعوة النور (ص ١٣٦ و ص ١٥٩)

المعلـم الخامـس: مـزج النـورسي في كتابتـه للرسـائل بـين اللغـة العربيـة والتركيـة، إضافة الى الفارسية وهي قليلة جدا، ومن مؤلفاته العربية «إشارات الاعجاز في مظان الايجاز و المثنوي العربي النوري وصيقل الاسلام والخطبة الشامية والحزب الاكبر النوري ومناظرات وقزل ايجاز، وما عدا هذه المؤلفات فقد كتب باللغة التركية، لكن بحروف عربية الى غاية سنة ١٩٥٥م، حيث أذن للنورسي بنشر الرسائل التركية بالحروف اللاتينية، كي لا يحرم طلاب المدارس الحديثة من رسائل النور.[١٨]

المعلـم السـادس: ان أسـاس موضوعـات رسـائل النـور هـو الايمـان باركانـه المتعددة، إذ نجد أبرز القضايا المطروحة في الرسائل – اثبات وجود اللّٰه تعالى ووحدانيته بادلة كثيرة ومتنوعة، وصدق النبوة ومعجزاتها، وحقيقة الاخرة والحشر، وعدالة الشريعة، اضافة الى قضايا في الدعوة الى اللّٰه، وقضايا اجتماعية وسياسية مختلفة [١٩].

المعلـم السـابع: ان عناويـن رسـائل النـور وتسـميات مواضيعهـا، نحو: «الكلمات»، و «اللمعات»، و «الشعاعات»، و «اشارات»، و «سنوحات» ...تشير الى ان النورسي قد امتزجت أفكاره بتجربته النفسية والوجدانية، وهي تجربة قاسية وقوية ظهرت آثارها في تحيلاته ومناقشاته، يقول النورسي: «لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاما ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن المعجز البيان، كقوله تعالى:چ ک ک چ[٢٠]... ولقد تواردت في غضون هذه السنوات الثلاثين على عقلي وقلبي أنوار عظيمة وحقائق متسلسلة طويلة، فوضعت بضع كلمات – من قبيل الاشارات – لا للدلالة على تلك الانوار، بل للاشارة الى وجودها ولتسهيل التفكر فيها وللمحافظة على انتظامها»[٢١]

---

١٨ ينظر: الصالحي، احسان: بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، (ص١٨٧)

١٩ ينظر: الكيلاني، جمال الدين، الصميدعي، زياد: بديع الزمان سعيد النورسي «قراءة جديدة في فكره المستنير»، (ص ٥٦)

٢٠ سورة البقرة: من الاية: (٢٦٦)

٢١ ينظر: النورسي: اللمعات، (ص٤٥٦)

المبحث الثاني:
مفهوم النورسي للأخلاق الاسلامية وطبيعتها ومجالاتها ومصادرها

المطلب الأول: مفهوم النورسي للأخلاق الإسلامية وطبيعتها ومجالاتها.

أولا: مفهوم الاخلاق لغة:

الأخلاق فى اللغة جمع خلق، والخلق إسم لسجية الإنسان وطبيعته التى خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التى تدل على تقدير الشئ.

يقول ابن فارس: ومن هذا المعنى. أى تقدير الشئ. الخلق: هو السجية لأن صاحبه قد قُدَّر عليه. يقال: فلان خليق بكذا: أى قادر عليه وجدير به، وأخلق بكذا أى ما أخلقه، والمعنى هو ممن يقدر فيه ذلك، والخلاق: النصيب لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه [٢٢]

ويقول ابن منظور: الخُلُق: السجية.. فهو بضم الخاء وسكونها الدين والطبع والسجية[٢٣].

ثم يفسر ذلك بقوله: وحقيقته، أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهى نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة[٢٤].

وقال الراغب الأصفهانى: الخَلْقُ والخُلُق فى الأصل واحد لكن خص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة[٢٥].

ثانياً: الأخلاق اصطلاحاً:

قال الجرجانى: «الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال

---

٢٢ ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٢١٤).

٢٣ ينظر:ابن منظور: لسان العرب، (١٠/ ٨٦)

٢٤ ينظر: المصدر نفسه.

٢٥ ينظر: الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن، (ص: ٢٩٧)

بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة: خُلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُمَّيت الهيئة التى هى مصدر ذلك خلقاً سيئاً، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك فى نفسه»[٢٦]

ويذهب الجاحظ إلى «أن الخلق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون فى بعض الناس غريزة وطبعاً، وفى بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد فى كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة»[٢٧]

أما الماوردى فقال: الأخلاق «غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار»[٢٨]

ولكن الامام بديع الزمان النورسي كان أكثر شمولا فى تعريفه للأخلاق حيث قدم منظومة اخلاقية قرانية تتسم بالشمول والاصالة والترابط والانسجام[٢٩]، فهي – في اصطلاح بديع الزمان النورسي -: هي نظام القران الذي يطبع الروح الانسانية بماهيتها ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة، لاكتساب معناها الكوني[٣٠].

هذا اذن هو التصور الشمولي لمفهوم الاخلاق لدى النورسي حيث يقوم على عدة عناصر هى:

١) فهمه التجديدي للأخلاق بوصفها نظاما قرآنيا، «فرسالة القرآن انما جاءت لتصنع مجتمعا قائما على اساس الاخلاق بمعنى كلي. فكل تصرفات البشرية في العلاقات النفسية والاجتماعية والوجودية مع سائر الكائنات انما هي اخلاق»[٣١].

---

٢٦ ينظر: الجرجاني: التعريفات، (ص: ١٠١)

٢٧ ينظر: الجاحظ: تهذيب الأخلاق، (ص١٢)

٢٨ ينظر: الماوردي: تسهيل النظر وتعجيل الظفر،.(ص٥)

٢٩ ينظر: العزاوي، أبو بكر: المنظومة الاخلاقية عند النورسي، ابو بكر العزاوي، (ص ١٥٢)

٣٠ ينظر: الانصاري، فريد: الكونية الاخلاقية عند النورسي، (ص٢٠٦)

٣١ ينظر: الانصاري، فريد: الكونية الاخلاقية عند النورسي، (ص٢٠٦)

٢) ان مفهوم الاخلاق عند النورسي مفهوم شمولي لانه يتدرج في مكونات المشروع الاخلاقي من أعلاها وهي الأخلاق الالهية فالنبوة فالانسانية فالوحشية وهي أدناها، ومن هنا نفهم تأكيده على صلتها بالانسان الذي يوكل الى الكامل منه أمر القيادة والقدوة، كما فعل الانبياء.[٣٢]

٣) ينظر النورسي الى الاخلاق على انها اصول لا فروع، وعلى انها قانون، بمعنى انها نظام مطرد ونسق كلي وليست احوالا تقبل الحدوث كما تقبل التخلف، وانها ضوابط لتكييف السلوك الانساني تكييفا تربويا[٣٣].

٤) تسلك الاخلاق بالروح الانسانية مدارج المجاهدة، ذلك ان التخلق لا يحصل الا بالمجاهدة والعزم على مواجهة عدوى الفساد الاخلاقي، وينخرط الانسان بذلك في صراع مع الشهوات الحيوانية التي تثور في نفسه.[٣٤]

٥) تكسب الاخلاق الروح الانسانية معناها الكوني، وذلك راجع الى ان الانسان مؤهل لمهمة كونية كبرى هي الامامة التعبدية، اذ جعله الله اماما للعابدين ولسائر السائرين من الخليقة أجمعين[٣٥]، كما هو مشار اليه في اية الامانة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٣٦]

هذه هي خلاصة المشروع الاخلاقي النوري المستمد من نظام القرآن الذي يطبع صورة الروح الانسانية بماهيتها، ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة، لاكتساب معناها الكوني، متدرجا من الاخلاق الوحشية فالاجتماعية وصولا الى الاخلاق الالهية[٣٧].

---

٣٢ ينظر: الغزاوي، سعيد: مركزية مفهوم الانسان الكامل في المشروع الأخلاقي عند النورسي ودوره في تشييد مستقبل الانسانية (ص٨١٠)

٣٣ ينظر: الانصاري، فريد: الكونية الاخلاقية عند النورسي، (ص٢٠٦-٢٠٧ بتصرف)

٣٤ ينظر: المصدر نفسه (ص٢١٨ بتصرف)

٣٥ ينظر: المصدر نفسه،(ص٢٢٢بتصرف)

٣٦ سورة الأحزاب: الاية: (٧٢)

٣٧ ينظر: الغزاوي، سعيد: مركزية مفهوم الانسان الكامل في المشروع الأخلاقي عند النورسي،(ص٨١٤ بتصرف)

ثانيا: طبيعة الاخلاق عند النورسي.

للاخلاق الاسلامية في مفهوم النورسي طبيعة متميزة متفردة متكاملة تتسم بالعموم والكلية والشمولية والنسقية والاصالة والترابط والانسجام، ثم انها تقوم على مجموعة من المبادئ العلمية والقوانين الكلية الفطرية من أهمها:

١) مبدأ الفطرة: يذهب الامام النورسي الى ان الاخلاق فطرية في الانسان؛ اي ان الانسان مفطور على التدين، والخير، والصدق، والتعارف، والانسجام مع بني جلدته، بمعنى انها مركوزة في بنيته وخلقته وانها مقوم اساسي من مقومات ذاتيته وهويته، ويشهد لهذا المعنى قوله: «ما دام الميل نحو الكمال قانونا فطريا في الكون وقد ادرج في فطرة البشرية»[٣٨] والاخلاق هي التي تمكن الانسان من السير نحو الكمال ونحو الاحسن والافضل.

٢) مبدأ التدين: اذا كانت الاخلاق فطرة فطر عليها الانسان، فان دور الدين يتمثل في تثبيت هذه الفطرة، وتكميلها وتهذيبها، ويذهب الامام النورسي الى ان مظهر الالتزام بالاسلام في عقائده وشرائعه هو التخلُّق، فزيادة التخلق ونقصها تتناسب مع زيادة الدين ونقصه والعكس صحيح أيضاً، لهذا كان الالتزام بالاخلاق الاسلامية عنوان الالتزام بالدين ويتجلى ذلك بقوله: «ان اصابة الامة في قلبها انما هو من ضعف الدين، ولن تنعم بالصحة الا بتقوية الدين،، ان مشربنا محبة المحبة ومخاصمة المخاصمة.. اما مسلكنا فهو التخلق بالاخلاق المحمدية ﷺ واحياء السنة النبوية، ومرشدنا في الحياة: الشريعة الغراء» [٣٩].

٣) مبدأ الشمولية: ان المنظومة الاخلاقية التي اشتملت عليها رسائل النور تتسم بالشمولية والعموم، فقد شملت علاقة الانسان بخالقه، وعلاقة الانسان باخيه الانسان، بل شملت علاقة الانسان بكل عناصر الكون ومكوناته[٤٠].

---

٣٨ ينظر: النورسي، صيقل الاسلام،(ص٥٠١)

٣٩ ينظر: النورسي، صيقل الاسلام، (ص٥٢٢)

٤٠ ينظر: العزاوي، أبو بكر: المنظومة الاخلاقية، (ص١٥٥-١٥٧ بتصرف)

٤) مبدأ العلمية:ان الدين والعلم لا يتعارضان في مقاربة النورسي للقضايا الاخلاقية وفي بنائه لمنظومته الاخلاقية، ولا عجب ان نجد الامام النورسي يصوغ بعض الحقائق المتعلقة بالصدق والكذب صياغة منطقية رياضية معتمدا مفاهيم من قبيل اللزوم والاستلزام والتناسب والمقايسة والتمثيل والقياس والبرهان وغيرهما [٤١].

٥) مبدأ النسبية: يرى الامام النورسي ان الاخلاق نسبية في درجة تطبيقها من موقف لاخر ومن شخص لاخر، اذ يقول: «ان الفضائل والاخلاق، وكذا الحسن والخير، أغلبها أمور نسبية، تتغيير كلما عبرت من نوع الى اخر، وتتباين كلما نزلت من صنف الى صنف وتختلف كلما بدلت مكاناً بمكان، وتتبدل باختلاف الجهات، وتتفاوت ماهيتها كلما علت من الفرد الى الجماعة ومن الشخص الى الامة»، ويضيف الى ذلك: قوله «وحيث ان الحسن النسبي والخير النسبي كثير جداً»[٤٢].

٦) مبدأ الواقعية:والمقصود به الاحاطة الشمولية العميقة بطبيعة وخصائص ومكونات الواقع الانساني[٤٣] والتقدير الموضوعي لاحتياجاته، والحركة المتوازنة لتغييره أو تدبيره..، والدفع التدريجي به نحو التوافق والانسجام مع سنن الله في الافاق والانفس والهداية والتأييد، حتى يستجيب هذا الواقع أكثر فأكثر لاحتياجات وتحديات حركة الابتلاء، التدافع، التداول، والتجديد المهيمنة على الصيرورة الاستخلافية برمتها[٤٤]. ثم ان الدارس لجهود بديع الزمان سعيد النورسي، يجد وعيه وادراكه بضرورة توظيف هذا المبدأ في معالجته لعدد كبير من من القضايا الفكرية والاخلاقية، ويمكن ان ندعوه أيضا بمبدأ السياق، ومفاده: انه ينبغي ان نأخذ بعين

---

٤١ المام النورسي بعلم المنطق جعله يوظف مصطلحات منطقية كثيرة ثم انه الف كتابين في الموضوع

٤٢ ينظر: النورسي: صيقل الاسلام، (ص٣٢٣-٣٢٤)

٤٣ ينظر: برغوث، الطيب: الدعوة الاسلامية والمعادلة الاجتماعية، (ص٢٥)

٤٤ ينظر: برغوث، الطيب: الواقعية الاسلامية في خط الفاعلية الحضارية، (ص٥٤-٥٥)

الاعتبار اختلاف الظروف والساقات وتنوعها، فلكل سياق حكم، ولكل مقام مقال، يقول: «عليك ان تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صوابا ان تقول كل صدق، فاذا ما ادى الصدق الى ضرر فينبغي السكوت، أما الكذب فلا يسمح به قطعا»[٤٥]

٧) مبدأ الانتضام والانسجام: اعتمد النورسي على هذا المبدء في دراسته للاخلاق فهو يقول: «ان اثار محمد ﷺ وسيرته وتاريخ حياته تشهد – مع تسليم اعدائه – بانه لعلى خلق عظيم، وانه اجتمعت فيه الخصال العالية كافة...»[٤٦] فالاخلاق الرفيعة تنسجم مع بعضها البعض، وتشكل كلا منسجما موحدا.. ثم اخذ بمدا الانتظام جعل النورسي ينظر الى الاخلاق باعتبارها علما وعملا، فكرا وسلوكا يقول: «نريد ان تصدقوا قولكم بفعلكم»[٤٧] ويقول ايضا «لو اننا اظهرنا بافعالنا وسلوكنا مكارم اخلاق الاسلام وكمال حقائق الايمان لدخل اتباع الاديان الاخرى في الاسلام جماعات وافواجا»[٤٨]

ثالثا: مجالات الاخلاق عند النورسي

إن الأخلاق الإسلامية ليست محصورة فى نطاق معين من نطاق السلوك البشرى، وإنما تمتد مجالاتها لأبعد من ذلك بكثير فإن حسن الخلق كما يكون فى معاملة البشر يكون فى معاملة الخالق سبحانه وتعالى.

ولذلك فإن مجالات حسن الخلق. باعتبار علاقاتها. تنقسم إلى أربعة أقسام:

- **حسن الخلق فى الصلة القائمة بين الإنسان وخالقه سبحانه وتعالى.**

١) صنف خالص لله تعالى: (كالايمان بالله وكتبه ورسله)

---

٤٥ ينظر: النورسي، صيقل الاسلام،(ص٥٠٨)

٤٦ ينظر: النورسي، صيقل الاسلام (ص١٤٣)

٤٧ ينظر: النورسي، صيقل الاسلام (ص٤٢٧)

٤٨ ينظر: المصدر نفسه (ص٤٩٣)

من موجبات حقوق الله على الانسان الايمان به: يقول النورسي: «اذا امنت بالله وحده واصبحت عبد له وحده، فزت بموقع مرموق فوق جميع المخلوقات»[٤٩]

ومن موجبات حقوق الله تعالى على الانسان الايمان بكتبه ففي مقالته القرآن... ماهو؟ يجيب على ذلك، فيقول: «هو ترجمة الازلية لهذه الكائنات والترجمان الابدي لالسنتها التاليات للايات التكوينية، ومفسر كتاب العالم»[٥٠]

ومن موجبات حقوق الله تعالى الايمان برسله، فهو حق الله على عباده، ومن هنا فان النبوة ضرورة للبشرية، وقد أكد النورسي هذا المعنى بقوله «ان القدرة الالهية التي لا تترك النمل من دون أمير والنحل من دون يعسوب، لا تترك حتما البشر من دون نبي، من دون شريعة»[٥١]، والنبوة كما يصفها النورسي: «المراة التي تنعكس عليها صورة الانسان المؤمن» كما يريده الله سبحانه وتعالى.[٥٢]

٢) صنف يتركب من حقوق الله وحقوق العباد كالزكاة والصدقات وذلك باتباع منهج الاقتصاد الاسلامي، ففي «وجوب الزكاة» و «وحرمة الربا» حكم عظيمة، ومصلحة عالية، ورحمة واسعة تبدأ بالفرد وتنتهي بالبشرية؛ اذ لو امعنت النظر في صحيفة العالم نظرا تاريخيا وتاملت في مساوي جمعية البشر لرايت أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الاخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية..» جملتان فقط.. الاولى: اذا شبعت انا فمالي ان مات غيري من الجوع، الثانية: تحمل انت المشاق لاجل راحتي، اعمل انت لاكل انا، لك المشقة وعلي الاكل بهذه الجمل يلخص اصل العلة واساسها، ولكنه يتصدى لها ويعالجها، اما الدواء الشافي الذي يستأصل شافه السم القاتل في الاولى فهو الزكاة التي

٤٩ ينظر: النورسي: الايمان وتكامل الانسان من كليات رسائل النور،(ص٣٤)

٥٠ ينظر: النورسي: لوامع في معارف الايمان وأدب القران من كليات رسائل النور، (ص١٤)

٥١ ينظر: النورسي: الكلمات، (ص٨٤٣)

٥٢ ينظر: النورسي: السنة النبوية سنة كونية وحقيقة روحية، (ص٤١)

هي ركن من اركان الانسان بينما يجتث الثانية هو تحريم الربا، ولما كانت فريضة الزكاة واجبة على كل مسلم ومسلمة لديه النصاب من المال الذي يستوجب الزكاة، وهي فريضة اجبارية لقوله تعالى ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [٥٣]، كانت وما تزال عنصرا مهما في بناء المجتمعات والبشرية جميعا» [٥٤]، وأضاف: «ان ارادت البشرية دوام الحياة فعليها ان تستمسك بالزكاة وتطرد الربا» [٥٥]

٣) صنف يتركب من حقوق اللّٰه وحقوق رسوله وحقوق العباد: اداء الشعائر التعبدية المطلوبة كالصلاة والصوم، وهذه الشعائر لها دلالتها وثمارها في جميع المجالات الاخلاقية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية،، ولو طبقت كما ارادها اللّٰه من عباده لاتت أكلها في جميع الجوانب، فالاخلاق الفاضلة لا تعمل بمفردها بل تعمل الشعائر التعبدية على تحقيقها، فاذا تحققت أصاب الناس خيرا كثيرا لايقتصر على المسلمين انما يمتد الى البشرية جميعا؛ لان الاخلاق الفاضلة منبعها الدين الحق، فالصلاة لها فضائل كثيرة منها ظاهرة ومنها باطنه، منها انها تنهى عن الفحشاء والمنكر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٥٦]

لقد أعلن النورسي في مجلس الامة التركي في دورته الاولى قائلا: «ان اسمى حقيقة في الكون هي الايمان وتليه الصلاة» [٥٧] وفي موضع اخر يقول «ان الصلاة بذاتها راحة كبرى للروح والقلب والعقل معا» [٥٨] ويضيف قائلا:

---

٥٣ سورة التوبة: الاية، ١٠٣

٥٤ ينظر: النورسي: لوامع في معارف الايمان وأدب القران من كليات رسائل النور (ص٢٨)

٥٥ ينظر: المصدر نفسه، (ص٢٩)

٥٦ سورة العنكبوت: الاية، ٤٥

٥٧ ينظر: النورسي: الايمان وتكامل الانسان من كليات رسائل النور، (ص٥٤)

٥٨ ينظر: النورسي: الكلمات، (ص١٧)

«الصلاة فهرس نوراني شامل لجميع العبادات، وخريطة سامية تشير الى أنماط العبادات للمخلوقات جميعا»[٥٩]

- **حسن الخلق فى الصلة القائمة بين الإنسان وغيره من الناس**

يقول اللّٰه عز وجل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[٦٠] ويقول عز من قائل ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[٦١]، ان هذا الصنف من الحقوق التي تقع على المكلفين تنحصر في التعامل بالاخلاق الحسنة كما وردت في الكتاب والسنة، لان النفس البشرية تحتوي صفاتا للخير والشر لقوله تعالى ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾[٦٢]، وتتضمن هذه الحقوق:

١. **حسن الخلق في الصلة القائمة بين الانسان ووالديه:** ربط اللّٰه عز وجل حق الوالدين بحقه وجعله من اعلى الحقوق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾[٦٣] ويتمثل حقهما بالاحسان اليهما بما يلي:

اولا: ان يقوم بخدمتهم خدمة صادقة، ويسعى لنيل رضاهم وادخال البهجة في قلوبهم[٦٤].

ثانيا: الدعاء لهما مقابل الشفقة والرأفة قال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾[٦٥].

ثالثا: عدم حرمانهما من حقوقهما، ومنها عدم حرمان الام من ارثها، فحرمان

---

٥٩ ينظر: المصدر نفسه، (ص٤٠)

٦٠ سورة المائدة:الاية، ٢

٦١ سورة النحل:الاية، ٩٠

٦٢ سورة الشمس:الاية، ٧- ٨

٦٣ سورة الإسراء:الاية، ٢٣

٦٤ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص٣٣٥)

٦٥ سورة الإسراء:الاية، ٢٤

الوالدة من تركة ولدها، ظلم مريع وعمل اجرامي، واهانة بحقها، وكفران نعمة ازاء الحقيقة الجديرة بالتوقير.. فان الناس الحقيقيين الكاملين يعلمون ان حكم القران الحكيم في قوله تعالى ﴿ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾[٦٦]؛ عين الحق ومحض العدل[٦٧].

٢. حسن الخلق في الصلة القائمة بين الانسان وذوي الرحم: كما اكد الاسلام على بر الوالدين اكد على الاحسان وبر كل من له صلة بالانسان من اهل بيته بمن فيهم الاطفال وذوي الرحم من الاعمام والاخوال نساء ورجالا ومن كان منهم من المسنين، فهم في هذه الحالة كالاطفال احق بالمرحمة واحوج الى الرأفة، خاصة اذا كانوا من العجزة والمعلولين المعمرين[٦٨]، فهم احق الناس بالبر من الاخرين بحسن التعامل معهم ومداراتهم والسؤال عنهم والانفاق عليهم لما في ذلك من اجر عظيم قال تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[٦٩] قال رسول اللّٰه ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله اللّٰه، ومن قطعني قطعه اللّٰه»[٧٠]

٣. حسن الخلق في الصلة القائمة بين الانسان وبين جاره: حق الجوار في الاسلام حق عظيم ينبغي مراعاته، فمنهم من له حق الجوار وهو الجار غير المسلم ومنهم من له حق الاسلام وحق الجوار وهو الجار المسلم ومنهم من له حق الاسلام وحق القربى وحق الجوار، وهو الجار المسلم من ذوي القربى ويتبين ذلك من قوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»[٧١]، وهذا الحق يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين على قلب

---

٦٦ سورة النساء:الاية، ١١

٦٧ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص ٤٩ بتصرف)

٦٨ ينظر: المصدر نفسه (ص٣٢٥-٣٢٧)

٦٩ سورة البقرة: الاية، ٢١٥

٧٠ ينظر: مسلم: صحيح مسلم،، باب صلة الرحم وتحريم قطعها، برقم (٢٥٥٥)(٤/ ١٩٨١)

٧١ ينظر: البخاري: صحيح البخاري، باب الوصاة بالجار، برقم (٦٠١٥) (٨/ ١٠)

واحد، ويقتضي وحدة المجتمع، فانت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، وبعلاقة صداقة معه.. بل تشعر بعلاقة اخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة.[٧٢]

٤. **حسن الخلق في الصلة القائمة بين الانسان وغيره من المسلمين:** ان الانسان لايعيش منفردا في هذا العالم بل يعيش ضمن جماعة ولبنة في امة يربط المسلم بها رباط الاخوة في الدين وهو رباط وثيق ﴿ ٹ ٹ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾[٧٣] فالاخوة الاسلامية هي القلعة الحصينة المقدسة التي نحصن بها انفسنا من ايدي اولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتنا الداخلية، فأن كنا حقا مرتبطين بملة الاسلام فلنستهدي بالدستور النبوي العظيم، قال ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[٧٤]، وعندها فقط نسلم من ذل الدنيا وننجو من شقاء الاخرة[٧٥].

- **حسن الخلق في الصلة القائمة بين الإنسان ونفسه:** إن على المسلم الاستباق للخيرات وذلك:

اولا: بتوثيق الصلة بالله: بما أوجبه عليه خاصة من خلال الصلاة، فهو غير ضامن لعمره، وليس لدى الانسان عهد بتملك الوقت[٧٦]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[٧٧]

ثانيا: العمل على رفع الدرجة بالصبر: «فالصبر عن المعصية وتجنبها هو التقوى ويجعل صاحبه محظياً بسر قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُنَّقِينَ﴾[٧٨] قَالَ

---

٧٢ ينظر: النورسي: المكتوبات،،(ص٣٤١بتصرف)

٧٣ سورة الحجرات: الاية، ١٠

٧٤ ينظر: البخاري: صحيح البخاري، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، برقم (٦٠٢٦) (١/ ١٠٣)

٧٥ ينظر:، النورسي: المكتوبات،(ص٣٥٠)

٧٦ ينظر: النورسي: الكلمات،(ص٢٩٧-٣٠١)

٧٧ سورة النساء: الاية، ١٠٣

٧٨ سورة البقرة: الاية، ١٩٤

تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٧٩] والصبر عند المصيبة، وهذا هو التوكل وتسليم الامر لله سبحانه وتعالى مما يدفع صاحبه الى التشرف بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٨٠]. والصبر على العبادة، الذي يمكن ان يبلغ صاحبه مقام المحبوبية، فيسوق الى حيث العبودية الكاملة التي هي أعلى مقام» [٨١]

ثالثا: التفاؤل وعدم التشاؤم: فلا يعول على ما يرى في منامه، ويجعل حياته تدور فيتطير ويتشاءم ويعادي الاخرين بناء على ما راى من اضغاث احلام فتضطرب حياته، اما الرؤيا الصادقة فهي جزء من اربعين جزء من النبوة، وهي نوع من الكرامة [٨٢].

رابعا: تزكية النفس: بعدم تزكيتها اي بمدحها[٨٣] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[٨٤]؛ بل بتربيتها، فيخلصها من كل خلق سيء ويحليها بالاخلاق الفاضلة[٨٥].

خامسا: الاستمتاع بالطيبات: بما يسره الله عز وجل من المباحات الطيبات كثيرة مما يغني عن الخوض في المحرمات[٨٦]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[٨٧].

- **حسن الخلق فى الصلة القائمة بين الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى.**

فـ الايمان «كما يصفه النورسي يشيع بالاخوة بين المؤمن وبين كل شيء،

---

٧٩ سورة البقرة: الاية، ١٥٣

٨٠ سورة آل عمران: الاية، ١٤٦

٨١ ينظر: النورسي: المكتوبات،،(ص٣٦٢-٣٦٣ بتصرف)

٨٢ ينظر: المصدر نفسه (ص٤٤٦، ٤٤٧)

٨٣ ينظر: النورسي: الكلمات،(ص٥٢٩)

٨٤ سورة النجم: الاية، ٣٢

٨٥ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص٣٤٦)

٨٦ ينظر: النورسي: الكلمات،(ص٥٩)

٨٧ سورة الأعراف:الاية، ٣٢

والكفر يبني الحواجز والسدود بين الانسان والكائنات المحيطة به، ويعمق الانانية والاحساس بالغربة عن هذا العالم [٨٨]، فيجب على المسلم:

اولا: حسن الخلق في الصلة القائمة بين الانسان والحيوانات: الشفقة باب واسع لا يقتصر على شفقة الوالد على ولده بل تشمل كل ذوي الارواح[٨٩]، فينبغي الشفقة عليهم وخاصة من يقطنون في البيت من الطوافين والطوافات الذي جعلهم الله سببا لنزول الرحمة قال ﷺ «لولا عباد لله تعالى ركع، وصبية رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صبا، ثم رص رصا»[٩٠] وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٩١] وعدم التمثيل بها، وكذا بالنسبة للمخلوقات الضارة – حيوانات وحشرات – لقوله ﷺ «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»[٩٢]

ثانيا: حسن الخلق في الصلة القائمة بين الانسان وبين الجن والشياطين

يشهد القران الكريم على خضوع الانسان في الجاهلية لسطان الجن، والشياطين لاعتقادهم بقوتهم، وسطوتهم، وعلمهم بالغيب، فلما اتى الاسلام انهدم سلطانهم، وبين القران انهم كانوا يسترقون السمع من الملا الاعلى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾[٩٣].

فيجب على المسلم:

أولا: تقوية الصلة بالله فلا تفتر او تشوبها شائبة لئلا تكون مدخلا للشيطان.

ثانيا: عدم الخوف منهم فهم لا ينفعون ولا يضرون الا باذن الله تعالى قَالَ

---

٨٨ ينظر: النورسي: مختارات من المثنوي العربي النورسي، (ص٣٣)

٨٩ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص٣٧)

٩٠ ينظر: ابن ابي عاصم: الآحاد والمثاني، (٢/ ٢١٠)

٩١ ينظر:الترمذي: سنن الترمذي، برقم (١٩٢٤) (٤/ ٣٢٤)

٩٢ ينظر:مسلم: صحيح مسلم، باب الامر باحسان الذبح والقتل، برقم (١٩٥٥)(٣/ ١٥٤٨)

٩٣ سورة الجن: الاية، ٩

تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٩٤] قال النورسي «فهي مخلوقات لا سلطان لها على الذين امنوا فقد كان خيرهم وشريرهم مسخر، مستعبد، منقاد، لسليمان عليه السلام بامر اللّٰه عز وجل»[٩٥].

ثالثا: عدم الانصياع لهم والتعوذ منهم[٩٦]؛ لان الاذعان لوسوسة شياطين الانس والجن فيه مهلكة للانسان[٩٧] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٩٨].

المطلب الثاني: المنهج العام للنورسي في مصادر الاخلاق الاسلامية وأصولها.

أولا: مصدرية الاخلاق:

ان المتتبع لموارد النورسي عن الاخلاق في العديد من رسائله يلاحظ من خلال الاستقراء، ان نظريته الاخلاقية تقوم على مصدرين اساسيين: -

١. القرآن الكريم.

يستمد النورسي مصدريته الأولى من القرآن الكريم وكان عماده في تأليف رسائل النور التي أصبحت حتى ١٩٥٠ في اكثر من ١٣٠ رسالة[٩٩]. يقول النورسي: «ان استاذي ومرشدي.. القران الكريم»[١٠٠]، وهو يشرح في موضع اخر ذلك بقوله: «ان للقران جامعية خارقة من خمس جهات»[١٠١]، وجاء تصور النورسي للمعنى المستنبط من القران قائم على ان القران -كل القران- انما جاء

---

٩٤ سورة البقرة: الاية، ١٠٢

٩٥ ينظر:النورسي: الكلمات،(ص٢٨٤)

٩٦ ينظر: النورسي: الكلمات،(ص٣٠٩)

٩٧ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص٣٩٨-٤٠٠-٤٠٢)

٩٨ سورة الأعراف: الاية، ٢٠٠

٩٩ ينظر: حقيقة التوحيد، سعيد النورسي، ترجمة، احسان قاسم الصالحي مطبعة العاني بغداد ١٩٨٥م (ص٩)

١٠٠ ينظر: النورسي: لوامع في معارف الايمان وادب القران، (ص١١)

١٠١ ينظر: المصدر نفسه:٦٢-٦٤

لبناء الاخلاق، وذلك هو منطوق حديث عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: (كان خلقه القران)[١٠٢]، ومن ثم فان رسالة القران انما جاءت لتصنع مجتمعا قائماً على أساس الاخلاق، بمعنى كلي، فكل التصرفات البشرية في العلاقات النفسية، والاجتماعية، والوجودية، مع سائر الكائنات؛ انما هي أخلاق، لذلك فان تصور الاخلاق على انها (فضيلة) أو (نافلة) هو مفهوم جزئي، والاقتصار عليه يؤدي الى تحريف الدلالة القرانية، ذات البعد الشمولي العميق لمصطلح (أخلاق). فالقران نظام رباني، انزله الله لتنظيم حياة الانسان، ولذلك بين النورسي ان اخلاق القران قد وسعت كل ما جاءت به الكتب السماوية السابقة وزيادة بقوله: «ان اصول الاخلاق في القران عالية علو ما جاء في كتب الديانات الاخرى جميعا. ان أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تاثير القران العظيم في الامم التي اذعنت لاحكامه، فالديانات التي لها ما للاسلام من السلطان على النفوس قليلة جدا، وقد لا تجد دينا اتفق له ما اتفق للاسلام من الاثر الدائم، والقران هو قطب الحياة في الشرق وهو ما نرى اثره في ادق شؤون الحياة» [١٠٣]، لقد تشبع النورسي بالتاملات القرانية وظل تلميذا بين يدي القران ينهل من علمه وياخذ عنه الفيوض والاسرار الربانية[١٠٤]، وكان القران رفيقه حيث مكث أو سار [١٠٥]، فلقد جمع النورسي في منهجه القراني تدفق فيوض الروح وانسابية معانيها العقل الفاحص المتامل[١٠٦].

٢. السنة النبوية.

اما مصدريته الثانية فهي السنة النبوية المطهرة فلا ينبغي لمؤمن ان يتجاوزها، فالقارئ المدقق لكليات النور يرى من خلالها حبا خالصا للنبي

---

١٠٢ ينظر: أحمد بن حنبل: مسند الامام أحمد بن حنبل، برقم (٢٤٦٠١) (٤١/ ١٤٨)

١٠٣ ينظر: النورسي: اشارات الاعجاز في مظان الايجاز، (ص٢٨٥)

١٠٤ ينظر: النورسي: دليل الخدمة لتلاميذ القران، (ص٤٧)، نقلا عن مقدمة السنة النبوية، (ص١٤)

١٠٥ ينظر: شاهين، نجم الدين: ذكريات عن سعيد النورسي، (ص١١٩)

١٠٦ ينظر: النورسي: مختارات من المثنوي العربي النوري، (ص٢٤)

وسنته؛ وان الرسائل قد كتبت بمداد الحب النبوي؛ فهي سهلة الوصول الى شغاف القلوب. فهو يرى «ان الحياة المحمدية – المادية والمعنوية – مترشحة من روح الكون»[١٠٧] يقول: «المؤمن يحيا بين كونين كبيرين عظيمين، كون يحيط به من ارجائه بارضه وسمائه.. وكون اكبر واعظم واسمى واعلى، هو القران الكريم.. والسنة النبوية الشريفة هي ملتقى الكونين ومجمع البحرين وبرزخ ما بين العالمين»[١٠٨]، ويقول: «ان اثار محمد ﷺ وسيرته المباركة وتاريخ حياته تشهد انه قد اجتمعت فيه الخصال العالية كافة، ومن شأن امتزاج كثرة من تلك الاخلاق توليد عزة النفس، التي تولد شرفاً ووقاراً يترفعان عن سفاسف الامور، كترفع الملائكة وتنزهم عن الاختلاط بالشياطين، فالاخلاق السامية كذلك لا تسمح أصلا بتداخل الحيلة والكذب بينها، بل تتنزه وتتبرأ وتترفع عنها، بحكمة التضاد فيما بينها»[١٠٩] ومن هنا فهو يحث المؤمن على اتباع السنة والعمل بها لانها سكينة لقلبه وعبادة دائمة وهي طريق ورثة النبوة من الصحابة الكرام والسلف الصالح [١١٠].

فقد اكد في « شمس النبوة» على أهمية السنة بالنسبة للانسان والعالم فنبوة احمد عليه الصلاة والسلام في الظهور والوضوح والقطعية بدرجة الشمس في وسط، وهل يحتاج النهار الى دليل»[١١١] ثم يقدم لنا شرحا في «السنة حياة» لماهية السنة، ان لسنة الرسول الاعظم ﷺ ثلاثة منابع هي كذلك ثلاثة أقسام: الفرائض، النوافل، عاداته الحسنة (وكل عادته ﷺ حسنة) [١١٢]، ومن ثم فان «الزمان الماضي والزمان الحاضر – اي عصر السعادة النبوية – والمستقبل يتضمنان براهين نيّرة على النبوة، ويرددان بلسان واحد

١٠٧ ينظر: النورسي: مختارات من المثنوي العربي النوري، (ص١٢٢-١٢٣)

١٠٨ ينظر: النورسي: السنة النبوية،، ص٩٦

١٠٩ ينظر: النورسي: صيقل الاسلام، (ص١٤٣)

١١٠ ينظر: النورسي: السنة النبوية، (ص٩٧)

١١١ ينظر: النورسي: مختارات من المثنوي العربي النوري: (ص٥٠)

١١٢ ينظر: النورسي: السنة النبوية، (ص٩٦)

برهان ذاته ﷺ بانه معدن الاخلاق العالية وداعي الصدق ودلال النبوة» [113]، ويصف النورسي نور محمد ﷺ بقوله:» اعلم انه بينما ترى العالم كتابا كبيرا ترى «محمد» عليه الصلاة والسلام مداد الكاتب»[114].

ثانيا: الاصول الاخلاقية عند النورسي

يبدو ان احسن وسيلة الى تمثل مفاهيم النورسي الاخلاقية وطبيعتها ودورها، هو ان تسلك في صنافة تعتمد الاصول الاخلاقية الكبرى، وتلحق بها فروع الاخلاق، في منهجية تعتمد على الاصل والفرع، والسبب والنتيجة، والمقدمة والغاية.

وهكذا تمدنا هذه المنهجية بان الاصول الاخلاقية عند النورسي هي:

١. **العدالــة:** وهي أصل يضم الاخلاق الاتية: الصدق والوفاء، والصبر والصفح، الشجاعة، التسامح، التساند.

من هنا كان مفهوم العدالة عند النورسي يقتضي المساواة في الحقوق والواجبات في حق الخالق والمخلوق يقول «ان العدالة التي لا مساواة فيها ليست عدالة»[115] ويفرق بين المفهوم القراني للعدالة ومساواتها للناس وحمايتها لكل فرد من افراد المجتمعات الانسانية، وبين من تمكنت الانانية من نفسه فيقول: «العدالة القرانية المحضة لا تهدر دم بريء ولا تزهق حياته حتى لو كان في ذلك حياة البشرية جمعاء، فكما ان كليهما في نظر القدرة سواء، فهما في نظر العدالة سواء ايضا، ولكن الذي تمكن فيه الحرص والانانية يصبح انسانا يريد القضاء على كل شيء يقف دون تحقيق حرصه حتى تدمير العالم والجنس البشري ان استطاع»[116] فالذي لا يتخلق يقيم العدل انسان تتحكم فيه الانانية والظلم والعداء، ويصبح لزاما عليه اصلاح نفسه لانه «منبع

---

١١٣ ينظر:النورسي: صيقل الاسلام، (ص١٤٢)

١١٤ ينظر: النورسي: مختارات من المثنوي العربي النوري: (ص٤٢-٤٣)

١١٥ ينظر: النورسي: الكلمات، (ص٨٧٣)

١١٦ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص٦٠٨)

الشرور الاخلاقية، وبالتالي وجب عليه اصلاح انانيته التي هي مصدر لمصائب ومعاصي كثيرةٍ، أشنعها واكثرها سوءً المصيبة الدينية، والتي تتمثل في الكفر سبب كل الشرور»

واي اخلاق أو تنظيم او جمال في المجتمع يرجع بالاساس الى خلق العدالة وروحها المستمدة من تجليات الاسماء الحسنى: «وقد ثبت ببراهين دامغة في اغلب اجزاء رسائل النور ان فعل التنظيم والنظام الذي هو تجل من تجليات الحكم والحكيم، وان فعل الوزن والميزان الذي هو من تجليات العدل والعادل، وان فعل التزيين والاحسان الذي هو تجل من تجليات اسم الكريم والجميل، وان فعل التربية والانعام الذي هو تجل من تجليات اسم الرب الرحيم، كل فعل من هذه الافعال هو فعلٌ واحد، وحقيقة واحدة، تشاهد بوضوح في افاق الكون كله»[١١٧]

٢. **المحبــة:** وهي أصل أخلاقي يضم الاخلاق الاتية:الامل، والاخاء، والتواضع، والاخلاص، والحلم والنصح

يقول: «يانفسي المحبة لنفسها، ويا رفيقي العاشق للدنيا، اعلمي ان المحبة سبب وجود هذه الكائنات، والرابطة لاجزائها، وانها نور الاكوان وحياتها. ولما كان الانسان اجمع ثمرة من ثمرات هذا الكون، فقد أدرجت في قلبه – الذي هو نواة تلك الثمرة – محبةٌ قادرة على الاستحواذ على الكائنات كلها» [١١٨]، يقول: «ان لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف: الحب في اللّٰه والبغض في اللّٰه والاحتكام الى امر اللّٰه في الامور كلها، فالنفاق والشقاق يسودان... نعم ان الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفا ظلما في الوقت الذي يروم العدالة»[١١٩]

---

١١٧ ينظر: النورسي: اللمعات،، (ص٥١٩)

١١٨ ينظر: النورسي: الكلمات، (ص٤١٠)

١١٩ ينظر: النورسي: المكتوبات،، (ص٢٤٨)

المبحث الثالث:

أبرز الاصول والخصائص العقدية في رسائل النور وآثرها في تقويم الأخلاق

المطلب الأول: الأصول العقدية التي تقوم عليها أسس الأخلاق الإسلامية.

أولا: الايمان بالله تعالى والحكمة الالهية من خلق الانسان كاصل أول للاخلاق واثر ذلك عليها وصلته بها.

وحقيقته الاقرار بالوحدانية الخلاصة لله عز وجل[١٢٠]: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[١٢١]، والاقرار بربوبيته عز وجل، فربوبيته شاملة كل شيء حتى أصغر الافعال وكل شيء محتاج اليه سبحانه في كل شيء من شؤونه فتقضى اموره وتنظم افعاله بعلمه وحكمته جل وعلا»[١٢٢]، والايمان باسمائه وصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[١٢٣]،

والاسلام دين التوحيد الخالص يسقط الوسائط والاسباب عن التاثير ويهون من انانية الانسان مؤسسا للعبودية الخالصة لله وحده فيقطع دابر كل انواع الربوبيات الباطلة ويرفضها رفضا باتا بدءا من ربيوبية النفس الامرة بالسوء[١٢٤] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[١٢٥]،

أما الحكمة الالهية من خلق الانسان تتمثل في ان فطرة الانسان وما اودع الله فيه من اجهزة تدلان على انه مخلوق للعبادة[١٢٦]، ولا تتحقق العبادة الا

---

١٢٠ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص٤٩٠)

١٢١ سورة الإخلاص: الاية: ١ - ٤

١٢٢ ينظر: النورسي: المكتوبات،،(ص٤٩٠)

١٢٣ سورة الأعراف: الاية ١٨٠

١٢٤ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص٥٦٣)

١٢٥ سورة آل عمران: الاية، ١٩

١٢٦ ينظر: النورسي: الكلمات،(ص٢٠)

بالممارسة العملية بما اتت به شريعة الاسلام، بفعل ما تأمر به وترك مانهت عنه من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة، فلا تصرف العبادة الا الى اللّٰه سبحانه وتعالى، ولا يوجه العمل الا اليه، ولا تؤدى الا كما شرع ذلك عز وجل، بل « لا يمكن لاي كان ان يتدخل في تغيير شرع اللّٰه او مسه بشيء، حتى ولو وجدت الكثير من المصالح الظاهرة، فهو اعلم بما يصلح لعباده »[١٢٧]، ويتمثل ذلك في قوله تعالى ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١٢٨]، والضابط والموجه لذلك هو الايمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[١٢٩].

اما اثر الايمان بالله تعالى على الاخلاق وصلته به؛ فالقران الكريم يعبق بالايات التي تربط الاخلاق بالايمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾[١٣٠]، ويقول كذلك في كتابه العزيز: ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[١٣١]، فالله تعالى عندما يربط في آياته بين الايمان والفضائل الاخلاقية، فذلك لسمو هذه الاخيرة، ولاشراقة الايمان، وروحانيتها هي روحانية الايمان بالله تعالى، « ان الانسان يسمو بنور الايمان الى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقا بالجنة، بينما يتردى بظلم الكفر الى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم.. الايمان انتساب، لذا يكتسب الانسان قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الالهية »[١٣٢]

---

١٢٧ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص٥١١)

١٢٨ سورة محمد: الاية، ١٩

١٢٩ سورة آل عمران:الاية، ٨٥

١٣٠ سورة المؤمنون:الاية، ١ - ٦

١٣١ سورة آل عمران:الاية، ١١٤

١٣٢ ينظر: النورسي: الكلمات، (ص٣٤٨)

ثانيا: الايمان بالانبياء عامة، وبرسول الله الخاتم- صلى الله عليه وسلم - كاصل من اصول الاخلاق واثر ذلك عليها وصلته بها.

الرسل والانبياء صلوات الله عليهم هم مبلغوا الرسائل الاخلاقية الى كافة البشر، وعلى راسهم النبي الخاتم، اذ يعد ظهور النبي ﷺ أعظم حادثة للبشرية واجل مسالة من مسائل الكون[١٣٣] لحمله شرف تبليغ رسالة الاسلام للناس جميعا[١٣٤]، وقد أشار النورسي الى بعض المعالم الاخلاقية التي اقتضتها نبوته لتقديم أنموذج رائع للسلوك الانساني الصحيح وبناء الشخصية الاسلامية المتصلة بخالقها، فهو يوقن تماماً أن من اهم ما بعث به الأنبياء هو إتمام مكارم الاخلاق وتربية بني البشر وفق ما يرتضيه رب البشر، يقول في ظلال حديث النبي ﷺ: ﴿انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق﴾[١٣٥] يقول: «أي: انما بعثني الله الى الناس لتتميم الخصال الحميدة وانقاذ البشرية من الطباع الذميمة»[١٣٦].

فالنبي الكريم محمد ﷺ وتعاليمه السنية ترشد الانسانية للسلوك القيم والاخلاق الفاضلة: «وكذا الاسلام الذي صدر من أفعال من هو أميّ ﷺ ومن أقواله، ومن أحواله، هو رائد ومصدر ثلاثمائة مليون من البشر ومرجعهم في كل عصر، ومعلم لعقولهم ومرشد لها، ومنور لقلوبهم ومهذّب لها، ومربّ لنفوسهم ومزَكٍ لها، ومدار لانبساط أرواحهم ومعدن لسموها.. لم يأت ولن يأتي له مثيل»[١٣٧]

والنبي الكريم ﷺ قدوة خالدة للبشرية جمعاء لانه تلقى عناية الهية خاصة ورعاية ربانية فريدة حتى كان ﷺ أكمل الخلق خلقاً وسلوكاً وأدباً وعلماً، وفي هذا المعنى كان النورسي صاحب أدارك عميق بحقيقة نبوة النبي ﷺ وبماذا يجب تجاه من لوازم الايمان والاخلاق ومنها:-

---

١٣٣ ينظر: المصدر نفسه،(ص ٥٢٦)

١٣٤ ينظر: المصدر نفسه،(ص ١٦٢)

١٣٥ ينظر: البيهقي: السنن الكبرى،، برقم (٢٠٧٨٢) (١٠/ ٣٢٣)

١٣٦ ينظر: النورسي: صيقل الاسلام،،(ص ٤٩١)

١٣٧ ينظر: النورسي: الشعاعات، (ص ١٦٨)

أولا: الحب: لانه سبب السعادة الابدية للبشرية[١٣٨]

ثانيا: الايمان ببشريته: جعل الله عز وجل حامل رسالة الهداية والمبشر بها بشرا رسولا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[١٣٩]، « فلم توهب له خوارق غير عادية في احواله واقواله كلها، وذلك ليكون قدوة للامة بافعاله ومرشدا لهم باطواره، وهاديا للناس كافة بحركاته وسكناته»[١٤٠].

ثالثا: الاتباع والاقتداء: ان السلامة باتباعه ﷺ وهي ايضا دليل على محبة الله عز وجل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[١٤١]، لذا يجب على المسلم اتباعه وتحري السنة السنية وتقليدها في جميع التصرفات والاعمال والاستهداء بالاحكام الشرعية في جميع المعاملات والافعال[١٤٢]، وذلك مما يورث السكينة والطمانينة[١٤٣].

رابعا: الصلاة عليه: ان الصلاة على النبي كما امر الله عز وجل بذلك توجب شفاعته[١٤٤]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[١٤٥].

ثالثا: الايمان باليوم الاخر كاصل من أصول الاخلاق، واثر الايمان به على الاخلاق، وصلته بها.

فاليوم الاخر: هو اليوم الذي أمر المؤمن بالايمان به كما جاء في الحديث

---

١٣٨ ينظر: النورسي: الكلمات،(ص٧٣)

١٣٩ سورة الصف:الاية، ٦

١٤٠ ينظر: النورسي: المكتوبات،(ص٤٠١)

١٤١ سورة آل عمران:الاية، ٣١

١٤٢ ينظر: النورسي: المكتوبات،(ص٤٣٠)

١٤٣ ينظر: المصدر نفسه (ص٥٨١)

١٤٤ ينظر: المصدر نفسه،(ص٢٨٨)

١٤٥ سورة الأحزاب: الاية، ٥٦

حول مفهوم الايمان «الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر»[١٤٦]، وهو اليوم الذي يقوم فيه الخلائق لرب العالمين للسؤال عن أعمالهم ومحاسبتهم عليها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ ﴾[١٤٧]، ولذا يقول بديع الزمان سعيد النورسي «ان الايمان بالله تعالى نقطة استناد قوية ونقطة استمداد لا تنضب لترسيخ الايمان بالله واليوم الاخر»[١٤٨] ومن هنا فالايمان باليوم الاخر والمعبرّ عنه في رسائل النور (بالحشر)، وهو بعد النبوة من أهم بواعث الطاعة وتنشيط الهمم على بذل المجهود لاجل بلوغ الشواهق كما عبرت عنه رسائل النور يقول النورسي: «ان المقاصد الاساسية من القران وعناصره الاصيلة أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة»[١٤٩]- فهي كالانهار الجارية التي تنبع من قبلة واحدة أقامها الوحي الالهي، متمثلة بالايمان بالله واليوم الاخر وما بينهما، ولذا يخاطب النورسي جميع الموجودات قاطبة فيقول: نحن معاشر الموجودات نجيء بارزين من ظلمات العدم بقدرة سلطان الازل الى ضياء الوجود.... ونحن على جناح السفر من طريق الحشر الى السعادة الابدية، ونشتغل الان بتدارك مفاتيح تلك السعادة وتنمية الاستعدادات التي هي رأس مالنا»[١٥٠]

اما اثر الايمان به على الاخلاق وصلته بها، بلا ادنى شك ان الايمان بالله واليوم الاخر له انعكاساته الايجابية في بناء الانسان، ودعم روح الامل والتفائل لديه، ذلك أنه « بسبب عجز البشر وكثرة اعدائه، يحتاج البشر الى نقطة استناد يلتجئ اليه لدفع اعدائه الغير المحدودة، وبغاية فقر الانسان، مع غاية كثرة حاجاته وأماله يحتاج أشد الاحتياج الى نقطة استمداد يستمد منها، فالايمان

---

١٤٦ ينظر: مسلم: صحيح مسلم، باب معرفة الايمان، والاسلام، والقدر، وعلامات الساعة برقم (٨) (١/ ٣٧)

١٤٧ سورة المطففين: الاية، ٤-٦

١٤٨ ينظر: النورسي: المكتوبات، (ص٥٤٥)

١٤٩ ينظر: النورسي: اشارات الاعجاز، (ص٢٣)

١٥٠ ينظر: النورسي: اشارات الاعجاز،(ص٢٣-٢٤)

نقطة استناد لفطرة البشر، والايمان بالاخرة، نقطة استمداد لوجدانه، فمن لم يعرف هاتين النقطتين يتوحش قلبه وروحه، ويعذبه وجدانه دائما «[١٥١] وبالتالي فالايمان يشكل دعما معنويا وروحيا للانسان، وهو طريق الى التفائل والامل واليقين بقدرة اللّٰه.

وتكشف رسائل النور عن الدور البارز للايمان باليوم الاخر في تحرير الانسان من براثن الغربة، وبث روح السعادة والأمل في الحياة الانسانية على اختلاف مستوياتها فيقول النورسي « الايمان بالحشر ينقذ الانسان والمخلوقات جميعا من التردي الى هاوية أسفل سافلين، وهو الفناء المطلق، والضياع والعبث، ويرفعه الى اعلى عليين وهو الرفعة والبقاء وتقلد الواجبات «[١٥٢]، ويبدو دور الايمان باليوم الاخر واضحا على مجمل الحياة الاجتماعية والعائلية، ويؤدي الى الاستقرار « فلا سعادة لروح الحياة العائلية الا بالاحترام المتبادل الجاد، والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة، والرحمة التي تصل الى حد التضحية والايثار، ولا يحصل هذا الاحترام الخالص، والرحمة المتبادلة الا بالايمان بوجود علاقات صافية أبدية، ورفقة دائمة، ومعية سرمدية في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها ترتبط بها علاقة أبوية محترمة مرموقة، واخوة خالصة نقية « [١٥٣]

المطلب الثاني: الخصائص العقدية للأخلاق الإسلامية.

لا ريب ان هناك منهج خاص للاستاذ النورسي نراه يسير عليه في مؤلفاته المسماة بـ « رسائل النور « عموما وفي تطرقه الى قضايا خاصة مثل قضية الاخلاق خصوصا، وهنا سوف نشير بأصابعنا من بعيد الى الخصائص العقدية الواضحة للاخلاق الفاضلة عند النورسي، والتي أمتاز بعرضها في رسائله: -

أولا:عقيدة داعية الى التوحيد والوحدة: كان العرب يعيشون حياة التفرق

١٥١ ينظر: النورسي، اللمعات، (ص ٤٦٧)، صيقل الاسلام (ص٤٩٤).

١٥٢ ينظر: النورسي: الكلمات (ص٧٤)

١٥٣ ينظر: النورسي: الشعاعات، (ص ٢٥٦)

والتشتت في عقيدتهم ومعاملاتهم، لا يجتمعون على عبادة اله واحد، ولا يرى لهم اتفاق على رأي واحد، لذلك كثرة قبائلهم وانتشرت بينهم الحروب والاغارات، ولما ارسل النبي ﷺ بالهدى ودين الحق دعاهم الى كلمة التوحيد واتحاد الصف حتى تسعد حياتهم، وتقوى شوكتهم، ويكون لهم وجود بين الامم الاخرى[١٥٤] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[١٥٥]

ان نتيجة الايمان بالله وتوحيده في نفس الانسان المؤمن هي أن يكون باستمرار في وضع يتيح له ان تظهر عليه بوادر الوحدة والتازر لانه يمتلك بالاضافة الى الروابط الاجتماعية والجغرافية رابطة الايمان بالخالق الواحد والدين الواحد والنبي الواحد والقبلة الواحدة، لذلك فان الاستاذ النورسي يلفت انظار طلاب النور وخدّام القران الى استشعار هذه الرابطة المقدسة بقوله..»نعم ! ان الايمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع، فانت تشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد... فما بالك بالايمان الذي يهب لك النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الاخوة الوفيرة ما تبلغ عدد الاسماء الحسنى»[١٥٦].

ويندد النورسي باحوال التشتت والتفرق عند المسلمين بالرغم من امتلاكهم لعوامل الوحدة، ويعد هذا الوضع من أعظم الاخطار المحدقة بالمسلمين حيث تراهم يتمسكون باسباب الفرقة التي هي أوهن من بيت العنكبوت، ويتركون أقوى مبادئ التوحيد والوحدة والتعاون بقوله: « فلئن كان هناك الى هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة والتوحيد والوفاق والاتفاق والمحبة والاخوة، ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة،

---

١٥٤ ينظر: محجوب، خالد: الابعاد التربوية في الدرس العقدي النورسي،(ص١١٦).

١٥٥ سورة آل عمران:الاية، ١٠٣

١٥٦ ينظر: النورسي، المكتوبات، (ص٣٤١)

فما اظلم من يعرض عنها جميعا ويفضل عليها اسبابا واهية أوهن من بيت العنكبوت، تلك التي تولد الشقاق والنفاق والحقد والعداء، فيوغر صدره عداء وغلا حقيقيا مع أخيه المؤمن! أليس هذا اهانة بتلك الروابط التي توحد ؟ واستخفافا بتلك الاسباب التي توجب المحبة ؟ واعتسافا لتلك العلاقات التي تفرض الاخوة ؟ فان لم يكن قلبك ميتا ولم تنطفئ بعد جذوة عقلك فستدرك هذا جيداً» [١٥٧]

ثانيا: عقيدة محفزة الى العلم والتفكر واعمال العقل: وهي لا تخشى من عواقب التفكير حيث يكون مؤسسا على مبادئ صحيحة ومنطلقات سليمة ومقاصد نبيلة، والسر في ذلك لا يوجد في أحكامها وأخبارها ما يتعارض مع العقول السليمة الصحيحة[١٥٨]، فالعلاقة بين العلم والايمان- كما يراها النورسي – هي علاقة تكامل فالعلم خادم للايمان، والايمان دافع ومحفز للعلم، ولكن متى خرج هذا العلم عن أطر الايمان وضوابطه، أصبح وبالا على أصحابه من وجهة نظر الايمان والعقول الصحيحة، وهذا الذي كان يتعوذ منه النبي ﷺ في دعائه الذي كان يقول فيه: « أعوذ بك من علم لا ينفع « [١٥٩]وفي هذا المعنى يقول النورسي:» ان جميع أهل الاختصاص والشهود وجميع أهل الذوق والكشف من العلماء والمدققين والاولياء الصالحين متفقون على ان زاد طريق أبد الاباد، وذخيرة تلك الرحلة الطويلة المظلمة ونورها وبراقها ليس الا امتثال أوامر القران الكريم واجتناب نواهيه، والا فلا يغني العلم والفلسفة والمهارة والحكمة شيئا في تلك الرحلة، بل تقف جميعها منطفئة الاضواء عند باب القبر»[١٦٠]، ثم التفكير الجاد عند النورسي ليس مجرد فلسفة نظرية أو تصورات عقلية، بل هو يقظة روحية وهمة وقّادة ذات فعالية، به تتضح معالم الطريق ويتبين الهدى من الضلال، ومن ذلك قوله:» أقسم بالقران العظيم

١٥٧ ينظر: المصدر نفسه،(ص٢٤١)

١٥٨ ينظر: محجوب، خالد: الابعاد التربوية في الدرس العقدي النورسي (ص١١٦).

١٥٩ ينظر: أحمد بن حنبل: مسند أحمد، برقم،(١٣٠٠٢) (٢٠/ ٣٠٨)

١٦٠ ينظر:النورسي، الكلمات، (ص٢٩)

ذي الاسلوب الحكيم، انه ما القي النصارى وامثالهم في وديان الضلالة نافخا فيهم الهوى الا عزل العقل وطرد البرهان وتقليد الرهبان.. وما جعل الاسلام يتجلى دوما، وتنكشف حقائقه وتنبسط بنسبة انبساط افكار البشر الا تاسسه على الحقيقة وتقلده البرهان ومشاورته العقل واعتلاؤه عرش الحقيقة ومطابقته دساتير الحكمة المتسلسلة من الازل الى الابد ومحاكاته لها. ألا يشاهد كيف يحيل القران الكريم فواتح اكثر الايات وخواتمها البشر الى مراجعة الوجدان واستشارة العقل بقوله تعالى) افلا ينظرون(و)فانظروا (و)افلا يتدبرون (و) افلا تتذكرون (و) تتفكروا(و) ما تشعرون(و)يعقلون (و) لا يعقلون(و) يعلمون (و) فاعتبروا يا اولي الابصار(وانا اقول ايضا: فاعتبروا ياولي الالباب..»[١٦١]

ثالثا: عقيدة تراعي كل مستويات الفهم: من المعلوم ان عقيدة القران استطاعت ان تقنع مختلف المستويات الذهنية والفكرية والاجتماعية وغيرها، ودفعت بالجميع الى الغاية العظيمة، انك تستطيع ان تقدم عقيدة القران الى الطفل الصغير، كما تستطيع ان تقدمها الى الفيلسوف الكبير، فلقد حظيت مسائل العقيدة الاسلامية في القران الكريم من البساطة وسهولة الفهم بالقدر الذي يتناسب والمستويات الذهنية لعامة الناس، وهو عين ما تركز عليه أساليب اللغة من كناية ومجاز واستعارة وتشبيه، وما جاء في القران والسنة من تعبيرات عن المسائل الغيبية بالحقائق والاسماء المالوفة لدى الناس يعده النورسي «تنزلات الهية الى عقول البشر « فيقول مقررا هذه الحقيقة:» المقصود الاهم من الكتاب الحكيم هو ارشاد الجمهور الذين يمثلون اكثرية الناس، لان خواص الناس يمكنهم ان يستفيدوا من مسلك العوام، بينما العوام لا يستطيعون فهمما يخاطب به الخواص حق الفهم، علما ان معظم الجمهور هم عوام الناس والعوام لا يقتدرون على مشاهدة الحقائق المحضة وادراك المجردات الصرفة متجردين عن مالوفاتهم ومتخيلاتهم، فالذي يضمن رؤيتهم ويحقق ادراكهم: الباس المجردات واكساءها زي مالوفاتهم، تانيسا لاذهانهم،

١٦١ ينظر: النورسي: صيقل الاسلام، (ص ٥٢)

كي يروا المجردات ويعرفونها بمشاهدتها خلف صور خيالية. ولما كان الامر هكذا، تلبس الحقيقة المحضة مالوفاتهم، ولكن يجب الا يقصر النظر في الصورة ولا ينحصر فيها. وبناء على هذا: فان ما في اساليب اللغة العربية من مراعاة الافهام ومماشاة الاذهان، قد جرت في القران الحكيم المعجز البيان، والتي تعبر عنها بـ» التنزلات الالهية الى عقول البشر « فمثلا: قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[١٦٢]، و ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[١٦٣] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[١٦٤] وامثالها من الايات الكريمة. كلها روافد هذا الاسلوب[١٦٥].

رابعا: عقيدة داعية الى تحرير الانسان: أهم ما يميز العقيدة الاسلامية انها عقيدة ايمان وعبودية وخضوع، تعمل على تحرير العبد المؤمن من كل القيود والسلطات التي تحاول اخراجه من هذا الانتساب وتدخله ضمن سيطرتها، ولذلك حينما سئل الامام النورسي: كيف تكون الحرية خاصية الايمان ؟ أجاب قائلا: «لان الذي ينتسب الى سلطان الكون برابطة الايمان ويكون عبد له تتنزه شفقته الايمانية عن التجاوز على حرية الاخرين وحقوقهم، مثلما ترتفع شهامته الايمانية وعزته عن التنازل بالتذلل للاخرين والانقياد لسيطرتهم واكراههم، نعم ان خادما صادقا مخلصا للسلطان لا يتذلل لتحكم راع وسيطرته، كما لا يتنازل ان يفرض سيطرته على مسكين ضعيف. فبمقدار قوة الايمان اذن تتلالا الحرية وتسطع. فدونكم خير القرون، العصر السعيد، عصر النبوة والصحابة الكرام»[١٦٦]

خامسا: عقيدة سهلة التناول: بما ان النورسي يستمد عقيدته من القران الكريم مباشرة، فهذا الاستمداد يساعده في فهم مسائل العقيدة والعمل باحكامها بكل يسر وسهولة، بخلاف الفلاسفة واصحاب النظر الذين اتخذوا

١٦٢ سورة الأعراف:الاية، ٥٤

١٦٣ سورة الفتح: الاية، ١٠،

١٦٤ سورة الفجر:الاية، ٢٢

١٦٥ ينظر: النورسي، صيقل الاسلام، (ص٥٩)

١٦٦ ينظر: المصدر نفسه (ص ٢٩٥)

لهم طرقا ملتوية تسببت في تيههم وتعبهم وعدم وصولهم الى مطلوباتهم يقول: « اعلم ان الفرق بين طريقي في قطرة المستفادة من القران وطريق اهل النظر والفلاسفة، هو اني احفر اينما كنت فيخرج الماء، وهم تشبثوا بوضع ميازيب وانابيب لمجي الماء من طرف العالم ويسلسلون سلاسل وسلالم الى ما فوق العرش لجلب ماء الحياة، فيلزم عليهم بسبب قبول السبب وضع ملايين من حفظة البراهين في تلك الطريق الطويلة لحفظها من تخريب شياطين الاوهام، واما ما علمنا القران فما هو الا ان اعطينا مثل عصى موسى اينما كنت – ولو على الصخرة – اضرب عصاي فينفجر ماء الحياة، ولا احتاج الى السفر الطويل الى خارج العالم، وتعهد الانابيب الطويلة من الانثلام والانكسار «[١٦٧].

سادسا: عقيدة داعية الى العمل: ان العقيدة التي جاء بها القران عقيدة عملية، ونقصد ان القران جاء بعقيدة متناسبة مع واقع الانسان من حيث قدرته العقلية والروحية والنفسية والبدنية، فمسائل العقيدة كلها في القران دافعة للانسان نحو العمل الصالح ولتحقيق الغاية التي من اجلها خلقه اللّٰه تعالى ومن أجلها أنزله على هذه الارض، واللافت للنظر ان القارئ لرسائل النور لايجد فيها ما يذهب بالانسان بعيدا عن ميدان التكليف، نعم قد يتحدث النورسي عن مسائل الغيب لكن لا يتحدث الا بالمقدار الذي يثمر عملا صالحا وسلوكا حسنا لذلك قال: « اعلم ! ان الاهم الالزم بعد علوم الايمان، انما هو العمل الصالح؛ اذ القران الحكيم يقول على الدوام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[١٦٨]نعم هذا العمر القصير لا يكفي الا لما هو أهم «[١٦٩] وفي تفسير قول اللّٰه تعالى چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ چ[١٧٠]يقول:» واما واو (وعملوا) فاشارة بسر المغايرة الى ان العمل ليس داخلا في الايمان كما

---

١٦٧ ينظر: النورسي، المثنوي العربي النوري، (ص١٧٠)

١٦٨ سورة البقرة: الاية، ٨٢

١٦٩ ينظر: النورسي، المثنوي العربي النوري، (ص٢١٦)

١٧٠ سورة البقرة: الاية، ٢٥

قالت المعتزلة [١٧١] والى ان الايمان بغير عمل لا يكفي. ولفظ العمل رمز الى ان ما يبشر به كالاجرة...» [١٧٢]

الخاتمة

١. النتائج

أولا: الامام سعيد النورسي أحد أعلام العلماء، ينحدر من أسرة كردية متدينة، ظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء في وقت مبكر من حياته، تتلمذ على يدي عدد من العلماء، عكف على دراسة العلوم الشرعية والعصرية وبرع فيها، وقد استمر في جهوده الاصلاحية باساليب مختلفة في جميع جوانب الحياة كلها، واتسمت هذه الجهود بالتدرج والوسطية والشمول وتوحيد الصفوف والتركيز على معالجة جروح البلاد.

ثانيا: تُعدّ رسائل النور موسوعة إيمانية أستقاها النورسي من فيض نور القرآن الكريم، وقد تضمنت معالم منهجية بارزة ومادة تربوية خصبة يمكن تقديمها كتوجيهات للمصلحين والمربيين والدعاة على اختلاف جهاتهم.

ثالثا: الاخلاق في منظور النورسي، هي نظام القران الذي يطبع الروح الانسانية بماهيتها ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة، لاكتساب معناها الكوني.

رابعا: ان طبيعة الاخلاق في منهج النورسي تتسم بالعموم والكلية والشمولية والنسقية والاصالة والترابط والانسجام، ثم انها تقوم على مجموعة من المبادئ العلمية والقوانين الكلية الفطرية من أهمها: الفطرة، التدين، العلمية، الشمولية، الواقعية، النسبية، والانتظام والانسجام.

خامسا: يؤكد الاستاذ النورسي أن الأخلاق الإسلامية ليست محصورة فى نطاق معين من نطاق السلوك البشرى، وإنما تمتد مجالاتها لأبعد من ذلك بكثير فإن حسن الخلق كما يكون فى معاملة البشر يكون فى معاملة الخالق سبحانه وتعالى أولا ومعاملة الكائنات الاخرى ثانيا.

---

١٧١ ولكنهم خالفوا اهل السنة حينما اضافوا اليه اجتناب الكبائر وقالوا بتخليد مرتكبها في النار

١٧٢ ينظر: النورسي: اشارات الاعجاز، (ص١٩٨)

سادسا: اوضح الاستاذ النورسي ان مصدرية الاخلاق تقوم على مصدرين: القران الكريم والسنة النبوية المطهرة.

سابعا: من أهم الاصول الاخلاقية الكبرى في منظومة النورسي الاخلاقية، وتلحق بها فروع الاخلاق هي: العدالة، والمحبة.

ثامنا: من أبرز الاصول العقدية في رسائل النور، التي تقوم عليها اسس الاخلاق الفاضلة هي: الايمان بالله تعالى، والايمان بالانبياء عامة وبخاتم النبيين ﷺ خاصة والايمان باليوم الاخر.

تاسعا: اتسم منهج النورسي في تقويم الاخلاق بانه منهج يتناسب مع عقيدة الامة وقيمها، واحوالها القائمة، وتطلعاتها المستقبلية، فقد كان له منهج ذات خصائص عقدية في تقويم الاخلاق، يدعو الى التوحيد والوحدة، والعلم والتفكر واعمال العقل، وتحرير الانسان، والتمسك بالعمل، مع مراعاة كل المستويات الذهنية والفكرية عند عامة الناس مع السهولة واليسر في تناول مسائل العقيدة.

٢. التوصيات

١) يوصي الباحث بضرورة دراسة الجانب العقدي والاخلاقي عند النورسي من خلال رسائله دراسة واعية؛ لاثراء المكتبة العربية والاسلامية باثار بديع الزمان سعيد النورسي، وامداد المختصين والمصلحين والتربويين بنتائجها، وادخالها في المناهج الدراسية المختلفة.

٢) لا يكتفى بالتعريف الامام بديع الزمان سعيد النورسي من خلال عقد مؤتمر، او حلقة بحث أو ندوة فكرية، بل ان يدرج النورسي في قائمة المفكرين الذين على شباب الامة ممن هم على مقاعد الدراسة الاطلاع على تراثه الفكري لما له من فائدة عظيمة.

٣) التركيز على الوازع الايماني في جوانب الاخلاق قبل الوازع الحكومي الرقابي وخاصة عند فئة الشباب.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١) ابن ابي عاصم، أحمد بن عمرو: الآحاد والمثاني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية – الرياض، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٢) ابن فارس، أحمد بن فارس:معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٤) الاصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.

٥) الانصاري، فريد: الكونية الاخلاقية عند النورسي، المؤتمر العالمي السادس « العولمة والاخلاق في ضوء رسائل النور، اسطانبول، تركيا ٢٤-٩-٢٠٠٢م.

٦) البخاري، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧) برغوث، الطيب: الدعوة الاسلامية والمعادلة الاجتماعية، دار البعث، قسطنطينة، ١٩٨٥م.

٨) برغوث، الطيب: الواقعية الاسلامية في خط الفاعلية الحضارية، دار قرطبة، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٩) البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٠) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١١) الجاحظ، عمرو بن بحر: تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث ط١ ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.

١٢) شاهين، نجم الدين: ذكريات عن سعيد النورسي، نجم الدين شاهين، ترجمة أسيد احسان قاسم الصالحي – مطبعة الحوادث ط١، بغداد ١٩٨٦م.

١٣) الشيباني، احمد بن حنبل: مسند الامام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد اللّه بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٤) الصالحي، احسان قاسم: بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، دار سوزلر- استانبول ١٩٨٧م.
١٥) الطنطاوي، عبد اللّٰه: منهج الاصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي،، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م.
١٦) عبد الحميد، محسن: الإمام النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا، بيروت:دار الآفاق الجديدة ١٩٩٥م.
١٧) عبد الحميد، محسن: التربية السلوكية عند النورسي، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، العدد الثالث، ٢٠١١م
١٨) عبد الحميد، محسن: النورسي الرائد الاسلامي الكبير، مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل ١٩٨٧م.
١٩) العزاوي، ابو بكر: المنظومة الاخلاقية عند النورسي، المؤتمر العالمي السادس « العولمة والاخلاق في ضوء رسائل النور، اسطانبول، تركيا ٢٤-٩-٢٠٠٢م.
٢٠) الغزاوي، سعيد: مركزية مفهوم الانسان الكامل في المشروع الأخلاقي عند النورسي ودوره في تشييد مستقبل الانسانية، المؤتمر العالمي التاسع، العلم والايمان والاخلاق مستقبل أفضل لاجل الانسانية، استانبول، تركيا ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٢١) القرني، سعيد بن محمد: المنهج التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٩٨م.
٢٢) الكيلاني، جمال الدين فالح، الصميدعي، زياد حمد: بديع الزمان سعيد النورسي «قراءة جديدة في فكره المستنير «، دار الزنبقة، القاهرة ط١، ٢٠١٤م
٢٣) لملم، ابراهيم: المنهج الدعوي في فكر بديع الزمان سعيد النورسي من خلال رسائله، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر- باتنة - الجزائر.
٢٤) الماوردي، علي بن محمد: تسهيل النظر وتعجيل الظفر، تحقيق رضوان السيد، دار العلوم العربية للنشر ط١ ١٩٨٧ م.
٢٥) محجوب، خالد: الابعاد التربوية في الدرس العقدي النورسي، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية العدد الثالث، مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم، تركيا، ٢٠١١م
٢٦) الملا زكردي، الملا محمد زاهد: لمحة سريعة من خلاصة حياة الامام الجليل بديع الزمان، دار الافاق الجديدة، بيروت.
٢٧) النورسي، سعيد: حقيقة التوحيد، ترجمة، احسان قاسم الصالحي مطبعة العاني بغداد ١٩٨٥م.

٢٨) النورسي، سعيد: اللمعات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، ط٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.
٢٩) النورسي، سعيد: المثنوي العربي النوري، ترجمة احسان قاسم الصالحي، ط٣، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٣م.
٣٠) النورسي، سعيد: الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، استانبول ط٤، ٢٠٠٤م.
٣١) النورسي، سعيد: صيقل الاسلام، ترجمة احسان قاسم الصالحي، ط٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٤م.
٣٢) النورسي، سعيد: مختارات من المثنوي العربي، اختارها وقدم لها، أديب ابراهيم الدباغ، مطبعة الزهراء الحديثة، ط١، الموصل ١٩٨٣م.
٣٣) النورسي، سعيد سيرة ذاتية، ترجمة:أحسان الصالحي، ط٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٥م
٣٤) النورسي، سعيد: الايمان وتكامل الانسان من كليات رسائل النور، ترجمة احسان قاسم الصالحي، مكتبة القدس، بغداد ط١، ١٩٨٤م.
٣٥) النورسي، سعيد: الكلمات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، استانبول ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٣٦) النورسي، سعيد: لوامع في معارف الايمان وأدب القران من كليات رسائل النور، ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة اوفسيت الزمان ط١، بغداد، ١٩٩٢م.
٣٧) النورسي، سعيد: اشارات الاعجاز في مظان الايجاز، تحقيق: احسان قاسم الصالحي، بغداد، دار الانبار، ط١، ١٩٨٩م.
٣٨) النورسي، سعيد: السنة النبوية سنة كونية وحقيقة روحية، عرض وتعليق:اديب ابراهيم الدباغ، ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة اوفسيت الشعب ط١، بغداد، ١٩٨٥م.
٣٩) النورسي، سعيد: الشعاعات، ترجمة:أحسان الصالحي، ط٤، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٥م.
٤٠) النورسي، سعيد: الكلمات، ترجمة:أحسان الصالحي، ط٤، ط٦، دار سوزلر، استانبول، ٢٠٠٥م، ٢٠١١م.
٤١) النورسي، سعيد: المكتوبات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، استانبول ط٤، ٢٠٠٤م.
٤٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

مميزات المنظومة الأخلاقية للإمام بديع الزمان سعيد النورسي

د. يوسف محمد الندوي
أستاذ المساعد، كلية دار الأيتام المسلمين بوناد

تمهيد

الخلق في اللغة: بضم اللام وسكونها وهو الدِّين والطبع والسجية وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفْسه وأوصافها ومعانيها المختصةُ بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسَنة وقبيحة والثوابُ والعقاب يتعلّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة[١٧٣]

الأخلاق في الإسلام عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم، الخلق هو جوهر الإسلام ولبه وروحه السارية في جميع نواحيه: إذ النظام الإسلامي - على وجه العموم -مبني على مبادئه الخلقية في الأساس، بل إن الأخلاق هي جوهر الرسالات السماوية على الإطلاق. كما يتضح ذلك من قول الرسول صلى الله وسلم يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١٧٤] فالغرض من بعثته -ﷺ- هو إتمام الأخلاق، والعمل على تقويمها، وإشاعة مكارمها، بل الهدف من كل الرسالات هدف أخلاقي، والدين نفسه هو حسن الخلق.

النواحي الأخلاقية كانت موضوعا مهما في رسائل النور للسعيد النورسي

---

١٧٣ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ١٠ / ٨٥

١٧٤ السنن الكبرى للبيهقي، رقم الحديث ١٠ / ٤٣

رحمه اللّٰه نستطيع أن نعبرها بالمنظومة الأخلاقية فهي استنبطه الإمام النورسي من الكتاب المبين والسنة المطهرة، فهي فى الحقيقة منظومة أخلاقية قرآنية متكاملة تتسم بالعموم والكلية والشمولية والنسقية والأصالة والترابط والانسجام إلى المجتمع كانت هي تقوم على مجموعة من المبادئ العلمية والقوانين الكلية الفطرية، وإذا عبرنا عن هذا الشيخ الجليل بالإيجاز نستطيع أن نقول كان النورسي رحمه اللّٰه رجلا قرآنيا يتبع منهج القرآن في حياته ومعاشراته ومعاملاته، كما كانت أخلاقه أخلاقا قرآنية، هذا هو خير وصف اتصف به سيدنا مجمد صلى اللّٰه علي وسلم في حديث رواه عن بن عامر قال أتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول اللّٰه ﷺ قالت كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن قول اللّٰه عز وجل وإنك لعلى خلق عظيم قلت فإني أريد أن أتبتل قالت لا تفعل أما تقرأ لقد كان لكم في رسول اللّٰه أسوة حسنة [1]

مما يظهر للمطلع على مؤلفات الشيخ النورسي أن يجد مبادء عديدة للمنظومة الأخلاقية من أهمها الفطرة والإيمان والشمول والتدريج والنسبية والواقعية والتناسب والانسجام.

١- الفطرة

الفطرة ما يخص طبيعة الكائن ويصاحبه منذ نشأته، ومنه الأفكار الفطرية، وهي التي لم تستمد من التجربة، ويقابل المكتسب، والفطرة بعبارة أخرى هي الخلقة بدليل قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللّٰه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله﴾[2]. في رأي الأستاذ النورسي أن الأخلاق فطرة في الإنسان؛ أي أنها كامنة في بنيته وخلقته، وأنها مقوم أساسي من مقومات ذاتيته وهويته، يشهد لهذا المعنى قوله: «ما دام الميل نحو الكمال قانونا فطريا في الكون وقد أدرج في فطرة البشرية [3]» والأخلاق هي التي تمكن الإنسان من السير نحو الكمال

١ مسند أحمد، رقم الحديث: ٢٣٤٦٠

٢ الروم:٣٠

٣ الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، الأحمدية للنشر، ص: ٢٩.

ونحو الأحسن والأفضل، قال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه [٤]

إن التدين والخير والصدق والسعي وسائر الأخلاق الحميدة من فطرة الإنسان، كما يقول النورسي: «مفطور على أن يفضح الكذب، ويقول للكذب هذا كذب» وهو أيضا «مفطور على الارتباط بأبناء جنسه من الناس لعدم تمكنه من العيش بمفرده، وهو مضطر إلى أن يعطي لهم ثمنا معنويا لدفع احتياجاته، لذا فهو مدني فطرة» إن الصدق باعتباره محور الأخلاق وأساسها المكين ليس مغروزا في فطرة الإنسان وحده، إنه مغروز في فطرة جميع المخلوقات والكائنات، أي في الفطرة الكونية بجميع أنواعها ومكوناتها، وهو ما عبر عنه النورسي بشكل بليغ بقوله: «إن الفطرة لا تكذب، ففي النواة ميلان للنمو، إذا قال سأنبت وأثمر فهو صادق، وفي البيضة ميلان للحياة، إذا قال سأفرخ، فيكون بإذن الله وهو صادق، وإن ميلان التجمد في غرفة من الماء إذا قال سأحتل مكانا أوسع فلا يستطيع الحديد لصلابته أن يكذبه. إن صدق قوله يدمر الحديد، وما هذه الميول سوى تجليات وتظاهرات لأوامر التكوين الصادق عن الإرادة».[٥]

يقول النورسي: الخير والحسن والجمال والإتقان والكمال هو السائد المطلق في نظام الكون وهو المقصود لذاته، أي هو المقاصد الحقيقية للصانع الجليل، بدليل أن كل علم من العلوم المتعلقة بالكون يطلعنا بقواعده الكلية على أن في كل نوع وفي كل طائفة انتظاما وإبداعا بحيث لا يمكن للعقل أن يتصور أبدع وأكمل منه (...) فتبين جميعها حقيقة الآية الكريمة: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[٦]

ويقول عن الشر:»الشر والقبح والباطل والسيئات جزئي وتبعي وثانوي في خلقة الكون». فالقبح مثلا في الكون والمخلوقات ليس هدفا لذاته وإنما هو

٤ صحيح البخاري، رقم الحديث: ١٢٩٦

٥ نوايا الحقيقة، نشر بذيل الخطبة الشامية، ترجمة عاصم الحسيني، ص:٩٧، وانظر كذلك: المكتوبات: نوى الحقائق، ترجمة إحسان قاسم، ص: ٦٠١.

٦ السجدة:٧

وحدة قياسية، لتنقلب حقيقة واحدة للجمال إلى حقائق كثيرة، والشر كذلك، بل حتى الشيطان نفسه إنما خلق وسلط على البشرية ليكون وسيلة لترقيات البشر غير المحدودة نحو الكمال التي لا تنال إلا بالتسابق والمجاهدة. وأمثال هذه الشرور والقبائح الجزئية خلقت في الكون لتكون وسيلة لإظهار أنواع الخير والجمال الكليين».[٧]

فالأخلاق الحميدة هي القاعدة، والأخلاق الرديئة المذمومة هي الاستثناء، والأخلاق الأولى هي غاية في حد ذاتها وهي السائدة الغالبة في نظام الكون ونظام الكائنات، أما الأخلاق الفاسدة، وإن كانت مركوزة هي الأخرى في الفطرة، فهي جزئية وثانوية، ووجودها إنما كان بقصد التعرف على تجليات الحق والخير والجمال والكمال، وقديما قيل: «بضدها تتبين الأشياء». والدليل على فطرية الأخلاق أن كلمتي الخلق والخلق في اللغة العربية مشتقتان من مادة لغوية واحدة، أي أنهما تنتميان إلى نفس الجذر اللغوي «خ.ل.ق» ومن مشتقات هذا الجذر نذكر: الخلق والخالق والمخلوق والخليقة والخلق والأخلاق...إلخ.

٢- الإيمان والتدين

غرس الإيمان والتقوى في القلوب هو السبيل الأنجح لتهذيب الأخلاق وتزكية النفوس والدين والأخلاق شيء واحد، فلا دين بغير أخلاق ولا أخلاق بغير دين. لقد دعت الأديان السماوية كلها إلى ضرورة التحلي بالأخلاق الحميدة، إذ الدين شريعة وحقيقة، عبادات ومعاملات، وكل عبادة أو معاملة لها وجهان: وجه فقهي ووجه خلقي، ثم إن العلوم الإسلامية كلها تقوم على الأخلاق من حيث مرجعيتها وفلسفتها ومبادؤها المنظمة لها، ومن حيث غاياتها العلمية والعملية. قال اللّٰه تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٨]

يقول الشيخ النورسي: «إن إصابة الأمة في قلبها إنما هو من ضعف الدين، ولن تنعم بالصحة إلا بتقوية الدين، إن مشربنا: محبة المحبة ومخاصمة المخاصمة،

٧ الخطبة الشامية، طبعة إحسان قاسم، ص: ٣٩-٤٠.

٨ سورة الشمس: ٩-١٠

أما مسلكنا فهو التخلق بالأخلاق المحمدية ﷺ وإحياء السنة النبوية، ومرشدنا في الحياة: الشريعة الغراء» [٩]ويقول في مكان آخر: «إن الإيمان يقيم دائما في القلب والعقل حارسا معنويا أمينا، لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية (...) يطردها ويهزمها» [١٠] وإذا كانت الأخلاق فطرة فطر عليها الإنسان، فإن دور الدين يتمثل في تثبيت هذه الفطرة وتكميلها وتهذيبها. فقد قال ابن تيمية: «إن الرسل إنما بعثت بتكميل الفطرة، لا بتغيير الفطرة» [١١] وقال نبينا عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.» [١٢]

يقول الإمام النورسي:»الكذب لا يسمح به قطعا» ... «إن الكفر بجميع أنواعه كذب، والإيمان إنما هو صدق وحقيقة» [١٣]هذه ما نراه تفسيرا لما قاله النبي ﷺ، لما سئل: هل يزني المؤمن؟ فقال نعم، وهل يسرق أو يقتل؟ فقال: نعم، وعندما سئل: هل يكذب؟ قال: لا. وكلامه يتضمن تفصيلات وتوضيحات قيمة. إن المرجعية القرآنية والحديثية حاضرة في كل أقواله وأفكاره ومؤلفاته، ولا عجب في ذلك، لأن «رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة». [١٤] هذا بخصوص القرآن الكريم، أما فيما يتعلق بالسنة النبوية، فإننا نجد «في ثنايا كثير من الرسائل أسئلة وأجوبة حول بعض الأحاديث الشريفة التي قد يظن أول وهلة أنه -أي الحديث- بعيد عن الواقع أو لا يسلم به العقل، إلا أن الرسالة تشرح الأبعاد الشاسعة لذلك الحديث وأسراره وحكمه الكثيرة.» [١٥]

---

٩ الخطبة الشامية، طبعة إحسان قاسم، ص: ٨٥.

١٠ والمرجع نفسه:٧٣

١١ ابن تيمية: منهاج السنة: ٨٢/١.

١٢ السنن الكبرى للبيهقي: ١٠ / ١٩٢

١٣ الخطبة الشامية، ص: ٥٠،. ٤٦

١٤ الملاحق – قسطموني، ص: ٢٢٠.

١٥ إحسان قاسم الصالحي: بديع الزمان سعيد النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره ص: ٢٠٠.

٣- الكمالية

المنظومة الأخلاقية التي اشتملت عليها رسائل النور تتسم بالكمالية والشمولية، فقد شملت علاقة الإنسان بخالقه وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بل شملت علاقة الإنسان بكل عناصر الكون ومكوناته. إنها عالجت مجمل الأخلاق الحميدة والسجايا الرفيعة بشكل مفصل مسهب تارة، وبشكل مجمل مقتضب تارة أخرى. وهكذا وجدنا النورسي يتحدث عن إيجابيات الصدق والشورى والعدل والتعاون والأخوة والأمل والتواضع والاجتهاد والوفاء والعفة والمحبة والشكر وغيرها، وخصص لبعضها رسائل مستقلة، كما أنه نبه على خطورة الأخلاق الذميمة مثل الكذب والرياء والنفاق والظلم والتفرق والتعصب والتكبر والأنانية واليأس والاستبداد والتكاسل والعداوة والشر والخيانة.

وهو يربط الأخلاق بالرقي والحضارة والمدنية فيقول: «لما كانت مدنية أوربا لم تتأسس على الفضيلة والهدى بل على الهوس والهوى، وعلى الحسد والتحكم، تغلبت هيئات هذه المدنية على حسناتها إلى الآن. وأصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الإرهابية، وهذا دليل قوي ومؤشر على قرب انهيارها وسبب مهم لحاجة العالم إلى مدينة آسيا الإسلامية التي ستكون لها الغلبة عن قريب[١٦]

إن المدنية الغربية بنيت على أساس الأخلاق الذميمة، ولذا فإنها لا تكفل سعادة البشرية. إنها بنيت على خمسة مبادئ سلبية: ١) إنها مبنية على القوة: وهذا يؤدي إلى الاعتداء والظلم. ٢) هدفها وقصدها المنفعة: وهذا من شأنه التدافع والتزاحم. ٣) دستورها في الحياة هو الجدل: وهذا يؤدي إلى التنازع والخصام. ٤)رابطتها فيها بين الكتل هي العنصرية والقومية السلبية: وهذا يؤدي إلى تصادم رهيب. ٥) خدمتها الجذابة هي تطمين وتشجيع الهوى والهوس: وهذا يمسخ الإنسان روحيا. أما المدنية التي بنيت على أساس التشريع الإسلامي والأخلاق المحمدية الرفيعة، فإنها مبنية على

١٦ الخطبة الشامية، ص: ٣٨.

الحق والفضيلة والرابطة الدينية والتعاون والهدى، وهذا ما يؤدي إلى العدالة والتوازن والمودة والاخوة والمسالمة والاتحاد وترقي الإنسان.[١٧]

إن المنظومة الأخلاقية التي وضع أسسها النورسي تحمل في كيانها الأخلاق القرآنية والأخلاق المحمدية، ولذلك اتسمت بالعموم والكلية والشمول. أما الفلسفات والمذاهب الأخلاقية الغربية فقد اتسمت بالجزئية، فأخذ بعضها بمبدأ الفطرة أو الطبيعة «الأخلاق الطبيعية»، واقتصر بعضها الآخر على مبدأ العلم أو العقل «الأخلاق العلمية»، ودعا آخرون إلى الأخلاق الواقعية أو الأخلاق العلمانية.

وكل نظرية أخلاقية اعتمدت مفهوما واحدا. فهل نتبع فلسفة اللذة التي نادى بها أريستيب وأبيقور؟ أم نظرية السعادة التي نظر لها سقراط وأفلاطون وأرسطو والرواقيون؟ أم فلسفة القوة التي نادى بها نيتشه؟ أم نظرية الواجب عند إيمانويل كانط؟ أم نظرية المنفعة التي دافع عنها بنتام وجون استيوارت مل، وكل الذين تبنوا الفلسفة الذرائعية؟ إن الأخلاق القرآنية، وأيضا المنظومة الأخلاقية النورسية بما هي تفسير للأولى، جاءت شاملة لكل المبادئ، أو لكل الجوانب الإيجابية والمفيدة فيها، ومن ثم شمولها وكماليتها وإحاطتها بكل جوانب الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية. إن المنظومة الأخلاقية عند النورسي لا يمكن أن تبنى على المنفعة الشخصية والأنانية مثلا.

وهو الذي يقول: «لو أمعنت النظر في صحيفة العالم نظرا تاريخيا وتأملت في مساوي جمعية البشر لرأيت أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية كلمتين فقط: إحداهما: «إن شبعت فلا علي أن يموت غيري من الجوع» والثانية: «إكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا».[١٨] والدواء لهاتين الخصلتين الفاسدتين هو الزكاة وحرمة الربا.

---

١٧ المكتوبات، نوى الحقائق، ص: ٦٠٦-٦٠٧، ونوايا الحقيقة المنشور بذيل الخطبة الشامية، ز عاصم الحسيني، ص: ١١٠-١١١.

١٨ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: ٦٧-٦٨.

ويقول أيضا: «إن السياسة المبنية على المنافع وحش رهيب.»[١٩] ولا يمكن أن يبني منظومته الأخلاقية على فلسفة اللذة أو نظرية الواجب أو أي مفهوم جزئي آخر.

٤- العلمية

لا يصطدم القرآن الكريم مع العلم الذي يعرف بكلمة إنجليزية Science في نظر الشيخ النورسي إن القرآن جاء باكتشافات عجيبة عن الكائنات. رغم ذلك أن القرآن لا يعتبرها علوما قطعية لأن أساسها خيالات وظنون ويصل إليها الإنسان الباحث في سبيل البحث والإجتهاد، فلذا يلاحظ الاكتشافات العلمية لا تزال تتجدد وتتبدل عكسا للعلوم القرآنية وهي كلها علوم قطعية تحدث بها الخالق اللّٰه عالم السر والنجوى الناس كافة. يرفع القرآن راية الفكر والبحث في طيلته خلال آياته الكريمة؛ وهو يحث على الدرس والمعرفة وتفهّم نواميس الكون وكشف أسراره.

إن تناول النورسي للأخلاق تناول قرآني ديني وتناول علمي في وقت واحد، والدين والعلم لا يتعارضان. ولقد أشارت رسالة «المعجزات القرآنية» إلى: «. كل آية من الآيات التي تعرض لها أهل العلم الحديث، وأظهرت أن في كل منها لمعة رائعة من لمعات إعجاز القرآن، وبينت ما ظنه أهل العلم مدار نقد في جمل القرآن وكلماته: أن في كل منها الحقائق السامية الرفيعة ما لا تطاوله يد العلم» ... «نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان، لسنا كمن ترك التقلد بالبرهان تقليدا للرهبان كما هو دأب أتباع سائر الأديان.[٢٠]»

إن هذا الموقف الذي جعل النورسي يعتمد المنطق والرياضيات وغيرهما من العلوم الحديثة في أبحاثه ودراساته. لقد وجدناه يصوغ بعض الحقائق المتعلقة بالصدق والكذب، صياغة منطقية رياضية معتمدا مفاهيم من قبيل

١٩ الخطبة الشامية، طبعة عاصم الحسيني، ص: ١٠٣.

٢٠ الخطبة الشامية، ص: ٣٠، ٣٢.

اللزوم أو الاستلزام Implication والتناسب والمقايسة والتمثيل والقياس والبرهان وغيرهما.[٢١]

٥- النسبية

يتجلى توظيفه لهذا المبدأ في أماكن عديدة ومتفرقة من رسائل النور، ووجدناه يعتمده أيضا في دراسة الأخلاق، ولذلك اعتبرناه مبدأ من المبادئ التي تقوم عليها منظومته الأخلاقية. يقول النورسي: «إن الفضائل والأخلاق، وكذا الحسن والخير، أغلبها أمور نسبية، تتغير كلما عبرت من نوع إلى آخر، وتتباين كلما نزلت من صنف إلى صنف، وتختلف كلما بدلت مكانا بمكان، وتتبدل باختلاف الجهات، وتتفاوت ماهيتها كلما علت من الفرد إلى الجماعة، ومن الشخص إلى الأمة. فمثلا: الشجاعة والكرم في الرجل تدفعانه إلى النخوة والتعاون، بينما تسوقان المرأة إلى النشوز والوقاحة وخرق حقوق الزوج. ومثلا: إن عزة النفس التي يشعر بها الضعيف تجاه القوي، لو كانت في القوي لكانت تكبرا، وكذا التواضع الذي يشعر به القوي تجاه الضعيف، لو كان في الضعيف لكان تذللا. ومثلا إن جدية ولي الأمر في مقامه وقار، بينما لينه ذلة، كما أن جديته في بيته دليل على التكبر، ولينه دليل على التواضع...» «وحيث إن الحسن النسبي والخير النسبي كثير جدا».[٢٢] ومعلوم أن النسبية من المبادئ العلمية التي أصبح الآن مسلما بها من قبل الجميع، ومأخوذ بها في جميع المجالات العلمية والفكرية والثقافية. فالإبستمولوجيا المعاصرة وفلسفة العلوم تقوم على مفاهيم ومبادئ مثل النسبية والنسقية والتدريج والانسجام والانتظام، بل إن ظواهر الكون برمتها تخضع لهذه المبادئ والقوانين.

---

٢١ إلمام الأستاذ النورسي بعلم المنطق جعله يوظف مصطلحات منطقية كثيرة يستعصي حصرها، ثم إنه ألف كتابين في الموضوع هما: (قزل إيجاز) و(تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق).

٢٢ صيقل الإسلام، السانحات، ص: ٣٢٣.، ٣٢

٦- الواقعية

يوظف النورسي هذا المبدأ، مثلا، في معالجته لعدد كبير من القضايا الفكرية والأخلاقية، ويمكن أن ندعوه أيضا بمبدأ السياق، ومفاده أنه ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار اختلاف الظروف والسياقات وتنوعها، فلكل سياق حكم ولكل مقام مقال.

ويمكن أن نستشهد هنا بالنص الذي يقول فيه النورسي: «عليك أن تصدق في كل ما تتكلمه ولكن ليس صوابا أن تقول كل صدق، فإذا ما أدى الصدق أحيانا إلى ضرر فينبغي السكوت، أما الكذب فلا يسمح به قطعا، عليك أن تقول الحق في كل ما تقول ولكن لا يحق لك أن تقول كل حق، لأنه إن لم يكن الحق خالصا فقد يؤثر تأثيرا سيئا فتضع الحق في غير محله».[٢٣]

ونجده يأخذ بهذا المبدأ عندما يجعل الخيار قائما بين الصدق والسكوت فقط، ويرفض أن يكون هناك حل ثالث، والذي هو الكذب ولو كان الكذب للمصلحة، يقول: «لا نجاة إلا بالصدق، فالصدق هو العروة الوثقى. أما الكذب للمصلحة فقد نسخه الزمان، ولقد أفتى به بعض العلماء مؤقتا للضرورة والمصلحة، إلا أن في هذا الزمان لا يعمل بتلك الفتوى، إذ أسيء استعماله إلى حد لم يعد فيه نفع واحد إلا بين مائة من المفاسد»،[٢٤]

٧- مبدأ الانتظام والانسجام

يدخل في هذا المبدأ عدة مفاهيم ومصطلحات من قبيل التناسب والترابط والتسلسل والوفاق والانتظام والنظام وغيرها. وهذا ما دفعنا إلى افتراض وجود منظومة أخلاقية في رسائل النور تتسم بالشمول والنسقية والانسجام. وقد اعتمد النورسي هذا المبدأ في دراسته للأخلاق، فهو يقول: «إن آثار محمد عليه الصلاة والسلام وسيرته وتاريخ حياته تشهد -مع تسليم أعدائه- بأنه لعلى

٢٣ الخطبة الشامية، ص: ٥٠.

٢٤ الخطبة الشامية، ص: ٤٩.

خلق عظيم، وبأنه قد اجتمع فيه الخصائل العالية كافة. ومن شأن امتزاج تلك الأخلاق توليد عزة للنفس وحيثية وشرف ووقار لا تساعد التنزل للسفاسف. فكما أن علو الملائكة لا تساعد لاختلاط الشياطين بينهم، كذلك تلك الأخلاق العالية بجمعها لا تساعد أصلا لتداخل الحيلة والكذب بينها، ألا ترى أن الشخص المشتهر بالشجاعة فقط لا يتنزل للكذب إلا بعسر، فكيف بالمجموع؟ فثبت أن ذاته عليه السلام كالشمس دليل لنفسه».[٢٥] فالأخلاق الرفيعة تنسجم مع بعضها البعض، وتشكل كلا منسجما موحدا. وما قاله النورسي عن الأخلاق هنا، هو ما قدمه على شكل مبدأ عام في النص التالي: «. كما يوجد الميل والجذب في الأمور المتناسبة، كذلك يوجد الدفع والتنافر في الأمور المتضادة».[٢٦] فلما كان الصدق إيمانا والكذب كفرا، أي كانا متضادين ومتناقضين تباعدا وتدافعا: «وعلى هذا فالبون شاسع بين الصدق والكذب بعد ما بين المشرق والمغرب. ولا ينبغي أن يختلط الصدق والكذب اختلاط النور والنار (...) إن الصدق والكذب بعيدان أحدهما عن الآخر بعد الكفر عن الإيمان». ولكن لما ابتعد الناس عن الفطرة والأخلاق الحميدة، اختلط الصدق والكذب، وأعطت الدعايات السياسية رواجا كبيرا للكذب وأفسحت له المجال فبرز في الميدان، ووجدنا من ينظر للكذب ويعتبره ظاهرة لغوية ونصية، أي ظاهرة طبيعية.

إن العمل بمبدأ الانتظام جعل النورسي ينظر إلى الأخلاق باعتبارها علما وعملا، فكرا وسلوكا، يقول: «. نريد أن تصدقوا قولكم بفعلكم... «لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجا».[٢٧]

وهو يعتبر الصدق محور الأخلاق والخيط الناظم لها فيقول: «إن الأخلاق العالية إنما تتصل بأرض الحقيقة بالجدية، وإن إدامة حياتها وانتظام

---

٢٥ إشارات الإعجاز، ص: ٢٠٩.

٢٦ إشارات الإعجاز، ص: ٢٠٨.

٢٧ صيقل الإسلام، المناظرات، ص: ٤٢٧.، الخطبة الشامية، ص: ٢٧.

مجموعها إنما هو الصدق. ولو ارتفع الصدق من بينها صارت كهشيم تذروه الرياح».[٢٨] هناك مبادئ أخرى تقوم عليها المنظومة الأخلاقية عند النورسي مثل مبدأ التدريج ومبدأ القدوة والتأسي بالرسول ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢٩]. ولكن نكتفي بما أوردناه.

لقد ركزنا فيما سبق على دراسة النورسي للأخلاق وتنظيراته التي تضمنتها كليات رسائل النور، والتي نتج عنها منظومة أخلاقية قرآنية فريدة، ونريد أن نشير إلى أن الأخلاق القرآنية انعكست أيضا في سلوكه هو، وفي أخلاقه وأفعاله. إنه رجل صدق ما عاهد الله عليه فبورك له في عمله وجهاده وتأليفه، وكان له تأثير حميد في طلبته وأبناء قومه، وأيضا في العالم العربي والإسلامي. لقد كتب الأستاذ محسن عبد الحميد بهذا الصدد: «إن من لا يصاحب طلبة النور ولا يخالط أجيالهم الشابة في إيمانهم العميق وهدوئهم البريء، وأخلاقهم العالية البديعة، ودروسهم الإيمانية المطهرة، لا يعلم مدى عمق أثر الإمام النورسي في تربية الجيل الجديد على حب الله ورسوله، ثم حب العلم والفكر والعرفان والتغيير».٤٤ والحمد لله رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٢٨ إشارات الإعجاز، ص:٢٠٨.

٢٩ الأحزاب:٢١

التصوف في فكر الشيخ بديع الزمان النورسي

أ. د. يوسي الهواري
جامعة وهران الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

الملخص

ما من شك أن الشيبخ بديع الزمان النورسي من أولئك القلائل، الذين تركوا بصماتهم في واقع الأمة الإسلامية، و لعلي لا أجدني مبالغا إذا ما قلت أن الشيخ النورسي نموذج فذ جمع بين تحصيل علمي عميق، ورغبة ملحة في الدعوة إلى اللّٰه، وتصوف عملي ظهرت آثاره جلية في تفاصيل حياته، من خلال حركته الإصلاحية التجديدية، والتي أسهمت بقسط كبير في الحفاظ على هوية المجتمع التركي، بعد أن عصفت به رياح العلمانية والتغريب.
لقد قيل الكثير عن التصوف، مما يحتاج إلى زيادة إيضاح وبيان، ومهما يكن من أمر المنتقدين، فإن التصوف جانب أصيل من هذا الدين، بل هو روحه، ومادته الأولية، فأنى للأعمال أن تؤتي أكلها، بعيدا عن استحضار خشية اللّٰه، ومراقبة المولى جل وعلى، ومشاهدته في صفحات هذا الكون، ولا يعيب هذا التصوف ما علق به من بدع ومحدثات، فإن العوارض لا تملك من القوة، ما به تعود على ماهية وحقيقة التصوف بالإبطال.
لم يكن التصوف غريبا عن هذه الأمة، فلقد أسهم الصوفية عبر التاريخ، بما لا يمكن إنكاره، في الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية، من خلال حركاتهم الإصلاحية، التي هي في واقع الأمر تجديد لهذا الدين في أهم جانب من جوانبه، ألا هو التدين مصدر كل صلاح واستقامة، ومن هنا تأتي هذه الورقة للتأكيد على صوفية المنهج الإصلاحي للشيخ النورسي رحمه اللّٰه، فلولا هذا التصوف بمفهومه السني العميق، ما كان لحركته أن يكون لها هذا الصدى الواسع، وقد يحلو للبعض من خلال أطروحاتهم الزعم أن الشيخ النورسي انتقد التصوف فخرج بذلك عن عباءة الصوفية، ولعمري إن مثل

هذا الزعم انكار للحقائق، فالشيخ لم يخرج عما قام به غيره من الصوفية من ممارسة الحسبة على أهل السلوك وتزكية النفوس.

تمهيد

بعث اللّٰه نبيه محمدا ﷺ هاديا ومبشرا ونديرا، وداعيا إلى الخير وسراجا منيرا، بعثه بالمحجة البيضاء ليلها كنهارها، بيضاء في صفائها ونقائها، المتمسك بها على هدى ونور، والمتجمل بها على سداد ورشاد، قال تعالى: «**هو الذي بعث في الأميين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**» - الجمعة:٢- ورأس هذا الأمر كله تزكية النفس الإنسانية والارتقاء بها إلى كمالاتها، أو بالأحرى العودة بها إلى فطرتها الأولى، وهي عبوديتها وافتقارها واحتياجها إلى خالقها، وبارئها في كل حين وآن، قال تعالى: «**يأأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني**»

ولا يماري أي أحد أن هذا المعنى هو روح الإسلام وحقيقته وجوهره، واي أحد يخالف في أن جهاد النفس وحملها على مكارم الأخلاق، وتحقيق الاستقامة، هو المقصود الأصلي من هذه الشريعة، قال تعالى: «**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**» - الذاريات: ٥٦ - ولقد ادرك الرعيل الأول من هذه الأمة أهمية السلوك في تحقيق العبودية، وهم مع إدراكهم علما وعملا، لم يحاولوا أن ينظَروا لجهاد النفس هذا، لقربهم عهدهم بالنبي ﷺ، ولاهتمامهم في المقام الأول بإصلاح النفوس من خلال التربية النفسية والإقبال على الطاعات، إلا أن حدث بعدهم من أفرد لهذا المنهج السلوكي اسمًا جديدًا لا عهد لمن قبلهم به – التصوف – ومع مررو القرون أصاب هذا المنهج ما اصاب الإسلام باعتباره جزء لا يتجزء منه، فأصبح التصوف مجرد شعار مفرغا من مضامينه الراقية.

ولكن من رحمة اللّٰه بعباده أن خص هذه الأمة بمن يجدد لها أمر دينها كما دل على ذلك الحديث المشهور، وليس من المبالغة في شيء، الزعم أن

الشيخ النورسي هو أحد هؤلاء المجددين، من خلال إعادة بعثه هذا المنهج السلوكي من جديد، ولست أقصد بهذا البعث، التعريف بالتصوف، وإنما أقصد إعمال هذا المنهج في محاولة إصلاح أحوال هذه الأمة، والعودة بها إلى منهج ربها، وعلى الرغم من أن الشيخ النورسي في أكثر من موضع في «اللمعات» يصرح بأنه ليس صوفيًا، لكن الرجل صوفي حتى النخاع، ومن الصعب لمن انعم النظر في مؤلفاته، وتوقف عند تفاصيل حياته أن يقتنع بخلاف ذلك، ومن هنا تأتي أهمية هذه الورقة كمحاولة متواضعة لإبراز هذه الحقيقة من خلال تتبع تلويحاته التسعة التي تعكس وجهة نظره في التصوف.[1]

التلويح الأول

الطريقة عند النورسي غرضها معرفة الحقائق الإيجابية والقرآنية ونيلها عبر السير والسلوك الروحانى في ظل المعراج الأحمدى وتحت رايته؛ بخطوات القلب وصولاً إلى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود، فالطريقة والتصوف سر إنسانى رفيع وكمال بشرى سام.

يرى الشيخ النورسي رحمه اللّٰه أن الحقائق الإيمانية والقرآنية حقائق شهودية، فهي ليست من قبيل الحقائق النظرية التي يمكن أن تنال بالنظر والاستدلال، فالإيمان بالله وإن كان مبدأه العقل، إلا أنه لن يثمر عبودية ولا افتقار ولا احتياجا، إلا إذا انتقل هذا الإيمان من مجرد علم حصولي، إلى علم حضوري، تتحد فيه النفس والقلب بالعلم، فيصبح الإيمان وجدانا ودوقا وحالة نفسية، ولتحقيق هذا المقصد، لامناص من شغل القلب بالإقبال على ذكر اللّٰه ضمن مراتب الولاية عبر سبيل الطريق وهو التصوف.

إن كلام الشيخ بديع الزمان لا يختلف في قليل أو في كثير مع ما أجمع عليه أهل السلوك: من أن المقصود بالتصوف أو الطريقة هو تزكية النفوس وصفاء القلوب، وإصلاح الأخلاق، والوصول إلى مرتبة الإحسان ومن أن المعرفة وسيلتها القلب أو النفس، قال الشيخ زروق رحمه اللّٰه في كتابه القواعد: «**قد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ الألفين، مرجعها كله، إلى صدق**

التوجــه إلى لله تعــالى، وإنمــا هي وجــوه فيــه ولله أعلــم.»[٢] وعرفه الشيخ ابن عجيبة التصوف: «بأنه علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة.»[٣]

ولعل تعريف الشيخ أبو الحسن الشادلي يلقي الضوء على حقيقة التصوف بعيدا عن حساسية المصطلح عند البعض، بما يقطع الطريق أمام أولئك الذين اعتقدوا أن التصوف يتنافي وحقائق هذا الدين، قال رحمه اللّٰه:» التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية.» [٤]

قال ابن زكوان في فائدة التصوف وأهميته:

علم به تصفيُة البواطن مِن كدرات النفس في المواطن

قال العلامة المنجوري في شرح هذا البيت:» التصوف علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس، أي عيوبها ووصفاتها المذمومة كالغل والحقد والحسد والغش وحب الثناء والكبروالرياء والغضب والطمع والبخل وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء، لأن علم التصوف يطلع على العيب والعلاج وكيفيته، فبعلم التصوف يتوصل إلى قطع عقبات النفس والتنره عن أخلاقها المذمومةوصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بذلك إلى تخلية القلب عن غير اللّٰه تعالى، وتحليته بذكر اللّٰه سبحانه وتعالى.»[٥]

إن الطريق إلى تصفية النفوس وتزكيتها فرض لازم، وحتم واجب، إذ كيف يتصور تنبيه القلب من غفلته دون المرور بمجاهدة النفس، قال تعالى:» والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» –العنكبوت:٦٩- وهذا لعمري لا يمكن أي ينازع فيه احد، وعليه ليس للصوفية اختصاص بهذا الأمر إلا ما كان منهم من زيادة التأكيد عليه، والوقوف عند دقيق مسائله، وهو على هذا الأساس مسلك لابد أن يسير فيه الجميع، قال أبو الحسن الشاذلي رضي اللّٰه عنه:» من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهولا يشعر ". قال ابن

علاَّن الصديقي:» ولقد صدق فيما قال - يعني أبا الحسن الشاذلي - فأي شخص يا أخي يصوم ولا يعجب بصومه ؟ وأي شخص يصلي ولا يعجب بصلاته ؟ وهكذاسائر الطاعات.[٦]

إن عبقرية الشيخ النورسي التي تجلت في جهادة ودعوته، وصبره على نوائب الدهر، وتفانيه في جهاده، نتاج طبيعي لوعيه على المستوى العملي، بضرورة سلوك طريق مجاهدة النفس، من خلال تخليتها وتحليتها عبر مقامات ومنازل ومدارج، للوصول بها إلى مقام الإحسان وهو مقام شهود أحديته سبحانه وتعالى، وهو أن تعبد اللّٰه كأنك تراه، فالشيخ رحمه اللّٰه اتصل الأستاذ من حيث الإسنادُ بالطريقة النقشبندية، وهي طريقةٌ تربي أبناءها على الأخلاق والآداب، كما أنه كان كثير الانجداب إلى شيخ الطريقة القادرية الشيخ الكبير الكيلاني المتوفى سنة (٥٦١هـ).

يقول الأستاذ: «وعلى الرغم من أنني منتسب إلى الطريقة النقشبندية بثلاث جهات فإن محبة الطريقة القادرية ومشْرَبها يجري فيّ حُكْمُه دون اختيار مني، كنت... أقول: أيها الشيخ الكيلاني، أقرأَ لك سورة الفاتحة، جُدْ لي ما ضيعته من جوز مثلاً أو أي شئ... وإنه لأمرٌ عجيب، فواللّٰه لقد أمدني الشيخ بدعائه وهمته ألف مرة، ولهذا ما قرأت من أوراد وأذكار طوال حياتي إلاّ وأهديتها أولًا إلى حضرة الرسول الأعظم ﷺ ثم إلى الشيخ الكيلاني «[٧]

ولعلَّ ذلك يرجع إلى شدة الشيخ الكيلاني في الحق، وعدَمُ مبالاته بالخلق، وبغضه الشديد لتملق الناس، وفوق هذا كله فإن الشيخ الجيلاني، صاحب حركة إصلاحية وتجديدية، أرادت أن تعيد لهذا الدين جدوته، من خلال تصحيح مفهوم التدين، وجعله مركز الحياة بكل تجادباتها، وهي مفرداتٌ تروق للنورسي وتستهويه، وتتناسب مع شخصيته.

لتلويح الثانى

يؤكد الشيخ النورسي في التلويح الثاني أن هذا السير والسلوك القلبي والتحرك الروحي وسائله ومفاتيحه ذكر اللّٰه أولا والتفكر ثانيًا، ومحاسنها لا

تحصى وفيهما فوائد أخروية وفوائد دنيوية تتمثل في إزالة الوحشة وتخفيف ثقل الحياة وغلوائها ولو جزئيًا، ولا يختلف كلام النورسي عن كلام أهل التحقيق من أن الذكر ملازم لمن رام السير في طريق التعرف على اللّٰه، إذ لا يخلو مقام من مقامات السير ولا منزل من منازل السائرين إلى اللّٰه من الذكر، فبذكر اللّٰه يترقى المؤمن في درجات الكمال، وأنى للعبد أن يستقيظ من غفلته وهو لا يعرف ربه، هذه المعرفة التي خلق الإنسان من أجلها، قال تعالى: «**وما خلقت الجـن والإنـس إلا ليعبـدون.**»

قال ابن عطاء اللّٰه السكندري: «الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق، وقيل: ترديد اسم اللّٰه بالقلب واللسان، أو ترديد صفة من صفاته، أو حكم من أحكامه، أوفعل من أفعاله، أو غير ذلك مما يتقرب به إلى اللّٰه تعالى.»[٨] وقال الإمام أبو القاسم القشيري رضي اللّٰه عنه: « الذكر منشور الولاية، ومنار الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامة صحة البداية، ودلالة النهاية، فليس وراء الذكر شيء؛ وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها عن الذكر.»[٩]

لقد أدرك الصوفية ومن واقع تجربتهم الروحية، أن إنسانية الإنسان تكمن في تحقيق عبوديته اللّٰه، ولن يتم هذا الأمر على حقيقته إلا بذكر اللّٰه في جميع أحوالهم ذكرا قلبيا ولسانيا وحاليا، وهاهو ذا رسول اللّٰه ﷺ يذكر اللّٰه في جميع أحواله، فالعارفون بالله عندهم من داوموا على ذكر اللّٰه وأعرضوا بقلوبهم عن ما سوى اللّٰه من متع الدنيا وشهواتها الزائلة، فانشرحت صدورهم، واطمأنت نفوسهم، كيف لا وقد حظي هؤلاء بمجالسة خير أنيس، فليس للوحشة من سبيل إليهم.

قال تعالى: «**والذاكريـن لله كثـيراً والذاكـراتِ أعد اللّٰهُ لهُم مغفِـرةً وأجراً عظيمـا.**» -الأحزاب ٣٥ - قال ابن عباس رضي اللّٰه عنهما: المراد: يذكرون اللّٰه في أدبار الصلوات، وغدواً وعشياً وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من مترله، ذكر اللّٰه تعالى.[١٠] وقال مجاهد:» لايكون من الذاكرين اللّٰه كثيراً والذاكرات حتى يذكر اللّٰه تعالى قائماً وقاعداً ومطجعا.»[١١] و قال الإمام

النووي:» أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدِث والجنب والحائضوالنفساء، وذلك في التسبيح والتحميد والتكبير والصلاة على رسول اللّٰه ﷺ، والدعاء ونحو ذلك.»[١٢]

كان الشيخ النورسي رحمه اللّٰه وهو يؤكد على مفتاح الذكر في السير إلى اللّٰه، على وعي تام بما يحدثه الذكر من تحول جدري على مستوى السلوك العملي، هذا الوعي الذي كان نتيجة حتمية لخوضه غمار هذه التجربة الروحية، التي فجرت في نفسه سيلا جارفا من الطاقات، ظهرت آثارها جلية على مستوى حركته الإصلاحية، حركة أحيت أمة كانت على وشك الموت ولا زالت حركته تفعل فعلها اليوم، فالذكر صقال القلوب، ومفتاح باب النفحات، وسبيل توجه التجليات على القلوب، وبه يحصل التخلق، لا بغيره. لذلك فالمريد لا يصيبه غم أو هم أو حزن إلا بسبب غفلته عن ذكر اللّٰه، ولو اشتغل بذكر اللّٰه لدام فرحه وقرت عينه، إذ الذكر مفتاح السرور والفرح، كما أن الغفلة مفتاح الحزن والكدر.

التلويح الثالث

يواصل الشيخ النورسي رحمه اللّٰه إيضاح معالم الطريق الصوفي، هذا الطريق الذي يعنى بالسلوك العملي، والمنهج الأخلاقي، وهو في هذا كله حريص على إبراز التصوف بوجهه الصحيح، مستدركا ومصححا أن الولاية حجة الرسالة، وأن الطريقة برهان الشريعة، ذلك لأن ما بلغته الرسالة من الحقائق الإيمانية تراها الولاية بدرجة عين اليقين بشهود قلبي وتذوق روحاني فاصدقها، وتصديقها هذا حجة قاطعة لآحقية الرسالة، وإن ما جاءت به الشريعة من حقائق الأحكام، فإن الطريقة برهان على أحقية تلك الأحكام، وعلى صدورها من الحق تبارك وتعالى بما استفاضت منها واستفادت بكشفياتها وأذواقها.

يسعى النورسي جاهدا من خلال هذا التلويح الثالث إلى بيان توافق الشريعة مع الحقيقة، فإذا كانت الشريعة قد تكفلت ببيان الحقائق الإيمانية، فإن الحقيقة هي الضامنة لوجدانية هذه الحقائق وصيرورتها سلوكا ومنهج

حياة، إذ كيف للحقائق الإيمانية أن تفعل فعلها في نفس المؤمن، وهي أجساد بدون أرواح، أليس الرقي بها من العلم الحصولي إلى العلم الحضوري، يحتاج إلى السير في طريق المكابدة ومجاهدة قال تعالى:» والذين جاهدا فينا لنهدينهم سبلنا.» وليس من الإنصاف في شيء رد الطريقة لمجرد وقوع المنتسبين إليها في أخطاء، ويكفي في بيان زيف قول من يقول ببطلان الطريقة، صمودها في وجه الغزاة من أعداء هذا الدين.

يقول إمام الصوفية أحمد زروق رحمه الله تعالى: « لا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه. ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه لله تعالى. ولا هما [التصوف والفقه] إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما دونه. فلزم الجميع لتلازمها في الحكم، كتلازم الأجسام للأرواح، ولا وجود لها إلا فيها، كما لا حياة لها إلا بها، فافهم.» [١٣]

يقول ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته المشهورة برد المحتار: « الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين من قطع المنازل، والترقي في المقامات... وقال أيضا فالحقيقة: هي مشاهدة الربوبية بالقلب، ويقال: هي سر معنوي لا حد له ولا جهة. وهي والطريقة والشريعة متلازمة، لأن الطريق إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة والطريقة، وباطنها الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشريعة والطريقة، كبطون الزبد في لبنه، لا يظفر من اللبن بزبده بدون مخضه، والمراد من الثلاثة الشريعة، والطريقة، والحقيقة إقامة العبودية على الوجه المراد من العبد.[١٤]

إن الشريعة هي الأساس، والطريقة هي الوسيلة، والحقيقة هي الثمرة وهذه الأشياء الثلاثة متكاملة منسجمة، فَمن تمسك بالأولى منها سلك الثانية فوصل إلى الثالثة، وليس بينها تعارض ولا تناقض، وأهل التصوف هم أشد الناس ابتعادا عن البدع، قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في فتاواه:» فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشائخ السلف مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر الجيلاني،

والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين، فهم لا يسوغون للسالك ولو طار في الهواء، أو مشى على الماء، أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يفعل المأمور، ويدع المحظور إلى أن يموت، وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وهذا كثير في كلامهم.»[١٥]

كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول: إذا عارض كشفُك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام.»[١٦]

التلويح الرابع

سلوك طريق الولاية عند الشيخ النورسي مع سهولته هو ذو مصاعب، ومع قصره فهو طويل جدًا ومع نفاسته وعلوه فهو محفوف بالمخاطر ومع سعته فهو ضيق جدًا. والنورسي يبين أن الطريق طريقان وأن السير سيران:

(١) السير الأنفسي: الذي يبدأ من النفس ليخترق أنانية القلب ويعالج أمراضه لينفتح له سبيل الحقيقة ومنها ينفذ إلى الآفاق الكونية، والغاية من هذا السير كسر شوكة الأنانية والأثرة وتحطيمها وترك الهوى وإماتة النفس أي إماتة رغائبها وشهواتها.

(٢) والسير الآفاقي: حيث يشاهد صاحب هذا السير تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الآفاق والكون الواسع ثم ينفذ إلى دائرة النفس فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة.

السير إلى الله أو معرفة الله عند الصوفة تتم بأحد طريقين اثنين:

طريق الترقي: وهو - طريق أهل السلوك -، وهم طلاب التحقيق بالحقيقة من وجه العمل بالطريقة، وهؤلاء يبدو لهم في أول الأمر اتساع أفعال الحق سبحانه وتعالى، فيتحصل له التعظيم من هذا الوجه، ويكون حاله فيه إسقاط التدبير، فإذا تحقق بذلك، بدا له من حقائق الأسماء مجموع معانيها، فيبدو له من معاني الصفات ما يستغرق ما عندة من معاني الأسماء، فيقف في

بساط الإجلال والتعظيم، ثم يبدو له من عظمة الصفات وإحاطتها عظمة الذت الكريمة، التي لاتصح عظمة الصفات بدون عظمتها، فإذا انتهى إلى حد تعظيم الذات الكريمة كان بساط تعظيم الربوبية مطلقا في التزام العبودية، فالسالك وهو يقطع مراحل السير صعودا قصد تحقيق العبودية، يشاهد عظمة آثار افعاله سبحانه وتعالى، الدالة على عظمة أسماءه، التي تدل بدورها على عظمة صفاته، ليصل السالك إلى شهود كمال الذات.[١٧]

طريق التدلي: وهو طريق أهل الجذب والمجدوب هو من أخد اللّٰه قلبه إليه بدون مهلة، بوجه لا يبقى فيه متسع لغيره، وأهل الجدب في قيامهم بحق العبودية، في عين تعظيم الربوبية، يحصل لهم في أول الأمر من ا لتعظيم والإجلال ما يستغرقهم استغراقا، فإذا تمكنت حقيقة التعظيم منهم أوجبت لهم شهود عظمة صفاته، فهو المتصف سبحانه وتعالى بأوصاف الجلال والجمال،، ومن تم يبدو لهم من عظمة الصفات اتساع الوجوه الراجعة إليها والتفاصيل الواقعة عليها،، فيبدو لهم من تفاصيل العظمة في كل فصل من فصول النسب الأسمائية ما يجلي لهم معاني ما هم فيه من شهود عظمة الأوصاف، حتى تنكشف لعم عظمة الأسماء، ثم يردهم عزوجل إلى شهود أثاره.[١٨]

قال ابن عطاء اللّٰه السكندري في حكمه:» دَلَّ بوجود آثَارِه عَلَى وُجُودِ أَسمَائِه، وَبِوُجُودِ أَسمَائِه عَلَى ثُبُوتِ أَوْصَافِه، وَبِوُجُودِ أَوْصَافِه عَلَى وُجُودِ ذَاتِه، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَقُومَ الوَصْفُ بِنَفْسِه، فَأَهْلُ الجَذْبِ يَكْشِفُ لهمْ عَنْ كَمَالِ ذَاتِه، ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إِلى شُهُودِ صِفَاتِه، ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إِلى التَّعَلُّقِ بِأَسمَائِه، ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إِلَى شُهُودِ آثَارِه، وَالسَّالِكُونَ عَلَى عَكْسِ هَذَا، فَنِهَايَةُ السَّالِكِينَ بِدَايَةُ المَجْذُوبِينَ لكِنْ لا بِمَعْنَىً وَاحِدٍ، فَرُبمَّا التَقَيَا فِي الطَّرِيقِ ، هَذَا فِي تَرَقِّيهِ وَهَذا فِي تَدَلِّيه» .[١٩]

ولا يخلو هذين الطريقين من محادير ومصاعب ومطبات، نبه عليها أهل التحقيق، منها ما يصدر من السالكين من شطحات ومن أقوال ظاهرها مخالف لأحكام الشرع، وللقوم كلام في كيفية التعامل مع ما يصدر عن هؤلاء، ملتزمين في ذلك بضوابط الشرع الحنيف.

التلويح الخامس

وحدة الوجود عند النورسي ومن ضمنها وحدة الشهود، حصر النظر في وجود واجب الوجود أي الموجود الحق هو واجب الوجود سبحانه وتعالى فحسب دون سواه، وأما سائر الموجودات فما هي إلا عالة على واجب الوجود، وما كان لها أن تكون لولا واجب الووجود، فالغني حقيقة هو الله، أما غيرة من الأكوان فمفتقر إليه سبحانه وتعالى، فليست وحدة الوجود لدى النورسي تعنى اتحاد الخالق بالمخلوق أو الحلول والاتحاد أو امتزاج اللاهوت بالناسوت كما يقول بذلك الزنادقة والملاحدة والمارقون عن الدين القويم والمحجة الواضحة.

والنورسي في هذا لم يخرج عما قرره وأكده أهل التحقيق من الصوفية، من أن اللّٰه مباين لخلقه، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا حلول ولا اتحاد، قال صاحب كتاب الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد: حدثني الشيخ كمال الدين المراغي قال: اجتمعت، بالشيخ أبي العباس المرسي - تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي -وفاوضته في هؤلاء الاتحادية، فوجدته شديد الإنكار عليهم، والنهي عن طريقهم، وقال: أتكون الصنعة هي عين الصانع.[٢٠]

قال العلامة جلال الدين السيوطي رحمه اللّٰه تعالى في كتابه الحاوي للفتاوي: أن المعنى الذي يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه، هو تسليم الأمر كله لله، وترك الإرادة معه والاختيار، والجري على مواقع أقداره من غير اعتراض، وترك نسبة شيءٍ ما إلى غيره.[٢١]

قال ابن القيم رحمه اللّٰه:» فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم؛ قد فَنوا بعبادة محبوبهم، عن عبادة ما سواه، وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه. ومن تحقق ذا الفناء لا يحب إلا في اللّٰه، ولا يبغض إلا فيه، ولا يوالي إلا فيه، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، ولا يرجو إلا إياه، ولا يستعين إلا به، فيكون دينه كله ظاهراً وباطناً لله، ويكون اللّٰه ورسوله أحب إليه مما سواهما، فلا يواد من حاد اللّٰه ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه...[٢٢]

التلويح السادس

وفيه يحرص الشيخ النورسي على التأكيد على وجوب اتباع السنة النبوية المطهرة، والتنبيه على ضرورة تحلي المنتسبين لهذه الطرق بالإخلاص، والشيخ النورسي في تأكيداته هذه متفق تمام الاتفاق مع كلام أهل التحقيق من الصوفية، من أن الطريق لا معنى له ما لم يكن صاحبه، أشد الناس اتباعا لهدي النبي ﷺ، قال الأمام الشاطبي في كتابه الاعتصام: «إن كثيرا من الجهال يعتقدون (في الصوفية) أنهم متساهلون في الإتباع، والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه، مما يقولون به ويعملون عليه، وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به.»[٢٣]

قال إمام الطائفة الجنيد رحمه اللّٰه: «إنه لتقع فى قلبى النكتة من علوم القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة.» يقول ابن القيم: «فرحمة اللّٰه على أبى القاسم. يقصد الجنيد. ما أتْبَعَه لسنة رسول اللّٰه، وما أقفاه لطريقته. أى النبى. وطريقة أصحابه[٢٤].

أما الإخلاص الذي هو أساس الطرق الصوفية، فهو: أن لا يكون للنفس حظ في عمل من الأعمال التعبدية، الجسمية منها والقلبية والمالية، وأن لا يرى إخلاصه، قال أبو القاسم القشيري رحمه اللّٰه تعالى: «الإخلاص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى اللّٰه تعالى دون شيء آخر من تصنعٍ لمخلوق أو اكتسابِ محمدةٍ عند الناس أو محبة مدحٍ لمخلوق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى اللّٰه تعالى.»[٢٥]

ومن تمام اللإخلاص والمحبة، أن سالك الطريق لا يبغي من وراء سلوكه ما يعود عليه بالنفع في هذه الحياة الدنيا، متغافلا عن الآخرة التي هي دار الجزاء، أما الدنيا فدار امتحان وتكليف، فليس هي المقصودة أصالة، بل هي مطية الآخرة، وبهذا ينبه النورسي كما نبه غيره من العارفين بالله أن المقصود الأسمى هو تحقيق العبودية لله، أما خوارق العادات والمعارف اللدنية فلا ينبغي أن تكون الشغل الشاغل للسالك، فأعظم كرامة بالنسبة للصوفية هي دوام التوفيق، وتجاوز حجب النفس والاستقامة على أوامر الشرع، ويكفي في بيان

موقف الصوفية من خوارق العادات عدم اشتراطهم الكرامة في تحقق الولاية.

قال أبو القاسم القشيري رحمه اللّٰه تعالى في رسالته:» واعلم أن من أجلِّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات، والحفظ من المعاصي والمخالفات.[٢٦]

التلويح السابع

الشريعة عند الشيخ النورسي هي نتيجة الخطاب الإلهي من الربوبية المطلقة، وهنا يرد الشيخ على من يفرق بين الحقيقة والشريعة، كما يرى النورسي أن الطريقة والحقيقة وسيلتان وليستا غايتين ولا يمكن أن توجد طريقة خارج نطاق السنة النبوية الشريفة وأحكام الشريعة، وهذا ما هو عين ما نادى به أهل التحقيق من الصوفية، فمما لا شك فيه أن الحقائق الشرعية من حيث هي واحدة، لاتعدد فيه، ومخطأ من يعتقد أن أهل الشريعة لهم حقائقهم الظاهرة، وأهل الحقيقة لهم حقائقهم الباطنة، ولازم هذا القول حاصله الخروج عن ربقة التكاليف الشرعية والتحرر من اوامر الشرع بعد إدراك الحقائق الباطنة.

إن الطريقة عند الصوفية وسيلة لتحويل الحقائق الإيمانية إلى وجدان وحالة شعورية، تهيمن على حركات المؤمن وسكناته، ولا جرم أن هذه الطريقة تستخدم وسائل شرعية لتحقيق هذا المقصد، فالانتقال من مقام إلى مقام ومن منزل إلى منزل من خلال المجاهدات، كل ذلك مرهون بما شرع اللّٰه، كما أن الحقيقة وسيلة، فإن من اعتقد أن الحقيقة غاية فبمجرد حصول هذه الأذواق ألقى عنه التكاليف، مع أن حصول هذه اللدة القلبية وهذه الطمأنمينة، وسائل للمداومة على طاعة اللّٰه، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه اللّٰه تعالى: «كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة. طِر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ.» [٢٧] وقال منكراً على من يعتقد أن التكاليف الشرعية تسقط عن السالك في حال من الأحوال: (تركالعبادات المفروضة زندقة. وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال.[٢٨]

وفى التلويح الثامن

تكلم بديع الزمان عما سماه مزالق وورطات للسالكين يحذر منها كل التحذير، ويبين خطورتها وأضرارها على من يقعون فيها، كمن يرجحون الولاية على النبوة، أو من يفضلون الأولياء على الصحابة، وهو ينعى على بعض متصوفة اليوم الذين يرجحون أورادهم وأذكارهم التي كتبوها بأيديهم على المأثور من أذكار السنة النبوية الشريفة، ويجافون أذكار الرسول ﷺ وأدعيته المأثورة التي هي من جوامع الكلم، ومن خير الدعاء وأفضل الذكر وأعظم البركة، أو الظن بأن الإلهام الذي يناله أحدهم بكسبه ومجاهدته أعظم في مرتبة الوحى المنزل من السماء، أو من يفضل الكرامات على واجبات الدين ويدع الثانية اكتفاء بالأولى أو من ينصرف إلى الفخر والإدعاء وإشاعة الشطحات لجمع الأتباع ونيل الحظوة لدى الدهماء.

هذه المزالق التي حذر منها الشيخ النورسي رحمه اللّٰه، هو فيها تبع للمحقيقين من الصوفية، ولقد مارس الصوفية في وقت مبكر هذه الحسبة، وحذروا من وقوع هذه المخالفات والمزالق، وإنَّ من يطالع كتب القوم السليمة من الدس، مثل: كتاب الحلية لأبي نعيم، والرسالةالقشيرية، وكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي، واللمع للطوسي، والإحياء للغزالي، وطبقات الصوفية للسلمي، والرعاية لحقوق اللّٰه للمحاسبي، وغير ذلك من كتب الصوفية، لا يكاد يجد خلُقاً مما فيها يخالف الشريعة أبداً، لكثرة محاسبة الصوفية لأنفسهم وأخذهم بالعزائم، فإن حقيقة طريق القوم علم وعمل، سداها ولحمتها شريعة وحقيقة.

التلويح التاسع

يختم الشيخ رحمه اللّٰه هذه التلويحات ببيان عدة ثمرات لسلوك الطريق أجملها في تحقيق الوجود الحقيقي للإنسان بحسن توجهه إلى اللّٰه، وتخلصه من الوحشة في الدنيا، ونيل مقام التوكل والإخلاص والعمل على أن يصل إلى مرتبة الكمال،، ولطالما كانت الطرق الصوفية السنية بصرف النظر عما علق بها من بدع، حصنا

منيعا يلود به المسلمون من تلك الحملات الاستعمارية والتبشيرية، في العالم الإسلامي عامة، وفي الجزائر خاصة فقد حاول الأباء البيض نشر مسيحيتهم الكاذبة في ربوع القطر الجزائر، كما حاولت فرنسا الاستعمارية محو هوية الشعب الجزائري المسلم، أكثر من قرن من الزمان، إلا أنها ظلت جسما غريبا وورما خبيثا، لابد وان يجتث إن بكيفية أو بأخرى، فاندلعت ثورات شعبية عديدة كان روادها وحامولوا لوائها شيوخ الطرق الصوفية،، فدونك بن زعمون والدرقاوي و الشيخ السنوسي والأمير عبد القادر والشيخ بوعمامة، وغيرهم كثيرون.

الخاتمة

إن الذين انتقدوا التصوف، أكثرهم عرف التصوف من خلال ما علق به من بدع، وغاب عن هؤلاء البحث في معنى التصوف، فليس من الإنصاف في شيء أن تحمل على التصوف أوزار الأدعياء واللصقاء، الذين يندسون في صفوفه نفاقا واحتيالا، أو جهلا وفضولا، فإنه ما من نحلة في القديم والحديث سلمت من أوزار اللصقاء الذين ينتمون اليها من غير أهلها، كما يقول عباس محمود العقاد، لقد حاول السيخ النورسي من خلال تلويحاته أن يعيد للتصوف بهائه ونظارته، ويؤكد للجميع أن التصوف ما هو إلا الاعتناء بهذا النفس، تزكية ومحاسبة والوصول بها إلى مقام العبودية وهو مقام إعلان الاحتياج والافتقار إلى اللّٰه، لتتجلى هذه العبودية بأسمى معانيها، من خلال منهج حياة متكامل، يستمد أصوله من القرآن الكريم.

أن تكون صوفيا عند النورسي هو أن تكون تلميذا للقرآن الكريم، ترتع في رياضه وتستضل بضلاله، لقد جسد الشيخ النورسي مفهوم التصوف السني في حياته على أكمل وجه ف نشأة الشيخ في أحضان التصوف، وتدرجه في مراتب السالكين، على طريقة القوم وأذواقهم، أورثه فهما عميقا لهذا الدين، وهمة عالية في مجابهة الخطوب، ومثابرة في محاولة تغيير الواقع، امتثالا للتكليف وتطبيقا عمليا لمفهوم العبودية، لم يكن التصوف عند الشيخ هروبا من الواقع، وفقدانا للوعي بالوجود، بل التصوف عند النورسي وعند

المحقيقين من أهل التصوف تفان في خدمة المولى عزوجل، وخدمة المولى هي القيام بإخلاص بواجب العبودية وحق الربوبية، إنه بكل بساطة أن تحي كما أراد اللّٰه لك.

المصادر والمراجع

- ابن القيم، مدارج السالكين شرح منازل السائرين دار الكتاب العربي، بيروت، للبنان.
- ابن تيمية، مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، وأشرف جلال الشرقاوي، دار الحديث، القاهرة، ط: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ابن عابدين، الحاشية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٢.
- ابن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف في حقائق التصوف عبد المجيد خيالي، مركز الثرات الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب.
- ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- إبن عطاء اللّٰه السكندري، مفتاح الفلاح في تهذيب النفوس، المطبعة والمكتبة المحمودية، القاهرة، مصر.
- ابن أحمد بن حنبل، مسند.
- علان الصديقي الشافعي، الفتوحات الربانية على الأذكارالنووية دار إحياء الثرات العربي، بيروت.
- جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير دار الكتب العلمية، بيروت.
- حامد عبراهيم صقر، نور التحقيق في صحة أعمال الطريق، مطبعة دار التآليف، مصر.
- زروق، قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- زروق، شرح الحكم العطائية، تحق عبد الحليم محمود، مطابع دار الشعب بالقاهرة.
- الشاطبي، الموافقات، دار ابن عفان، القاهرة.
- عبد القادري الجيلاني، الفتح الرباني الشيخ منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا.
- العروسي، نتائج الأفكار على شرح الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١.
- مصطفى إسماعيل المدني، النصرة النبوية على هامش شرح الرائية مط الشرفية ١٣١٦ .
- النورسي، المكتوبات، دار سوزلر للنشر، فرع مصر، ١٩٩٥م.
- النورسي، اللمعات، دار سوزلر للنشر، فرع مصر، ١٩٩٥م.

الهوامش

١ كليات رسائل النور، المكتوبات ٥٧١.
٢ الشيخ زرق، قواعد التصوف ٢١.
٣ الشيخ ابن عجيبة معراج التشوف إلى حقائق التصوف في حقائق التصوف ص ٤.
٤ الشيخ للعلامة حامد صقر الشادلي، نور التحقيق ص ٩٣.
٥ الشيخ مصطفى إسماعيل المدني النصرة النبوية على هامش شرح الرائية للفاسي ص ٢٦
٦ ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص ٧
٧ النورسي، اللمعات، اللمعة الثامنة ص٥٠.
٨ ابن عطاء اللّٰه السكندري، مفتاح الفلاح» ص ٤
٩ ابو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية ص ١.
١٠ الفتوحات الربانية على الأذكار١٠٩ - النووية" ج ١/ص ١٠٦
١١ المرجع السابق.
١٢ المرجع السابق ج ١/ص ١٠٦
١٣ الشيخ أحمد زروق، قواعد التصوف ص ٣.
١٤ حاشية ابن عابدين ج٤/ ٢٤٠.
١٥ أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى ج ١٠ص٥١٦.
١٦ إيقاظ الهمم" ج ٢. ص ٣٠٢
١٧ الشيخ زروق، شرح الحكم العطائية ٣٢٤.
١٨ المرجع السابق.
١٩ المرجع السابق.
٢٠ جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير للعلامة ج ٢. ص ١٣٤
٢١ المرجع السابق.
٢٢ ابن القيم، مدارج السالكين شرح منازل السائرين ج ١. ص ٩٠.
٢٣ الموافقات، الشاطبي، ج١ص١٢٠.
٢٤ ابن القيم، مدارج السالكين، ج٣ص٧٦.
٢٥ ابو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية ص ٩.
٢٦ المرجع السابق.
٢٧ الشيخ عبد القادري الجيلاني، الفتح الرباني» ص ١٥٨.
٢٨ المرجع السابق.

مدرسة الزهراء وأهميتها في إحياء المسلمين لمواجهة التيارات الغربية في القرن العشرين

شوكتلي سي وي
قسم اللغة العربية، جامعة دلهي

الملخص

الإسلام دين يعطي فضلا كبيرا للعلم وأصحابه منذ يوم خلق الله فيه أول بشر آدم إلى مجيئ آخر الأنبياء محمد ﷺ. فأول كلمة أنزلت في القرآن يشير إلى اهتمام الإسلام للعلم، وأحاديث الرسول وحياته لا تزال دليلا واضحا إلى هذه الهمة للعلم والعلماء. وبهذا الفضل والاندفاع الديني ازدهرت القرون الأموية والعباسية في مجال العلوم المختلفة، وبنفس الاندفاع تقدم المسلمون في العلوم الكونية كما تقدموا في العلوم الدينية. ولم يقسم العلماء المسلمون وأمراءهم في تلك العهود العلوم إلى الدينية والكونية، بل أعطوا للجميع نفس العناية. لكن نسي العالم الإسلامي بعد تلك العهود المذكورة فخارتهم في العلوم المختلفة ولا سيما في العلوم الكونية وتركزوا على العلوم الدينية فقط. ومع ذلك وهنت قوة المسلمين بسبب الحروب المستمرة في العالم الإسلامي. وفتحت هذه الظروف أبواب الدول الإسلامية أمام الغربيين وسهلت لهم فرصا لاحتلالها. نتاجا لهذه الاحتلالات الغربية شاعت أفكار جديدة في تلك الدول مثل المادية والإلحادية والعلمانية وغيرها التي تكفر القرآن والإسلام. وللأسف استحسن كثير من شبان الأمة المسلمة تلك الأفكار الفاسدة واعتنقوا بها، والعلماء المسلمون ما كانوا قادرين عن دفاعتهم من أثر تلك الأفكار. وما كانت حال تركيا خلافا من هذه الظروف الرديئة في القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين. فظهور الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي كانت في تلك المرحلة الرديئة، فقد أدرك النورسي أن الحل لهذه التحديات هو تقوية

إيمان المسلمين وإنشاء جامعة تدرس العلوم الدينية والحديثة على أساس القرآن، ومع ذلك رأى أن الجامعة تساعد لاتحاد بين الأكراد والأتراك. فهذه المقالة تبحث عن تلك الجامعة المعروفة «بالمدرسة الزهراء»، والأسباب التي دفعته إلى إنشائها، ومنهج الجامعة، وعن طلبة النور الذين يقومون بأعمال هامة في تركيا وفي أنحاء العالم في العصر الحديث متأثرين من تعاليم النورسي.

تمهيد

يعطي الإسلام للعلم مكانا عظيما ولأهله درجات عالية، وقوله سبحانه تعالى « يرفع اللّٰه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»[1] يشير إلى مكان العلم والعلماء في الإسلام. فقد وضع اللّٰه مكان العلماء عند مكان المؤمنين، لأن الإيمان الكامل يحتاج إلى علم صادق. وقد نرى في التاريخ أن أول شيئ قام به اللّٰه سبحانه تعالى بعد خلقه أبا البشر آدم عليه السلام كان تعليمه الأسماء كلها، وبسبب هذا العلم الذي حصله آدم فضّله اللّٰه على الملائكة وأمرهم أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس.

وما اختلفتأمور الأنبياء الآخرين من هذا حيث أيدهم اللّٰه جميعا بالعلوم المختلفة. فقصة نوح صاحب الفلك وقصة إبراهيم الذي منحه اللّٰه الحكمة وقصة موسى الذي علّمه اللّٰه السحر وقصة عيسى الذي كانت معجزته شفاء الأمراض تدل على فضل العلم في الإسلام. لأن كل هذه العلوم لعبت دورا فعالا في دعوة هؤلاء الأنبياء وتثبيت إيمان المؤمنين بهم. فالعلم الصادق يقود إلى إيمان صالح وعمل نافع، وبالعكس إن لم يكن هذا العلم صالحا قد يؤدي إلى الكفر والمفاسد كما حدث في أمر إبليس.

وإذا لاحظنا حياة محمد ﷺ ممكن أن نفهم أن أفضل معجزته كان القرآن الكريم الذي بدأ تنزيله بإعلان أهمية القراءة والعلم وهي «اقرأ باسم ربك الذي

١ سورة المجادلة: ١١

خلق»[٢]. وتوجد آيات عديدة في القرآن تشير إلى فضل العلم وتأمر المسلمين لكسب مختلف أنواعه وتنبههم من الجهل، فالآيات مثل:»قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»[٣] أو «وقل رب زدني علما»[٤]لا تزال دليلا واضحا إليه. فحياة الرسول ﷺ وأحاديثه تبقي أحسن حجة لفضل العلم في الإسلام إذ أنه ﷺ أطلق أسرى بدر على شرط هو أن واحدا منهم يعلّم عشرة من أصحاب المدينة القراءة والكتابة. وأقواله ﷺ مثل» من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل اللّٰه له به طريقا إلى الجنة»[٥] أو «وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[٦] كافية لفهم هذا الاهتمام البالغ للعلم والعلماء.

وإذا بحثنا أسباب ترقية المسلمين في القرون الماضية ولا سيما في عهد العباسيين نرى أنها ما كانت إلا هذا الاهتمام البالغ للعلم والحرص الشديد لنيله. ولم يقسم العلماء المسلمين وأمراءهم بين العلوم الدينية والعلوم الأخرى النافعة، بل أعطى للجميع نفس العناية. ولذا التمسوا المعارف من كل مكان من الشرق والغرب. والخلفاء المسلمين شجعوا العلماء والمترجمين في تقدمهم في مجال العلوم المختلفة حيث أن الخليفة هارون رشيد أسس «بيت الحكمة» على سبيل ترجمة الكتب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية والخليفة المتوكل كان يعطي للمترجمين وزن ما ترجموه ذهبا جزاء لأعمالهم. ولذا نرى في تلك العهود ظهور العلماء المسلمين البارزين الذين وضعوا حجرا أساسا للعلوم الحديثة، والعالم ابن الهيثم الذي تم وصفه «العالم الأول» يعتبر رائد الفيزياء التجريبية، وكتابه «كتاب البصريات» من أول كتب وضعت في هذا الموضوع. وهذا هو أول كتاب أثبت تجريبيا أن الرؤية تتم بسبب أشعة

٢ سورة العلق: ١

٣ سورة الزمر: ٩

٤ سورة طه: ١١٤

٥ رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة

٦ أخرجه الترمدي وغيره، وصححه الألباني

الضوء التي تدخل العين. وكتاب ابن سينا «القانون» يعد أول كتاب في علم الطب. وهكذا كثير من العلماء المسلمين نبغوا في تلك العصور وقدموا مساهماتهم في العلوم المختلفة.

ولكن من الأسف أن العالم الإسلامي نسي هذا الاهتمام العظيم للعلوم المختلفة بعد تلك الأيام المذكورة، ولم يعط لها عناية كافية، بل أخرجوها من النطاق الديني. ولذا انحط المسلمون في تلك العلوم وضاعت خزانتهم فيها. ولذا لم يمكن للعالم الاسلامي أن يتقدم إلى الأمام في حين تقدمت الدول الغربية في العلوم الحديثة والتي أدت إلى انهيار الأمة المسلمة أمام التيارات الغربية وعدم تمكنهم لمواجهة التحديات من قبل الأجنبيين. وتلك الحالة الرديئة فتحت أمام الغربيين أبواب الدول الإسلامية وسهّلت لهم فرصا ذهبية للاحتلال، وبالتالي ضعفت الثقافة الإسلامية في تلك الأراضي المحتلة. وتسببت تلك الاحتلالات وإتيان الثقافة الغربية لنشر المذاهب الجديدة الخطيرة التي أدت إلى الكفر مثل الإلحادية والمادية والعلمانية في تلك الأراضي. وعجز العلماء المسلمين عن حفظ إيمان المسلمين وعن دفعهم من التجاذب إليها كتجاذب الفرش إلى المصباح.

وفي هذه المرحلة السيئة ظهر مصلح الدين ومرشد الأمة الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٦- ١٩٦٠) الذي تعمق في كلي العلوم الدينية والعلوم الحديثة. وقد أدرك النورسي ضعفالمدارس الحكومية والدينية ورأىحاجة ماسةللمنهج التدريسي ممزوجابين العلوم الدينية والعلوم الكونية الحديثة على أساس القرآن والإيمان. ولهذا الغرض سافر النورسي إلى استنبول للقاء السلطان وقدم مشروعا عظيما أمامه لإنشاء جامعة تسمى مدرسة الزهراء. «إذ كان يرى أن المدارس الحكومية الاعتيادية تدرس القوانين العلمية دون التأكيد على أنها نوامس إلهية، وإن المدارس الدينية تدرّس العلوم الدينية دون الإشارة إلى العلوم الحديثة. لذا فالإصلاح يبدأ من قيام المدارس الحكومية بتدريس الدين بجانب العلم لكي لا ينحرف الطلاب إلى الشك وإلى الإلحاد، وقيام المدارس الدينية بتدريس العلوم الحديثة لكي لا ينحرف طلابها إلى التعصب

أو إلى ضيق الأفق، لذا أصبح إنشاء جامعة إسلامية تجمع بين تدريس الدين وتدريس العلوم الحديثة مطمحه وأمله، وكان يريد إنشاء هذه الجامعة في شرقي الأناضول في «وان» أو في «ديار بكر» باسم «مدرسة الزهراء» لتكون شقيقة للجامع الأزهر في مصر»[٧]. فقد استقبل السلطان عبد الحميد هذه الخطة وسمح لإنشاء مدرسة الزهراء في شرقي أناضول، وقد وعد للنورسي بتوفير كل ما يحتاج إليه في تنفيذها. ولكن عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى تقلبت السياسة العالمية وبالتالي سياسة تركيا، ولم يمكن للسلطان أن يساعد النورسي في إنشاءها في أحسن صورة. ولذا لم يحقق أمل النورسي كما أراد.

أهمية مدرسة الزهراء في ذلك الوضع

القرآن والسنة مصدران مهمان للإسلام، بهما تقدمت الأمم المسلمة في القرون القديمة وبتركهما سقطت إلى مزاريب الأرض. لما تمسكت المجتمعات الإسلامية هذين المصدرين كل تمسك انفتحت لهم أبواب الكون وأسرارها، ولكن لما أهملت عنهما والتجأت إلى التقاليد والاتباع العمي أغلقت الأبواب وأخرجت من أراضيهم. وازدهار الأمة المسلمة في مجال العلوم الفلكية والرياضية والطبية وغيرها حدث بسبب اتباعهم أوامر هذين المصدرين. ولم يوجد عامل دفع المسلمين إلى الفتوحات الجديدة إلا هذا الاندفاع الديني في نفوسهم. ولكن المرحلة التي أتى فيه النورسي كانت مرحلة قلق واضطراب ومرحلة جهل وجمود في العالم الإسلامي ولا سيما في تركيا حيث اشتد فيه التعصب بين الأكراد والأتراك وضعفت فيها المدارس الحكومية والمدارس الدينية. ومع ذلك وصلت الخلافة العثمانية إلى آخر أنفاسها، وشاعت النظريات الجديدة الخطرة بين الأمة المسلمة وخاصة بين شبانهم، والثقافة الأجنبية وزعت في نفوس المسلمين بذور الكفر والإلحاد، والفلسفة الغربية كانت تجتهد لأن تثبت بأن الإسلام والعلوم الحديثة متعاكسين لا يمكن

٧ سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، أورخان محمد علي، ص٢٠

مزجهما، وتجذّب شبان الأمة المسلمة إلى هذه الدعوة ويعانقون العلوم الحديثة بترك القرآن، والعلماء المسلمون صاروا عاجزين عن دفعهم.

فهنا تأتي أهمية مدرسة الزهراء في ذلك الوضع المذكور لأن تنشر نور القرآن في العالم، ولأن تجمع الأمة المسلمة في صف واحد تحت ظل القرآن، ولأن تصيغ مجتمعا قادراعلى مواجهة التيارات الأجنبية وتحدياتهم، ولأن تثبت بالأدلة والبراهين بأن الإسلام والعلوم الحديثة ليسا متعاكسين. وقد كان من المستحيل أن يجيب للدعوات الباطلة والتحديات الحادة نحو القرآن والإسلام من قبل الغربيين الذين أتقنوا في العلوم الكونية المختلفة إلا بمعرفة عميقة وبحر واسع في نفس العلوم. فقد أدرك الشيخ النورسي هذا الأمر، ورأى حاجة لتربية أمة تتبحر في العلوم الحديثة معإيمان ثابت ومعرفة بوجود اللّٰه وبالقرآن، وقد قال: «بأن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلي الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية»[٨]. ولهذا الغرض بدل جهده لإنشاء مدرسة الزهراء.

الأسباب التي دفعت النورسي إلى إنشاء مدرسة الزهراء

١. التحديات الغربية على القرآن

أثناء إقامة سعيد النورسي في «وان» أخبره أحد أصدقائه قول غلادستون الوزير البريطاني عن القرآن وعن إجلاءه من نفوس المسلمين إذ قال:» ما دام القرآن في يد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فإما أن نأخذه من يد المسلمين أو نقطع صلته بهم»[٩]. فقد أثر هذا القول في النورسي وعزم على رد هذه التحدية، وقال:» لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها»[١٠]، وقد قوى هذا الخبر من عزمه على إنشاء مدرسة

٨ كليات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة أحسان قاسم الصالحي، ص٤٠٢

٩ السيرة الذتية، ص:١٠٥

١٠ المصدر السابق، ص:١٠٦

الزهراء التي يستطيع بواسطتها تحقيق هذا العهد[١١].

٢. حاجة الاتحاد والإصلاح في الأقاليم الشرقية

رغم أن النورسي من الأكراد وصاح صوته لحقوقهم لم يكن متعصبا كعامة الناس الأكراد. ووجود الاختلافات في تركيا بين الأتراك والأكراد في تلك المرحلة أدى إلى وهن قوة المسلمين وعدم تمكنهم لدفاعة الهجومات الغربية على دينهم. فقد رأى النورسي إن الاتحاد والترقي في تركيا غير ممكن بدون ارتفاع المسلمين في مجال التعليم وإزالة الشبهاتتابعة له. وقد قال: «نطلب تأسيس (مدرسة الزهراء) شقيقة الجامع الأزهر- التي تتضمن الجامعة. نطلب تأسيسها في «بتليس» مع رفيقتها في كل من «وان» و«دياربكر» جناحي بتليس، اطمئنوا أننا نحن الأكراد- لسنا كالآخرين – فنحن نعلم يقينا أن حياتنا الاجتماعية تنشأ من حياة الأتراك وسعادتهم»[١٢]

ضرورية أمة تفوق بالإيمان وتتقن في كلي العلوم الدينية والعلوم الحديثة

هذا من أهم الأسباب لإنشاء مدرسة الزهراء، لأن العلوم الحديثة ازدهرت في ذلك الوقت وارتفعت إلى آفاق الكون. وعلى سبيل ذلك تطورت الفلاسفة الأوروبية وتكونت نظريات مختلفة في أوروبا وانتشرت إلى الأراضي الإسلامية. وهذه النظريات صارت سيفا على رؤوس المسلمين حيث كثير منهم تجاذبوا إليها وتركوا دينهم الإلهي. وما استطاع للعلماء المسلمين الأميين في العلوم الحديثة أن يعالجوا تلك التحديات على الإسلام والقرآن من قبل الغرب والعلماء الغربيين. فقد رأى النورسي حاجة ماسة إلى إنشاء جامعة تمارس العلوم الدينية والعلوم الحديثة على أساس القرآن ومعرفة الخالق. وقوله - «أن الإسلام لو تجسّم لكان قصرا مشيدا نورانيا ينوّر الأرض ويبهجها، فأحد منازله»مدرسة حديثة» وإحدى حجراته «مدرسة دينية»، وإحدى زواياه «تكية»، ورواقه مجمع الكل، ومجلس الشورى، يكمل البعض نقص الآخر.... وكما أن

١١ سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، أورخان محمد علي، ص٢١

١٢ كليات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة أحسان قاسم الصالحي، ص ٤٠١

المرآة تمثل صورة الشمس وتعكسها فهذه المدرسة الزهراء ستعكس وتمثل أيضا صورة ذلك القصر الإلهي الفخم في البلدان الخارجية-[١٣] يثبت هذا الأمر.

توجد أسباب أخرى أدت النورسي إلى إنشاء مدرسة الزهراء مثل وهن المدارس الدينية في مستوى التعليم، وقلة اعتبار الخلافة العثمانية بأمور الأكراد ولا سيما لتعليمهم وغيرهما، لكن لا ينبغي أن نذكر جميعها في هذا البحث حيث أنها ليست من الأسباب الرئيسة.

منهج النورسي في مدرسة الزهراء

يشير النورسي إلى منهجه لمدرسة الزهراء في مقدمة كتابه «المناظرات»ويقول: «ثم إن زبدة هذه الرسالة (المناظرات) وروحها وأساسها، هي مافي خاتمها من حقيقة إقامة «مدرسة الزهراء»، وما هي إلا المهد الذي سيشهد ظهور «رسائل النور» في المستقبل»[١٤]. يعني أن المنهج الذي اختاره النورسي لهذه المدرسة هو عمله الهام المعروف برسائل النور الذي ألفه لإصلاح الأمة المسلمة في كافة الأرض بتعليم القرآن وتقوية الإيمان بالله مع فهم دقيق عن العلوم الحديثة حسب ما يطلب منه الزمان. فرسائل النور هو تفسيره للقرآن الكريم حيث أنه فسر الآيات بأحسن صورة يناسب لتلك الأوقات وتشجع إلى كسب العلوم الحديثة، فمثلا في تفسير آية «ولسليمن الريح غدوّها شهر ورواحها شهر»[١٥] شرح: «فهذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سليمان عليه السلام. وهي تسخير الريح له، أي إنه قد قطع في الهواء ما يقطع في شهرين في يوم واحد. فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء. فيا أيها الإنسان! حاول أن تبلغ هذه المرحلة»[١٦]. وكان هذا منهجه في كتابة رسائل النور ممتزجا بالعلوم الحديثة وتشجيعا إلى كسبها.

---

١٣ المصدر السابق، ص٤٠٤

١٤ كليات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة أحسان قاسم الصالحي، ص ٣٦٠

١٥ سورة سبأ: ١٢

١٦ كلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص ٢٨١

وكذلك حينما كان النورسي في «وان» صوّر منهجا في تدريس الطلاب هناك، وذكر عنه «خلال فترة بقائه في «وان» وضع طريقة خاصة به في التدريس تختلف عن الطرق المتبعة آنذاك في المدارس الدينية، استخلصها من العلوم الحديثة التي استوعبها ومن ممارسته تدريس الطلاب، ومن أساليب الدراسة في المنطقة عامة آخذا بنظر الاعتبار متطلبات العصر الحاضر وحاجاته الملحة. وترتكز طريقته هذه إلى إعطاء الحقائق الدينية (ممتزجة بالعلوم الحديثة) بأسلوب قريب لمدارك أبناء هذا العصر وإثباتها بأوضح أسلوب عرضها بما يلائم تفكيرهم»[١٧].

قد وضع النورسيبعض الشروط في منهج المدرسة/ ومنها:

١) التسمية بالمدرسة، لأنه مألوف ومأنوس وجذّاب، ومع كونه عنوانا اعتباريا إلا أنه يتضمن حقيقة عظيمة مما يهيج الأشواق وينبّه الرغبات.
٢) مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية مع جعل اللغة العربية واجبة، والكردية جائزة، والتركية لازمة.
٣) انتخاب المدرسين فيها، إما من الأكراد من الموثقين والمثقفين أو ممن يعرفون اللغة المحلية ليستأنس بهم.[١٨]

رغم أن النورسي أراد إنشاء هذه المدرسة على طراز الجامع الأزهر الشريف الذي حمل لواء الإصلاحات في العالم الإسلامي، أنه أهتم بامتزاج العلوم الكونية مع العلوم الدينية خلافا من منهج الجامع الأزهر. لأن في رأيه لا يقدر الطلاب المسلمون لإعادة التراث الإسلامي في التعليم والعلوم إلا بإدخال العلوم الكونية في المنهج. ولذا أراد تنفيذ هذا المنهج في مدرسة الزهراء.

طلاب النور

في نظر الإسلام أن التعليم وسيلة لتربية فرد يفيد للعالم كما يفيد لنفسه، ولذا يهتم لتربيته الروحية والمادية. أما الفلاسفة الغربية تهتم بغاية التعليم

١٧ السيرة الذاتية، ص ١٠١-١٠٢

١٨ للمزيد انظر كليات، بديع الزمان سعيد النورسي

المادية فقط، ولا يلم بتربيته الروحية. فخطة سعيد النورسي بإنشاء مدرسة الزهراء وكتابة رسائل النور تقصد هذه الغاية الإسلامية التي تهتم بتربية الأفراد روحية ومادية لأن يحملوا لواء الإسلام أمام التايارات الغربية ولأن يتمكنوا لحل مشاكل العالم. فقد نجح النورسي في تنفيذ هذه الخطة إذ أنها أثمرت أشخاصا مثاليين للعالم، والذين يعرفون بطلاب النور. ولهم مكان مرموق في إحياء التراث الإسلامي في تركيا وفي الولايات الشرقية، ودورهم فعال في تجديد التعليم والمؤسسات التعليمية في تركيا مع أن لهم أثر كبير في سياستها أيضا.

يقومون هؤلاء الطلبة أعامالا هامة في تركيا وفي أنحاء العالم كله في مجال التعليم والنشر والصحافة والتبرعات وما إلى ذلك. فحركة الخدمة التي يرأسها الشيخ فتح اللّٰه غولان حركة تقوم بالأعمال التعليمة في أنحاء العالم. ولها مدارس وجامعات تدرس العلوم الدينية والعلوم الحديثة وتجهّز التلاميذ لاستعمال قلوبهم على أساس القرآن في حوالي ١٣٠ دولا[١٩]. وأعمال هذه الحركة ترتكز على علاج ثلاث نقطات وصفها النورسي كأعداء للبشرية، وهي: الجهل والفقر والتفرق. وكذلك كان لهم أثر كبير في نجاح حزب العدالة والتطور على رئاسة رجب طيب أردوغان وإعادة التراث الإسلامي إلى تركيا في العصر الحديث. وتوجد حركات أخرى تقوم بنفس الأعمال متأثرة من تعاليم النورسي، لكن لا يمكن أن يذكر هنا الجميع بسبب أنها تحتاج إلى دراسة مستقلة.

أهم المراجع العربية

- الجامع للترمدي للإمام حافظ أبي عيسى محمد بن عيسى، مطبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط: أولى ١٩٩٩م
- السيرة الذاتية للإمام بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل القاهرة، ط: الأولى، سنة الطباعة غير مذكورة
- سعيد النورس رجل القدر في حياة أمة، أورخان محمد علي، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط: الأولى، سنة ١٩٩٩م

19 Sabina Dreher® p258

- الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الناشر: شركة سوزلر للنشر، ط: السادسة، سنة: ٢٠١١م
- الكليات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الناشر: شركة سوزلر للنشر، ط: السادسة، سنة: ٢٠١١م
- المناظرات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الناشر: شركة سوزلر للنشر، ط: السادسة، سنة: ٢٠١١م

English References

- Al hudawi, Sayyid Muhammad Muhsin, Building of Paradise civilization: Relevance of Said Nursi's approach of Integration, The Muslim World League Journal, vol. 48, June 2014
- Dreher, Sabin, What is the Hizmet Movement? Contending approaches to the Analysis of Religious Activists in world Politics, www.brill.com/soi
- Paramboor, Jafer (2014), An Understanding of Nursi's Contribution Towards a World view-Bound education for Muslim World, Asian Journal of Multidisciplinary Studies, Vol.2, Issue.7,2014

أهمية منهج رسائل النور في التبليغ في العالم المعاصر

عبد الرزاق ب. م
الباحث في قسم اللغة العربية، جامعة كيرلا

إن أعظم ميزة يتميز بها الشيخ سعيد النورسي في حياته أنه ضحى حياته كلها للتبليغ الإسلامي. ولم يكن له همٌّ سوى هذا الدين وتبليغِ مبادئه إلى كافة البشر. قد قام بكتابة رسائل النور تحقيقا لهذا الأمل المنشود. من أهم ما يجدر بالذكر في صدد التبليغ أنه لم يقبل أي أجر ولم يرجه مقابل هذا العمل. ولم تكن عوائق الدنيا تمنعه من التبليغ. رأى هدف حياته تبليغ القرءان مع إظهار أحقيته أمام العالم.

مشيرا إلى أهمية هذا الأمر يحرض الشيخ اتباعه الخلص مواصلة سيرهم في التبليغ في خضم المكائد من اعداء الإسلام الكاسرين داخله وخارجه. يقول الشيخ في كتابه الشعاعات من كليات رسائل النور «وما دمنا نعمل من اجْلِ حقيقة هي من أهم الحقائق واجلّها' واشدِها ثبوتا ورسوخا ' ولايمكن تقييمها او تقديرها باي قيمة مادية مهما كانت ' ويهون بذل النفس والروح والصديق والحبيب' بل الدنيا بأَسْرها في سبيل تحققها ' فلا بد اذن من ان نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الويلات والمحن التي قد تنزل بنا' وان نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء « (الشعاعات من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي ص٣٥١)

ولأهمية التبليغ لديه نراه صامدا في وجوه اهل السلطة والسياسة ويبلِّغ ما علي عاتكه من المسؤلية. انظر مثلا إلى ما فعل الشيخ رحمه اللّٰه بعد ما علم ان معظم النواب في برلمان التركيا لا يؤدون الصلاة فكتب إلهم بكل جرأَة مستهلا بقوله

«يا أيها المبعوثون.. انكم لمبعوثون ليوم عظيم». نتيجة من هذا البيان الذي وزع بين النواب اَنّ ما يقارب ستين نائبا من النواب قد استقاموا على التدين وأقاموا الصلاة (مؤلف رسائل النور ومؤسس جماعة النور بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره تإلف: إحسان قاسم الصالحي)

وقد كان لديه جميع قابليات المبلغ الحقّ من التواضع والصبر والايمان الراسخ والشجاعة والعلم والحكمة ومع هذا انه لم يُزَكِّ نفسه بل يعض نفسه دائما. نرى في الكلمات من كليات رسائل النور الشيخ يقول «يا نفسي المرائية ! لا تغتري قائلة «انني خدمت الدين». فان الحديث الشريف صريح ب»ان اللّٰه ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»(البخاري). فعليكِ ان تعُدِّي نفسكِ ذلك الرجل الفاجر ، لانكِ غيرمزكاة ، واعلمي ان خدمتكِ للدين وعباداتكِ ماهي الا شكر ما انعم اللّٰه عليكِ، وهي أداء لوظيفة الفطرة وفريضة الخلق ونتيجةُ الصنعة الاهية. اعلمي هذا وانقذي نفسكِ من العُجب والرياء. (الكلمات من كليات رسائل النور (المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي ص٥٤٦)

منهج رسائل النور في التبليغ

والذي يقوم به رسائل النور في لبه وقشره هوالتبليغ. انها ترى امامها انواع الناس المختلفة المسلمين وغير المسلمين والالحاديين هكذا. فيوجه إلهم التبليغ حسبما يليق بحالهم. انظرإلى منهجها في ارساء أُسسِ الإسلام الابتدائية وهو منهج يوافق الحكم البالغة بما يليق العقل والطبيعة ومستوى المخاطَب. ويستخدم استراتجية سؤال وجواب، والمبادئ السيكلوجية في الخطاب. ويستخدم الاستفهام للاستغراب والتهكم والتعجب.

يقول الشيخ للذين لا يؤمنون وجود اللّٰه من الزنادقة والملحدين في كتابه الكلمات من كليات رسائل النور» تعال معي يا صاحبي لنتامل ما حولنا من اشياء وامور. الا تري ان يدا خفية تعمل من وراء الامور جميعِها ؟ اولا ترى ان ما لا قوة له اصلا ولايقوى على حمل نفسه، يحمل الاف الارطال من الحمل الثقيل ؟(البذور والنوي التي تحمل اشجارا ضخمة) اولا تشاهد ان ما لا اِدراكَ

له ولا شعور يقوم باعمال في غاية الحكمة ؟ (سيقان العنب مثلا التي تمد يدها اللطيفة وتعانق الاشجار الاخرى ، لضعفها عن حمل عناقيدها الغنية.) فهذه الاشياء اذن لاتعمل مستقلة بنفسها ، بل لا بد ان مولي عليها ، وصانعا قديرا يديرها من وراء الحجب. اذ لو كانت مستقلة بذاتها وامرها بيدها ، للزم ان يكون كل شيء هنا صاحب معجزة خارقة. وما هذه الا سفسفسة لامعني لها.» (الكلمات من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي ص ٣١٣)

انظر إلى اي درجة عقلٍ صعدت إلىها رسائل النور لتوضيح وتبليغ وجود اللّٰه في الكون امام القراء. في هذا السياق تورد اثني عشر برهانا كله يطبق عليه المنهج العقلي الطبيعي تاييدا لوجود اللّٰه تعالى وتبليغه.

ويستخدم المنطق في إظهار اعجاز القرءان وصدق النبي عليه افضل الصلاة والسلام. يقول في اشارات الاعجاز في مظان الايجاز من كليات رسائل النور « فاعلم اَنّ ﴿اِن كنتم صادقين﴾. اِحتجاج القرءان عليهم بقياس استثنائي ، استثني نقيض التالى لانتاج نقيض المقدم. تلخيصه « ان كنتم صادقين تفعلوا المعارضة وتأتوا بسورة ، لكن ما تفعلون ولن تفعلوا « فانتج « فلم تكونوا صادقين ، فكان خصمكم وهو النبي عليه السلام صادقا، فالقراءان معجز. فوجب عليكم الايمان به لتتقوا من العذاب « انظر كيف اوجز التنزيل فاَعجز. (اِشارات الاعجاز في مظان الايجاز من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي ص١٨٤)

ويستخدم استراتيجية الاستفهام للاستغراب والتهكم حتى يكون المراد متمكنا في عقولهم حيث يقول الشيخ في الكلمات من كليات رسائل النور في ايضاح قدرة اللّٰه الفاطر « نعم إنّ قدرة الفاطر الحكيم التي اظهرت ثلاثماة الفِ نوع من نماذج الحشر في احياء الارض خلال بضعة ايام ، لا بد ان يكون حشر الانسان لديها سهلا ويسيرا. اذ هل يصح ان يقال –مثلا- لمن حوله خوارق بحيث يزيل جبلا عظيما باشارة منه ، هل يستطيع ان يزيل هذه الصخرة العظيمة التي في طريقنا من هذا الوادي ؟ (الكلمات من كليات رسائل

النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي ص ٣٣٦)

ويستخدم استراتيجية سؤال وجواب لإظهار الحق حيث يقول في الكلمات من رسائل النور « انه يقول بلسان الزندقة:يا اهل التوحيد كيف تثبتون انتم وجود واحد احد قدير مطلق القدرة ؟ فلِمَ ترون انه لا يمكن قطعا ان تدخل ايدٍ اخرى مع قدرته ؟» ويأتي بعد ذلك بالجواب طولا (الكلمات من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي ص ٧٠٩)

ويستخدم العقل والتفكير في ظواهر الكون لإظهار الحق حيث يقول في صقيل الإسلام من كليات رسائل النور مثلا «فإذا قلتَ: لِمَ إذن لا يراه كل فرد بعقله؟

الجواب: لكمال ظهوره جلّ وعلا

نعم ان هناك اجراما مادية لا ترى من شدة ظهورها –كالشمس-فكيف بالصانع الجليل المنزه عن المادة! (صقيل الإسلام من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي ص ١١١)

ويستخدم الشيخ ايضا المبادئ السيكلوجية في التنبيه علي مسائلها على قيد البحث. انظر مثلا إلى ما يستهل به الشيخ المسائل في وجه التلطف والاشفاق على المخاطبين لتكوين جوا مناسبا للنقاش والنِظار كما نعبره rapport creation في علم النفس. يخاطب القراء « يا صاحبي ' يا مثيل نفسي الامّارة بالسوء ' ايها الغافل ' ايها الاخ العنيد.... هلم جرا»حسبما يليق المخاطبين ومسائلَ البحث و مراتبَ نقاشها.

منهج التبليغ الموجه إلى المسلمين

فلما كان الجو الاجتماعي السائد منذ نشأة الشيخ سعيد النورسي في تركيا خاصة والعالم الإسلامي عامة علي شفا حفرة من الانهيار والسقوط بالنسبة للامة الإسلامية ' ركّز على تنبيه المؤمنين على المبادئ الإسلامية والحماس الديني حتى لا يبقى الإسلام فقط في اسمه بل في كل معانيه وقيمه. فنعبرَ خسارة الإسلام خسارة العالم والانسانية ونجاحه نجاح العالم والانسانية كما

يشير إلـه الشيخ الهندي العلامة ابو الحسن علي الندوي في كتابه «ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».

نرى اذا اخذنا الخطبة الشامية على سبيل المثال في كتابه صقيل الإسلام من كليات رسائل النور. فمنهجه فيها انه يشخص امراض الامة الإسلامية اولا ثم يشرح حلولها. يقول الشيخ رحمه اللّٰه «لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية ، وعلمت في هذا الزمان والمكان ان هناك ستةَ امراض جعلتنا نقف على اعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الاجانب- وخاصة الاوربيين – نحو المستقبل. وتلك الأمراض هي:

اولا: حياة إلياس الذي يجد فينا اسبابه وبعثه

ثانيا: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية

ثالثا:حب العداوة

رابعا: الجهل بالروابط النورانية التي تربط بالمؤمنين بعضهم ببعض

خامسا:سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدِّية المتنوعة

سادسا: حصر المنفعة الشخصية

ولمعالجة هذه الأمراض الستة الفتاكة ابين ما اكتسبته من فيض صيدلية القرءان الحكيم –الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الاجتماعية – ابينها بست كلمات، اذ لا اعرف اسلوبا للمعالجة سواها.

الكلمة الاولي:الامل اي شدة الاعتماد على الرحمة الاهية والثقة بها

الكلمة الثانية:إلـأس داء قاتلٌ.

الكلمة الثالثة:الصدق اساس الإسلام

الكلمة الرابعة: المحبة.

الكلمة الخامسة:تضاعف السيئات والحسنات

الكلمة السادسة: الشوري (صقيل الإسلام من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي ص٤٦١-٤٨٤)

وينبه المسلمين على أهمية الاتحاد حيث يقول الشيخ سعيد النورسي في صقيل الإسلام من كليات رسائل النور « الاتحاد المحمدي الذي هو

اتحاد الإسلام' فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة اوبالفعل. وليس المراد جماعة في اسطنبول او في الاناضول « (صقيل الإسلام من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي ص، ٥٠٢، ٥٠٣)

فمنهج رسائل النور في تبليغ قيم الإسلام إلى المسلمين ينبثق من عمق فهم ووعي شامل كامل. فالشيخ رحمه اللّٰه كمهندس المجتمع يبني لَبِنة تلو الاخري ويضع واحدة فوق الاخري حتى يكون بنيان الإسلام متينا رصينا. ويسلط الضوء علي الأمراض الجذورية ويعمل لقلعها من مصدرها. ويرى مستقبلا زاخرا للاسلام حيث يؤيد دمج العلوم الدينية والمادية في منهج الدراسة الإسلامية ويرى في العلوم الحديثة مؤيدا قويا في مستقبل الإسلام.

الخاتمه

فالإسلام دين يليق لكل عصر ومكان. فالقرءان مصباحه الذي ينير الطريق امامه. فمنهج رسائل النور عصري ومناسب لتبليغ مبادئ الإسلام إلى كافة البشر في ضوء ايات القرءان. فيلجأ الشيخ إلى مختلف المناهج ليبلغ الكلام محله. فيستخدم العقليات والفلكيات وعلم النفس والمنطق والاستراتيجيات المختلفة على منوال ما يراه مناسبا للمخاطبين وتفاوت درجاتهم وخطورة المسائل حَيِّزَ البحث

المصادر والمراجع

- مؤلف رسائل النور ومؤسس جماعة النور بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره تإلف: إحسان قاسم الصالحي
- الكلمات من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي
- االشعاعات من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي
- صقيل الإسلام كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي
- اشارات الاعجاز في مظان الايجاز من كليات رسائل النور(المترجمة) لبديع الزمان سعيد النورسي

البعد التربوي في رسائل النور للنورسي

عبد العزيز التزكيني
مختبر الترجمة وتكامل المعارف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش

المقدمة

يتميز الكون بتعدد مخلوقاته وتنوعها وانسجامها وتكاملها، ما يثبت أنه من إبداع وخلق خالق عظيم متفرد، إذ نجده يُسيّره بتدبير محكم ونظام متين، فلا مجال للصدفة ولا للخطإ في نظامه وانتظامه.

وما كان لهذا التكامل الحاصل والتعايش المشاهد أن يتم لولا أن سنّ اللّه تعالى القوانين المنظمة له، والأخلاق التربوية الضامنة لحقوق كل مخلوق من مخلوقاته. وقد شهد القرن العشرين مجموعة من المحاولات الرامية إلى النيل من الإسلام والمسلمين، ما دفع العلماء إلى الدفاع عن دينهم ضد الحملات العلمانية العنيفة التي حاولت طمس معالمه. ويبقى بديع الزمان سعيد النورسي من أبرز العلماء المحدثين الذين استشعروا بالخطر الذي يتربص بالمسلمين، وممن أدركوا تمام الإدراك أهمية البعد التربوي في بناء مجتمع إسلامي صالح، يحب الفرد فيه لغيره ما يحب لنفسه، ويغلب فيه المصلحة العامة على الفردية وغيرها من القيم الإسلامية.

ويهدف هذا مقال «البعد التربوي في رسائل النور» إلى تبيان أهمية القيم التربوية في إصلاح المجتمع، ومدى إسهامها في تطوره وازدهاره، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما دوافع تأليف رسائل النور وغاياتها؟
- ما نوعية القيم التربوية التي دافع عنها النورسي؟
- ما منهج النورسي في نشر أفكاره التربوية؟

١ رسائل النور: ظروف تأليفها وغاياتها

أ) وضع الإسلام إبان عصر النورسي:

عاش بديع الزمان النورسي (١٨٧٦ه _ ١٩٦٠م) في عصر عمّه الاضطراب السياسي، والتراجع الفكري، والتفسخ الأخلاقي؛ ويرجع ذلك إلى «تمزق العالم الإسلامي إلى دويلات، سقطت معظمها تحت نيران الاستعمار الأوربي، وأصاب الخلافة العثمانية الانحلال والانهيار، والتفكك»[١]، ولعل أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف الخلافة، دخول الدولة في حروب عديدة ضد الصليبيين، وكذا قيام اليهود والنصارى بزعزعة الأمن الداخلي للبلاد بـ «بثّ الشائعات، وإثارة الفتن ونشر الأفكار الغريبة، وعمل الفساد، وتهديم الأخلاق»[٢].

وكان هدف الممارسات والمؤامرات التي أقدم عليها الخصوم هو إضعاف وحدة المسلمين بإبعادهم عن دينهم، وذلك بالحث على المنفعة الفردية بدل المنفعة الجماعية، وتشجيع الفتن والمغريات؛ أملا في تجزئة أوصال الدولة، ومن ثمة القضاء عليها.

والحق أن المؤامرات التي حاولت طمس معالم الهوية الإسلامية لم يُقدم عليها اليهود والنصارى فقط، وإنما أسهم فيها بعض المحسوبين على المسلمين من حكام وغيرهم أمثال مصطفى كمال (١٨٨١ - ١٩٣٨م) الذي تأثر بالحضارة الغربية تأثرا سلبيا؛ إذ سن مجوعة من القوانين ساعدت على «إخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة التركية، التي رفعت راية الإسلام عالية في العالم طوال ستة قرون من الزمان.. مُنع تدريس الدين في كل المدارس، وبدِّلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة وصيرت إلى الحروف اللاتينية، ومنع الأذان باللغة العربية، وكذا إقامة الصلاة، وجرت محاولات رهيبة لفرض التعبد بتلاوة الترجمة التركية للقرآن الكريم»[٣]، كما عمد إلى إلغاء الحجاب في

---

١ التصوف عند النورسي، وأثره في مواجهة تحديات العصر، محمد محمود أحمد هاشم: ٢٧

٢ التاريخ الإسلامي المعاصر، تركيا: ٦

٣ آخر الفرسان: ١٥٧

البلاد، يقول محمود شاكر: «وإن إلغاء الحجاب الذي فرضه مصطفى كمال إنما هو استهتار بالإسلام، وازدراء بالأمة وشعائرها»[٤].

ولقد كان لهذه المؤمرات وغيرها التي استهدفت الإسلام والمسلمين، التأثير البالغ والوقع القوي في تغيير ملامح حياة سعيد القديم[٥] _ الذي نهل من جل المعارف الإنسانية التراثية منها والحديثة بشكل عام، والإسلامية بوجه خاص، مثل: علوم القرآن؛ من تفسير وفقه وحديث وغيرها، ومن علوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها، بالإضافة إلى معرفته بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام _ إلى حياة سعيد آخر جديد حاول رفع راية الإسلام، والدفاع عن مقدسات المسلمين التي تآمر عليها اليهود والنصارى ومن سار على منوالهم من العرب، بحيث لم يرض عن إحقاق الحق بديلا، متخذا من القرآن سراجه ومنبع دعواه.

إن التحول الذي طرأ على شخصية النورسي كان مصدره الأساس إحساسه بأضرار البعد عن الدين الإسلامي، بحيث يرى بأن: « المصيبة التي تعد مصيبة حقّا والتي هي مضرة فعلا، هي التي تصيب الدين. فلا بد من الالتجاء إلى اللّٰه سبحانه والانطراح بين يديه والتضرع إليه دون انقطاع. أما المصائب التي لا تمس الدين فهي في حقيقة الأمر ليست بمصائب»[٦].

ويقول النورسي موضحا قيمة مشروعه التربوي النوراني: «إن ‹الكلمات› التي كُتبت لبيان أسرار القرآن هي أنجع دواء لأمراض هذا العصر وأفضل مرهم يمرر على جروحه، وأنفع نور يبدد هجمات خيول الظلام الحالك على المجتمع الإسلامي، وأصدق مرشد ودليل لأولئك الحيارى الهائمين في وديان الظلالة. (...) وإني أعتقد أن اللّٰه سبحانه وتعالى قد منح ‹الكلمات› المعروفة، التي هي لمعات معنوية من إعجاز القرآن الكريم خاصية الدواء الشافي والترياق المضاد لسموم زندقة هذه الضلالة في هذا العصر»[٧] .

٤ التاريخ الإسلامي المعاصر، تركيا: ٥٣

٥ يطلق اسم سعيد القديم على بديع الزمان سعيد النورسي قبل الشروع في تأليف رسائل النور.

٦ اللمعات: ١٦

٧ المكتوبات: ٢٨

ومجمل القول، فلقد كان للوضع المتردي للإسلام وقيمه النبيلة وأخلاقه الفاضلة، الوقع الكبير على نفسية النورسي التي اشتاقت إلى ذلك الدين الذي بيّنه القرآن الكريم، ووضحه الرسول العظيم، وقرأ عنه في مطالعاته التي قاربت كل علوم الدين، فشحذ همته وأخلص نيته للدفاع عنه، غير مبال بكيد الكائدين، وحسد الحساد، ومضايقات أصحاب المصالح، فكانت مؤلفاته بحق سراجا وهجا، ونورا وضاء، ساعدت في إحياء الدين من جديد من بعد ما حاربه اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم.

ب- غايات «رسائل النور» ودرجة تأثيرها

تطلق رسائل النور على مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي، ويرجع سبب هذه التسمية، إلى الفائدة العلمية النورانية، والتربوية الإصلاحية، التي ألفت من أجلها، وهذا ما يوضحه مؤلفها من خلال قوله: «وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين وحده، بل تسعى أيضا وبيدها إعجاز القرآن لمداواة القلب العام، وضِمادُ الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها وحُشِّدت متَراكمة منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطُّم الأسس الإسلامية... نعم إنها تسعى إلى مداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان»[٨]، ويؤكد هذا المسعى أيضا محمد محمود أحمد هاشم، بقوله: «وقد اتخذ من رسائل النور وسيلة لإنقاذ أسس الإيمان وأركانه لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهن ساطعة»[٩].

إن الفترة التي عاش فيها النورسي، كانت من بين الدوافع وراء تأليف رسائله؛ فهي مرحلة عرفت ضعف وتدهور أحوال الدولة العثمانية، سياسيا واجتماعيا وفكريا، فاندثرت بذلك القيم الإسلامية، ودخل الحكام في معاهدات الصلح

٨ الشعاعات: ٢٢٤

٩ التصوف عند النورسي وأثره في نهضة الأمة الإسلامية ومواجهة تحديات العصر: ٤٠

مع اليهود والنصارى وفق الشروط التي تخدم مصالحهم، وإن تعارضت مع الدين الإسلامي. فجاءت بذلك رسائل النورسي لتكون النور الهادي من جديد.

إلا أن هذه الرسائل قد عرفت مجموعة من المؤامرات من طرف الهيئات الحاكمة الرامية إلى التقليل من شأنها وشأن صاحبها؛ لإحساسهم بتأثيرها القوي في نفوس متلقيها بصفة عامة، وخدام النور بصفة خاصة، فقاموا بسجنه وتشديد الخناق عليه، بيد أن ذلك لم يزده سوى عزيمة قوية من أجل مواصلة التأليف والإبداع، فكثر أتباعه ومناصروه، وقد كان الغرض من تلك المضايقات « استصغار قضية رسائل النور، ولكن على كل حال قد علموا أنها قضية عظيمة جدا، وأن جلبها للأنظار يفتح السبيل إلى فتوحات باهرة جديدة للرسائل»[١٠].

وكان بديع الزمان النورسي أول مؤمن بالقيمة الإيمانية التربوية، والدعوية الإصلاحية لرسائله، إذ يقول: « فلله الحمد والمنة إن موازن رسائل النور قد بينت ثمرات الدين الإسلامي وحقائق القرآن، ونتائجهما بيانا شافيا. بفيض الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم. بحيث لو فهمها حتى من لا دين له لا يمكن أن يكون غير موال لها»[١١].

إن إيمان النورسي بالفائدة التربوية لـ «رسائل النور» نابع من إدراكه بأنها عبارة عن فيوض رحمانية ألهمه اللّٰه إياها بغية مداواة المشاكل الدينية، والجروح الروحية التي أصابت المجتمع الإسلامي في عصره، ولذلك نجده يشير إلى بعض دلائل إعجاز القرآن الكريم، وبعض الفضائل الأخلاقية السامية التي تظهر عظمة الخالق وحسن صنعه، لإيمانه أن «الوصول إلى اللّٰه سبحانه وتعالى طرائق كثيرة، وسبل عديدة. ومورد جميع الطرائق الحقّة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم»[١٢].

لقد ظل القرآن مصدر كل الفضائل، فهو المربي والمعلم الأول، لأنه «يربي

---

١٠ الشعاعات: ٣٨٢

١١ المكتوبات: ٤٢

١٢ المكتوبات: ٥٩٥

الناس ويزكي نفوسهم، ويصفي قلوبهم، ويمنح الأرواح انكشافا ورقيا، والعقول استقامة ونورا، والحياة حياة وسعادة. فلا شك أنه لا نظير لمثل هذا الكتاب ولا شبيه له ولا مثيل»[١٣]، ومما لا شك فيه أن «رسائل النور» ما كان لها أن تقابل بهذا القبول الكبير من قبل متلقيها لولا دفاعها الإيمان الذي أمر به الحق سبحانه وتعالى، لأن حكم القرآن لا تقارن بأي حكم أخرى، فهي «تقبل «الحق» نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلا من «القوة».. وتجعل «رضى اللّٰه سبحانه» ونيل الفضائل هو الغاية، بدلا من «المنفعة».. وتتخذ دستور «التعاون» أساسا في الحياة، بدلا من دستور «الصراع».. وتلتزم برابطة «الدين» والصف والوطن لربط فئات الجماعات بدلا من العنصرية والقومية السلبية.. وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور، وإشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية»[١٤].

إن المطلع على «رسائل النور» يقف على سعة اطلاع مؤلفها، وحسن نسج تأليفها، ووحدة هدفها المتمثل في محاولة الدفاع عن الدين الإسلامي السمح، لذلك ألفينا بديع الزمان يحث على القيم التربوية والإصلاحية التي جاء بها القرآن الكريم، وعمل بها الرسول الأمين.

لقد حققت «رسائل النور» المبتغى منها، إذ أثرت في متلقيها تأثيرا بالغا؛ فكثر أتباع صاحبها ومريديه، وازدادت وثيرة مضايقات خصومه له، فعاش جل عمره متنقلا بين السجون والمنافي، بيد أن ذلك لم يزده سوى إصرارا على مواصلة الدفاع عن الإسلام ومصالح المسلمين.

٢ المنهج والقيم التربوية عند النورسي

أ) المنهج التربوي لدى النورسي

تتفاضل المؤلفات من حيث حُسن نسج عباراتها، ووضوح معانيها، ودقة منهجها، لأن التفكير المنهجي الواعي يساعد المتلقي على استيعاب مضامين

١٣ ذو الفقار: ١١١، الشعاعات: ١٧٤

١٤ الشعاعات: ١٥٤

المصنفات، ويفتح آفاقا لمناقشة أفكارها ومحاولة تجاوزها أحيانا أخرى. وقد استفاد بديع الزمان سعيد النورسي من جهود الفقهاء وعلماء اللغة والأدب والبلاغة القدماء في المجال ذاته، إذ تظهر مؤلفاته المسماة «رسائل النور» بعدا منهجيا كبيرا ساعد على تبليغ أهدافه الإصلاحية.

والمتأمل في المنهج الذي اتبعه المؤلف في تناوله للتوجيه التربوي، يدرك استخدامه لأربعة مبادئ وهي: مبدأ المقارنة، ومبدأ التعليل والتفسير، والمبدأ العقلي، ومبدأ التكرار، ولتوضيح ذلك نعمد إلى شرح كل مبدإ على حدة:

- **مبدأ المقارنة**

يعد مبدأ المقارنة من أهم الآليات التي اعتمدها النورسي بغية تقريب مشروعه التربوي التنويري إلى أذهان متلقيه، ويبقى هذا الأسلوب من الأساليب التي احتفى بها الخطاب القرآني، إذ يقارن في الأغلب الأعم بين جزاء أهل الجنان وجزاء أهل النار، وكذا بين أعمال الخير وأعمال الشر وغيرهما، كما استخدم في الحديث النبوي الشريف، وكلام الفقهاء وعلماء العربية، يقول بديع الزمان مقارنا بين الشخص الذي يتعلق قلبه بالدنيا والشخص الذي يتعلق قلبه بالآخرة: «فالذي ينسى نفسه ويغفل عنها، ولم يفكر بزوال حياته، وحَسِب دنياه الخاصة الفانية ثابتة كالدنيا العمومية، ناسيا زوال الحياة، عادّا نفسه خالدا فيها فسكن إليها وتمسك بها بجميع حواسه ومشاعره يعرق فيها وينتهي أمره. فتكون تلك المحبة وبالا عليه... أما الشخص الذي نجا من شباك الغفلة، فإنه يجد بلسما شافيا إزاء شدة ألم الشقة تلك، إذ يشاهد في موت ذوي الحياة وفي زوال من يتألم لأوضاعهم، بقاء مرايا أرواحهم التي تمثل تجليات دائمة لأسماء دائمة لذات جميلة باقية خالدة»[١٥].

ونضيف نموذجا آخر من بين نماذج عديدة، يورد فيه المؤلف مقارنة بين تربية الفلسفة وتربية القرآن للأفراد، إذ يقول: «فالتلميذ المخلص للفلسفة ‹فرعون› ولكنه ذليل، إذ يعبد أخس شيء لأجل منفعته، ويتخذ كل ما ينفعه ربا له.(...)

١٥ المكتوبات: ١٤

ثم إن ذلك التلميذ «نفعي ومصلحي» لا يرى إلا ذاته. فغاية همته تلبية رغبات النفس والبطن والفرج، وهو «دسّاس مكّار» يتحرى عن مصالحه الشخصية ضمن مصالح الأمة.

بينما تلميذ القرآن المخلص هو «عبد» ولكنه عبد عزيز لا يستذل لشيء حتى لأعظم مخلوق، ولا يرضى حتى بالجنّة، تلك النعمة العظمى غاية لعبودية الله.

ثم أنه تلميذ ‹متواضع، ليّن هيّن› ولكنه لا يتذلل بإرادته لغير فاطره الجليل ولغير أمره وإذنه.

ثم أنه ‹فقير وضعيف› موقن بفقره وضعفه، ولكنه مستغن عن كل شيء بما ادخره له مالكُه الكريم من خزائن لا تنفذ في الآخرة»[١٦].

ومما لا شك فيه، أن النموذجين المقترحين يظهران أهمية هذا المبدأ في الإبانة عن الهدف الذي يرمي النورسي تبليغه إلى قرائه، (المتمثل في الدعوة إلى التعلق بكل ما يساعد على الفوز بالحياة الآخرة الباقية) كما ينبه إلى ضرورة التعلق بالقرآن الكريم لأنه خير مرب ومعلم للخلق.

- **مبدأ التفسير والتعليل**

إن دفاع النورسي عن مشروعه الإيماني والنهضوي حتم عليه استخدام سلم حجاجي قوي ومتين، هدفه التأثير في المتلقي، لذلك اتخذ من مبدإ التفسير والتعليل خير آلية ناجحة وفاعلة من أجل تمرير أهدافه وطموحاته. ويعتمد هذا المبدأ على شرح الأفكار وتبسيطها، بالاعتماد على التسلسل المنطقي بشكل يقرِّبها إلى الأذهان.

ومن النماذج التي أوردها صاحب «رسائل النور» لمبدإ التفسير والتعليل، قوله في مؤلف ‹اللمعات› مفسرا أهمية الإخلاص في الإعمال «يا إخوة الآخرة! ويا أصحابي في خدمة القرآن! اعلموا _ وأنتم تعلمون _ أن الإخلاص في الأعمال ولاسيما الأخروية منها، هو أهم أساس، وأعظم قوة، وأرجى شفيع،

١٦ ذو الفقار: ١٥٣

وأثبت مرتكز، وأقصر طريق للحقيقة، وأبرّ دعاء معنوي، وأكرم وسيلة للمقاصد، وأسمى خصلة، وأصفى عبودية»[١٧].

ويضيف نموذجا آخر يعلل به أضرار الكذب والنتائج التي تَنتُج عنه، بقوله: «الكذب أساس الكفر، بل الكفر كذب ورأس الكذب، وهو الأُولى من علامات النفاق. وما الكذب إلا افتراء على القدرة الإلهية، وضد للحكمة الربانية.. وهو الذي خرّب الأخلاق العالية.. وهو الذي صيّر التشبثات العظيمة كالشبحات المنتنة.. وبه انتشر السم في الإسلام.. وبه اختلطت أحوال نوع البشر.. وهو الذي قيّد العالم الإنساني عن كمالاته، وأوقفه عن ترقياته.. وبه وقع أمثال مسيلمة الكذاب في أسفل سافلين الخسة.. وهو الحمل الثقيل على ظهر الإنسان فيوقعه عن مقصوده.. وهو الأب للرياء والأمّ للتصنع.. فلهذه الأسباب اختص بالتلعين والتهديد والنعي النازل من فوق العرش..»[١٨].

وعليه، يظهر من خلال هذين النموذجين مدى نجاعة هذا المبدأ في تبليغ الجوانب التربوية، التي أراد أن يرسخها النورسي في المجتمع الإسلامي بصفة عامة والمجتمع التركي بصفة خاصة، فالمتمعن في النموذجين سيقتنع لا محالة بأهمية الإخلاص في حياة الأفراد، وكذا إدراك أضرار وسلبيات الكذب.

- **المبدأ العقلي**

يعتبر المبدأ العقلي من أكثر الآليات استعمالا في القرآن الكريم والحديث النبوي، وفي خطابات العلماء والمفكرين للتأثير في الفئات المتلقية، ما يثبت تكامل المبدأين النقلي والعقلي في إثبات الحقيقة الإلهية الساطعة. ومن الأمثلة الموضحة لهذا المبدأ حديث النورسي على أن كمال المخلوقات وتكاملها دليل على وحدة الخالق والصانع، إذ يقول: «إذا أسندت جميع الموجودات إلى الصانع الواحد، فالموجودات كلها تسهل كالموجود الواحد ويكون كل موجود ذا قيمة عالية كالموجودات كلها من حيث الإتقان والإبداع.

---

١٧ اللمعات: ٢٤١

١٨ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ٩٧

كما أن دقائق الصنعة المتقنة الموجودة في كل موجود رغم الوفرة في الموجودات تبين هذه الحقيقة.

بينما إن لم تسند تلك الموجودات إلى الصانع الواحد بالذات فإن كل موجود عندئذ يكون ذا مشاكل بقدر مشاكل الموجودات كلِّها»[١٩]، ومن الأدلة الشاهدة كذلك على وجود هذا المبدإ في مؤلفات بديع الزمان النورسي، قوله مقرا بوجود الآخرة «فالذي يريد أن ينكر الآخرة عليه أن ينكر وجود هذا الكون أولا بجميع ما فيه من حقائق. وإلاَّ فالكائنات مع حقائقها المتأصلة فيها تكذِّبه بألوف من الألسنة، وتثبت له أنه الكذاب الأشر»[٢٠].

وإجمالا، فللمبدإ العقلي أهميته الكبير في إثبات الحقائق، نظرا لما يتميز به من قوة تأثيرية وإقناعية كبيرة، ومن ثمة فالناظر في المثالين المقترحين سيدرك تمام الإدراك وحدة الخالق وفرادته بمجرد التأمل في أسرار الكون وفي كمال وتكامل مخلوقاته، كما تجعله تلك الأسرار يؤمن بالآخرة، وبكل الحقائق التي أخبر بها الحق سبحانه.

- **مبدأ التكرار**

خص النورسي مبدأ التكرار بعناية كبيرة، ويهدف من خلال الاعتماد عليه في مؤلفاته محاولة تأكيد أهمية الجوانب التربوية والحقائق الإيمانية التي يسعى إلى ترسيخها في المجتمع الإسلامي، الذي فقد مجموعة من مبادئه ومقوماته بفعل المد العلماني الذي طال البلاد الإسلامية آنذاك.

وقد اتخذ عند النورسي شكل صورتين متباين، الأولى منهما همت تكرار نصوص بعينها، كما هو الحال في النص الذي يتحدث عن التغيير الذي أحدثه القرآن في الحياة الاجتماعية، إذ ورد بنفس الصيغة في «الشعاعات» وفي «ذو الفقار»، ويقول فيه النورسي: « إن القرآن الكريم قد بدّل الحياة الاجتماعية تبديلا هائلا نوَّر الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق، أحدث انقلابا

١٩ المكتوبات: ٣٢٢

٢٠ مجموعة عصا موسى: ٢٣٤

عظيما سواء في نفوس البشر وفي قلوبهم، أو في أرواحهم وفي عقولهم، أو في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية... فيربي الناس ويزكي نفوسهم، ويصفي قلوبهم، ويمنح الأرواح انكشافا ورقيا، والعقول استقامة ونورا، والحياة حياة وسعادة. فلا شك أنه لا نظير لمثل هذا الكتاب ولا شبيه له ولا مثيل»[٢١].

أما الصورة الثانية، فتتجلى في تكرار المضامين بصيغ مختلفة ومتباينة، وهذا الصنف أكثر حضورا في مؤلفات بديع الزمان، التي تحاول إظهار وحدانية اللّٰه تعالى، وتثبيت الحقائق الإيمانية. وللتدليل على ذلك نورد نصين يظهران العدالة الإلهية في الكون، يقول في الأول منهما: «وانظر إلى الكون أجمع، لقد ضم العدل الإلهي جميع موجوداته تحت جناح ميزانه ويديم موازنة الأجرام العلوية والسفلية، ويعطيها التناسب والتلاؤم الذي هو أساس للجمال، ويجعل كل شيء في أفضل وضع وأجمله، ويعطي كل ذي حياة حق الحياة»[٢٢]، ويقول في ثانيهما «نعم، فكما لا إسراف في شيء، فلا ظلم كذلك ظلما حقيقيا في شيء، ولا بخس في الميزان قط، بل إن التطهير والطهر الصادر من التجلي الأعظم لاسم ‹القدوس›، يعرض الموجودات بأبهى صورتها وأبدع زينتها، فلا ترى ثمة قذارة في موجود، ولا تجد قبحا أصيلا في شيء ما لم تمسُّه يد البشر الوسخة»[٢٣].

ب. القيم التربوية الإسلامية عند النورسي

كان للمحيط الأسري المثقف الذي نشأ فيه النورسي الأثر الواضح في تحديد ملامح التربية الإسلامية التي حوتها مؤلفاته، إذ كان أبوه وإخوته من كبار علماء الدين في تركيا وقتئذ، فيسروا له سبل تحصيل العلم الشرعي على يد خيرة علماء عصره في نورس وغيرها من القرى المجاورة. وقاده حبه للعلم إلى النهل من جل مؤلفات علوم الدين قراءة وحفظا، ما مكنه من التفوق على علماء عصره.

---

٢١ الشعاعات: ١٧٤، ذو الفقار: ١١١

٢٢ نفسه: ٩٠

٢٣ مجموعة عصا موسى: ٢٣٢

وعليه، فقد تضافرت هذه العوامل، وغيرها، لتجعل الدفاع عن الدين من أولى أولويات بديع الزمان النورسي، الذي كرس حياته لأجل بعث القيم الإسلامية التي حاول المد العلماني طمس هويتها، كما يقول البريطاني ‹وليم جلاديسون› «ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكما حقيقيا أبدا، فلنسع إلى نزعه منهم»[٢٤]. ومن أهم القيم التربوية التي عمد النورسي إلى إحياءها في المجتمع الإسلامي نسجل:

- التربية على قيمتي توحيد اللّٰه والإيمان به.
- التربية على قيمتي التهوين من شأن الدنيا والتعلق بالآخرة.
- التربية على قيمتي نبذ الخصال الذميمة والتمسك بالمحمودة.

ولتبين هذا الأمر، نعمد إلى التدليل وشرح كل نقطة على حدة:

- **التربية على قيمتي توحيد الله والإيمان به:**

آمن النورسي بأن إصلاح المجتمع في عصره ينطلق من إصلاح علاقة الفرد مع خالقه، ولذلك جاهد من أجل حث الأمة على ضرورة توحيد اللّٰه تعالى، لإيمانه الجازم بأن جميع مزايا الإنسان ومقاصده مرتبطة بالتوحيد، يقول المؤلف: «نعم، إن الإنسان بسر التوحيد، صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات، وهو أثمن ثمرات الكون، وألطف المخلوقات وأكملها، وأسعد ذوي الحياة ومخاطب رب العالمين، وأهل ليكون خليله ومحبوبه. حتى إن جميع المزايا الإنسانية، وجميع مقاصد الإنسان العليا مرتبطة بالتوحيد، وتتحقق بسر التوحيد فلولا التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات وأدنى الموجودات... ذلك لأن الإنسان يحمل عجزا غير مناه، وله أعداء لا نهاية لهم، وينطوي على فقر دائم لا حدود له وحاجات لا حدود لها»[٢٥]. ويؤكد هذا الكلام قوله: « بسر التوحيد يفهم: أن الكون برمته كتاب صمداني ينطوي على معاني عميقة غزيرة، إن الموجودات بأسرها مجموعة مكاتيب سبحانية في منتهى الإعجاز، وإن

٢٤ آخر الفرسان، فريد الأنصاري: ٦٤

٢٥ الشعاعات: ١٨

المخلوقات بجميع طوائفها جنود ربانية في غاية الانتظام والهيبة»[٢٦].

ومن ثمة نخلص إلى أن صاحب «رسائل النور» يميل في تبرير مواقفه وتوجيهاته على الأدلة العقلية الملموسة والمشاهدة، ما ساعد على سرعة انتشارها وذيوع صيتها، ومن نماذج ذلك، قوله: «ثم تأمل في أعضاء كائن حي من الأحياء التي لا تعد ولا تحصى، ودقق في أجهزته وفي حواسه.. ترى فيها من الانسجام التام والتناسق الكامل. والموازنة الدقيقة ما يدلُّك بداهة على الصانع الذي هو «العدل الحكيم»[٢٧].

وقد عمد النورسي في تلقين مشروعه التربوي على منهجية متقنة وأسلوب تراتبي محكم، فبعد توضيحه لأهمية توحيد الخالق شرع في الإبانة عن أسرار وفوائد الإيمان بالله تعالى، إذ أكد في غير موضع من مؤلفاته أن لذة الإيمان بالله تعالى لا تقارن بأي لذة، يقول في «الشعاعات»: «إن أصفى لذة وأنقى سعادة لحياتي هذه، إنما هو في الإيمان. أي: الإيمان الجازم بأني مخلوق من خلقني ورباني، فأنا مصنوعه وعبده وتحت رعايته ومحتاج إليه في كل حين، وهو ربي وإلهي وهو الرحيم والرؤوف بي.

فإيماني هذا لذة ما بعدها لذة، لذة كافية دائمة وسعادة خالصة نقية لا يعكرها ألم»[٢٨]، ويضيف أيضا مؤكدا أهمية الإيمان في حياة الخلق، بقوله: «فعلمت بعلم اليقين سبب كون الحياة أرقى مخلوق في الكون، وسر كون كل شيء مسخرا للحياة، وحكمة وجود شوق فطري لدى الجميع نحو الحياة، وأن روح الحياة إنما هو الإيمان»[٢٩].

إن نظرة البديع الزمان إلى الإيمان نظرة كلية لا تقبل التجزيء، ولذلك فهو «حقيقة واحدة نابعة من ستة أركان متَّحدة وموحدة لا تقبل التفريق، وهو كلّي لا يتحمل التجزئة، وهو كل لا تقبل أركانه الانقسام، ذلك لأن كل ركن من تلك

٢٦ نفسه: ١٤

٢٧ مجموعة عصا موسى: ٢٢١

٢٨ الشعاعات: ٨٤

٢٩ نفسه: ٨٤

الأركان الإيمانية _ مع حججها التي تثبته _ يثبت بقية الأركان، فيصبح كل ركن حجة قاطعة عظمى لكل من الأركان الأخرى»[٣٠].

وإجمالا، فالإيمان أساس كل الفضائل، لأنه مصدر العبادة الحقة، والأخوة الصافية، والأخلاق العالية، ولولاه لما فضل الدين الإسلامي على باقي الديانات، لأنه لا يؤمن إلا «بعقيدة واحدة، تستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع. فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد... فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة»[٣١].

- **التربية على قيمتي التهوين من شأن الدنيا والتعلق بالآخرة**

عالج بديع الزمان سعيد النورسي في مؤلفاته الأسباب المؤدية إلى سوء عاقبة الناس، وعدَّ حب الدنيا والتعلق بها، وإغفال الآخرة وعدم التفكر فيها من أعظم تلك الأسباب، لإيمانه بأن «الأسباب الداعية إلى الدنيا كثيرة، والوسائل السائقة إليها وفيرة، وفي مقدمتها ما يحمله كل إنسان من نفس أمارة بالسوء»[٣٢]، خصوصا أن الإنسان يفضل الاستمتاع باللحظة الآنية على التفكير في النجاح والفلاح المؤجل، لأن النفس الإنسانية بطبيعتها «تفضل درهما من اللذة المعجلة على رطل من اللذة الغائبة المؤجلة، وهي تتحاشى صفعةً حاضرة أكثر من تحاشيها سنة من عذاب في المستقبل. وعندما تهيج أحاسيس الإنسان لا ترضخ لموازين العقل، بل الهوى الذي يتحكم، فيرجح عندئذ لذةً حاضرة ضئيلة جدا على ثواب عظيم في العقبى، ويتجنب ضيقا

٣٠ الشعاعات: ٢٩٤ / مجموعة عصا موسى: ٦٩. ٧٠

٣١ المكتوبات: ٣٤١

٣٢ اللمعات: ١١٨

جزئيا حاضرا أكثر من تجنبه عذابا مؤجلا»[٣٣].

إن الدنيا عند صاحب «رسائل النور» لا تساوي شيئا، إذ المعول عليه هو التمسك بما أمر به الحق تعالى واجتناب نواهيه، أملا في نيل مرضاته وبلوغه جنانه. ومن ثمة، فالدنيا من منظوره «دار ضيافة، تتبدل بسرعة وتتغير على الدوام، فهي ليست دار قرار ولا موطنا حقيقيا، لذا فإن نواحيها كافة على حد سواء. فما دمت لا أظل في موطني، ولا قرار لي فيه، فإن محاولة الرجوع إليه عبث لا طائل وراءه»[٣٤]، ويردف هذا الكلام بنص آخر بين فيه أهمية التشبث بالأشياء الجوهرية الدائمة لا العارضة المؤقتة، بقوله: «إنني ما أبرئ نفسي أبدا، إنها تروم كل فساد. ولكن خسران حياة دائمة وسعادة خالدة لأجل لذة قليلة، في هذه الدنيا الفانية، في هذا المَضيف المؤقت.. ليس من شأن العقلاء ولا يليق بذوي الشعور، لذا انقادت نفسي الأمارة _ شاءت أم أبت _ للعقل ورضخت له»[٣٥].

نخلص إلى أن النورسي في مؤلفاته كان يغلب العقل على الهوى، والحكمة على البذاءة، ولذلك ألفيناه يربي الأمة الإسلامية على حب الدنيا الفانية والتمسك بالحياة الآخرة الأبدية والدائمة، وحذر من التعلق بالأولى وإغفال الثانية لما له من عواقب سلبية على حياة الأفراد.

- **التربية على قيمتي نبذ الخصال الذميمة والتمسك بالمحمودة:**

إن التعلق بالدنيا وعدم التفكير في الآخرة، يؤدي حتما إلى الوقوع في جملة من الممارسات السلبية والأخلاق الفاسدة، التي تتعارض كليا مع مبادئ الرسالات السماوية وما أقره القرآن الكريم وطبقه الرسول الأمين. ولذلك نبه النورسي إلى خطورة تفشي مجموعة من الخصال الذميمة في مجتمعه مثل الحسد والحقد والكذب والنفاق والقومية السلبية، يقول في مؤلفه

---

٣٣ نفسه: ١١٨

٣٤ المكتوبات: ٩٢

٣٥ المكتوبات: ٨٦

«المكتوبات»: «إن ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلا. وترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى. فضلا عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة»[٣٦].

وما قيل عن هذه الخصال يقال كذلك عن الكذب لأن «الكذب أساس الكفر، بل الكفر كذب ورأس الكذب، وهو الأُولى من علامات النفاق. وما الكذب إلا افتراء على القدرة الإلهية، وضد للحكمة الربانية.. وهو الذي خرّب الأخلاق العالية.. وهو الذي صيّر التشبثات العظيمة كالشبحات المنتنة.. وبه انتشر السم في الإسلام.. وبه اختلطت أحوال نوع البشر.. وهو الذي قيّد العالم الإنساني عن كمالاته، وأوقفه عن ترقياته.. وبه وقع أمثال مسيلمة الكذاب في أسفل سافلين الخسة.. وهو الحمل الثقيل على ظهر الإنسان فيوقعه عن مقصوده.. وهو الأب للرياء والأمّ للتصنع.. فلهذه الأسباب اختص بالتلعين والتهديد والنعي النازل من فوق العرش..»[٣٧].

إن هدف النورسي من تعداد الخصال الذميمة التي استفحلت في المجتمع، هو التنبيه إلى خطوراتها وأضرارها على الفرد والمجتمع قصد الإصلاح والتجاوز.

وبالمقابل أشار المؤلف إلى مجموعة من الخصال الحميدة التي يجب أن يقتضى بها بهدف النهوض بالقيم التربوية والأخلاقية التي تحدث عنها القرآن الكريم وعمل بها الرسول والصحابة الكرام، ومن أهم تلك الخصال الدعوة إلى الصدق والتعاون والمحبة، فالصدق من منظوره «هو أساس الإسلامية، وهو خاصة الإيمان، بل الإيمان صدق ورأسه.. وهو الرابط لكل الكمالات.. وهو الحياة للأخلاق العالية.. وهو العرق الرابط للأشياء بالحقيقة.. وهو تجلّي الحق في اللسان.. وهو محو ترقي الإنسان.. وهو نظام العالم الإسلامي... وهو الذي يصيّر

---

٣٦ نفسه: ٣٣٨

٣٧ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ٩٧

أخمد الناس وأفقره أعزّ من السلاطين.. وبه تفوق أصحاب النبيّ عليه الصلاة والسلام على جميع الناس.. وبه ارتفع ‹سيّدنا محمد الهاشميّ› عليه الصلاة والسلام إلى أعلى عليين مراتب البشر»[٣٨]، وبالصدق تسود المحبة الصافية والصداقة الوفية التي دعا إليها الدين الإسلامي، فلذلك «ينبغي التعامل بالمحبة والصفح فيما بينكم حسب رجحان الحسنات على السيئات كما هو في الحشر الأعظم، حيث تذهب العدالة الإلهية السيئات برجحان الحسنات»[٣٩].

وإجمالا، إن مبنى كل الفضائل الحسنة والأخلاق السامية على الإخلاص في القول والفعل، ولذلك خصه النورسي بعناية خاصة، يقول: « يا إخوة الآخرة! ويا أصحابي في خدمة القرآن! اعلموا _ وأنتم تعلمون _ أن الإخلاص في الأعمال ولا سيما الأخروية منها، هو أهم أساس، وأعظم قوة، وأرجى شفيع، وأثبت مرتكز، وأقصر طريق للحقيقة، وأبرّ دعاء معنوي، وأكرم وسيلة للمقاصد، وأسمى خصلة..»[٤٠].

خـاتـــمة

ونخلص إلى أن بديع الزمان سعيد النورسي يعد واحدا من العلماء المعاصرين الذين سخّروا حياتهم وجهودهم للدفاع عن الدين الإسلامي وأهله، وقد أسهم في ذلك تكوينه العلمي العالي وتربيته الأخلاقية الرفيعة.

وكانت «رسائل النور» سراجا وهاجا أضاءت طريق مسلمي عصره، بإحياءها لمجموعة من القيم الإسلامية _ كالحث على التعاون والتساند والتزام الصدق واجتناب الكذب وغيرها _ التي تلاشت بفعل الحملات العلمانية الممنهجة التي حاولت النيل من الإسلام والمسلمين. ولقد أسهم بناؤها المنهجي في التأثير في نفوس متلقيها، إذ احتوت على مجموعة من المبادئ المنهجية، من أهمها مبدأ المقارنة، ومبدأ التعليل والتفسير، والمبدأ العقلي، ومبدأ التكرار.

٣٨ نفسه: ٩٧

٣٩ الشعاعات: ٣٨٦

٤٠ اللمعات: ٢٤١

المصادر والمراجع

- المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٢م.
- اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة،
- الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٥م.
- عصا موسى تبدد الظلمات وتمحق سحر الماديات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار الكتب المصرية، مصر، ط٣، ٢٠٠٢م.
- ذو الفقار مجموعة رسائل المعجزات الأحمدية ورسائل الحشر: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
- مجموعة سراج النور: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- التاريخ المعاصر، تركيا: محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط٢، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م.
- آخر الفرسان مكابدات بديع الزمان سعيد النورسي: فريد الأنصاري، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٧هـ _ ٢٠٠٦م.
- الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان النورسي، شكران واحدة، ترجمة محمد فاضل، مراجعة إحسان قاسم الصالحي، د.ط ٢٠٠٧م.
- التصوف ورسائل النور، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، مركز النور للدراسات والبحث باستنبول، شركة سوزلر للنشر، ط١، ١٤٢٧هـ _ ٢٠٠٦م.

تعليم الأخلاق بالأمثال في ضوء رسائل النور لسعيد النورسي

كي.اف. جليل أحمد
أستاذ مساعد، بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية ساداكاثولا أبا، تاميلنادو

الملخص

ان هذا البحث يستهدف استخراج الأمثال التي استعملها سعيد النورسي في مواضع عديدة لبيان السلوك والأخلاق في رسالاته القيمة فانه أورد أمثالا بديعة لإيضاح الأخلاق بطرق جيدة لان الأمثال تقرب المعاني المرادة البعيدة إلى العقل وتخرج المعاني المعقولة بصورة المحسوسة ويبرز المتخيل في معرض اليقين ويجعل الغائب كأنه شاهد، وانها مؤثرة في القلوب ولذا أوردالله سبحانه وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في حديثه أمثالا كثيرة ونرى أيضا الأمثال كثيرة في الكتب الأدبية العربية قديما وحديثا وهذا البحث يخرج حسن طريقة حكاية أمثال سعيد النورسي ودقتها وعمقها في تعليم الأخلاق حتى يدل على مهارته البلاغية وذكاوته العلية وطهارة قلبه الصافي.

المقدمة

رتبت هذا البحث على مقدمة وعشر موضوعات وخاتمة: بداية اقول تعريف المثل. المثل هو قول موجز سائر صائب المعنى تشبه به حاله لاحقة بحالة سابقة وهو العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تصاغ لتصور موقف أو حادثة ولتسخلص خبرة إنسانية يمكن استعدادها في حالة أخرى مشابهة لهات ففي الأمثال ثلاث خصال إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه.

ان كلمة الأخلاق جمع خلق هي الخصال الخصال الحميدة التي جبلها اللّٰه

تعالى في الإنسان وهذا البحث يظهر بعض الأخلاق الحميدة بطريق الأمثال التي استعملها الشيخ/ سعيد النورسي ومنها المحمودة التي ينبغي للإنسان أن يتحلى بها في حياته ومنها المذمومة التي ينبغي له أن يتجنب عنها فيها ومن المحمودة القناعة وعدم الحرص والصلح والتعاون والتعارف ومن المذمومة عداء المؤمن وكفران النعمة وحب الجاه والخوف وأورد هنا هذه الخصال وآيات القرآن والأحاديث والأمثال المختصة بها كما قالها الشيخ سعيد النورسي.

الحرص والقناعة

ان الحرص من الصفات المذمومة شرعا كما روي عَنْ أَنَس قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُر١٧٣٦) صحيح مسلم(

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ) ٥٩٦٥صحيح البخاري(

أورد سعيد النورسي مثالا لذلك:- «ان النباتات والأشجار المثمرة المفتقرة إلي الرزق وهي التي تعد نوعا من الأحياء تهرع إليها أرزاقها سريعة وهي منتصبة في أماكنها متسمة بالتوكل والقناعة دون أن يبدو منها أثر للحرص بل تتفوق على الحيوانات في تكاثرها وتربية ما تولد من ثمرات».

«أما الحيوانات فلا تحصل على أرزاقها إلا بعد جهد جهيد ومشقة وبكمية زهيدة ناقصة. وذلك لأنها تلهث وراءها بحرص وتسعى في البحث عنها حثيثا حتى إننا نري في عالم الحيوان نفسه أن الأرزاق تسبغ على الصغار الذين يعبرون عن توكلهم على اللّه بلسان حالات ضعفهم وعجزهم فيرسل إليهم رزقهم المشروع اللطيف الكامل من خزينة الرحمة الإلهية، بينما لا تحصل الحيوانات المفترسة التي تنقض على فرائسها بحرص شديد إلا بعد لأي كبير وتحر عظيم. ونرى الحال في عالم الإنسان، إذ اليهود الذين هم أحرص الناس على حياة ويستحبون الحياة الدنيا على الآخرة بل يعشقونها حب العاشق الولهان حتى سبقوا الأمم في هذا المجال، قد ضربت عليهم الذلة والمهانة وألحقت بهم

حملات القتل بيد الأمم الأخرى كل ذلك مقابل جصولهم بعد عناء طويل على ثروة ربوية محرمة خبيثة لا ينفقون منها الا النزر اليسير وكان وظيفتهم كنزها وادخارها فحسب. ان الحرص سبب الحرمان أما التوكل والقناعة فهما وسيلتا الرحمة والإحسان، ان الحرص معدن الذلة والخسارة في عالم الإنسانية. (المكتوبات - النورسي ص، ٣٥١-٣٥٢)

ويمكن ان نشبه القانعين من الناس والحريصين منهم بشخصين يدخلان مضيفا كبيرا أعده شخص عظيم ذو شأن يتمنى أحدهما في أعماقه قائلا:- لو أن صاحب الديوان يأويني مجرد إيواء وأنجو من شدة البرد الذي في الخارج لكفاني وحسبي ذلك، ولو سمح لي بأي مقعد في أدنى موقع فهو فضل وكرم.

أما الآخر فيتصرف كان له حقا على الآخرين وكأنهم مضطرون أن يقدموا له الاحترام والتوقير اذا يقول في أعماقه بغرور: على صاحب الديوان أن يوفر لي أرفع مقعد وأحسنه وهكذا يدخل الديوان وهو يحمل هذا الحرص ويرمق المواقع الرفيعة في المجلس إلا أن صاحب الديوان يرده ويرجعه إلى أدنى موقع في المجلس وهو بدوره يمتعض ويستاء ويمتلي غيظا على صاحب الديوان. ففي الوقت الذي كان عليه ان يقدم الشكر الذي يستوجبه قام بخلاف ما يجب عليه وأخذ بانتقاد صاحب الديوان فاستثقله صاحب الديوان بينما رحب بالشخص الأول الذي دخل الديوان وهو يشع تواضعا يلتمس الجلوس في أدنى مقعد متوفر اذ سرته هذه القناعة البادية منه التي بعثت في نفسه الانشراح والاستحسان وأخذ يرقيه إلى أعلى مقام وأرقاه وهو بدوره يستزيد من شكره ورضاه كلما صعدت به المراتب. (المكتوبات - النورسي، ص، ٣٥٣، ٣٥٢)

يمكن أن يشعر كل شخص استياء واستثقالا في قلبه تجاه متسول يلح بحرص شديد حتى انه يرده بينما يشعر إشفاقا وعطفا تجاه متسول آخر وقف صامتا قنوعا فيتصدق عليه ما وسعه.

ومثلا تنتظر أحدهم بفارغ الصبر وأنت حريص على لقائه لأمر مهم فتشعر بالقلق قائلا لم لم يأت ما باله تأخر؟ وفي النهاية يزيح الحرص الصبر من عندك

ويضطرك إلى مغادرة الانتظار يائسا واذا بالشخص المنتظر يحضر بعد هنيهة ولكن النتيجة المرجوة قد ضاعت وتلاشت.

ومثلما يترتب وجود الخبز على أعمال تتم في المزرعة والبيدر والطاحونة والفرن فان ترتب الأشياء كذلك يقترن بحكمه التأني والتدرج ولكن الحريص بسبب حرصه لا يتأنى في حركاته ولا يراعي الدرجات والمراتب المعنوية الموجودة في ترتب الأشياء فإما أن يقفز ويطفر فيسقط أو يدع إحدى المراتب ناقصة فلا يرتقي لغايته المقصودة.(المكتوبات – النورسي ص، ٣٥٣)

عداء المؤمن لأخيه

ينبغي للمؤمن ان يتعامل مع أخيه المؤمن بودّ وشفقة مثل أخيه في الدين بدون أن يكون بينهما حسد ولا بغض بصفاء القلب كما نصح النبي ﷺ عن ذلك في الحديث.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ (أبوداود ٤٢٦٤)

مثل الشيخ سعيد نورسي لهذا بقوله «هب أنك في سفينة أو في دار ومعك تسعة أشخاص أبرياء ومجرم واحد ورأيت من يحاول إغراق السفينة أو هدم الدار عليكم فلا مراء في هذه الحالة ستصرخ بأعلى صوتك محتجا على ما يرتكبه من ظلم قبيح إذ ليس هناك قانون يسوغ إغراق سفينة برمتها تضم مجرمين طالما فيها برئ واحد». (المكتوبات – النورسي ص، ٣٤٠)

فكما أن هذا ظلم شنيع وغدر فاضح كذلك انطواؤك على عداء وحقد مع المؤمن الذي هو بناء رباني وسفينة إلهية لمجرد صفة مجرمة فيه تستاء منها او تتضرر بها مع أنه يتحلى بتسع صفات بريئة بل بعشرين منها كالإيمان والإسلام والجوار إلى آخره فهذا العداء والحقد يسوقك إلى الرغبة ضمنا في إغراق سفينة وجوده أو حرق كيانه وما هذا إلاظلم شنيع وغدر فاضح (المكتوبات – النورسي ص، ٣٤٠)

الصلح

ان الواجب على المسلم ان يكون مصلحا بين الناس لا مفسدا بينهم ولذا رخص النبي للمسملين ﷺ للكذب للصلح بين المسلمين كما روي عن أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ قَالَتْ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ فِي شَيْءٍ مِنْ الْكَذِبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ الرَّجُلُ يَقُولُ الْقَوْلَ يُرِيدُ بِهِ الْإِصْلَاحَ وَالرَّجُلِ يَقُولُ الْقَوْلَ فِي الْحَرْبِ وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا ٢٦٠١٥(مسند احمد)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى قَالَ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَيُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ (سنن الترمذي٢٤٣٣)

حكى الشيخ نورسي مثالا للصلح بين الناسي: إن أحدا قد قتل شقيق شخص آخر أو أحد أقربائه فهذا القتل الناجم من لذة فرور الانتقام التي لا تستغرق دقيقة واحدة تورثه مقاساة ملايين الدقائق من ضيق القلب وآلام السجن وفي الوقت نفسه يظل أقرباء المقتول في قلق دائم وحين الفرص لأخذ الثأر كلما فكروا بالقاتل ورأوا ذويه فتضيع منهم لذة العمر ومتعة الحياة بما يكابدون من عذاب الخوف والقلق والحقد والغضب (المكتوبات – النورسي ص، ١٦٩)

التعارف والتعاون

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات١٣)

المؤمنون كلهم سواء لا فرق بينهم ولا تمايز وكلهم من أب واحد وأم وحد فالواجب عليهم ان يقوم بالتعاون والتعارف بين الناس كما روي عن محمد

بن حبيب بن خِرَاش العَصَريّ، يحدث عن أبيه: أنه سمع رسول اللّٰه ﷺ يقول: المسلمون إخوة، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى» المعجم الكبير (٢٥/٤)

مثّل الشيخ لهذا التعاون والتعارف والتضاد بين المسلمين بمثال حسن وذلك هنا:

يقسم الجيش إلى فيالق وإلى فرق وإلى ألوية وإلى أفواج وإلى سرايا وإلى فصائل وإلى حظائر وذلك ليعرف كل جندي واجباته حسب تلك العلاقات المختلفة المتعددة وليؤدي أفراد ذلك الجيش تحت دستور التعاون وظيفة حقيقية عامة لتعاون حياتهم الاجتماعية من هجوم الأعداء وإلا فليس هذا التقسيم والتمييز إلى تلك الأصناف لجعل المنافسة بين فوجين أو إثارة الخصام بين سريتين أو وضع التضاد بين فرقتين. (المكتوبات – النورسي ص، ٤١٣)

وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامي الشبيه بالجيش العظيم فقد قسم إلى قبائل وطوائف مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة بمعنى ان الانقسام إلى طوائف وقبائل وكما تعلنه الآية ما هو الا للتعارف والتعاون لا للتذاكر والتخاصم. (المكتوبات – النورسي ص ٤١٤، ٤١٣)

كفران النعمة

ان شكر النعمة واجب على كل عبد من عباد الرحن وان كفران النعمة مذموم شرعا كما قال اللّٰه تعلى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦سورة العاديات) ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد﴾ (سورة إبراهيم ٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ (سنن أبي داود ٤١٧٧)

الإقرار بالمزايا والفضائل دون ادعاء تملكها أي إظهارها أنها آثار إنعام المنعم الحقيقي جل وعلا (المكتوبات – النورسي ص، ٤٧٧)

وهذ مثال بديع لبيان عظم كفران النعمة إذا ألبسك أحدهم بدلة فاخرة جميلة وأصبحت بها جميلا وأنيقا فقال لك الناس ما أجملك لقد رائعا بها

واجبتهم متواضعا: كلا من أنا انا لست شيئا أين الجمال منذه البدلة فان جوابك هذا كفران بالنعمة بلا شك وسوء أدب تجاه الصانع الماهر الذي ألبسك البدلة وكذلك إن قلت لهم مفتخرا نعم أنني جميل فعلا فأين مثلي في الجمال والأناقة فعندها يكون جوابك فخرا وغرورا (المكتوبات – النورسي ص، ٤٧٧)

الاستقامة بين كفران النعمة والافتخار هو القول نعم أنني أصبحت جميلا حقا ولكن الجمال لا يعود لي وإنما إلى البدلة بل الفضل يخص الذي ألبسنيها (المكتوبات – النورسي ص، ٤٧٧)

حب الجاه

ان الدنيا وحبها سبب لكل خطية وذنوب فلذا يجب على المسلم أن يتجنب عن الفواحش عامة خصوصا عن حب الجاه والمال كما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتْ الْفَاطِمَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلْ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا (٦١٣٢- صحيح البخاري)

هب أن جامع آيا صوفيا مكتظ بأهل الفضل والكمال من الطيبين الموقرين وكان في الباب أو في الأروقة صبيان وقحون وسفهاء سفلة وكان على الشبابيك سياح أجانب مغرمون باللهو واللعب. فاذا دخل أحد الجامع وانضم إلى تلك الجماعة الفاضلة وتلا آيات من الذكر الحكيم فعندئذ تتوجه أنظار ألوف من أهل العلم والفضل إليه ويكسبونه ثوابا عظيما بدعائهم له ورضاهم عنه إلا أن هذا لا يروق لاؤلئك الصبيان الوقحين والملحدين السفهاء والأجانب المعدودين.

ولكن لودخل الرجل الجامع والجماعة الفاضلة وبدأ بالغناء الماجن وشرع بالرقص والصخب فسيكون موضع إعجاب وسرور اولئك الصبيان السفهاء. ويلاطف عمله اولئك الغواة ويجلب له ابتسامات ساخرة من الأجانب الذين

يسرون برؤية نقائض المسلمين بينما تنظر إليه تلك الجماعة الغفيرة الفاضلة في الجامع نظرة تحقير وإهانة ويرونه في أدنى الدركات وفي اسفل سافلين (المكتوبات – النورسي ص، ٥٣٣)

وعلى غرار هذا فان العالم الإسلامي وقارة آسيا جامع عظيم ومن فيه من المؤمنين وأهل الحقيقة هم الجماعة الفاضلة في ذلك الجامع واولئك الصبيان الوقحون هم أولئك المتزلفون ذوو العقول الصبيانية وأما المفسدون والسفهاء فهم الملحدون المتفرنجون الذين لا يعرفون دينا ولا ملة أما الأجانب المتفرنجون فهم الصحفيون الذين ينشرون أفكار الأجانب. (المكتوبات – النورسي ص، ٥٣٥و٥٣٤)

الخوف

ان الخوف من جهة من الصفات المذمومة ومن جهة أخرى من الصفات الممدوحة الخوف من اللّٰه من هذا النوع من الصفات الممدوحة بينما ان الخوف من الأشياء والمخلوقة فهو من الصفات المذمومة كما قال اللّٰه تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات)

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ كُلَّهُنَّ فَمَنْ خَافَ ثَأْرَهُنَّ فَلَيْسَ مِنِّي ٤٥٦٩(أبوداود)

قال عمر بن عبد العزيز: «من خاف اللّٰه أخاف، اللّٰه منه كل شيء، ومن لم يخف اللّٰه خاف من كل شيء»٩٨١ شعب الايمان

أورد نورسي مثالا لهذا «شخص حيال يظهر لأحدهم ما يخافه وهو على سطح دار فيثير أوهامه ويدفعه تدريجيا إلى الوراء حتى يقربه من الحافة فيرديه على عقبه فيهلك. كذلك يثير أهل الضلالة عرق الخوف لدي الناس فيدفعونهم إلى التخلي عن أمور جسام من جرّاء مخاوف تافهة لا قيمة لها حتى يدخل بعضهم في فم الثعبان لئلا تلسعه بعوضة» (المكتوبات – النورسي ص، ٥٣٥)

جئت ذات مساء إلى جسر إستانبول وبصحبتي عالم جليل (رحمه الله) يتهيب ركوب الزورق ولكننا لم نجد وساطة نقل سوى الزورق ونحن مضطرون إلى الذهاب إلى جامع أبي أيوب الأنصاري فألمحت عليه إذ لا حيلة لنا إلا ركوبه فقال أخاف ربما نغرق قلت له كم يقدر عدد الزوارق في هذا الخليج ؟ قال ربما ألف زورق قلت كم زورقا يغرق في السنة ؟ قال زورق أو زورقان وقد لا يغرق في بعض سنين قلت كم يوما في السنة ؟ قال ثلاثمائة وستون يوما قلت ان احتمال الغرق الذي استحوذعلى ذهنك وأثار فيك الخوف هو احتمال واحد من ثلاثمائة وستين الف احتمال فالذي يخاف من هذا الاحتمال لايعد إنسانا ولا حيوانا ثم قلت له ترى كم تقدر ان تعيش بعد الآن ؟ قال انا شيخ كبير ربما اعيش عشر سنوات أخرى قلت ان احتمال الموت واقع في كل يوم حيث ان الأجل مخفي عنا لذا فهناك احتمال الموت في كل يوم اي لك ثلاثة آلاف وستمائة احتمال للموت فليس أمامك إذن احتمال واحد من بين ثلاثمائة ألف احتمال كما في الزورق وانما احتمال من بين ثلاثمائة ألف احتمال فلربما يقع الاحتمال هذا اليوم فما عليك اذن إلا الهلع والبكاء وكتابة وصيتك. (المكتوبات – النورسي ص، ٥٣٦) وبيناهم على سطح الزورق قال له: ان الله قد منحنا الشعور بالخوف لنحفظ به الحياة لا لهدم الحياة وتخريبها ولم يمنحنا هذا الشعور لنجعل الحياة أليمة ومعضلة ومرهقة فان كان الخوف نائا من احتمالين او ثلاثة بل حتى من خمسة او ستة احتمالات فلا بأس فلربما يعد ذلك خوفا مشروعا من باب الحيطة والحذر.

اما ان كان الخوف ناشئا من احتمال واحد من بين عشرين او اربعين احتمالا فليس هذا خوفا وانما هو وهم يستولي على الأنسان ويجعل حياته عذابا وشقاء (المكتوبات – النورسي ص، ٥٣٧و٥٣٦)

المصائب

ان المصيبة عامة تعرض لجميع أنواع الإنسان بسبب اكتساب الذنوب الصغار والكبار فيعفو سبحانه عن كثير من الذنوب والسيئات والخطايا كما قال تعالى

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) الشورى عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ مُصِيبَةٍ حَتَّى الشَّوْكَةُ إِلَّا قُصَّ بِهَا أَوْ كُفِّرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ لَا يَدْرِي يَزِيدُ أَيُّهُمَا(المؤطا ١٤٧٦)

بيّن سعيد نورسي عن المصائب بالمثال انما قدر المصائب حسب النية كما قال نورسي «كلما استعظمت المصائب المادية عظمت وكلما استصغرتها صغرت وكلما اهتم الإنسان بما يتراءى له من وهم ليلا يضخم ذلك في نظره بينما اذا أهمله يتلاشى وكلما تعرض الإنسان لوكر الزنابير ازداد هجوهما واذا أهملها تفرقت (اللمعات– النورسي ص، ١٧)

فالمصائب المادية كذلك كلما تعاظمها الإنسان واهتم بها وقلق عليها تسربت من الجسد نافذة في القلب واستقرت فيه وعندها تتناسى مصيبة معنوية في القلب وتكون ركيزة للمادية منهافتستمر الأخيرة وتطول ولكن متى ما ازال الإنسان القلق والوهم من جذوره بالرضابقضاء اللّٰه وبالتوكل على رحمته تضمحل المصيبة المادية تدرجيا وتذهب كالشجرة التي تموت وتجف أوراقها بانقطاء جذورها (اللمعات– النورسي ص، ١٨، ١٧)

اختلاف أهل الحق واتحاد أهل الباطل

ان في العالم لفريقين أحدهما أهل الحق وثانيهما أهل الباطل وان أهل الباطل كانوا متحدين ومصطفين في صف واحد ولكن أهل الحق في اختلاف وتنازع وجدال.

كما قال تعال ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (سورة الأنفال٨)

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة آل عمران ١٠٥)

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ

(صحيح مسلم – ٣٥٤٤)

ان اختلاف أهل الهداية وعدم اتفاقهم ليس نابعا من ضعفهم كما ان الاتفاق الصارم بين أهل الضلالة ليس نابعا من قوتهم بل ان عدم اتفات أهل الهداية ناجم عن عدم شعورهم بالحاجة إلى القوة لما يمدهم به إيمانهم الكامل من مرتكز قوي وان اتفاق أهل الغفلة والضلالة ناجم والعجز حيث لا يجحدون في وجدانهم مرتكزا يستندون إلى قوته فلفرط احتياج الضعفاء إلى التفاق تجدهم يتفقون انفاقا قويا ولضعف شعور الأقوياء بالحاجة إلى الاتفاق يكون اتفاقهم ضعيفا (اللمعات– النورسي ص، ٢٣٣)

كمثل الأسود والثعالب التي لا تشعر بالحاجة إلى الاتفاق فتراها تعيش فرادي بينما الوعل والمعز الوحشي تعيش قطعانا خوفا من الذئاب. (اللمعات– النورسي ص، ٢٣٣)

نعم ان الذين ينشدون الحق لا يرون وجه الحاجة إلى معاونة الأخرين لما يحملون في قلوبهم من إيمان قوي يمدهم بسند عظيم ويبعث فيهم التوكل والتسليم حتى لواحتاجوا إلى الآخرين فلا يتشبثون بهم بقوة أما الذين جعلوا الدنيا همهم فلغفلتهم عن قوة استنادهم ومرتكزهم الحقيقي يجدون في أنفسهم الضعف والعجز في إنجاز أمور الدنيا فيشعرون بحاجة ملحة إلى من يمد لهم يد التعاون فيتفقون معهم اتفاقا جادا لا يخلوا من تضحية وفداء (اللمعات– النورسي ص، ٢٥٣)

تلك الصائغ اليهودي المجنون الذي اشترى قطعا زجاجية تافهة بأثمان الأحجار الكريمة الباهظة (اللمعات– النورسي ص، ٢٣٤)

ومن هذا يتغلب أهل الباطل على أهل الحق فيفقد أهل الحق الإخلاص ويسقطون في مهاوي الذل والتصنع الرياء ويضطرون إلى التملق والتزلف إلى أرباب الدنيا المحرومين من كل معاني الشهامةوالهمة والغيرة (اللمعات– النورسي ص، ٢٦٠)

خاتمة :

اتضح من هذا البحث ان الشيخ سعيد النورسي أورد حكايات الأمثال القصيرة البليغة لتعليم الأخلاق الحسنة التي نص عليها القرآن الكريم والحديث النبوي وهي أمثال حسنة جيدة سهل الفهم لجميع طبقات الناس وان هذا طريق جديد لإفهام عموم عوام الناس وتعليمهم تعاليم الدين الإسلامي ومكارم الأخلاق ومنهج بديع لنشر الدعوة الإسلامية في أرجاء العالم كله إلى يوم القيامة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم -صحيح البخاري - صحيح مسلم -مؤطا لمالك سنن ابن ماجة -سنن أبي داود- جامع الترمذي -رسالة اللمعات رسائل النورسي -رسالة المكتوبات رسائل النورسي-البلاغة الواضحة

مشروع مدرسة الزهراء: بحث تحليلي عن بنيتها التحتية وعناصرها الهيكلية وواردتها وثمراتها مع العناية الخاصة بالأسباب الموجبة لتأسيسها

محمد أفضل الوافي
قسم اللغة العربية، جامعة كيرلا

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. الصلاة والسلام على أشرف المرسلين. محمد بن عبد اللّٰه خاتم الأنبياء والمرسلين. وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فالعلم نور من اللّٰه. وهو أقوى سلاح وذو طاقة هائلة. ولله تبارك وتعالى فضّل الإنسان على جميع الخلائق حتى على الملائكة المقربين. إنما هو بسبب وجود هذا النور فيه. وأبعد إبليس اللعين من رحمته بسبب تكبره أمام العلم. وأنزل كلامه آمرا لعباده أن يشتغلوا بأهم الوسائل لطلب العلم هي القراءة. وكان سيد الأنبياء ﷺ يأمر الناس أن يطلب العلم ولو كان بعد الذهاب إلى الصين. وكان يدرّس أصحابه رضوان اللّٰه تعالى عليهم أجمعين من أول مدرسة نبوية أسسها في المسجد النبوي. وكان الصحابة بعده يتولى التدريس لعباد اللّٰه من مختلف البلاد التى وصلوا إليها حينما سمعوا من معلم البشرية عليه الصلاة والسلام القول المشهور « فاليلغ الشاهد الغائب».

لما مرت السنين أصبحت المدارس كليات وجامعات. ظهرت علامات الإنفجار العلمي في العناصير الهيكلية والبنيات التحتية للمدارس فسميناها جامعات. المدارس والكليات والجامعات في حقيقتها نموذج للصورة الأصلية للإسلام. وأما مدارس اليوم وجامعاته وكلياته لا نراها تقوم بهذ العمل الجليل. لكن معظمها صارت ميدانا لإظهار الصيت والشهرة رصيفا للإلتباسات والشبهات في المسائل. العلم حياة اللإسلام، فتكون المدارس بهذا المعنى

مصادرا للحياة الإسلامية.

وفي زمن الإمام النورسي بلغت العلوم الحديثة في أوجها. وأصبح الناس يشكون في العلوم الدينية اللإسلامية فضلا عن اللأديان الأخرى. وشهد ذلك الزمان لظهور فرقة محتجة (protestant). هي التى خرجت على عقائد الدين المسيحي في أوربا. وصل الأمر إلى أن صار الناس لا يعتقدون إلا ما عاينوا. فجعلت المكاتب في كردستان وحواليها تعادي على المدارس الدينية الإسلامية قائلة أن أصحابها جاهلون متعصبون. وردت المدارس بأن المكاتب ضالة جاهلية كافرة.[1] وظن الناس خلال هذه المشاجرة أن الدين لا يسمح أن يتعلم العلوم الحديثة، لأنها من مخترعات أهل الضلالة. فلم يقرب علماء الدين من كليات علوم الحديثة الكونية. فكان هذا سببا لشماتة عدد من الذين اطمأنوا إلى ترقى أوربا. كان الإمام النورسي يرى ويسمع كل هذا فعزم على أن يأسس مدرسة مثالية تعطى للعلم حقه بدون تميز بين العلوم الدينية والكونية. وأراد أن يسميها مدرسة الزهراء.

ما هي مدرسة الزهراء في منظور الإمام النورسي

هي جامعة في أسيا على غرار جامعة الأزهر، تدرس فيها العلوم الدينية مع العلوم الحديثة الضرورية لتصافح الفلسفة مع الدين ولتصالح الحضارة الأوربية مع حقائق الإسلام فتزول بها العنصرية من البلدان العربية والهند وإيران والقفقاس وتركستان وكردستان والدول العربية وينمو بينهم روح الأخوة الإسلامية والإنسانية. ويكون المنهج الأساسي فيها هو رسائل النور

يطلب الأستاذ سعيد النورسي بتأسيس مدرسة الزهراء التي تتضمن الجامعة في "بتليس" مع رفيقتيها في كل من "وان" و "دياربكر" جناحي "بتليس". لكن ما حقق هذا الأمل بأسباب. ولو كان الإمام يأسسها اليوم يكون موقعه في مكان آخر. لأنه كان يريد بهذا الموقع ترقى الأكراد. وكانت هذه المواقع ملتقى الناس والثقافة.

١ وجدت هذه المعلومات لما جريت مقابلة مع الأخ حقان

تقسيم الوظائف

أهم خصوصية في هذه المدرسة أنه تقسم الوظائف والأعمال بين القائمين بها بحيث كل واحد من المدرسين والعلماء في مجال إختصاصهم بميله الفطري امتثالا للأمر المعنوي للحكمة الأزلية. لأن اللّٰه تعالى جعل لكل واحد من الناس عملا فهو المستعد له دون غيره. فإذا ترك المستعد لما هو أهل للقيام به تشبثه بما ليس أهلا له. هذه عصيان كبير وخرق فاضح لهذه الشريعة. المدارس كانت في تلك الأزمنة ميدان للمنافسة بميل السيادة والآمية. فأخذ المعلمون في المدارس أن يستخدم العلم بدلا من أن يخدموه. فصارت الوظائف بيد من ليسوا لها أهلا. طلبة هذه المدرسة ينبغي ان يهتموا المعاني المقصودة وأن يتركوا الإرتكاز على أن يعبهوا حل العبارات والألفاظ فقط. لأن طلاب مدارس الدينية بدئوا أن يهتموا بحل العبارات التي هي لباس للمعاني التي هي المقصود. فظل العلم الذي هو أصل القصد تبعيا.

المادات المدروسة في مدرسة الزهراء

الدرس الأساسيي الذي يدرس في هذه المدرسة هو رسائل النور. هي التي تفسر الحقائق الإيمانية للقرآن وتقيم البراهين العقلية والدلائل المنطقية لإثبات مسائل القرآن. ثم ليس هناك منهج معين في مدرسة الزهراء إلا أن العلوم الحديثة أيضا تدرس نظرا إلى ما معاني ما وراء الظاهر من حقائق قرآنية.[٢] لأن رسائل النور تقوم مقام مدرسة الزهراء المعنوية. فهي توضح هذه الحقائق لطلاب النور. لكن لا نستطيع أن نقول أن مدرسة الزهراء لم تأسس إلى الآن، لأن اللّٰه تعالى أراد أن لا تحدد هذه المدرسة في مكان واحد، بل جعل اللّٰه خطة الإمام محققة على وجه أحسن من فكرته. فصارت المدرسة تجول في كل مكان تنشر العلوم الراسخة في قلوب الظامئة.

ولو كان الإمام قد أسسها لما صارت الرسائل تطالع بقدر ما تطالع اليوم

---

٢ الملاحق: ملحق أمير داغ ٢

من مختلف البلاد. ولذا قال الله لعباده» ﴿عسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم﴾ (البقرة-٢١٦). لكن الإمام كان يفكر في جعل رسائل النور منهجا أساسيا في تلك المدرسة. لأنها تعالج العلوم الدينية مستدلا من العلوم الكونية. فحينما نقرأ رسائل النور نشعر بأن العلوم الدينية سيد والعلوم الكونية عبد لهذا السيد بحيث يطيعه لكلما يأمر.

صورتان لمدرسة الزهراء

الأستاذ يعرّف إلينا عن صورتين لمدرسة الزهراء. صورة معنوية هي رسائل النور نفسها. وصورة مادية هي مدرسة مجسمة بصورة جامعة كبيرة. مع الأسف الشديد لم تأسس هذه المدرسة إلى الآن إلا ما وصفه الإمام بأنه صورة معنوية لمدرسة الزهراء. هي رسائل النور التي وصلت رسالتها إلى كل بقعة من بقعات الأرض. فهي التي تقوم اليوم مقام هذه المدرسة الزهراء. لكن البلدان بحاجة إلى تأسيس مراكز للبحوث في رسائل النور في أقرب وقت ممكن. لأن العلوم الكامنة في القرآن تستخرجها رسائل النور.

على أي حال لا بد لنا أن نهتم بإنشاء مراكز البحوث في كل مكان تعتنى بالبحث الجاد في رسائل النور. لأن رسائل النور تفسير القرآن التي تبيّن وجوه إعجاز القرآن. ولو كانت رسائل النور تقوم بمقام مدرسة الزهراء كجامعة مفتوحة التي ليس لها بناء، لا بد أن نضع في حسباننا أن المكتب جزء لا يتجزّء من كل مدارس. لأن الأعمال الإدارية لهذه المدارس تجري في هذا المكتب. وإن لم نستطع أن نأسس هذه الجامعة الكبيرة على غرار الأزهر الشريف التي هي مدرسة الزهراء، لا بدّ لنا من أن نأسّس مكاتبا أو مراكزا في كل بلاد. لتكون ظلا ترتاح إليه رسائل النور أثناء سفرها خلال طول البلاد وعرضها.

وكذلك تتطلب هذه المدرسة المعنوية أيضا أن تكون لها مكتب في كل بلاد. فلا بد لخدام رسائل النور بل لخدم القرآن عموما أن تأسس مكتبا لرسائل النور الذي يتولى أمور التعليم والتدريس حسب أوضاع المكان والزمان. ويختلف عمله على حسب حال المسلمين في مجتمعهم. ولو كان

هذا مكتب في الهند على سبيل النثال فتكون عمله نظرا إلى مجتمع الهند، لأن المسلمين فيها أقليون. على أي حال يحتاج الزمان أن تنتشر الرسائل في كل بلاد، وفي قول آخر يحتاج الزمان أن تنساب هذه المدرسة المعنوية مثل ماء صافي في كل بلاد. لكن إنشاء المكاتب والمراكز نيابة عن إنشاء مدرسة الزهراء التي هي أكبر من الأزهر الشريف لا يجسّر الفجوة العظيمة في آسيا.

مدرسة يوسفية

يقول الإمام سعيد النورسي أن هناك مدرسة باسم المدرسة اليوسفية. هي مدرسة واحدة من مدارس الزهاراء. وهو يريد بها السجن أو الحياة في السجن. لأن السجن كمدرسة تعطي للإنسان فرصة للصبر في سبيل اللّٰه وفرصة للسلون من إخوانه السجناء. الصبر في الشدائد يصقل قلب الإنسان ويقرّبه من اللّٰه تعالى. لأن سيدنا يوسف عليه السلام بعد الدخول إلى السجن ساق السجناء إلى دين اللّٰه عزّ و جلّ. وظهرت من السجناء علامات الصلاح. فغيّهم عليه السلام وغرس في قلوبهم فصيلات الإيمان. وتابت السيدة زليخا من ذنبها لمجرد نظرها إلى تحمّله في السجن. فكذا يقول النورسي أيضا إن اكتساب أهلية الطالب في الدخول إلى مدرسة الزهراء هو بالحضور في مجلس الإمتحان في هذه المدرسة اليوسفية.[٣] وسمي السجن بهذا الإسم للأن سيدنا يوسف عليه السلام دخل في السجن ومكث فيه سنين.

الأسباب الموجبة لتأسيس مدرسة الزهراء

- تدني العلوم في مدارس دينية
- إصلاح الولايات الشرقية
- المؤامرات الخبيثة على القرآن
- دفعا للنعرات القومية وإقرارا للإسلام في المنطقة
- وفاة المدارس الدينية

٣ الشعاعات – الشعاء ثالث عشرة

تدني العلوم في مدارس دينية[٤]

المشكلة الأولى: طلب السيادة واللآمرية بالعلم الديني.

أصبحت مدارس ذلك العصر ميدانا للمنافسات بميل السيادة والآمرية. فأخذ المعلمون في المدارس أن يستخدموا العلم بلدلا من أن يخدموه. فظلت الوظائف بيد من ليسوا بأهلا لها.

المشكلة الثانية: إهمال العلوم العالية مع الإهتمام بالعلوم الآلية

طلاب المدارس الدينية بدأوا أن يهتموا بحل العبارات التي هي لباس للمعاني. فظل المعني الذي هو أصل القصد تبعيا.

حل لهاتين المشكلتين: أن يأسس مدرسة تقسم الأعمال فيها بين المعلمين وتهتم بالمعني الأصلي لكل الأشياء.

إصلاح الولايات الشرقية

كانت المدارس الموجودة في كردستان تنحصر في الذين يعرفون اللغة الكردية بينما يحرم الأكراد من العلوم والمعارف لعدم معرفتهم باللغة التركية. لا يجدون أمامهم سوى الانخراط في المدارس الدينية. هذا تسبب لشماتة الغرب. فتفكر الإمام في تأسيس مدرسة جديدة بحيث تجعل اللغة العربية واجبة والكردية جائزة والتركية لازمة. ولذلك تفكر في إنشاء ثلاث مدارس في بيت الشباب ووسط الموتقان وبلقان وفي وان أيضا. يكون في كل مدرسة خمسون طالبا على الأقل. تتكفل الحكومة بمعاشهم.[٥]

نرى الإمام يقول « كنت ألمس الوضع الرديء لما كان يعيشه أهالى الولايات الشرقية فأدركت أن سعادتنا الدنيوية ستحصل من جهة بالعلوم الحديثة الحاضرة، وأن أحد الروافد غير الآسنة لتلك العلوم سيكون العلماء، والمنبع الآخر سيكون حتما المدارس الدينية، كي يأنس علماء الدين بالعلوم الحديثة. وحيث أن زمام الأمر في تلك البقاع التي أغلبيتها الساحقة أميون

٤ المحاكمات:صقيل الإسلام

٥ سيرة ذاتية ٥٦٢ ص

بيد علماء الدين، لذا جاء إلى إسطنبول لمقابلة السلطان عبد الحميد للحوار حول تأسيس مدرسة الزهراء في الأماكن المذكورة.[٦]

مؤامرة خبيثة على القرآن

سمع الإمام النورسي أحد الولاة يقول أن وزير المستعمرات البريطاني خطب وبيده نسخة من المصحف الشريف قائلا " إننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين ما دام هذا الكتاب بيدهم. فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به.[٧] فشمر الإمام عن سواعديه و ساقيه لنشر رسائل النور التي هي صورة معنوية لهذه المدرسة ولتأسيس صورتها المادية هي مدرسة الزهراء.

دفعا للنعرات القومية وإقرارا للإسلام

كان الإمام يقول أن الشرق بحاجة إلى مدرسة مثل مدرسة الزهراء. لأن أسيا قارة يسكنها الأكراد والأتراك والإيرانيون والهنود والقفقاس. ولو أسست مدرسة على الإلحاد والفلسفة لتلتهب قلوب سكانها بنار القومية والعنصرية. وبيّن هذا بواقعة مرت في حياته. إن طالبا من طلابه من الأكراد قال له بأنه يفضّل المسلم الكردي على شقيقه الفاسق.

وبعد أن دخل هذا الطالب في مدرسة حديثة في إسطنبول قابله النورسي بعد سنين فقال له الطالب أنه يفضّل الآن كرديا فاسقا ملحدا على تركي صالح. لأن المدارس الحديثة حرّك في قلبه كراهية للإسلام.[٨] فتفكر النورسي ولو كان هذا شأن الأكراد مع الأتراك فماذا يكون بين الإكراد ولإرانيين والهنود والقفقاس والعرب!!.. في هذا الخصوص سأل النورسي للنواب أيّهما أكثر ضرورة ؟ مدرسة الزهراء أم المدرسة الحديثة التي تفرّق الدولة إلى قطعات، فقاموا بتوقيع القرار لتأسيس مدرسة الزهراء.

---

٦ صيقل الإسلام، المحكمة السكرية العرفية

٧ سيرة ذاتية ٥٦٢ ص

٨ سيرة ذاتية ٥٦٦ ص

وفاة المدارس الدينية

في زمن الإمام النورسي توفت مدرسة "خورخور" التي تحت قلعة "وان" وغلقت المدارس الشرعية في الأناضلون. فهذا جلب انتباه النورسي إلى تأسيس مدرسة الزهراء. لكن بسبب الإضطرابات التي حدثت في زمانه والحرب العالمية الأولى لم يحقق هذا الأمل.[٩] وأما الآن المدارس تحيى ظاهرا وتتوفى باطنا بسبب المنافسات وحب الجاه والمال من قبل الأساتذة والموظفين. وابتغاء الدنيا بالعلوم الدينية يتسبب لأن لا يجده ريح الجنة كما نراه في الحديث الشريف.[١٠]

شروط مدرسة الزهراء[١١]

- التسمية بمدرسة الزهراء، لأنه مألوف بيننا.
- مزج العلوم الكونية ودرجها مع العلوم الدينية
- انتخاب المدرسين فيها، إما من العلماء الأكراد المعتمدين من قبل الأتراك أو من يعرفون اللغة المحلية
- الإستشارة باستعداد الأكراد وقابليتهم
- تطبيق قاعدة تقسيم الأعمال حتى يتخرج من كل شعبة متخصصون
- ضمان تقدم المتخرجين حتى يتساوى كل منهم مع خريجي المدارس العليا ويتعامل معهم بنفس المعاملة مع المدارس العليا
- اتخاذ دار المعلمين (مؤقتا) ركيزة لهذه المدرسة ليسرى الانتظام

---

٩ سيرة ذاتية ٥٦٧ ص

١٠ سنن أبي داود من باب العلم. ٣٦٦٤. عن أبي هريرة رضى الله قال قال رسول الله ﷺ. « من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عز وجل. لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من المدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة.

١١ سيرة ذاتية ٥٦٧ ص

من المدرسة إلى دار المعلمين [١٢] والدين من تلك إلى هذه.(كل ما سبق من الشروط تتناسب لأحوال زمانه، أما تأسيسها في هذا الزمان يختلف تماما. لأن الأستاذ سعيد النورسي كان يرغب في رقية الأكراد ونجاحهم في الدنيا ولآخرة. ولو كان تأسيسها في هذا الزمان لكانت اللغة الإنجليزية أيضا لازمة.

واردات هذه المدرسة [١٣]

الحمية والغيرة (أي نشاط تام لخدمة هذه المدرسة. في معنى مجازي) ويقول الاستاذ أن أهم الجهات للواردات هي:

- الأوقاف، يصمم الأستاذ لتنظيم الأوقاف في صلاح هذه المدرسة
- الزكاة
- النذر والصدقات

الإعارة: يقول الأستاذ مثلا إعارة واردات دار المعلمين إليها بعد الدمج بينهما، وحينما تستغني بعد مدة سترد تلك العارية

فوائد هذه المدرسة [١٤]

- توحيد المدارس الدينية وإصلاحها
- إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائليات التي أصابت سيف الإسلام المهند بالصدأ
- فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية.

ويقول الإمام بأن فهما خطأ أوصد أبواب المدنية والمعرفة في وجه الأكراد بأن طلب العلوم الحديثة إثم

---

١٢ هي مؤسسة تعليمية كانت في زمانه تخرّج المدرسين. والدراسة فيها سنتان بعد المدرسة

١٣ سيرة ذاتية ٥٦٩ ص

١٤ سيرة ذاتية ٥٧٠ ص

- تأمين مستقبل علماء الأكراد
- إقحام المعرفة عن طريق المدرسة إلى كردستان
- إظهار محاسن المشروطية والحرية ثم الإستفادة منها

فهذه الفوائد ترجع إلى كردستان جلها أو كلها. لإن اعتبار الإمام النورسي كان تأسيسها في كردستان.

المعايير الكردية لهذه المدرسة

إن الإمام النورسي ركّز معظم انتباهه في إصلاح كردستان. لأنه كان عالما كرديا. وكان واجبه أن يصلح قومه قبل كل شيئ. وأما أبناء هذا الزمان ينبغي عليهم أن يقوموا بخدمة المسلمين في محلهم. ولا يشترط أن يضعوا معيار كردية كما وضع الأستاذ في اختيار المكان والواردات واللغة والأساتذة والطلبة حينما يأسّسون لمدرسة الزهراء كما حلمه الإمام. بل يجب أن يضعوا معايير مناسبة لبلدانهم.

القانون الفطري في آسيا وأوربا

إن الإمام النورسي يقول بأن أكثر الأنبياء ظهروا في آسيا بينما ظهر أكثر الحكماء والفلاسفة ظهروا في أوربا. هذا يدلّ على أن الذي يدفع آسيا إلى الرقي الحقيقي هو الشعور الديني أكثر من العلوم والفلسفة. [١٥] فبهذه النظرية يكيد الأستاذ أن قارة آسيا أشد حاجة إلى تأسيس مدرسة تجمع بين جميع الشعوب المذكور سابقا. هذا القانون الإلهي لا بد أن ننظر إليه بعين العبرة.

ضرورة المزج بين العلوم الكونية الحديثة والدينية

إن ضياء القلب هو العلوم الدينية. ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة. فتعلو به همة الطالب. وبافتراقهما يتولد التعصب في العلوم الدينية وتتولد الشبهات في العلوم الحديثة. ولا يريد الإمام بمزج العلوم أن

١٥ سيرة ذاتية ٥٦٦ ص

يدرس كل طالب جميع العلوم الحديثة، لكن إنه يريد على الأقل أن يعطي للطالب ملكة لفهم الحقائق القرآنية من العلوم الحديثة، فيتضح الأمر فيصبح العلم يقينا راسخا. وكان الأستاذ النورسي يعلّم طلابه كيف ينظر إلى القرآن وإلى الكون في وقت واحد. ولا يخالف الحقائق الكونية لحقائق القرآنية أبدا. لأن العلوم الدينية سيد العلوم الكونية.

إن الإمام يكيد بعدم التناقض بين ظواهر الإسلام ومسائل العلوم. ويرشد أن نبعّد أوهامنا في هذه الأمور. وأن الإسلام سيد العلوم ومرشدها. والعلوم الحديثة عبد للعلوم الدينية والقرآنية. فكيف يخالف العبد سيده. وهذه المدرسة تعانق كلا العلومين ويضمهما إلى صدرها، نتيجة قول سيد الكونين محمد المصطفى أحمد المجتبى ﷺ "الحكمة ضالة المؤمن، حيث ما وجد المؤمن ضالته فاليجمعها إليه". ثم إن هذه المدرسة تجمع بين المكاتب والمدارس وأهل الزوايا الذين هم المتصوفة. فتجتمع فيها العلوم كلها، فتصير كقصر إلاهي مشرق. ألسنا نحن بحاجة إليها حقا؟.

الحكمة الإلهية وراء عدم وجود المدرسة في زمنه

إن اللّٰه تعالى حكيم في أفعاله كلها. لا يفعل شيئا بدون حكمة، وإن ترائت أمام أنظارنا أنها عبث ودون جدوى. هذا ما حدث في تنفيذ مشروع مدرسة الزهراء للإمام سعيد النورسي. نحن نعلم أنه بذل قصارى جهده لتنفيذ هذا المشروع. لكن اللّٰه ما أذن لظهور هذه الجامعة الكبيرة في تربة آسيا على غرار الأزهر الشريف في إفريقيا. لأن الإمام لو أسّس هذه الجامعة في مكان لبدأ اناس أن يشدّوا رحالهم إليها للتعلم والدراسة. فتنشأ في تربة آسيا تلك الجامعة كما نشأ الأزهر في إفريقيا. فتدرس فيها رسائل النور كمنهج أساسي كما صمّم الإمام.

فبهذا لا تسرى رسائل النور إلى بلاد أخرى كما تسرى اليوم. ربما لا تعقد المؤتمرات في مختلف البلاد حول رسائل النور كما تعقد اليوم. فتكون رسائل النور مادة دراسية فقط دون أن تكون منهجا للحياة في العصر الحديث. لأن الوسائل والتسهيلات إذا استوعبت لخفّ نشاط الإنسان وانتعاشه لأداء ما

على عنقه من فريضات ومسؤوليات. فيطمئن إلى ما وجد لديه من تسهيلات، ويعتمد على ما حصل لديه من أسباب. لكن اللّٰه أراد أن يعلن قدر هذه الرسائل ويرفع صيتها. ويدخلها إلى كل حدب وصوب. فلم يأذن اللّٰه للرسائل أن تنحصر في بناء وتحدّد في مكان. فجعلها اللّٰه سارية من قلب إلى قلب، ومن حياة إلى حياة، ومن فرقة إلى فرقة، ومن دولة إلى دول. لأنها تفسير للقرآن الكريم. وتعلم مثل مجهر (Microscope) يرى الناظر منها أشياء خفية في حياته.

قانون فطري لتأخر تأسيس المدرسة

هناك قانون فطري هو أن الشيء إذا جمد في مكان وأصبح كثيفا لا ينتشر إلى جواره. فكذلك إذا حقق المشروع وأسست المدرسة لتصبح مثل شيء جامد كثيف، فلا تصل رسالات رسائل النور إلى بلاد أخرى. فأراد اللّٰه أن يعرّف عباده إلى هذا الذخر الثمين. ويجعلها فذّا في هذا العصر الحديث. فألهم اللّٰه لعباده أن يترجمها إلى مختلف اللغات. وقبل أن تتم الترجمة استسلم بعض منهم واستعد أن يهدي نفسهم لخدمة القرآن بسيف الرسائل الحاد.

وجعل اللّٰه عز و جل الرسائل تنمو يوم فيوما. وجعلها مسلّطا على أوربا وأمريكا وعلى كل الفلاسفة التي يجدون فرصة للنظر إليها. فسارت إلى كل عصر ومصر. ويستمر سيرها إن شاء اللّٰه إلى أن تصبح الرسائل كتاب العصر لظهورها متصدية بتحديات الزمان. ثم - واللّٰه أعلم – يأذن اللّٰه للرسائل أن تتجسد وتصير إلى صورتها المادية التي هي مدرسة الزهراء. فيكون هذا نتيجة عمل طويل. نحن فانتظار لهذا الفجر البهي الذي تشرق شمسه للدنيا قاطبة. لكن قبل ذلك ينبغي على طلاب النور أن ينشروا تعاليم رسائل النور إلى كل مكان، وأن ينشئوا فيها المكاتب والمراكز لهذا القصد.

مشاورة مع بعض طلاب النور

لما جريت مناقشة مع بعض طلاب النور سألتهم عن مدرسة الزهراء والرسائل النور. فقالوا لي أن الإمام النورسي كتب رسائل النور لمّا عجز عن تأسيس

مدرسة الزهراء. لكن هذا ليس بواقع. لأن الإمام يقول « إن المولى القدير أسس برحمته الواسعة الخصائص المعنوية لتلك المدرسة وهويتها في إسبارطة فأظهر رسائل النور للوجود. وسيوفق - إن شاء اللّٰه – طلاب النور إلى تأسيس الجهة المادية لتلك الحقيقة أيضا.[١٦] ولكن لما كان هناك موانع كثيرى جدا تحول دون إنشاء مدرسة الزهراء بصورتها المادية، فهي الآن الدائرة الشاملة لطلاب النور.[١٧] نفهم من هنا أنه كان يصمّم لتأسيس مدرسة الزهراء بكل خصائصها المادية والعنوية، فجعل أن يأسس الخصائص المعنوية لتلك المدرسة هي رسائل النور. هذا خلاف ما قالوا بأنه لما رأى الموانع أمام تأسيس مدرسة الزهراء المادية على غرار جامعة الأزهر أنشأ أن يكتب رسائل النور. بل الحقيقة أنه كان يصمّم إنشاء مدرسة الزهراء تدرس فيه رسائل النور كمنهج أساسي. ولما علم عدم إمكانية تأسيس مدرسة الزهراء المادية اكتفى برسائل النور. وسمّاها مدرسة الزهراء المادية. وترك إنشاء صورتها المادية لطلاب النور بحيث رجا أن يوفق اللّٰه لطلاب النور تأسيسها في المستقبل.

خطوات لإنشاء مدرسة الزهراء في المستقبل

فلا بد لطلاب النور اليوم من أن يفكّروا في إنشاء هذه المدرسة والعمل لها. لإن الآمال تحقّق إذا بذلت الجهود في سبيل تحقيقها. فأول خطوة لإنشاء هذه المدرسة إشاعة رسائل النور بين الناس وإنشاء مراكز للبحوث والدراسات حول رسائل النور في كل بلاد. وبعد أن نالت الرسائل قبولية تامة بين جميع الناس لا بد أن يشترى العقار والأجهزة الضرورية للمدرسة. ويتولى تأسيسها دولة نامية من دول إسلامية وعربية. أو يشكل لجنة لتأسيسها مشتملة على أعضاء من كل بلاد عربية وإسلامية من آسيا.

لكن لا أرى مانعا من أن تأسّسها لجميع القارات دون اختصاص لآسيا. لأننا لا نقول لأحد من إخواننا أنك مسلم آسيوي وأنك مسلم أوربي أو إفريقي. بل

١٦ الملاحق، ملحق قسطموني

١٧ الملاحق، ملحق أمير داغ (بالتركية) ١\١٧٨٢

الإسلام واحد، وأمتنا واحدة، وقبلتنا واحدة، ونبينا واحد وكتابنا واحد وربنا واحد. فإذا كان الإمام النورسي يصمّم إنشاء مدرسة في آسيا لإصلاح الولايات الشرقية في آسيا نحن طلاب النور نبذل جهودنا لإنشاءها في آسيا لا للولايات الشرقية فقط بل للأمة الإسلامية قاطبة.

هنا أمر يشار إليه بالبنان هو أنه لا ينبغي علينا أن نسيء الظن بالإمام النورسي. لأنه كان يريد إنشاءها في آسيا بسبب قانون فطري ذلك أن معظم الأنبياء والأولياء ظهروا في آسيا. وفوق كل ذلك أنه عدّ من أسباب إنشاءها إصلاح الولايات الشرقية، لأن الولايات الشرقية كانوا معرضين عن العلوم الحديثة. ولا يعني هذا أنه اشترط أن يدخل إلى تلك الجامعة آسيويون فحسب وهذا ليس بمعقول. بل كان يسلّط الضوء على أهم الأسباب.

جيلنا الجديد تطوّروا في الماديات حتى وصلوا في ذروتها. لأن التقينة والعلوم تتطوّر يوما فيوم. فنحتاج إلى مدرسة زهراوية لائقة لمستجدات الزمان. وليس أمامنا لتحقيق ذلك الأمل القديم ولتنفيذ هذا المشروع المأمول إلا وسيلتين. الأولى منهما الآية القرآني ﴿فإذا فرغت فانصب﴾[18] فواجب على طلاب النور أن يأسّسوا في كل بلد مركز أو مكتب للبحث والدراسة في رسائل النور لتبليغها إلى كل مكان. ثم إذا فرغوا من هذا العلم لا بد لهم أن يدخلوا إلى عمل تأسيس مدرسة الزهراء كما وصفت آنفا. والثانية منهما ﴿فإذا عزمت فتوكّل على اللّٰه إن اللّٰه يحب المتوكلين﴾[19]. لأن اللّٰه تعالى هو القادر ولا نستطيع شيئا لأننا ضعفاء. وعلى طلاب النور أن يشمّروا عن سواعديهم وساقيهم لهذاين الإنجازين متوكلين على اللّٰه تعالى كما شمّر قائدهم الإمام النورسي عن ساقيه لما سمع المؤامرات الخبيثة حول القرآن. نسأل اللّٰه التوفيق والتيسير. لأن كل معسّر إذا يسّره اللّٰه فهم يسير.

---

١٨ سورة الشرح ٧

١٩ آل عمران١٥٩

المراجع

- القرآن الكريم
- سنن أبي داود
- سيرة ذابية من كليات رسائل النور
- الشعاعات
- صيقل الإسلام
- الملاحق

النبوّة وتطبيق السنّة من منظور رسائل النور

محمد أنيس
قسم الحديث وعلومه، جامعة دار الهدى الإسلامية، مالابرم، كيرالا

الملخص

لقد شغل موضوع النبوة مساحة واسعة من رسائل النور. والنورسي تارة أفرد لها رسائل خاصة. ويشير إلى أمسّ حاجة الأنسانية إلى الأنبياء- عليهم السلام - ووجوب الاقتداء بهم طبعا فى كل عصر ومصر بما يقوّيه الحكمة الإلهية. والنبي وهديه يلعب دورا هاما في إيجاد أفضل حياة للإنسانية. فيرشد إلى أنهم الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة. ويلقى الضوء إلى أهمية الأسوة المصطفوية بآية {قُل إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّه}. وقد بحثه النورسي من ثاني العناصر الأصلية المنبثّ من مقاصد الدين الأساسية -: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل-.

والنورسي يبين ثلاث منابع السنة: أقوال النبي وأفعاله وأحواله. وهذه الأقسام الثلاثة هي كذلك ثلاثة أقسام: الفرائض، النوافل، والعادات. ويقسمها فى 'اللمعات' الى: قسم منها واجب لا يمكن ترك، وهو مبين الشريعة الغراء بالتفصيل. وهو من قبيل المحكمات التى لا يمكن أن تتبدل بأية جهة كانت. وقسم منها هو من قبيل النوافل، مع أنه تنقسم إلى: السنن التي تخص العبادات، وتغيير هذ السنة بدعة. والآخر الآداب،- من أفعال الرسول المعلومة بالتواتر في العرف والعادات والمعاملات الفطرية - مما لا توجب الاتباع المحضة.

وهذا البحث يكتشف مفهوم النبوة المصطلحة ووسائلها من بين أبواب الرسائل النورية ك:'الرسالة الأحمدية'، و'مرقاة السنة'، و'رشحات من بحر معرفة النبي'، بالإضافة إلى بحوث قرآنية أخرى تعضد الأخلاق النبوية

والنفسيات اللامثيلة من بينها. ويستهدف إلى بيان تطبيق السنة النبوية ومسئولية حامليها من السلوكيات ومكارم الأخلاق. ويلقى الضوء إلى رهانات العصر الحاضر إطار مواقف بديع الزمان من التربية العائلية والاجتماعية، والمعايشة الحسنة مع المشاكل البيئية والاقتصادية والسياسية، وغيرها من التنظيمات الدنيوية.

المقدمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم اللّٰه الرحمان الرحيم، الحمد لله الذي أودع نوره في قلوب المصطفين من العباد، والصلاة والسلام على سائر الأنبياء ومحمد ﷺ دعوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. وعلى آله وصحبه وتبعه الأمجاد. أما بعد،

الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي من الأعلام المبرزين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ومن خلال تأملاته المتواصلة في القرآن الكريم، اهتم بقضايا العقيدة والأخلاق والتفسير وعلوم القرآن والبلاغة والنحو واللغة والفكر الإسلامي والسيرة النبوية وعلوم الحديث وغيرها من أنواع المعارف، ففار بها قلمه بالتيار اللامثالي. وبيّن النبوة من بينه كثاني المصادر الأساسية حيث ساق أحاديث نبوية إلى كمّ لا يغضّ الطرف عنها. وقد قام بسرد وظائف الأنبياء وسننهم وفضل اتباعها مع علاقتها للأمور الدنيوية إلى كل عصر.

ولما كان الأستاذ بديع الزمان النورسي اهتم اهتماما بالغا بموضوع النبوة في مجموع رسائل النور بالعرض والتحليل رأيت أن أقوم بدراسة علميه في ظل هذا العالم الجليل في موضوع النبوة، بعنوان:

« النبوّة وتطبيق السنّة من منظور رسائل النور »

وأهمية الموضوع وأهدافه تدور حول:

١) إن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي من أشهر العلماء المتأخرين وذو

الأثر البالغ في الصحوة الإسلامية الحية.

٢) إن من أبرز الجوانب التي ساهم الشيخ الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في إثراء مادتها عن النبوة وما تعلق بها.

٣) ومن الملاحظ موقفه من الهدي النبوي وتطبيق السنة في الحياة حيث أثبت أنها كاف في مواجهة الأزمات الحديثة.

فهذه العجالة تبحث عن مفهوم النبوة لغة واصطلاحا ومنظور الرسائل عن ضرورتها وعن وظائف الأنبياء وحكم اتباع الأمة سننهم النيرة وطرق تطبيقها في الحياة في مواجهة التحديات حول كيان المسلم أمام متطلبات العصر الجديد لبناء مجتمع إسلامي سعيد وحياة إيمانية ناجحة.

المبحث الأول: النبوة لغة واصطلاحا

النبوة واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه وسفارة بين الملك وعبيده، ودعوة من اللّٰه تعالى إلى الخلق ليخرجهم من الظلمات الى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وإن النبوة لها معان في اللغة والشرع.

النبوة في اللغة العربية مشتقة إما من النبأ أو النباوة أو النبوة أو النبي، فإذا كانت مأخوذة من النبأ فتكون معناه الإخبار لأن النبأ هو الخبر،[١] فإذا كانت مأخوذة من النباوة أو النبوة فيكون معناها الرفعة والعلو لأن النباوة أو النبوة هي الشيئ المرتفع، فإن كانت النبوة مأخوذة من النبي بالياء فيكون معناها الطريق إلى اللّٰه تعالى لأن معنى النبي الطريق، وأن النبوة الشرعية هي مشتملة لجميع هذه المعاني لأن النبوة إخبار عن اللّٰه عز وجل، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهي الطرف الموصلة إلى اللّٰه تعالى. وإن النبوة مشتقة من النبأ بمعنى الخبر، مثل قوله تعالى: ﴿نبّئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾[٢]، جاء في لسان العرب: النبأ: الخبر، والنبي المخبر عن اللّٰه

١ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: طبعة دار الجيل، ١٣٩٩ه)، ج ٥، ص ٣٨٥.

٢ سورة الحجر، الآية ٤٩.

عز وجل، لأنه أنبأ عنه، وهو فعيل بمعنى فاعل. قال ابن بري: صوابه أن يقول: فعيل بمعنى مفعل. والنبي لغة إما مهموزة من نبأ أي الخبر، قال تعالى: ﴿عم يتسائلون، عن النبأ العظيم﴾[٣] أو غير مهموز مشتق من نبا ينبو، أي ظهر وارتفع، بأنه النبيء «هو المخبر عن اللّٰه تعالى».[٤]

والنبوة على صيغة اسم فاعل: فهي على معنى أنه مخبر بالغيوب، وتأتي على معنى اسم المفعول أي أنه منبأ بالغيوب أو مرفوع على غيره بسبب الاصطفاء بالوحي إليه.[٥] والنبوة في الإصطلاح: فهي خبر خاص يكرم اللّٰه عز وجل به أحدا من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد.[٦] وله أيضا دلائل المعجزات بالتأييد الإلهي مع وظائفهم بالبلاغ و دعوة الناس إلى عبادة اللّٰه وحده ومنع عبادة ما سواه وعملية التبشير والإنذار وإصلاح الناس بالقدوة الطيبة، والأسوة الحسنة في الأقوال والاعمال وتقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة وإقامة شرع اللّٰه تعالى بين العباد وتطبيقه وسياسة الأمة بالعدل التام،[٧]

وهو في الإصطلاح الشرعي إنسان بعثه اللّٰه لتبليغ ما أوحاه اللّٰه إليه وعبد اصطفاه اللّٰه بالوحي إليه. ويشترط فيه الذكورة والأمانة والعصمة وكمال العقل والضبط والعدالة، كما أنه يستحيل فيهم الكتمان والبلادة والظلم والخيانة والغدر والكذب وغيرها من الصفات الناقصة للنبوة. وقد عرف الأصفهاني

---

٣ سورة النبأ: الآية ١-٢.

٤ محمد ﷺ بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٠ه)، ج ١، ص ٦٧.

٥ عبد الرحمن حبنك، العقيدة الإسلامية وأسسها، (دمشق: دار القلم، ط ١٥، ٢٠٠٤م)، ص ٢٦.

٦ أحمد إسماعيل إبراهيم التل، الوجيز في النبوة وأحكامها بين المثبتين والنافين، (د. ن، ٢٠٠٩)، ص ٣.

٧ محمد ﷺ بن خليفة بن علي التميمي، حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (بيروت: دار الفكر، ط ٥، ١٤١٨ه)، ج ١، ص: ٦٣.

النبوة في الاصطلاح بأنها: «سفارة بين اللّٰه وبين ذوي العقول من عباده؛ لإزاحة عللهم في أمر معادهم ومعاشهم.[٨] وعرفه البوطي هو من أوحي اليه بأمر من اللّٰه تعالى سوء كلف بتبليغه أم لا، فالنبوة وصول خبر من اللّٰه تعالى بطريق الوحي إلى من اختاره من عباده لتلقي ذلك.[٩]

المبحث الثاني: النبوة في منظور النورسي

وقد تضمن موضوع النبوة مساحة واسعة من رسائل النور، فمن عاشها وتمعن في نصوصها وجد أن النورسي رحمه اللّٰه أعطى هذا الجانب كثيرا من وقته، بل أفرد لها أحيانا رسائل خاصة، من ذلك: المعراج النبوي، والرسالة الأحمدية، ومرقاة السنة وترياق مرض البدعة، ومنهاج السنة والرسالة الثانية من كتاب المثنوي وهي بعنوان: رشحات من بحر معرفة النبي وهى مباحث في إثبات حقيقة نبوة الرسول وصدقه، بالإضافة إلى بحوث قرآنية. ويسرد المعجزات بتأييد الإله رسله لتأكيد الناس وإيمانهم به كما فصل بمثل واقعة انشقاق القمر علامة لصدق نبوة محمد ﷺ.[١٠]

النبوة عند النورسي مفتاح الحقيقة، ويصفها بنواة أنبتت شجرة الإسلامية بأزاهيرها وثمراتها لأنها صنو القرآن، وشبهها بالشمس التي أ رت أركان الإسلامية الأحد عشر، - أي الأركان الخمسة للإسلام والستة للإيمان -، وبالرغم من هذا الاهتمام والإفاضة في موضوع النبوة إلا أن الأستاذ النورسي لم يهتم بالتعريفات اللغوية والاصطلاحية لمصطلح النبوة، وهو يعبر عن النبوة أحياناً بلفظ النبوة كما في قوله: «أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية المنبث في كل

٨ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط ١،(دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ)، ص ٧٨٩.

٩ محمد ﷺ سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٧)، ص ١٨٣.

١٠ النورسي، الشعاعات، تر:إحسان الصالحي، (استانبول: شركة سوزلر للنشر، ط ٣، ١٤١٩)، ص١٦٦.

جهاته أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل». وقوله: «من المعلوم لدى المدققين أن مقاصد القرآن أربعة: إثبات الصانع الواحد، النبوة، الحشر الجسماني، العدل».[11] وغاية ما قال عنها: «فالنبوة في البشرية فذلكة الخير وخلاصة الكمال وأساسه، وتعد مع التوحيد من مقاصد القرآن وعناصره الأصلية، ولأن النبوة مظهر لصفة الربوبية تكون جامعة وكلية.»[12]

وأحيانا يعبر عن النبوة بالرسالة ويرى أن خبر النبي بمنزلة خبر الرسول تماما فيقول: «إن إخبار مائة وأربعة وعشرين ألفًا من المصطفين الأخيار وهم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام - كما نص عليه الحديث – إخبارا بالإجماع والتواتر مستندين إلى الشهود عند بعضهم وإلى حق اليقين عند آخرين، عن وجود الدار الآخرة، وإعلامهم بالإجماع أن الناس سيساقون إليها، وان الخالق سبحانه وتعالى سيأتي بالدار الآخرة بلا ريب، مثلما وعد بذلك وعدا قاطعا».[13] وبين وظائف الأنبياء ومقاصد بعثتهم وحاجة الإنسانية إليهم من بين تفسيره لآيات القرآن الكريم.

وبين ضرورة الإنسانية إلى رسول يبشرهم بالجنة وينذرهم عن النار بمثل قوله: «ما دام مالك الملك قد اختار الأرض من الكون، واختار الإنسان من الأرض، ووهب له مكانة سامية، وأولاه الاهتمام والعناية، واختار الأنبياء والأولياء والأصفياء من بين الناس، وأكرمهم بالمعجزات والتوفيق في الأعمال، واصطفى من بين هؤلاء المحبوبين إمامهم ورمز فخرهم واعتزازهم، ألا وهو محمد ﷺ، فنوّر بنوره نصف الكرة الأرضية ذات الأهمية، وخمس البشرية ذوي الأهمية

---

١١ النورسي، صيقل الإسلام، تر:إحسان الصالحي، (استانبول: شركة سوزلر للنشر، ط ٣، ١٤١٩)، ص ٢٧.

١٢ بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، تر:إحسان الصالحي، (استانبول: شركة سوزلر للنشر، ط ٣، ١٤١٩)، ص ١٩٤.

١٣ النورسي، الكلمات، ص ١٧٢.

طوال قرون عدة.»[١٤] وقد أتى بأحوجية هذه بقوله: «كلزوم الشمس للضوء».[١٥] واستشهد بالبعثة على سن الأربعين في المكتوب الثالث والعشرون بأنهم لا بد أن يمتلكوا ملكات عقلية ناضجة، واستعدادات قلبية كاملة.[١٦]

ويفرق في الرسائل بين درجة النبوة ودرجة الولاية ووظائفهما بلا التعمق بين الرسالة والنبوة. وينتقد القائلين بأن الولاية أسمى من مرتبة النبوة بقوله: «إن الورطة التي يسقط فيها سالكون من الطرق الصوفي - ممن لا يتبعون السنة النبوية على الوجه الصحيح - هي اعتقادهم بأرجحية الولاية على النبوة!! ولقد أثبتنا مدى سمو النبوة على الولاية وخفوت ضوء الأخيرة أمام نور النبوة الساطع في الكلمة الرابعة والعشرين والكلمة الحادية والثلاثين من كتاب الكلمات».[١٧]

ويصف محمدا صلى الله عليه وسلما صلى الله عليه وسلم بخاتم النبيين وفسره عقلا ونقلا. ووصفه بـ'ترجمان آيات كتاب الكون الكبير'.[١٨] وعنون فيه بنقطة هامة: بأن «حسن الصنعة دليل على نبوة محمد ﷺ»،[١٩] كما فصل إثبات الرسالة الأحمدية في ١٤ رشحات تحت الكلمة التاسعة عشر.[٢٠]

المبحث الرابع: الهدي النبوي ومنهج تطبيق السنن في منظور رسائل النور

كما أن النورسي أشار إلى أمسّ حاجة الأنسانية إلى الأنبياء- عليهم السلام - حكم بوجوب الاقتداء بهم طبعا فى كل عصر ومصر حسب تقويه الحكمة الإلهية بإرسالهم إلى الأمم بالملل الواضحة من عند الله على أيدي الملائكة الأمناء.

---

١٤ المرجع نفسه، ص ١١٢.

١٥ المرجع نفسه، ص ٦٢.

١٦ النورسي، المكتوب، تر:إحسان الصالحي، (استانبول: شركة سوزلر للنشر، ط ٢، ١٤١٩)، ص ٣٤٩.

١٧ النورسي، الكلمات، ص ٣٨٦.

١٨ المرجع نفسه، ص ٤٣.

١٩ المرجع نفسه، ص ٢٥٢.

٢٠ المرجع نفسه، ص ٢٥٤-٢٦٨.

والنبي وهديه هو الأسوة المقتدى للأمة في جميع أمورهم الدينية والدنيوية بالدور الهام في إيجاد أفضل حياة للإنسانية. فيرشد إلى أنهم الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة. ويلقى الضوء إلى أهمية الأسوة المصطفوية بآية {قُل إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّه}. وحتما يقيم الهدي النبوي سيما عند استيلاء البدع وغلبتها وفساد الأمة لحيازة أجر مائة شهيد.

واتباع السنة النبوية المطهرة ألمع الطرق الموصلة إلى مرتبة الولاية، وهو الطريق لـ'وراثة النبوة'، كما بستشهد عليها الصحابة الكرام والسلف الصالح. «يبين القرآن الكريم أن الأنبياء عليهم السلام قد بعثوا إلى مجتمعات إنسانية ليكونوا لهم أئمة يقتدى بهم، في رقيهم المعنوي، ويبين في الوقت نفسه أن اللّه قد وضع بيد كل منهم معجزة مادية، ونصّبهم روادا للبشرية وأساتذة لها في تقدمها المادي أيضا؛ أي إنه يأمر بالاقتداء بهم واتّباعهم اتّباعا كاملا في الأمور المادية والمعنوية؛ إذ كما يحض الق آ رن الكريم الإنسان على الاست ا زدة من نور الخصال الحميدة التي يتحلى بها الأنبياء عليهم السلام، وذلك عند بحثه عن كمالاتهم المعنوية، فإنه عند بحثه عن معج ا زتهم المادية أيضا يومئ إلى إثارة شوق الإنسان ليقوم بتقليد تلك المعجزات التي في أيديهم، ويشير إلى حضه على بلوغ نظائرها....، ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم اللّه على عباده، وأشرف منة عليهم، أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أشر حالا منها، فمن قبِل رسالة اللّه واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأسوأ حالا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم... ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض، وانمحت بالكلية خرب اللّه العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة.»[٢١]

ولا مشاحة في تعبيره عن الهدي النبوي عن السلف إلا أن قوله في مجال

٢١ النورسي، الكلمات، ص ٢٨٠.

السنة النبوية في اللمعة الحادية عشرة «مرقاة السنة وترياق مرض البدعة» تحت النكتة السادسة يوهم بأنه قام بتقسيم جديد في قواعد السنة:

«إن للسنة المطهر مراتب:

١- قسم منها واجب، يمكن ترك، وهو مبين في الأربعة الغراء مفصلا، وهو من المحكمات؛ لا يمكن بأية جهة كانت أن تتبدل.

٢- وقسم منها هو من قبيل النوافل، وهذا بدوره قسمان:-

١) قسم منه هو السنن التي تخص العبادات، وتغيير هذ السنة بدعة.

٢) القسم الآخر يطلق عليه الآداب، ومخالفتها لا تسمى بدعة، إلا أنها نوع مخالفة الآداب النبوية، وهذا القسم هو اتباع أفعال الرسول المعلومة بالتواتر في العرف والعادات والمعاملات الفطرية، ككثير من السنن التى تبين قواعد آداب المخاطبة، وتظهر حالات الأكل والشرب والنوم، ومن ثم فإن من يتبع سنن الآداب يحول عاداته إلى عباداته».[٢٢]

ثم ينتقل النورسي بعد ذلك إلى بيان منابع السنة في النكتة الحادية عشرة: فيقول: «إن لسنة رسول الله ﷺ ثلاثة منابع هي: أقواله وأفعاله وأحواله ﷺ. وهذه الأقسام الثلاثة هي كذلك ثلاثة أقسام: الفرائض، النوافل، عاداته. ففي القسم الفرائض والواجب: لا مناص من الإتباع، والمؤمن مجبر علي هذا الإتباع بحكم إيمانه. والجميع بلا استثناء مكلفون بأداء الفرض والواجب، ويترتب علي إهماله أو تركه عذاب وعقاب. أما في قسم النوافل، فأهل الإيمان مكلفون به أيضاً حسب الأمر الاستحبابي. ولكن ليس في ترك النوافل عذاب ولا عقاب، غير أن القيام بها واتباعها فيه أجر عظيم، وتغيير النوافل وتبديلها بدعة وضلالة.»[٢٣]

وليس هذا التقسيم جديدا أو ما لم يقل من أحد غيره. فمن علماء الحديث من قسم السنة إلى التشريعية وغير التشريعية. كالسيد رشيد رضا

---

٢٢ النورسي، اللمعات، ص ٨٦.

٢٣ النورسي، اللمعات، ص ٩٤.

والسيد محمود شلتوت والشيخ طاهر بن عاشور والدكتور سليم عوا والشيخ عبد المنعم النمر والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ سعد الدين العثماني.[٢٤] وهذا من عند النورسي لا يشير مواجهة إلى مثله بل يعتبر اتباع عادات النبي الفطرية اتباعا محضا يثاب عليه حسب نية الفاعل به.

المبحث الخامس: بعض المشاكل وحلولها في ضوء رسائل النور

ولما كان النورسي رحمه الله قد أولى موضوع النبوة اهتماما بالغا، يمكن للمرء أن يلحظ دور الأنبياء في إيجاد أفضل حياة للإنسانية في رسائله بكل وضوح، ويمكن للباحث إبراز دور الأنبياء في إيجاد أفضل حياة للإنسانية في كل درو حياتهم في ضوء رسائل النور للنورسي، والتي من أهمها: العدالة البشرية العامة، وتطبيق الأمور الإنسانية في ضوء الأحاديث النبوية الشريفة وطبقا للهدي النبوي الذي يمكن العمل بها حسب وجهته في سائر الأزمنة والأحوال إلى يوم القيامة.

بين أن العدالة رأس الرسالة ويجب أن يكون خير الأمة من يمثل العدل بقوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُم﴾[٢٥] جوانبه، ويجب على الأمة الامتثال له ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾،[٢٦] ويرى الأستاذ النورسي أن السلف الصالح ساروا على نهج مدرسة العدل النبوية؛ فحققوا بتلك المسيرة نموذجا فريدا في نظام الحكم والحياة عموما، فجيل الصحابة كانوا على وعي تام بأسس وجوهر تلك الرسالة. فطبقوها في واقع حياتهم حتى أنهم – في رأي النورسي- سبقوا أهل الحضارة الحديثة في الأخذ بأسباب العيش الدنيوي وهذا هو الذي منحهم التمكين الحضاري في الأرض وفي وقت قصير:» فصاروا في زمن

٢٤ أبو الليث الخير آبادي، اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها، (ماليزيا: مركز البحوث الإسلامية، ٢٠٠٥م)، ص ١٦٤.

٢٥ الشورى، الآية ١٥.

٢٦ النساء، الآية ٦٥.

يسير أساتذة مرشدين وسياسيين وحكاما عادلين لأرقى الأمم حضارة وعلماً واجتماعا وسياسة، فحكموا العالم شرقا وغربا».[٢٧]

فالزراعة: قاله النورسي من جانب أن يزرع النبي ﷺ أنواعا معينة من النبات، أو يزرع بطريقة ما، أو يسقي المزروعات كذلك، أو يفعل بالنبات شيئا بقصد تكثير إنتاج أو تحسينه أو نحو ذلك. كإحياء الأرض و الاهتمام بالمزرعة: هناك قاعدة شرعية فى الاسلام وضعها الرسول ﷺ فقال: «من أحيا أرضا مواتا فهى له» فقد قام الرسول صلى اللّٰه علي وسلم بتوجيه التعامل مع الماء و الزرع. وفيما يتعلق بالأرض و معادنها أو زراعتها قام الرسول صلى لله عليه وسلم بتوزيع الأرض المتروكة في المدينة على الصحابة، فأقطع عليه السلام بلال بن الحارث معادن بناحية الفروع، أي أرض ا فيها معادن. و قد حرض الرسول ﷺ علي أن يكون للمدينة كيانها الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي المستقل، اعتمادا على التشابك القائم بين مجموعة النظم في إقامة كيان الدولة و تحقيق هيبتها الداخلية و الخارجية. وشبيه بها ما يفعل بالحيوان بقصد تكثير إنتاجه وتحسينه، كإطعام أعلاف معينة، أو المزاوجة بين سلالات منه مختلفة بقصد الحصول على نسل أجود.

والتجارة أيضا بعمله ﷺ في البيع والشراء في أشياء معينة في ظروف معينة، بقصد تحصيل مكسب من فروق الأسعار. دعا الإسلام في نصوص قرآنه، وفي سنة رسوله ﷺ دعوة قوية إلى التجارة، والعناية بها، وأغرى بالرحلة والسفر من أجلها، وسماه: ابتغاء من فضل لله. وقرن لله تعالى ذكر الضاربين في الأرض للتجارة بالمجاهدين في سبيل لله قال: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل لله وآخرون يقاتلون في سبيل لله﴾.[٢٨] وفي القرآن يمتن لله تعالى على الناس بتهيئته لهم سبل التجارة الداخلية والخارجية بالمواصلات البحرية التي لا تزال أعظم وسائل النقل للتجارة العالمية، فيقول تعالى ممتنا بتسخير

٢٧ النورسي، المكتوب، ص ٢٧٠.

٢٨

البحر وإجراء السفن التجارية فيه: ﴿وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.

وقد امتن لله على أهل مكة بما هيأ لهم من أسباب جعلت بلدهم مركزا تجاريا ممتازا في جزيرة العرب: ﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه﴾ وقد هيأ الإسلام للمسلمين فرصة التبادل التجاري فيما بين أقطارهم وشعوبهم على نطاق عالمي واسع في كل عام، وذلك في الموسم السنوي الإسلامي العالمي؛ موسم الحج إلى بيت لله الحرام، حين يأتون: ﴿رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم لله﴾. ومن هذه المنافع - ولا شك- التجارة، وقد روى البخاري أن المسلمين كانوا يتحرجون من التجارة في موسم الحج يخشون أن يكون في هذا ما يشوب إخلاص نيتهم، أو يكدر صفاء عبادتهم، فنزل القرآن يقول في صراحة وجلاء: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾.

وهناك ما سواها من الأمور الهامة مما قاله النورسي من أمور الاقتصاد بلا الافراط والتفريط بل الوسط في ذلك، وأمور الصناعة بما يوافق أزمات العصر الحاضر، وقضايا السياسة حسب متطلبات رهانات العصر الجديد. وهناك الحلول من خلال رسائل النور للمشاكل البيئية من بين الهدي النبوي كالابتعاد عن الهدي النبوي الذي يعتبر النظافة من الإيمان، ويحث على المحافظة على البيئة. و قد دلت النصوص من السنة على عليه وسلم عن البول في الماء وعن قضاء الحاجة في ثلاثة مو اضع: قارعة الطريق، والظل، وموارد المياه. كالراكد. كما نهي عن قطع الأشجار عموما وبخاصة في الحرمين. إلا للضرورة. والضرورة تقدّر بقدرها. وأمر بالنظافة والمحافظة على طهارة البدن والثوب والمكان في أحاديث كثير يضيق المقام لإيرادها.

وبين في الكلمة العاشرة تحت الصورة الثانية عشرة.»كل ذرة من ذرات الهواء - مثلا - تستطيع أن تدخل في كل زهرة، وفي كل ثمرة، وفي كل ورقة، وتتمكن من أن تؤدي دورها هناك. فلو لم تكن هذه الذرة مأمورةً ومسخرة – لتسبيح اللّٰه - للزم أن تكون على علمٍ بأشكال ما تمكنت من الدخول فيه،

وبصورته وتركيبه، وهيئته.. وكل ذرة من ذرات التراب - مثلا - يمكن أن تكون سبباً لنشوء البذور ونمو أنواعها جميعا. فلو لم تكن مأمورة ومسخّرة للزم أن تحتوي آلات وأجهزة معنوية بعدد أنواع الأعشاب والأشجار... واعلم أن عدم الاعتقاد بالإله الواحد الأحد يستلزم الاعتقاد بآلهة عدة بعدد الموجودات.. فإذا كانت هذه الذرات الكونية كلها مأمورة، فإن لك يقتضي عدم الاعتداء عليها، لأنها جميعا وضعت على نظام دقيق متناسق لسير الحياة».[٢٩]

ومن أهم أسباب هذه المشاكل الاقتصادية: البعد عن الهدي النبوي. و الطمع والجشع والأنانية، وانتشار الربا وقلة العمل وفقدان الرحمة والرأفة والتنافس في جمع المال، وتعاني عالَم اليوم: التزايد في نسبة الفقر والندرة الإنتاجية وسوء توزيع الثروة. وتوجد حلول لمشاكل الاقتصادية أيضا من الهدي النبوي من خلال أسطر رسائل النور:-

إنّ النظام المالي الإسلامي مبني أساسا على التكافل وضمان حد الكفاية لكل فرد من أفراد المجتمع، وذلك من خلال مجموعة من التشريعات التي على رأسها: الزكاة، الإنفا العام على الأهل والأقارب، والصدقات العامة على الفقراء والمساكين والمحتاجين، ثم الهبة والهدية. وإلى جانب هذه التشريعات فإن المنهج النبوي في النظام المالي يؤكد على وجوب العمل على كل بالغ عاقل مستطيع. وشمول الكسب والعمل إلى مصاف العبادات. وحرم السؤال إلا لعدد من الناس: وهم العاجزون عن العمل، أو من أصيب في ماله. أو من غلبت عليه الديون..، حتى ختمه في المكتوب الثاني بقوله «وإن التوكل والقناعة والاقتصاد خزينة عظيمة وكنز ثمين لا يعوّضان عنه بشيء».[٣٠] كما بحث عن موقف الإسلام باب الكرم والرحمة في الكلمة العاشرة تحت الحقيقة الثانية. وعن حرص الإنسان وحبه للجاه في المكتوب الأول تحت السؤال الرابع.

وأما المشاكل السياسية في هذا العصر تكمن في:توكيل السلطة إلى غير

٢٩ النورسي، الكلمات، ص ٥٤.

٣٠ النورسي، المكتوبات، ص ١٤.

أهلها، و استغلال السلطة في الظلم وتحقيق المصالح الشخصية، وانتشار الكذب والتزوير، وانتشار البطالة والجرائم الإنسانية، وفقدان الحريات العامة والاستبداد بالحكم وسوء التدبير وتفشي الرشوة والمحسوبية. فإنّ السياسة الشرعية التي أسّسها المصطفى عليه الصلاة والسلام مبنية أساسا على العدالة، حسب وتدبير شؤون الأمة الدينية والدنيوية بما يضمن مصالحها الدنيوية والأخروية. إنها العدالة المحضة حسب تعبير بديع الزمان سعيد النورسي، وهي التي سار عليه الخلفاء الراشدون بعد وفاة النبي ﷺ. أشار إليه النورسي في جوابه عن حقيقة الوقائع التي دبّت في صفوف المسلمين في عهد سيدنا علي رضي اللّٰه عنه ومعركة الجمل التي دارت رحاها في عينه بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية النسبية ضمن المكتوب الخامس عشر: «إن مقاومة تلك الفتن وإزالتها هي بمواجهتها بإصلاح ذلك المجتمع وتنوير الأفكار المختلفة، وليس بكشف قلة من المفسدين».[٣١]

وقد بين بأهم علاج للمشاكل والأخلاقية مثل ظاهرة العري وفشو الزنا واللواط والسحاق الكذب والخيانة والنميمة والمنافسة السخيفة على متاع الحياة الدنيا وزينتها الفانية وغيرها من النزعات الفاحشة والموجات الفاضحة. فإنّ رسائل النور تدعو إلى إحياء الإيمان في القلوب والمحافظة على مثل هذه الأمور الذميمة طيلها وفي معظم تعاليمها النيرة النورية.

فالمشاكل النفسية كالقلق والحزن المستمر وخوف الموت واليأس مما تنتج إلى مثل تعاطي المخدرات والمسكرات والانتحار. فلقد اقتبس بديع الزمان سعيد النورسي وأمرنا بذلك من نور الرسالة المحمدية الذي به يستضيء المؤمن في حياته، فلا يرى حوله إلا نورا، ولا يفعل إلا الفضائل، ولا يفسر المشاهد من حوله إلا بالفأل الحسن، فيعيش سعيدا ويموت سعيدا. إنه النور الذي يمتد أمام المؤمن إلى يوم القيامة، كما أوضحه في الكلمة الثانية

٣١ النورسي، المكتوبات، ص ٥٩.

«مدى ما في الإيمان من سعادة ونعمة، ومدى ما فيه من لذة وراحة».[٣٢]

ومن الملاحظ أيضا تطبيق النورسي في حياته. كما طبق السنن في حياته اعتبارا ورسالة وذكري للآخرين من حياته، إلا في بعض الأمور مثل: أن إطلاق اللحية سنة نبوية ولكن لم يطلق لحيته، وعلل ذلك قائلا: « منذ صغري عديم اللحية، وسط أناس تسعون بالمائة منهم يطلقون لحاهم». فالملجأ إلى قادنا إليه نحو هذه العباقرة، ثم إن كان في الأجل فسحة وفي الوقت بركة، لا بد من إعادة النظر في رسائل النور بما يحلل مقصد هذه الأمور الهامة. واللّٰه الموفق والهادي إلى سواء الطريق.

الخاتمة

ركز هذا البحث على بيان حقيقة النبوة في فكر النورسي، فتمخّض عنه النتائج التالية:

١) إن النورسي اهتم اهتماما بالغا بموضوع النبوة في مجموع رسائل النور بالعرض والتحليل، فقد عالج منها وقد توسع في رسائله، قضايا وموضوعات عديدة اعتمادا على نصوص القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد ﷺ في الحديث عن نبوة نبينا محمد ﷺ

٢) بالرغم من اهتمام النورسي وافاضته في موضوع النبوة إلا أنه لم يهتم بالتعريفات اللغوية والاصطلاحية لمصطلح النبوة، وهو يعبر عن النبوة أحياناً بلفظ النبوة، وأحياناً يعبر عن النبوة بالرسالة.

٣) أن النورسي قال بثوات من اقتدى بسنن النبي حتى عاداته مع القول بتتبع الهدي النبوي والفعل به من جانبه.

٤) إنّ التشريع الإسلامي قد عالج المشاكل في الحياة الإنسانية على وجه كامل إلا أن الكثير لا يقفون على مثلها. فالملاذ مما قاله النورسي أثناء تفسيره للآيات القرآنية.

---

٣٢ النورسي، الكلمات، ص ٩.

المصادر والمراجع

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، (٥١٣٩٩)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: طبعة دار الجيل.
- الأصفهاني، الراغب، (١٤١٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط ١،(دمشق: دار القلم.
- البوطي، محمد ﷺ سعيد رمضان. (٢٠٠٧م)، كبرى اليقينيات الكونية. بيروت: دار الفكر المعاصر.
- التل، أحمد إسماعيل إبراهيم، (٢٠٠٩م)، الوجيز في النبوة وأحكامها بين المثبتين والنافين، (د.ن).
- التميمي، محمد ﷺ بن خليفة بن علي، (٥١٤١٨)، حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، بيروت: دار الفكر.
- حبنكه، عبد الرحمن، (٢٠٠٤م)، العقيدة الإسلامية وأسسها، دمشق: دار القلم.
- الخير آبادي، أبو الليث. (٢٠٠٥م). اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها. ماليزيا: مركز البحوث الإسلامية.
- الفيروزآبادي، محمد ﷺ بن يعقوب، (٥١٣٩٠)، القاموس المحيط، بيروت: المكتب الإسلامي.
- النورسي، بديع الزمان سعيد. (٥١٤١٩). الشعاعات. تر:إحسان الصالحي، ط ٣، استانبول: شركة سوزلر للنشر.
- النورسي، بديع الزمان سعيد. (٥١٤١٩). اللمعات. تر:إحسان الصالحي، ط ٣، استانبول: شركة سوزلر للنشر.
- النورسي، بديع الزمان سعيد. (٥١٤١٩). المكتوب. تر:إحسان الصالحي، ط ٣، استانبول: شركة سوزلر للنشر.
- النورسي، بديع الزمان سعيد. (٥١٤١٩). سيرة ذاتية. تر:إحسان الصالحي، ط ٣، استانبول: شركة سوزلر للنشر.
- النورسي، بديع الزمان سعيد. (٥١٤١٩). صيقل الإسلام. تر:إحسان الصالحي، ط ٣، استانبول: شركة سوزلر للنشر.

أهمية نشر القيم الإنسانية في ضوء «رسائل النور» لبديع الزمان سعيد النورسي

محمد عالمغير
الأستاذ المساعد في كلية كالياتشاك، جامعة غور بنغا، مالده، البنغال الغربية، الهند

الملخص

قد حاولنا في هذه الورقة أن نبيّن كيف قام بديع الزمان سعيد النورسي بنشر القيم الإنسانية لإصلاح المجتمع في تركيا خاصة وفي العالم كله عامة من خلال رسائله. وسلّطنا الضوء الموجزعلى البيئة التركية المعاصرة له ثم أشرنا إلى مفهوم القيم لغة واصطلاحا. وفي هذا الخصوص قد أدرك بديع الزمان سعيد النورسي بأهمية نشر هذه القيم العليا في المجتمع الإنساني وهي الحق والعبودية والعدل والإحسان والحكمة تجعل من الفرد في المجتمع إنسانا سويا مطمئن النفس وراقي الطباع وملتزما بالحقوق وقائما بحق اللّه تعالى وحق عباده وقائما بالعبودية لله وحده وهذا من أهم أسباب استقرار النفس الإنسانية والالتزام بالعدل في كل أحواله محسن حكيم كما هي تتبلور في رسائل النور لبديع الزمان.

كما ركز بديع الزمان انتباهه على نشر التسامح والمساواة والحرية والمسؤولية والعمل والقوة والأمن والسلام والجمال وما إلى ذلك. فهي تكشف عن جانب الحضارة والثقافة في المجتمع وتضبط سلوك الأفراد تجاه مجتمعهم سواء كانوا حكاما أو محكومين فالتزام كل منهم بهذه القيم ينشر السلام في المجتمع ويجعله قويا متماسكا. أما التزام الأفراد بالقيم الخلقية كالصدق والبر والأمانة والأخوة والتعاون والوفاء والصبر والشكر والحياة النصح والرحمة وغيرها. وهذه القيم مرتبطة بمصالح الفرد والمجتمع ارتباطا قويا.

لا يهدف النورسي من خلال «رسائل النور» إلى توضيح القرآن وتفسيره فحسب بل يقصد إلى تربية القيم الإنسانية كما هي مهمة للغاية لاستقرار

الأمن والسلام ولتزيين حياة الناس بالأخلاق الحسنة في جميع المجتمعات في العالم كله وهي تمثل فرصة مهمة للقاء الإنساني وتعد إطارا عاما للمشاعر الإنسانية وتقرّب بين الناس على اختلاف الجيل والحضارة وكشف بديع الزمان النورسي عن الطريقة المثلي التي من خلالها يتم بناء شخصية المسلم وأدت رسائل النور إلى معرفة الإنسان بما له من حقوق وما عليه من واجبات فلا يعتدى ولا يظلم ولا يطلب أكثر مما يستحق. والقيم الإنسانية عنده هدفت إلى تصحيح كيان الإنسان المسلم فهي تربية تنشد إعادة بناء شخصيته. و هي تأتي من خلال التعليم والمعرفة.

لا تكون غاية هذا البحث إلا الكشف عن القيم الإنسانية والإصلاحات الاجتماعية والتي تعبر عن القيم الإنسانية الإسلامية والأخلاقية الأصيلة وهي تحث الناس على تزيين حياتهم بالدين الإسلامي بقيمه الإنسانية وعلى استقرار الأمن والسلامة وعلى السعادة والنجاح في الدارين.

أهمية نشر القيم الإنسانية في ضوء «رسائل النور» لبديع الزمان سعيد النورسي

هذه من الحقائق التارخية أن يرسل اللّٰه رسولا نائبا له وممثلا بعد أن ظهر الفساد في البر والبحر لكي يكافح الفساد الشامل ويرفع صوت الحق ويتحدى القوى الظالمة ويواجه المشكلات المعاصرة ويفتح نوافذ جديدة لإصلاح المجتمع.

ومن هذه الشخصيات شخصية طلعت على أفق تركيا في أواسط القرن التاسع عشر باسم بديع الزمان النورسي وأبصر النور عام ١٨٧٧م الموافق بـ ١٢٩٤هـ [١]وعاش في الفترة الدقيقة التي تمر بها تركيا من طور إلى طور ومرت حياته بثلاث مراحل أولا في قيادة الجيش والعسكرية وثانيا بعد الرجوع إلى إستانبول من الأسر في روسيا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وثالثا اهتم

١ . سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ص: ٣٥.

بالدين الإسلامي واتخاذ القرآن كمرشد وحيد له، وكرس حياته في نشر العلوم الدينية فعكف على دراسة القرآن دراسة عميقة. وكتب مقالات كثيرة في إصلاح المجتمع وفي نشر القيم الإنسانية فيه حتى دونت في تسع مجلدات باسم «رسائل النور». هذه تدل على تضلعه من العلوم القرآنية ونشرها في المجتمع وليس في وسعنا أن نلمس كل نواحي مساهماته في نشر القيم الإنسانية كلها هنا ولكننا نحاول أن نتناول أعماله القيمة التي تشير إلى نشر القيم الإنسانية لإصلاح المجتمع.

البيئة التركية في القرنين التاسع عشر والعشرين

قبل أن نتناول الموضوع لا بد لنا أن نشير بالإيجاز إلى العصر الذي عاش فيه بديع الزمان النورسي. فكان هناك صراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية التي واجهها الأتراك العثمانيون في أواسط القرن التاسع عشر رغم الدولة الحرة وليست لديهم قوة الإيمان واليقين في توجيه الأمة والبلاد توجيها علميا وفكريا وكانت الحضارة الغربية فائضة بالروح الجديدة والطاقات الحديثة حتى أصبحت تركيا تفقد طابعها الإسلامي ومزاياها الأخلاقية التي توجد فيها منذ زمن بعيد.

عندما كانت المنظمات الإلحادية السرية تستهدف إزالة الشعائر الإسلامية وطمس روح الإسلام في الأمة التركية التي رفعت راية الإسلام منذ الفترة العباسية ونجحت هذه المنظمات في قطع روابط هذه الأمة بالإسلام في القرنين الماضيين حتى شهدت تلك الفترة تحولات رهيبة. وقد حدثت تغيرات وتقلبات كبيرة في مختلف نواحي الحياة الإنسانية في القرن العشرين كما أثرت تجارب الحداثة والعولمة على منزلة العقائد الدينية وعلى تقاليدها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وكان الدين لعب دورا مهما في اتخاذ الحداثة وفي تشكيل تجاربها للمجتمعات، وكانت البلدان الإسلامية تكتسب استقلالها السياسي بسرعة كبيرة. فكان نمط الكفاح للحصول على الاستقلال يحدد إلى درجة كبيرة من طبيعة التنامي والتوسع في الساحة الدينية.

كتب «ولفريد كانتويل اسمث» «دراسة مهمة حول التجربة الإسلامية في

العهد الجديد»: فأوضح بأن التجربة التركية كانت أنجح التجارب في العالم الإسلامي من ناحية التكيف مع الحداثة فقال: «الأتراك هم الشعب المسلم الوحيد الذي عرف ماذا يريد وهم الأمة الوحيدة التي طورت في الأغلب أسسها الثقافية والاجتماعية بشكل ملائم مع جوهر الحداثة[٢].

وهذه البيئة دفعته إلى معالجة مجتمعه من خلال كتابه «رسائل النور» ومن المعروف بشكل واسع أن «رسائل النور» هي تفسير للقرآن وتوضيحه. وذكر المؤلف في مكان آخر أن «رسائل النور» هي «كتاب علم الكلام»[٣]. وكتب المؤلف هذه الرسائل لإصلاح المجتمع وحياة الناس ولتربية القيم الإنسانية ونشرها في مجتمعه خاصة وفي العالم كله عامة. دعنا أن نفهم معنى القيم بالإيجازلكي تساعدنا في فهم موضوع المقال.

مفهوم القيم في اللغة

القيمة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء يقال قوّمتُ السلعة والاستقامة والاعتدال وقومت الشيء فهو قويم أي مستقيم والقوام العدل قال اللّٰه تعالى في سورة الفرقان، الأية: ٦٧)وكان بين ذلك قواما) وقوام الرجل أيضا قامته وحسن طوله[٤].

وفي القاموس المحيط: « القِيمةُ، بالكسر: واحدةُ القِيَمِ. وما له قيمة: إذا لم يدُم على شيء. وقوّمتُ السلعةَ واستقمتُه: ثمّنته، واستقام: اعتدلَ. وقوّمتُّه: عدّلتُه، فهو قويم ومستقيم»[٥].

ورد في لسان العرب: «القيمة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء والقيمة ثمن الشيء بالتقويم تقول تقاوموه فيما بينهم وإذا إنقاد الشيء

2 .. "Islam in Modern History" by Eilfred Cantwell Smith, P 170, Privicton University Press: 1957

٣ كليات رسائل النور بالتركية، ج ٢، ص: ٥٢٢، ٨٣١، ٨٨٣.

٤ الصحاح للجوهري، ج: ٢، ص: ١٠٢

٥ القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ص: ٢٤٥.

واستمرت طريقته فقد استقام لوجه ويقال كم قامت ناقتُك أي كم بلغت وقد قامت الأَمَةُ مائة دينار أي بلغ قيمتها مائة دينار وقامت أَمَتُك أي الاستقامة التقويم لقول أهل مكة استقمت المتاع أي قوّمتُه وفي الحديث قالوا يا رسول اللّه لو قوّمتَ لنا فقال اللّه هو المقوِّم أي لو سعّرت لنا وهو من قيمة الشيء أي حدّدت لنا قيمتها»[٦].

مما سبق يتضح أن مادة (القوم) استعملت في اللغة لعدة معان منها: قيمة الشيء وثمنه والاستقامة والاعتدال ونظام الأمر وعماده والثبات والدوام والاستمرار.

أما في الاصطلاح فالقيم تعد من القضايا التي تعددت فيها الآراء واختلف أهل الاختصاص في تعريفها نظرا لما تتسم به القيم من عمق عرفي وثقافي خاضع لمعتقدات وثقافة الفرد والمجتمع فعندما يتكلم أحد عن القيم فإنه ينطلق من خلفيته الدينية والثقافية ويرتبط تصوره عن القيم بما يلمسه ويشاهده في مجتمعه من حيث سلم القيم وأهميتها ودرجة إلزامها فالدين والثقافة والواقع تعتبر مصادر وأصول تحكم تفاعلنا مع القضية القيمية ونظرتنا له ولذا قد أشرنا إلى عدة تعريفات القيم وليس حصرا منها:

أن القيم هي (مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه[٧])

وعرفها الجلاد بأنها: «مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة يختارها الإنسان بحرية بعد تفكر وتأمل ويعتقد بها اعتقادا حازما تشكل لديه منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء بالحسن أو بالقبح وبالقبول أو بالرد ويصدر عنها سلوك منتظم يتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز»[٨].

أما الزيود فيرى أن «القيم مجموعة من المعتقدات والمبادئ الكامنة لدى الفرد التي تعمل على توجيه سلوكه وضبطه وتنظيم علاقاته في المجتمع في

٦ . لسان العرب لابن منظور، ج: ١١، ص: ٣٥٧.

٧ . نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ج: ١، ص: ٧٨.

٨ . تعلم القيم وتعليمها لماجد زكي الجلاد، ص: ١٢.

جميع نواحي الحياة»[٩] وعرفها أيضا بأنها «مجموعة من المعايير والأحكام التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية الاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته، يراها جديرة بتوظيف إمكاناته وتتدسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة»[١٠].

كما عرفت بأنها: (القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية وتختلف بها عن الحياة الحيوانية كما تختلف الحضارات بحسب تصورها لها)[١١]. وعرفت بأنها (حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك)»[١٢].

ولعل التعريف المختار هو (حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك) لأنه تعريف جامع جعل القيم راجعة إلى الشرع القويم مستمدة منه من خلال مبادئ ومعايير يلتزمها الإنسان في حكمه على الأشياء.

أهمية نشر القيم الإنسانية في ضوء «رسائل النور» لبديع الزمان سعيد النورسي

إذا علمنا مما سبق ما للقيم من أهمية بارزة في تشكيل شخصية الفرد وسلوكه فإنها تلعب دوراً مهماً في تكوين هوية المجتمع وهي ما تسمى بالقيم الاجتماعية وهي «الأشياء التي تكون ذات قيمة معينة عند جماعة من الناس مجتمعين أو موزعين»[١٣].

وللقيم أهمية كبرى في حياة المجتمع بكل أطرافه فالمجتمع الملتزم بالقيم

٩ . الشباب والقيم في عالم متغير لماجد الزيود، ص: ٢٣ – ٢٤.

١٠ . المصدر السابق، ص: ٢٥.

١١ . الثقافة الإسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا لعبد الله إبراهيم الطريقي، ص: ١٤

١٢ . علم النفس الاجتماعي للدكتور حامد زهران، ص: ٢٢.

١٣ . موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية لإسماعيل عبد الفتاح، ص: ١٩.

راق تسوده الطمأنينة والاحترام وما ذاك إلا ثمرة من الثمار الطيبة للقيم. وبهذا المنطلق قد أدرك بديع الزمان سعيد النورسي بأهمية نشر هذه القيم العليا في المجتمع الإنساني وهي الحق والعبودية والعدل والإحسان والحكمة تجعل من الفرد في المجتمع إنسانا سويا مطمئن النفس وراقي الطباع وملتزما بالحقوق وقائما بحق اللّه تعالى وحق عباده وقائما بالعبودية لله وحده وهذا من أهم أسباب استقرار النفس الإنسانية وملتزم بالعدل في كل أحواله محسن حكيم كما هي تتبلور في رسائل النور لبديع الزمان.

كما ركز بديع الزمان انتباهه على نشر التسامح والمساواة والحرية والمسؤولية والعمل والقوة والأمن والسلام والجمال وما إلى ذلك. فهي تكشف عن جانب الحضارة والثقافة في المجتمع وتضبط سلوك الأفراد تجاه مجتمعهم سواء كانوا حكاما أو محكومين فالتزام كل منهم بهذه القيم ينشر السلام في المجتمع ويجعله قويا متماسكا. أما التزام الأفراد بالقيم الخلقية كالصدق والبر والأمانة والأخوة والتعاون والوفاء والصبر والشكر والحياة النصح والرحمة وغيرها. وهذه القيم مرتبطة بمصالح الفرد والمجتمع ارتباطا قويا. فسنرى القيم الإسلامية والقيم الغربية بسبب الاختلاف الجذري في الثقافة. ومن خلال القصص التالية ستتضح لنا القيم الاجتماعية والثقافية.

يعبر بديع الزمان عنها باهتمام الفرد وميله الى غيره من الناس فهو يحبهم ويميل إلى مساعدتهم و يجد في ذلك إشباعا له يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بالعطف والحنان وخدمة الغير. ومن مظاهر تكريم اللّه عز وجل للإنسان أنه لم يتركه بدون مرشد في هذه الحياة بل فطره على الحق: «فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ»[١٤]. والقيم الإنسانية تنطلق من الفطرة السليمة التي خلق عليها اللّه كل البشر باعتبارها معاني مشاركة في تكوين الشخصية الفردية وإقامة البناء الاجتماعي وممارسات توجه السلوك الإنساني تضفي نوعًا من التوازن والانسجام في علاقة الإنسان بذاته وبمن يحيط به. ومما لا شك فيه أن

١٤ القرآن الكريم، سورة الروم، رقم الأية: ٣٠.

ما تعيشه الحضارة الإنسانية المعاصرة من تحولات جوهرية يجعل موضوع القيم من أبرز التحديات التي تواجه الأفراد والأسر والمؤسسات المدنية والمجتمعات والشعوب خاصة الإسلامية وهي تعيش في حالة حادة من حالات الانسلاخ عن الذات سواء باجترار القديم دون تمحيص أو بالتقليد دون وعي أو تبصر الأمر الذي يغدو معه استنباط القيم الإنسانية من عمق مكابدات الإنسان مع الحياة قضية ضرورية وملحة كما أن محاولة إشاعتها باعتبارها قيمًا إنسانية مشتركة بين البشرية جمعاء يمثل طوق النجاة لها.

الآن ننتقل إلى كيف قام بديع الزمان بنشر القيم الإنسانية لإصلاح المجتمع بذكر فضائل «بسم اللّٰه». ويُبدأ كل عمل باسم اللّٰه. عندما نخوض في التفكير لماذا بدأ النورسي كتابه أولًا ببيان باسم اللّٰه. لأن هذه الكلمة تشير إلى البركة والأشياء التي يحتاج الإنسان إليها كل أيام في المجتمع ويقول النورسي كما أنه ربط القرآن بالحياة اليومية وذكر فضيلة بسملة ففيها بركة. في كل عمل للإنسان أن يبدأه باسم اللّٰه. ويقول النورسي:

«بسم اللّٰه رأس كل خير وبدء كل أمر ذي بال فنحن أيضا نستهل بها. فيا نفسي اعلمي! إن هذه الكلمة الطيبة المباركة كما أنها شعار الإسلام. فهي ذكر جميع الموجودات بألسنة أحوالها. فإن كنت راغبة في إدراك مدى ما في «بسم اللّٰه» من قوة هائلة لا تنفد، ومدى ما فيها من بركة واسعة لا تنضب»[١٥].

هذه تشير إلى أن بديع الزمان سعيد النورسي بدأ باكتشاف تجليات القيم في الحياة اليومية لأن الإنسان محتاج إلى البركة في كل شيء. كذلك أكد على ورده قبل أن يبدأ العمل. وأجاب في سؤال: إننا نبدي احتراما وتوقيرا لمن يكون سببا لنعمة علينا فيا ترى ماذا يطلب منا ربنا اللّٰه؟

الجواب: إن ذلك المنعم الحقيقي يطلب منا ثلاثة أمور ثمنا لتلك النعم الغالية:

---

١٥ الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ٦

الأول: الذكر الثاني: الشكر الثالث: الفكر[١٦].

ويبدو لنا أن النورسي يريد أن يشير إلى أن كل شخص عليه أن يذكر اللّٰه وأن يشكر اللّٰه بالحمد لله وأن يفكر في تلك النعم البديعة التي أنعمت عليه. وأما ذكرنا هذه النقطة هنا بسبب تركيز انتباه الناس على وعي اللّٰه عند بدء كل عمل. وينسى كثير منا البسملة في بداية كل عمل في كثير الأحيان. هذا يحدث معنا بسبب غلبة الشياطين علينا. ولا نشكر اللّٰه على نعمه كلها. وفي مجتمعنا كثير منا لا يفضي النعم من اللّٰه ويدرك بأنه حصل عليها بجهده. هذا الظن الخطأ يفسد الاجتماع كله ولذا نبّه النورسي الناس على أداء الشكر والامتنان لله على نعمه. هذا يكتمل حينما يبدأ كل عمل بالبسملة كما قال اللّٰه تعالى:»لإن شكرتم لأزيدنكم ولإن كفرتم إن عذابي لشديد»[١٧]. هذا يدل على علاقة المخلوق بخالقه التي تستقر الأمن في المجتمع.

وكذلك لفت بديع الزمان سعيد النورسي أنظارنا إلى نشر القيم الإنسانية من خلال تبليغ الرسالة النبوية أي عبادة اللّٰه كما قال اللّٰه تعالى: « يا أيها الناس اعبدوا «[١٨] و بذكر هذه الآية قصد النورسي إلى نشر القيم لإصلاح المجتمع التركي. وقام بترسيخ العقيدة الإسلامية فيه. وقابل التحديات الملحدة وأثبت الإيمان بالله ودعا إلى عبادة اللّٰه ولذلك تناول في الكلمة الثالثة من رسائله: «يا أيها الناس اعبدوا». ويقول في نتيجة هذه الآية أن سعادة الدنيا أيضا - كالآخرة - هي في العبادة الخالصة لله. قد أشار النورسي:

«إن خلق اللّٰه تلك اللطائف والحواس والمشاعر في وجودكم وأدراجَكم في فطرتكم إنما يستند إلى أساسين اثنين:

الأول أن تجعلكم تستشعرون بالشكر تجاه كل نوع من أنواع النعم التي أسبغها عليكم المنعم سبحانه. أي عليكم الشعور بها والقيام بشكره تعالى وعبادته.

---

١٦ نفس المصدر: ص:٨

١٧ القرآن الكريم، سورة إبراهيم، رقم الأية: ٧.

١٨ المصدر السابق، سورة البقرة، رقم الأية: ٢١.

الثاني: أن تجعلكم تعرفون أقسام تجليات الأسماء الحسنى التي تعم الوجود كله معرفتها وتذوقها فردا فردا. أي عليكم الإيمان بتلك الأسماء ومعرفة ذوقية خالصة. على هذين الأساسين تنمو الكمالات الإنسانية وبهما يغدو الإنسان إنسانا حقا»[١٩].

وإنه عالج حياة الناس اليومية من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح من خلال تبيين أداء الصلوات الخمس. فكل وقت إذن من هذه الأوقات الخمسة بداية انقلاب عظيم ويذكر بانقلابات أخرى عظيمة فهو يذكر أيضا بمعجزات القدرة والحمدانية وهدايا الرحمة والإلهية سواء منها التوبة.

وأكد سعيد النورسي على أداء الصلوة لأنها تنهى عن المنكر وتصلح المجتمع أيضا ويقول اللّٰه تعالى في القرآن المجيد سورة العنكبوت، الآية: ٤٥، «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر اللّٰه أكبر». كما يقول سعيد:

«هذه الصلوات المباركة تحوز أهمية عظيمة لأن حكمة خلق الإنسان وسر جامعية استعداده هو الالتجاء إلى خالقه الكريم والتضرع إليه والقيام بحمده والشكر له. وفي كل وقت وحين بل في كل دقيقة وآن، لذا فإن أقوى دافع مؤثر وسائق فعال يحث الإنسان إلى الالتجاء وإلى الحضرة الإلهية ويسوقه إليها هو الأمراض والأسقام مثلما أن أنواع الشفاء وأجناس الأدوية وألوان العافية والمعافاة هي في مقدمته النعم اللذيذة والآلاء الطيبة التي تبعث في الإنسان الشكر لله بشوق كامل وتدفعه إلى الحمد والامتنان له بكل مل معانيها»[٢٠].

من هنا يتجلى لنا أن بديع الزمان أكد على نشر القيم الإنسانية من الحمد والشكر لله في كل يوم بأداء خمس صلوات. هذه الأعمال تحرض الإنسان على استقرار القيم الخلقية والفضائل العالية في المجتمع وتجعله إنسانا كاملا. هذه الملاحظات تشير إلى المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة بين الخالق والمخلوق.

---

١٩ الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، ص: ١٧٠.

٢٠ الشعاعات، لبديع الزمان النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، ص: ٩

كما أن سعيد النورسي دعا الناس إلى المؤاخاة والانسجام الاجتماعي واستقرار الأمن والسلام في ضوء القرآن الكريم. وأنكر النزاع الذي يؤدي إلى تشريد المسلمين وانتشارهم في جماعات مختلفة.

كما أشار إلى نفس الشيء ويقول: « فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تشير النزاع لأنكم أهل التوحيد وبينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والإتحاد «[٢١].

هذه القيم من المؤاخاة والانسجام الاجتماعي مهم للغاية لاستقرار الأمن والهدوء في العالم كله. ولذلك أكد بديع الزمان في كثير من الأحيان على نشرها في مجتمعنا. كما تحدث النورسي عن تفسير هذه الأية «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم»[٢٢].

«إن ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء مرفوض أصلاً. ترفضه الحقيقة والحكمة ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى. فضلا عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة»[٢٣].

وبهذا المنطلق تكتشف لنا أهمية القيم الإنسانية لبناء أي مجتمع. وهذه تدل على أن النورسي حاول أن يثبت أن العداوة والحقد والحسد تضر المؤاخاة الاجتماعية وتبعد بعضا من بعض ثم هي تنافي المحبة لأنها تؤلف قلوب الناس فعلينا أن نستأصل هذه العادات السيئة منه. كما يقول النورسي:

«العداء ظلم في نظر الحكمة إذ العداء والمحبة نقيضان – كما لا يخفى – فهما كالنور والظلام لا يجتمعان معا بمعناهما الحقيقي أبدا. فإذا ما اجتمعت دواعي المحبة وترجحت أسبابها فأرست أسسها في القلب، استحالت

٢١ اللمعات لبديع الزمان النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، ص: ٣٧.

٢٢ القرآن الكريم، سورة الحجرات، رقم الأية: ١٠.

٢٣ المكتوبات لبديع الزمان النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، ص: ٣٣٩.

العداوة إلى عداء صوري بل انقلبت إلى صورة العطف والإشفاق إذ المؤمن يحب أخاه وعليه أن يوده»[٢٤].

قد أشار سعيد النورسي إلى أهمية احترام الشيوخ الرأفة بالوالدين ويفسر عن هذه الأية « إما يبلغن عندك الكبر أحدُهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما»[٢٥]. ويقول النورسي:

«ما دام الإسلام يأمره بتوقير الشيوخ والرحمة بهم والفطرة الإنسانية تقتضي الاحترام والرحمة تجاه الشيوخ»[٢٦]. ويريد النورسي هنا من احترام الوالدين احترام الكبارأيضا في المجتمع.

ويتضح لنا أهمية العون العفو من اللّٰه عند مصائب الزمان إذ كان النورسي أسيرا أثناء الحرب العالمية الأولى في شمال شرقي روسيا وقال:

«أنا غريب... أنا وحيد.. أنا ضعيف... أنا عاجز... أنشد الأمان وأطلب العفو وأخطب العون في بابك يا إلهي»[٢٧].

ختام المقال

هذا غيض من فيض حول أهمية نشر القيم الإنسانية في ضوء «رسائل النور» لبديع الزمان سعيد النورسي. وفي هذه الدراسة يمكننا أن نفهم أهمية تربية القيم الإنسانية ونظراته الثاقبة في نقد المجتمع ومحاولة إصلاح ما فسد منه من أثر الثقافة الغربية الحديثة. واتجاهات التربية عنده سارت باتجاه معرفي والغرض منها تثقيف القيم العامة باستخدام الأدوات المعرفية التي يمتلكها الإنسان ومن هنا تجلت لنا أهمية نشر القيم الإنسانية عند بديع الزمان سعيد النورسي التي تناولها في كتابه «رسائل النور».

أخيرا نود أن نثبت كيف فسر بديع الزمان عن القيم الإنسانية التي تقتضي

---

٢٤ . المصدر السابق، ص: ٢٤٠.

٢٥ . القرآن الكريم، سورة الإسراء، رقم الأية:٢٣.

٢٦ . اللمعات لبديع الزمان النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، ص: ٣٦٢.

٢٧ . اللمعات لبديع الزمان النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، ص: ٣٦٠.

إلى حكمة اللّٰه في خلق الإنسان ومعرفته بخالقه لكي يؤدي واجباته بحيث أشرف المخلوقات. وذلك ليتم استخدامها بشكل صحيح لتحقيق الهدف الذي خلق اللّٰه البشر.

إن القيم الظاهرة والمادية أو الروحية تلبي متطلبات معينة للإنسان أو المجتمع وتخدم مصالحه وأهدافه. فالبشر لا يدركون بصفات الأشياء فحسب بل يقيمونها من زاوية منفعتها أو ضررها بالنسبة لحياتهم. وتتسم القيم في نهاية المطاف بطابع اجتماعي، فهي تظهر في مجرى نشاط الإنسان العملي. والقيم الإنسانية في الإسلام لا تتغير ولا تتطور تبعًا للظروف الاجتماعية أو السياسية والأحوال الاقتصادية بل هي حدود ثابتة متينة ضد الفوضى والظلم والشر والفساد يقول اللّٰه تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا»[٢٨]. لذلك فالإنسان المؤمن يسعى دائمًا إلى الثبات على القيم مهما تغيرت به الأحوال ولا يحق له التغيير سوى فيما يساعده على ذاك الثبات وما يحقق طبيعة استخلافه في الأرض.

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم

٢) الحديث النبوي

٣) بديع الزمان سعيد النورسي»إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة شركة شوزلر للنشر، القاهرة، د- ت.

٤) بديع الزمان سعيد النورسي»سيرة ذاتية» ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة شركة شوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

٥) بديع الزمان سعيد النورسي «الشعاعات»، ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة شركة شوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

٦) بديع الزمان سعيد النورسي»صيقل الإسلام» ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة شركة شوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

٢٨ . القرآن الكريم، سورة البقرة، رقم الأية: ٢٣٠.

٧) بديع الزمان سعيد النورسي»المثنوي العربي النبوي» ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة شركة شوزلر للنشر، القاهرة، د – ت.
٨) بديع الزمان سعيد النورسي»المثنوي العربي النبوي» ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة شركة شوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٩) بديع الزمان سعيد النورسي»المكتوبات» ترجمة احسان قاسم الصالحي، مطبعة شركة شوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.
١٠) الجلاد، ماجد زكي. تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

رؤية النورسي حول التربية و التعليم

د. محمد مسيح الرحمان
رئيس قسم اللغة العربية وأستاذ مشارك، الجامعة العالية، كولكاتا، الهند.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد

لا يخفى على أحد أن التربية والتعليم من أهم الأشياء في الحياة البشرية، وهي أساس لإخراج المجتمع من الظلمات إلى النور، و تطوبر المجتمع البشري إلى التقدم و الرقي، فلذا اهتم بها الاسلام كل اهتمام. وقد وردت آيات القرآن الكريم و أحاديث الرسول الأمين في فضل التربية والتعليم. و بذل الجهود القيمة لها أسلافنا الصالحون.

و في ترتيب هذا الموضوع «رؤية النورسي حول التربية و التعليم» استفدت من الكتاب والسنة و من الكتب العديدة، خاصة من رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي.

وقد قسمت بحثي هذا إلى عدة مباحث: وهي

المبحث الأول: مفهوم التربية و التعليم و أبعاده

المبحث الثاني: مفهوم التعليم عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي و منهجه في التربية:

المبحث الثالث: خلاصة البحث

المبحث الأول: مفهوم التربية و التعليم و أبعاده:

و قد ذكرت في هذا المبحث الأول المعنى اللغوي و الاصطلاحي للتعليم و التربية و إستدللت هذه الكلمة من الكتاب و السنة النبوية الشريفة، و ذكرت مولفات السلف الصالحين الذين استدلوا بهذه الكلمة في كتبهم، و بينت الآراء المختلفة للتربويين و المعلمين.

مفهوم التربية

أما كلمة «تربية» فإنها مشتقة من «رَبَ وَ» والفعل منه «ربى» و هو في جميع تصاريفه يدل على معاني النمو و الزيادة، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند اللّٰه﴾ [1]. أي ليزيد في أموال الناس، وسمي الربا ربا لما فيه من الزيادة على رأس المال.

ويقول اللّٰه تعالى: ﴿يمحق اللّٰه الربا ويربي الصدقات﴾[2]. أي ينمي الصدقات و يزيدها بتضعيف أجورها الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف كما ورد في الحديث الصحيح.

والفعل «ربّى» مضعّف يتضمن معنى التدرج والتعهّد المستمر. يقول رسول اللّٰه ﷺ: «لاَ يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلاَّ أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا كَما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ قَلُوصَهُ حَتى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ»[3]

و تربية الإنسان هى التعهد بالرعاية بكل ما من شأنه أن يحقق نموه في كل مجالات النمو، وقد وردت هذه الكلمة بهذا المعنى في القرآن الكريم؛ يذكر اللّٰه تعالى على لسان فرعون مخاطبا موسى عليه السلام: ﴿ألم نربِّك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين﴾[4].

ويقول اللّٰه تعالى في موضع آخر: ﴿وقل ربّ ارحمهما كما رباني صغيرا﴾[5].

التعريف الاصطلاحي: تختلف الآراء في تحديد مفهوم التربية باختلاف الظروف التاريخية وباختلاف البيئة والأماكن، لذا لا يمكن لي أن أجمع تلك التعريفات في هذا المكان، غير أن التعريف الذي أراه مناسبا هو "أنها عملية يتم بها الانتقال بالفرد من الواقع الذي هو عليه إلى المثل الأعلى الذي ينبغي أن يكون عليه".

و قيل: تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية حتى تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف ويقصد بها عند علماء التربية نمو الكائن البشري من خلال الخبرة المكتسبة من مواقف الحياة المتنوعة، و يقصد بالنمو اكتساب خبرات جديدة متصلة ومرتبطة ارتباطاً معيناً وثيقا لتكون نمطاً خاصاً

بشخصية الفرد و توجهه إلى المزيد من النمو ليتحقق بذلك توافق أفضل بين الفرد وبيئته[٦] .

قال الإمام البيضاوي (ت٦٨٥هـ): الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به تعالى للمبالغة»[٧].

وقال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ): «الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام»[٨].

تعريف التربية الإسلامية

التربية الاسلامية هو»نظام من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، و المعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة، نابع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، يهدف إلى تربية الإنسان وإيصاله إلى درجة الكمال التي تمكنه من القيام بواجب الخلافة في الأرض، عن طريق إعمارها، وترقية الحياة على ظهرها، وفق منهج اللّٰه»[٩].

و قيل: «التربية الإسلامية أحد فروع علم التربية الذي يُعنى بتربية الإنسان وإعداده في مختلف جوانب حياته، وفي كافة مراحل عمره وذلك من منظور الدين الإسلامي الحنيف»[١٠].

مفهوم التعليم

التعليم لغةً: اريد به من عَلَّمَ، وعلمه الشيء تعليما فتعلم ومنه قوله تعالى:» وعلم آدم الأسماء كلها» [١١]. وقوله تعالى «وعلمتك ما لم تكن تعلم « [١٢].

التعليم إصطلاحاً: هي عملية يُقصد بها تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بالنظرات المختلفة – أو هي عملية بناء شخصية الأفراد بناء شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم، أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها – وتكون التربية للفرد والمجتمع [١٣].

و قد وردت هذه الكلمة في بعض آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى:» هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويُزكيهم

ويُعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين»[١٤] و كذا وردت هذه الكلمة في بعض أحاديث الرسول ﷺ، فقد روي عن عثمان بن عفان رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١٥]. وممن استخدم هذه الكلمة العالم برهان الدين الزرنوجي (المتوفى سنة ٦٢٠هـ تقريباً) في كتابه القيّم (تعليم المتعلم طريق التعلم)، والإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (المتوفى سنة ١٥٠هـ) في رسالته (العلم والمتعلم). وهنا تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن مصطلح (التعليم) شائع وعامة الاستعمال في كتابات علماء السلف؛ إلا أن استخدامه كان محصوراً - في الغالب - للدلالة على تنمية الجانب المعرفي المتمثل في طلب العلم.

أما التعليم العام فإنه: «هو التعليم الذي يهتم بإعداد المواطنين لهم القدرة على المعرفة و الاستنارة وتحمل المسؤولية، كما يعمل هذا النوع من التعليم على نقل الثقافة المشتركة من جيل إلى جيل، فالتعليم الذي نتعلمه أثناء حياتنا من لغة و عادات و أعمال ما هو إلا تعليم تلقائي، و أما التعليم النظامي فهو التعليم الذي يكون في مصارح علمية من مدارس و جامعات، و التعليم غير الرسمي و هو أن يقوم شخص بتعليم شخص مباشرة و هو ليس بالمدارس، و ليس مما يتعلمه الإنسان تلقائيا في الحياة.»[١٦].

يرى بعض الباحثين أن التربية والتعليم كلاهما شيء واحد ولا فرق بينهما فهما عبارة عن عملية التنشئة و التلقين و تكوين معرفة و وجدان، إلا أن هناك من يرى أن التربية أعم وأشمل من التعليم، فكل تربية تعليم وليس كل تعليم تربية، فالتعليم يهدف لتنمية العقل وتمكينه من اكتساب المعارف والمهارات اللازمة لحياته، لكنه يبقى غير مؤثر بالتربية التي لا تشمل جوانب الفرد الروحية والعقلية المختلفة.

المبحث الثاني:

مفهوم التعليم عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي و منهجه في التربية

يقول الإمام بديع الزمان سعيد النورسي أن الإسلام هو رأس العلوم والفنون و

القرآن الكريم مصدرها و منبعها و قد أرسل اللّٰه رسوله صلى اللّٰه عليه و سلم لنشرها و تبليغها بين الناس يقول اللّٰه عز و جل: ﴿و من الناس و الدواب و الأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى اللّٰه من عباده العلماء إن اللّٰه عزيز غفور﴾[١٧]

و قد وردت أحاديث كثيرة في هذا الموضوع: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و سلم» من سلك طريقا يطلب فيه علما، سهل اللّٰه له طريقا من طرق الجنة، و إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، و إن العالم ليستغفر له من في السموات و من في الأرض و الحيتان في جوف الماء، و إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، و إن العلماء ورثة الأنبياء، و إن الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١٨].

ويقول الإمام النورسي أن سبب الجهل والتخلف في الأمة الإسلامية هو الابتعاد عن مقومات الإسلام و الاعتقاد بأن الإسلام معارض للعلوم الكونية وحقائقها. «نعم إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكشفها هو سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم.... فالإسلام سيد العلوم و مرشدها و رئيس الحقيقة و والدها»[١٩].

إن الإمام النورسي كان من العلماء العباقرة الذين يؤكدون على الجمع بين العلوم الإسلامية و العلوم الحديثة، و يرون أن السعادة و الفوز للمسلمين في هذه الدينا و الآخرة في جمع هذين القسمين من العلوم. «و يؤضح الشيخ النورسي على أهمية الجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، وعدم الاكتفاء بعلوم الشريعة فقط، لأن العلوم الحديثة هي مدار السعادة في الدنيا وتحقيق الرقي والإزدهار، فسعادتنا الدنيوية ستحصل من جهة بالعلوم الحديثة الحاضرة، وإن أحد الروافد غير الآسنة لتلك العلوم سيكون العلماء، والمنبع الأخر سيكون حتما المدارس الدينية، كي يأنس علماء الدين بالعلوم الحديثة»[٢٠].

و يستدل الإمام النورسي بقول الله عز و جل: ﴿و علم آدم الأسماء كلها﴾[٢١]. على كرامة آدم عليه السلام بأن اللّٰه فضل آدم على الملائكة بسبب العلم، و بمناسبة هذا الموضع يقول الإمام في الكلمات: «العلوم الدينية هي ضياء الوجدان، و العلوم المدنية هي نور العقل، و من امتزاجها تتجلى الحقيقة، و الطالب يطير بهذين الجناحين، فإن افترقا تولد الغضب عند الأول، و الشبهة و التردد و الحيلة عند الثاني»[٢٢].

و قد وضح الدكتور أحمد آق نظرية الإمام النورسي حول العلم و التعليم في القال الذي ألقاه في المؤتمر العالمي في إستنبول ٢٧-٢٩/٢/١٩٩٢، (رقم الصفحة:١٩١) حول موضوع تجديد الفكر الإسلامي «من هنا تظهر الحقيقة التالية: كما أن موضوع القرآن هو الكون أيضا موضوع للعلم، فالقرآن و العلوم كلا منهما يقومان بإيضاح أبواب و فصول و سور و آيات كتاب الكون هذا، لذا فلا يمكن مطلقا أن تكون هناك حكمة أو علم مخالف و مضاد للقرآن. ذلك لأن القرآن هو ترجمة لكتاب الكون من قبل مؤلفه، أما العلوم فهي الإيضاحات المقدمة للكتاب نفسه من قبل بعض المبتدئين من الذين لم يفهموا هذا الكتاب الفهم الكافي، و علوم الفيزياء و الكيمياء و الرياضيات هي العلوم التي توضح أحكام كتاب الكون».

و إذا بحثنا بدقة نجد أن معجزات الأنبياء ليست خارقة للعادة فقط بل هى للدلالة على أن الإنسان سوف يحصل و يتحقق له فى المستقبل الحقائق العلمية و التقدم و الرقى، و نجد أمثلتها فى رسائل النور للشيخ سعيد النورسى فإنه درس هذا الجانب بدقة و براعة و فسر آيات القران الكريم و شرح الأحاديث النبوية فى هذا المنظار يقول: «نعم نفهم من أستاذية القرآن وإشارات درسه، أن القرآن بذكره معجزات الأنبياء، إنما يدل البشرية على أن نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، و يحث الإنسان على ذلك و كأنه يقول له: هيّأ اعمل واسع لتنجز أمثال هذه المعجزات، فاقطع مثلا مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام، واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه

السلام، واستخرج الماء الباعث على الحياة من الصخر وانقذ البشرية من العطش كما فعله موسى عليه السلام بعصاه. وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار، وألبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام. و التقط أبعد الأصوات واسمعها وشاهد الصور من أقصى المشرق و المغرب كما فعل ذلك بعض الأنبياء. و ألِن الحديد كالعجين كما فعل داؤد عليه السلام، و اجعل الحديد كالشمع في يدك ليكون مدارا لجميع الصناعات البشرية، كما تستفيدون فوائد جمة من الساعة و السفينة اللتين هما من معجزات سيدنا يوسف وسيدنا نوح عليهما السلام. فاعملوا على محاكاتهما و تقليدهما»[٢٣]. كل هذه المعجزات تشير جميعها إلى أن القرآن هو أستاذ الحضارات و منبع التقدم و الرقي، كما أنه يعطي الإنسان السعادة المادية بترغيبه في التقدم و الفن و العلم [٢٤].

و أما الإمام النورسي فإنه يقول بهذه المناسبة: «معجزة سيدنا محمد صلى اللّٰه عليه و السلام كنز علمي عظيم: إنه خاتم ديوان النبوة، و سيد المرسلين، الذي تعد جميع معجزات الرسل معجزة واحدة لتصديق دعوى رسالته، و هو فخر العالمين، و هو الآية الواضحة المفصلة، لجميع مراتب الأسماء الحسنى كلها، التي علمها اللّٰه سبحانه آدم عليه السلام تعليما مجملا.

ذلكم الرسول الحبيب محمد صلى اللّٰه عليه و سلم الذي رفع إصبعه عاليا بجلال اللّٰه فشق القمر، و خفض الإصبع المبارك نفسه بجمال اللّٰه ففجر ماء كالكوثر.....و أمثال ذلك كثير من المعجزات الباهرات، التي تزيد على الألف هذا الرسول الكريم، أظهر القرآن الكريم، الذي هو المعجزة الكبرى، التي تتحدى الإنس و الجن: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كا بعضهم لبعض ظهيرا﴾[٢٥]. و هكذا فإذا كانت كل معجزة من معجزات الأنبياء، تشير إلى خارقة من خوارق الصناعات البشرية. و كانت معجزة سيدنا آدم تشير إلى فهرس خوارق العلوم و الفنون و الكمالات. فإن المعجزة الكبرى للرسول الأعظم صلى اللّٰه عليه و سلم هي القرآن الكريم ذو البيان المعجزة: لأن حقيقة تعليم الأسماء، تتجلى فيه بوضوح

تام، و بتفصيل أتم، و يبين الأهداف الصائبة للعلوم الحقة و للفنون الحقيقية، و يظهر بوضوح كمالات الدنيا و الآخرة و سعادتهما، فيسوق البشر إليها و يوجهه نحوها، مثيرا فيه رغبة شديدة فيها، حتى أنه يبين بأسلوب التشويق أنت: « يا أيها الإنسان! المقصد الأسمى من خلق هذا الكون، هو قيامك أنت بعبودية كلية، تحاه مظاهر الربوبية، و أن الغاية القصوى من خلقك أنت، هي بلوغ تلك العبودية بالعلوم و الكمالات» فيعبر بتعابير متنوعة رائعة معجزة مشيرا بها إلى:أن البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، و تنصب إلى الفنون، و ستستمد كل قواها من العلوم و الفنون، فيتسلم العلم زمام الحكم و القوة. أبعد هذا كله... أفلا يحق للمسلمين أن يكونوا أولى بالإغتراف من معين العلم، و تسلم زمام الحكم و القوة، بدلا من التخلف و المهانة التي يعيشون فيها. إنه عار علينا أن نكون إتباع هذا الرسول الأمين، و أنزل علينا هذا القرآن العظيم، و نعبد الحكيم العليم، ثم نعيش هذا التخلف العلمي المهين، رغم أن قرآننا زاخر بالإشارة إلى خوارق التقدم العلمي و الصناعي على يد الأنبياء، و هناك أوامر مطلقة لاتباع الأنبياء - عليهم السلام، و الاقتداء بهم لأن هذا من أساسيات العقيدة.» [٣٦].

إن رسائل النور للشيخ النورسى تذكرنا النظائر العلمية فقد جاء فى كتاب نظرة عابرة عن حياته و أثاره جمع فيه المؤلف الرسائل التى تدل على عظمة الخلق جاء فيه «و هكذا تسرد الرسالة ما يستعظمه الإنسان من نتائج الاكتشافات العلمية، أنها حقيرة و صغيرة بل تافهة أمام عظمة مخلوقات اللّه سبحانه. و أما وظيفة العبودية للإنسان على الأرض... و هو يرى أن ما كان يظنه قبل سنين من الأمور العظيمة و التي يطلق عليها خطأ(معجزات العلم) أصبحت من الأمور المالوفة و البديهة.»[٣٧].

منهج الإمام النورسي التربوي:

أود أن أبحث في السطور التالية المنهج التربوي للإمام النورسي على مستوى الفرد و العائلة و المجتمع بكل غاية من الدقة و الوضوح:

المنهج الأول:

تعليـم الفـرد: يركز الإمام النورسي نظرته في إصلاح الشخصية المسلمة لأنه لا يمكن إصلاح العائلة و المجتمع الا بصلاح الفرد المسلم، و التعليم بمقدار معين يومي من رسائل النور ضروري، و الرسائل تلقن الفرد عن الحقائق الشرعية الإسلامية و تزين الشخصية و تبعده عن الرذائل و المنكرات.

يرى الأستاذ أن التعليم و الإيمان معا لازم لكل مسلم يعيش في المجتمع الإنساني، قال الإمام: «إن الإنسان قد جاء إلى هذه الدنيا لكي يرتقى و يكتمل عن طريق شيئين: العلم و الدعاء و بذلك يؤكد أن في التعليم الفردي مزج بين عمليتين: « التعليم والإيمان»[٢٨].

«يدرك طالب النور بعملية التعليم الفردي واجباته تجاه اللّٰه، وتجاه الحياة التي يحياها» و هذا يمكن في تلازم الأمور التالية:

الأول: «إذا ما صان الشاب نفسه بتربيتها بالقرآن، والسنة النبوية الشريفة، فسيكون شاباً رائداً حقاً، وإنساناً كاملاً، ومسلماً صادقاً سعيداً، وسلطاناً على سائر المخلوقات. نعم إن الشاب إذا ما دفع ساعة واحدة إلى إقامة الفرائض، وتاب عن سيئاته ومعاصيه وتجنب الخطايا والذنوب... فإنه سيعود بفوائد جمة على حياته، ومستقبله، وبلاده، وأمته، وأحبائه وأقاربه... فضلا عن أنه يكسب شباباً خالداً في النعيم المقيم يوم القيامة.»[٢٩].

الثاني– "إن كنت تريد أن تعادي أحدا فعادي ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها، واستئصال شأفتها. وحاول أن تعادي أعدى أعدائك، وأشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك. فقاوم هواها، واسع إلي إصلاحها ولا تعاد المؤمنين لأجلها. فإن عداءك للمؤمنين ظلم مبين. وإن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فبها تخمد نار الخصومة. أما إذا قابلت إساءته بمثلها، فالخصومة تزداد، حتى لو أصبح مغلوباً -ظاهراً- فقلبه يمتلئ غيظاً عليك... بينما مقابلته بالإحسان تسوقه إلى الندم، وقد يكون صديقاً حميماً لك، فمن شأن المؤمن أن يكون كريماً، فإن أكرمته فقد ملكته،

وجعلته أخاً لك، حتى لو كان لئيماً -ظاهرا- إلا أنه كريم من حيث الإيمان.“ [٣٠].

الثالث: «أنْ يُرَوِّضَ الإنسان لسانه على الصوم عن الكذب والغيبة، والعبارات النابية، ويمنعه عنها، ويرطب ذلك اللسان بتلاوة القرآن الكريم، وذكر اللّٰه سبحانه وتعالى، والتسبيح بحمده، والصلاة والسلام على الرسول الكريم محمد ﷺ، والاستغفار... ويغض بصره عن المحرمات، ويصون أذنه من الكلام البذيء... حتى يصل بنفسه إلى الإنسان الكامل، وذلك بالتوجه القلبي إلى اللّٰه تعالى طوال سيره وسلوكه، أي الوصول إلى مرتبة المؤمن الحق، والمسلم الصادق، ثم يلي ذلك أن يكون الإنسان عبداً خالصاً لرب العالمين.»[٣١]

الرابع: إن خلق الحواس والمشاعر في وجود الإنسان، وإدراجها ضمن فطرته إنما يستند إلى أساسين اثنين:

أ- الشكر تجاه كل نوع من أنواع النعم التي أسبغها علينا المنعم سبحانه وتعالى؛ أي واجب علينا الشعور بها، والقيام بشكره تعالى وعبادته.

ب- معرفة أقسام تجليات الأسماء الحسنى التي تعم الوجود كله.

الخامس: عدم تزكية النفس. قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا اَنفُسَكُمْ﴾[٣٢].

«ذلك أن الإنسان حسب جبلته، وبمقتضى فطرته محب لنفسه بالذات، بل لا يحب إلا ذاته. ويضحي بكل شيء من أجل نفسه ويمدح نفسه مدحاً لا يليق إلا بالمعبود وحدة، وينزه شخصه، ويبرئ ساحته، بل لا يقر بتقصيره أصلا ويدافع عنه دفاعاً مستميتاً بما يشبه العبادة، حتى كأنّه يصرف ما أودعه اللّٰه فيه من أجهزة لحمده سبحانه وتقديسه إلى نفسه... فلابد إذن من تزكيتها، فتزكيتها في هذه الخطوة وتطهيرها إنما يكون بعدم تزكيتها... نعم إن من يعجب بنفسه ويعتد بها شقي بينما الذي يري عيب نفسه محظوظ سعيد.»[٣٣].

السادس: ومن عُمَد منهج التربية الإسلامية للفرد المسلم:

أ- تربيته على معرفة اللّٰه معرفة صحيحة.

ب- تربيته على التعامل الصحيح مع المجتمع.

ج- تربيته على التعامل الصحيح مع الكون.

المنهج الثاني:

تربية البيت: بذل الإمام النورسي جهوده المرموقة في تربية أهل بيته و إنه شبه البيت بالجنة و النار فإن كان البيت و أهله متصفا بالإيمان على اللّٰه و اليوم الآخر، فيصير البيت جنة أبدية خالدة و تملؤ الحياة بالمحبة و الرأفة و السرور، و بدون ذلك يتحول البيت جحيما، و الاضطراب و التخاصم يقع فيما بينهم. يقول: «وبيت كل إنسان هي دنياه الصغيرة، بل جنته المصغرة. فإنْ لم يكن الإيمان بالآخرة حاكما ومهيمناً على البيت أفضى ذلك إلى اضطراب الأفراد والعائلة، فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق، ولكن ما أن يحل الإيمان بالآخرة في ذلك البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة، ويستضيء لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جداً بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم، وبقائهم في دار الآخرة، والسعادة الأبدية فيقوم -عندئذ- كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين ويوليهم محبة صافية، ويظهر رأفة صادقة..»[٣٤].

و أن الإمام النورسي أكد تأكيداً بالغا بحسن تربية الأولاد و بحسن العشرة الزوجية لأجل إستعادة البيت هويته الإسلامية ظاهراً و باطناً، و أمر أن يجعلوا بيوتهم مدرسة نورية مصغرة. فوجه رسالته إلى أرباب البيوت، وخاصة طلاب النور قائلا: «اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة، وموضع تلقي العلم والعرفان، كيْ يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة في هذه الدنيا. وبخلافه لو تربى الأولاد على التربية الأوربية وحدها، فإن أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم في الدنيا من جهة، ومدعين عليكم يوم القيامة من جهة أخرى إذ يقولون لكم "لما لم تنقذوا إيماننا؟ فتندمون وتحزنون من قولهم هذا يوم لا ينفع الندم»[٣٥].

إن الإمام النورسي أكد للمرأة المسلمة « الحجاب» و أمر النساء بالتمسك بأوامراللّٰه تعالى و الامتناع عن نواهيه و الأخذ بالعقيدة السليمة و صيانتها من الأفكار الإلحادية و الشرك و الإلحاد، التي انتشرت في أنحاء العالم و أنحاء تركيا، و تربية الأولاد تربية دينية.

«ولأجل إصلاح الركن المهم فى البيت -المرأة- كتب الأستاذ النورسى رسالة "الحجاب" التي حوكم من أجلها، والتي نادى فيها بصيانة المرأة المسلمة من الأفكار الإلحادية الهدامة التي انتشرت في تركيا، وخاصة تلك التي تنادت بانسلاخ المسلمة من عقيدتها وشريعتها، وبالتالي من عفتها وطهارتها بحجة التقدم، ومسايرة ركب الحضارة الغربية... و أوصاهن بالتمسك بأوامر اللّٰه تعالى وعرفهن بالمدنية الغربية، و أوصاهن ببيوتهن، و رعاية الأولاد و تربيتهم على الإسلام.

ورأس ما ييسر تحقيق هذا المسعى حسن اختيار الزوجة، فإن لهذا الاختيار أكبر الأهمية وأعظم الأثر في بناء البيت المسلم، فهي أكثر ملازمة للبيت من الرجل -في غالب الأحيان- وهي التي تهيء البيت وتشرف عليه، ذلك أنّه يعد مملكتها الخاصة... فإذا أضفنا إلى ذلك أن المرأة هي التي تحضن الأولاد وتربيهم، وتؤثر فيهم قبل ذهابهم إلى المدرسة بأكثر مما يؤثر الأب، فضلا عن كونها المسئولة عن استقرار البيت وسعادته.» [٣٦].

المنهج الثالث:

تربية المجتمع "كتربية الجماعة المحدودة" أو "المدارس النورية"

و في هذا المجال للإمام النورسي دور هام في نشر العلوم الإسلامية و تربية قلوب العامة و الخاصة في أنحاء البلاد و خارجها.

«أخذ الشيخ النورسى يوجه اهتمامه إلى تأسيس ٦٧٨+ أماكن تربوية وتعليمية أطلق عليها مسمي "المدرسة النورية"، في مكان واحد، لتدارس المسائل الإيمانية والحقائق القرآنية، من واقع كتابات الشيخ في رسائل النور. وعلى ذلك يمكن اعتبار هذه المدرسة النورية -في نفس الوقت- مؤسسة تعليمية. والواقع أن بديع الزمان سعيد النورسى قد ركز اهتمامه على هذه المدرسة النورية في خطابات له أرسلها إلى طلابه، و ركز عليها أيضاً -اهتمامه- في أماكن مختلفة من كليات رسائل النور.

وعلى هذا، كان من المقرر على طلاب النور في حال الفراغ الاجتماع في

هذه المدارس النورية، يتدارسوا رسائل النور لفترة وجيزة كل يوم يمكن أن تصل إلي ربع ساعة، ويعتبرون أنفسهم بذلك قد نالوا شرف وثواب "طلاب العلوم" الذين يكونون في عبادة، علاوة على تحول عاداته ومعاملاته الاعتيادية لمتطلبات معيشته عبادة يثاب عليها أيضاً، كما هو حال طالب العلم

ومما زاد من أهمية المدرسة النورية في استراتيجية حركة طلاب النور، أن القرارات الجمهورية التي ألغيت بموجبها التربية الدينية شملت بالضرورة مؤسسة "الدرس العام"، وهذه كان لها دورها البالغ الأهمية في المساجد الكبيرة، وكان المكلف بإلقائها، خريج المدرسة الدينية القديمة -الجامعة- والذي لا يقوم بها إلا من هو في درجة الأستاذ Professor، يلقي دروسا جادة في الفقه، وعلم الكلام والتفسير والحديث، و تاريخ الإسلام، و غير ذلك من العلوم الإسلامية، وكان لكل فرد مسلم أن يشترك في حلقات دروس "الدرس العام" هذه ليستفيد منها الجميع، ذلك أنّها لا تقتصر على سن معين، و لكن مع إلغاء التربية الدينية ألغيت حلقات الدرس العام، مما جعل المدارس النورية في مقدمة المؤسسات المحافظة على الدين.»[٣٧].

المبحث الثالث: خلاصة البحث:

و قد ذكرت في المبحث الأول المعنى اللغوي و الإصطلاحي للتعليم و التربية و استشهدت من الكتاب والسنة النبوية الشريفة وذكرت مستشهدات السلف الصالحين هذه الكلمة في مؤلفاتهم، و بينت الآراء المختلفة للتربويين و المعلمين.

و ذكرت في المبحث الثاني مفهوم التعليم الذي بينه الإمام النورسي و منهج تربيه.

يقول الإمام النورسي أن سبب الجهل والتخلف في الأمة الإسلامية هو فى الحقيقة الابتعاد عن مقومات الإسلام و الاعتقاد بأن الإسلام مضاد للعلوم الكونية وحقائقها، و أنه قد أكد على الجمع بين العلوم الإسلامية و العلوم الحديثة، و يرى أن السعادة في هذه الدينا و الآخرة في جمع بين

هذين القسمين من العلوم. و في أسلوب آخر أن القرآن و العلوم كلا منهما يقومان بإضاح أبواب و فصول و سور و آيات كتاب الكون هذا، لذا فلا يمكن مطلقا أن تكون هناك حكمة أو علم مخالف و مضاد للقرآن، ذلك لأن القرآن هو ترجمة لكتاب الكون من قبل مؤلفه، أما العلوم فهي الإيضاحات المقدمة للكتاب نفسه من قبل بعض المبتدئين من الذين لم يفهموا هذا الكتاب الفهم الكافي، و علوم الفيزياء و الكيمياء و الرياضيات هي العلوم التي توضح أحكام كتاب الكون.

و أما التربية فله منهج خاص و أسلوب جديد كما يلي:

المنهج الأول: تعليم الفرد: يركز الإمام النورسي اهتمامه الخاص في إصلاح الفرد المسلم و التعليم بمقدار معين يومي من رسائل النور، و الرسائل التي تطلع به الفرد عن الحقائق الشرعية الإسلامية و تزين شخصية المسلم و تبعده عن الرزائل و المنكرات.

يرى الأستاذ أن التعليم و الإيمان معا ضروري لكل مسلم يعيش في المجتمع الإنساني، و هذا يمكن في تلازم الأمور التالية:

الأول- إذا ما صان الشاب نفسه بتربيتها بالقرآن، والسنة النبوية الشريفة، فسيكون شاباً رائداً حقاً، وإنساناً كاملاً، ومسلماً صادقاً سعيداً، وسلطاناً على سائر المخلوقات.

الثاني - إن كنت تريد أن تعادي أحدا فعادي ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها، واستئصال شأفتها. وحاول أن تعادي أعدى أعدائك، وأشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك. فقاوم هواها، واسع إلى إصلاحها ولا تعاد المؤمنين

الثالث- أنْ يُرَوِّضَ الإنسان لسانه على الصوم عن الكذب والغيبة

الرابع– إن خلق الحواس والمشاعر في وجود الإنسان، وإدراجها ضمن فطرته إنما يستند إلى أساسين اثنين:

أ– الشكر تجاه كل نوع من أنواع النعم التي أسبغها علينا المنعم سبحانه وتعالى؛ أي واجب علينا الشعور بها، والقيام بشكره تعالى وعبادته.

ب– معرفة أقسام تجليات الأسماء الحسنى التي تعم الوجود كله.
الخامس– عدم تزكية النفس. قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا اَنفُسَكُمْ﴾٣٨
السادس– ومن عُمَد منهج التربية الإسلامية للفرد المسلم: -
أ– تربيته على معرفة اللّٰه معرفة صحيحة.
ب– تربيته على التعامل الصحيح مع المجتمع.
ج– تربيته على التعامل الصحيح مع الكون.

المنهج الثاني: تربية البيت: بذل الإمام النورسي معظم جهوده في تربية أهالى بيوت المسلمين تربية دينية، و أكد تأكيداً بالغا على حسن تربية الأولاد و على حسن المعاشرة الزوجية لأجل إستعادة البيت هويته الإسلامية ظاهراً و باطناً، و أمر أن يجعلوا بيوتهم مدرسة نورية مصغرة. فوجه رسالته إلى أرباب البيوت، وخاصة طلاب النور.

و أنه أكد للمرأة المسلمة « الحجاب» و أمرها بالتمسك بأوامراللّٰه تعالى و نواهيه و بالعقيدة السليمة و صيانتها من الأفكار الإلحادية و الشرك و الإلحاد، التي انتشرت في أنحاء تركيا.

الهوامش

١ سورة البقرة رقم الآية ٢٧٢.
٢ سورة الشعراء رقم الآية ١٨
٣ صحيح المسلم: رقم الحديث: ٢٣٩.
٤ سورة الشعراء رقم الأية ١٨
٥ سورة الإسراء رقم الآية ٢٤
٦ قاموس التربية ص ٢٧. بيروت: دار القلم
٧ مفهوم التربية في الإسلام، علي عبده علي الألمعي
٨ مفهوم التربية في الإسلام، علي عبده علي الألمعي
٩ مفهوم التربية في الإسلام، علي عبده علي الألمعي
١٠ التربية الإسلامية المصطلح و المفهوم صالح بن علي أبو عرَّاد (١٤٢٦هـ)-
١١ سورة البقرة رقم الآية ٣١.

١٢ سورة النساء رقم الآية ١١٣

١٣ مفهوم التربية في الإسلام، علي عبده علي الألمعي

١٤ سورة الجمعة رقم الآية ٢.

١٥ صحيح البخاري، ج ٤، رقم الحديث ٤٧٣٩، ص ١٩١٩-

١٦ مقالات في قضايا التربية و التعليم بالجهة الشرقية(٣) في موضوع التواصل بين الإدارة و المواطن-

١٧ سورة الفاطر، رقم الآية ٢٨

١٨ أخرجه أبو داود رقم الحديث:٣٦٤١، و الترمذي: ٢٦٨٢.

١٩ صيقل الإسلام/ بديع الزمان سعيد النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي /شركة سوزلر للنشر/ ط ١. ص ٢٣.

٢٠ صيقل الإسلام/ بديع الزمان سعيد النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي /شركة سوزلر للنشر/ ط ١ ص ٤٥٠.

٢١ سورة البقرة رقم الآية ٣١

٢٢ بديع الزمان النورسي، المناظرات، ص:٢٧

٢٣ صيقل الإسلام- الخطبة الشاملة/٤٩٩

٢٤ الكلمات، ص:٢٠، المقام الثاني من الكلمة العشرين، ص:٢٩١-٢٩٣ من الكلمات، و وأنظر أيضا:خديجة النبراوي: دور كليات رسائل النور في يقظة الأمة، الطبعة الأولى، القاهرة: سوزلر للنشر، ١٩٩٨م،)

٢٥ سورة الإسراء، رقم الأية ٨٨

٢٦ حسن البنا. تربية النشء. الزقازيق - مصر. أصالة للتجارة والتسويق ط١، ١٩٩٩م.

٢٧ بديع الزمان سعيد النورسى-نظرة عامة عن حياته و أثاره إحسان قاسم الصالحى ص:١٥١

٢٨ بديع الزمان سعيد النورسى. الآثار البديعية، إستانبول.

٢٩ بديع الزمان سعيد النورسى الآية الكبرى "مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه" ترجمه إحسان قاسم الصالحي، ط٢ - المنصورة - مصر - ١٩٩٨م.

٣٠ بديع الزمان سعيد النورسى "رسائل النور" القاهرة، سوزلر للنشر، ٩ مجلدات

٣١ بديع الزمان سعيد النورسى محموعة عصا موسى. بيروت ترجمة الملا محمد زاهد الملا زكردي، دار ابن زيدون، ط١، ١٩٨٧م.

٣٢ سورة النجم: رقم الآية: ٣٢

٣٣ د. علي عبد الحليم محمود. منهج التربية عند الأخوان المسلمين. المنصورة، دار الوفاء ط١، جزءان، ١٩٩١م.

٣٤ فريد الدين أيدين. جامعة الزهراء مقال في كلية الدعوة الإسلامية، العدد الخامس، ١٩٩٨، طرابلس - ليبيا.

٣٥ محمد السيد قنديل. أثر بديع الزمان سعيد النورسى في إحياء الإتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا. الزقازيق - مصر، ظافر للطباعة، ١٩٩٨م

٣٦ د. محمد منير مرسي. التربية الإسلامية "أصولها وتطورها في البلاد العربية" القاهرة،

٣٧ عالم الكتب، ١٩٩٨م. ، مصطفي أمين. تاريخ التربية. القاهرة، مطبعة المعارف، ط٢، ١٩٢٦م.

المصادر والمراجع

- أبو داود – سنن أبي داؤد، دار الكتب العلمية بيروت
- الألمعي، علي عبده علي - مفهوم التربية في الإسلام (مقالة)
- الإمام البخاري، أبو عبد اللّٰه محمد بن إسماعيل – الجامع الصحيح، المطبعة السلفية بمصر القاهرة
- الإمام مسلم – الصحيح، المطبعة المصرية
- الترمذي، محمد بن عيسى – الجامع، المطبعة المصرية
- الصالحى، إحسان قاسم - بديع الزمان سعيد النورسى: نظرة عامة عن حياته و أثاره
- النورسي، بديع الزمان سعيد - صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر/ ط ١؛ المناظرات-، بديع الزمان سعيد النورسى. الآثار البديعية، إستانبول. بديع الزمان سعيد النورسى الآية الكبرى "مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه" ترجمه إحسان قاسم الصالحي، ط٢ - المنصورة - مصر - ١٩٩٨م. بديع الزمان سعيد النورسى "رسائل النور" القاهرة، سوزلر للنشر، ٩ مجلدات؛ الكلمات، ص:٢٠، المقام الثاني من الكلمة العشرين، ص:٢٩١-٢٩٣ من الكلمات، و وأنظر أيضا:خديجة النبراوي: دور كليات رسائل النور في يقظة الأمة، الطبعة الأولى، القاهرة: سوزلر للنشر، ١٩٩٨م،)
- القرآن الكريم
- حسن البنا - تربية النشء الزقازيق، مصر. أصالة للتجارة والتسويق ط١، ١٩٩٩م.
- صالح بن علي أبو عرَّاد - التربية الإسلامية المصطلح و المفهوم (١٤٢٦هـ)، المطبعة المنيرية القاهرة مصر
- عصا موسى - بديع الزمان سعيد النورسى محموعة. بيروت ترجمة الملا محمد زاهد الملا زكردي، دار ابن زيدون، ط١، ١٩٨٧م.

- فريد الدين أيدين - جامعة الزهراء مقال في كلية الدعوة الإسلامية، العدد الخامس، ١٩٩٨، طرابلس - ليبيا.
- محمد السيد قنديل - أثر بديع الزمان سعيد النورسى في إحياء الإتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا. الزقازيق - مصر، ظافر للطباعة، ١٩٩٨م
- محمود، د. علي عبد الحليم - منهج التربية عند الأخوان المسلمين. المنصورة، دار الوفاء ط١، جزءان، ١٩٩١م.
- مرسي، د. محمد منير - التربية الإسلامية "أصولها وتطورها في البلاد العربية" القاهرة
- مصطفي أمين- عالم الكتب، ١٩٩٨م. ،. تاريخ التربية. القاهرة، مطبعة المعارف، ط٢، ١٩٢٦م.
- مقالات في قضايا التربية و التعليم بالجهة الشرقية في موضوع التواصل بين الإدارة و المواطن
- ياسر أبو نور - قاموس المصطلحات التربوية (المترجم)، بيروت دار القلم

فكرة النورسي عن الحياة العائلية السعيدة وتطبيقاتها في رسائل النور

محمد معروف بن حمزة
جامعة درا الهدى الإسلامية، قسم الفقه وأصوله

المقدمة

من الأمر الواضح مثل ضوء الشمس في رابعة النهار أن بديع الزمان سعيد النورسي الذي ملأ سماء البلاغة بنجوم ألفاظه ورفف المكاتيب بسطور أقلامه وقلوب الأناس بصالح اعماله كان قائد ا وسائدا للامة المسلمة في كل حين وآن وليس هناك موقف إلا وله فيه مساهمة جلية سياسيا كان او اجتماعيا مثل تفسيره رسائل النور الذي يبحث عن المشكلات العالية وعلاجها في ضوء الايات القرآنية

وبحثي هذا يتركز على فكرة النورسي حول الحياة العائلية السعيدة في ضوء تفسيره رسائل النور مع التركيز الخاص إلى المشكلا ت التي تجابهها الامة مع بيان علاجها والامور الماسة لحل هذه المشكلات. ويجمع بحثى هذا بين آرائه الممتازة عن الحياة العائلية السعيدة مع بيان عبارته الجلابة وفكرته الخلابة وبين العلاج الذي سطر في كتابه لسعادة روح الحياة العائلية مثل الإحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع والرافة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والأيثاروالحفاظ على الامن والدخول في الطاعة

وينتج البحث على ان هذه الامور المذكور هي الامور الماسة لإنقاذ هذه الامة من العصبات الازمات العائلية في ضوء اللآيات الكريمة والأحاديث النيرة.

المبحث الأول: وظائف الأهل للحياة العائلية السعيدة

الحياة العائلية طقوس كل انسان بها يحصل الامن والأمان والسكون والطمأنينة

وبها يحصل القلق والفزع والتقاعس والانحطاط والخسران. فالحياة العائلية شيئ إن قومتها وأسلكت في أحسن منهجها وأعلى طرازها تستفيد وإلا تفشل خسرانا مبينا في الحياة الدنيا والآخرة لأنها المحور التي عليها تدور الحياة الإنسانية

وقد بين النورسي هذا الأمر الواضح في كتابه حيث قال إن الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولبوبها وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة ملجأها وأن بيت كل فرد هو عالمه ودنياه الخاصة فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا باالاحترام المتبادل والوفاء الخالص بين الجميع والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار. وبين النورسي أيضا وظائف كل أهل لتكوين حياة عائلية سعيدة

الأول: الزوج الأمين

الزوج الأمين هو المحور الأصلي للحياة العائلية، والأمانة يزيد له أهلية للزوجية كما في القرآن الكريم(إن خيرا من استأجرت القوي الأمين) لأن به يقوم الزوج برعاية زوجته حق الرعاية والحماية حتى يكون لها حصنا حصينا وملجأ ومآذا. وقد حرض النورسي التأخيير للزوج الأمين ورفض الأزواج الفساق الذين لا يطلب من المرأة إلا جمالها واستغلالها في السوء وقد بين النورسي الزوج الأمين بقوله « أن الزوج الرشيد هو الذي يبني محبته لزوجته على جمال ظاهري زائل لا يدوم عشر سنوات، بل عليه ان يبني مودته لها على شفقتها التي هي أجمل محاسن النساء وأدومه ويوثقها بحسن سيرتها الخاصة بانوثتها كي تدوم محبته لها كما شابت تلك الزوجة الضعيفة، إذ هي ليست صاحبته ورفيقته في حياة دنيوية مؤقتة وانما هي رفيته المحبوبة في حياة ابدية خالدة، فيلزم ان يتحابا باحترام ازيد ورحمة أوسع كلما تقدما في العمر»

وقد شدد النورسي النكير على حضارة المدنية التي يستغل فيها الرجال النساء بلذة دنيوية حتى يبيعون الآخرة للدنيا وقال «أما حياة الأسرة التي تتربي في احضان المدنية الحديثة فهي معرضة للانبهار والفساد حيث تبنى العلاقة

فيها على صحبة مؤقتة يعقبها فراق ابدي «وأشار إلى الزوج السعيد بقوله « السعيد هو ذلك الزوج الذي يقلد زوجته الصالحة فيكون صالحا مثلها لئلا يفقد رفيقته في حياة أبدية خالدة

والشقي هو الذي يتبع زوجته التي ارتمت في احضان السفاهة فيشاركها ولا يسعى لانقاذها «

وهذا المفهوم للزوج الامين يطابق روح الشريعة وأصل الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة حسب قوله ﷺ «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه «

الزوجة الصالحة

الزوجة الصالحة هي اللبنة الاخرى للحياة العائلية السعيدة لأن الزوجة لها دور سامق مرموق في سعادة الحياة العائلية لأنها راعية البيت وفي يدها تربية الأولاد غالبا فإذا صلحت صلح الأهل كله فإذا فسدت فسد الأهل كله لأن الزوجة الصالحة هي خير متاع الدنيا والدنيا كلها متاع فإن كان فيك خير متاع الدنيا فلا مجال للخوف لان ما عندك خير من تلك المتاع وقد قال في حقها النورسي قول الناصح الامين «ومن علامة سعادة الزوج أن يكون جمال زوجتك في خدمة ربها حتى تفوز بالجنان حيث قال إذا زين ذلك الجمال بزينة آداب القرآن الكريم والرعاية اللائقة ضمن نطاق التربية الإسلامية فسيظل ذلك الجمال الفاني باقيا معا وستمنح المرأة جمالا هو أبهى وأجمل وأحلى من جمال الحور العين في الجنة الخالدة فلئن كانت المرأة مسكة من عقل فلن تدع هذه النتيجة الباهرة الخالدة قطعا أن تضيع منها «

وقد أكد النورسي أيضا عن وظيفة الزوجة في الاسرة بان في يدها محور الاسرة «فلا بد للزوجة ان تسعى جادة لإكمال نقص زوجها واصلاح تقصيره كي تنقذ صاحبها الابدي والا تخسر وتتضرر في كل جانب إذا ما حاولت اظهار نفسها وتحبيبها للآخرين بالتكشف والتبرج «

وقد أرشد النورسي أيضا علاجا كافيا لنبذ الحضارة الدنيئة من الأمم

الإسلامية وتلك بالجلاء بالمحبوبة وعدم النكاح على طراز إسلامية حيث يقول «أن العلاج الناجع لانقاذ سعادة النساء من الافساد في دنساهن واخراهن معا والوسيلة والوحيدة لصون سجاياهن من الفساد لا يكون إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل»

وصرح النورسي ايضا الانشطة الاسرية من الزوجة عندما تكون الأسرة هائلة فاسدة من الجهات فعليها ان تصلب أمام الهجمات كالجبال الراسخات وتقوم الأسرة حسب ما استطعت فلا تترك هذه المسؤولية حتى تقوم ناشزا فلا يكون هذا النشوز حلا في باكورة الفساد ولكن عليها شد المأزر لإطفاء هذا النور فإن لم تمكن حسبما استطاعت فعليها انقاذ نفسها من الفتن حيث قال «انه اذا شاهدت الزوجة فسادا في زوجها وخيانة منه وعدم وفاء فقامت هي كذلك عنادا له بترك وظيفتها الاسرية وهي الوفاء والثقة فتفسدهما يختل عندئذ نظام تلك الاسرة كليا ويذهب هباء منثورا»

الأولاد المربون بتربية الإسلام

الأولاد هم روح الأسرة بهم يتم سرور الأسرة وبهم تكون الأسرة تاما تتثلج فيها طيلسان الحبور والسرور ويدفق فيهم ينابيع الهزل والمرح. ومع ذلك على الأباء والأمهات التربية الإسلامية للأولاد ليكونوا نافعين لهم في الدراين فإن التربية الإسلامية للأولاد أحوج من الدم للجسم النامي خاصة في هذا العصر الراهن الذي يتصور فيه الأصدقاء زنادقا والأقارب عقاربا. وقد بين النورسي عن التربية الأولاد وحفظهم على رعاية الإسلام وبين دور الأم في ترعرع الأولاد وتطورهم أخذا من الأحاديث «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه ينصرانه ويمجسانه «حيث قال «أن فداء الام بروحها انقاذا لولدها من الهلاك من دون انتظار لاجر وتضحيتها بنفسها بالخلاص حقيقي لأولادها باعتبار وظيفتها الفطرية تدلان على وجود بطولة سامية رفيعة في النساء بحيث يستطعن ان ينقذن حياته الدنيوية والاخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلاؤها في انفسهن إلا ان تيارات فاسدة تحول دون ظهور تلك السجية القيمة القويمة وتمنع انكشافها او

تصرف تلك التيارات هذه السجية الطيبة إلى غير محالها فتسئ استعمالها «

وقد بين النورسي أهمية التربية الإسلامية ونقصان سائر التربية الغير الإسلامية مع ما يجابه العالم من عدم التربية الإسلامية من حيث ضلالة الأولاد وعدم احترام الأبوين وعدم انتفاع الأولاد للأبوين وللأمة. وقد مثل لذلك سعيد النورسي مثالا واقعيا في هذا العصر الراهن وذلك ان الوالدة الحنون تضع كل فداء لولده حتى تربيه على طراز ممتاز ثم يرسله إلى أوربا وغيره إلى جامعات عظمى وهي لا تتفكر عن أحولها سوى الفهم بانها مدارس ابناء الرؤساء ثم تسوء هذا الولد حتى يشكوا في الآخرة لم لم تقوي ايماني حتى سببت في هلاكي هذا وأكد أيضا بأن أول استاذ الانسان واكثر من يؤثر فيه تعليما انما هو والدته فالجبلة تتصور من الام وإزالة الجبلة صعب من إزالة الجبل.

المطلب الثاني: مقومات الحياة العائلية السعيدة

العائلة تتصور من زوج وزوجة وأولاد على العادة ولكن الوصف بالسعادة لا تتصور إلا بدعائم عديدة ومقومات سامقة تمس الحاجة إليها حتى لاتتصور العائلة السعيدة إلا بتلك المقومات والدعامات التي تساعد الإنسان لسعادته الدنيوية والأخروية مثل الإيمان والإحترام المتبادل بين الزوجين وأفراد العائلة، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار والصبر على المشكلات الزوجية والقرار في البيت كما بينه النورسي في رسائل النور

أولا: الإيمان والتوكل

الإيمان هو مدار كل أفعال وبها تتم الصالحات وترجى العفو والغفران. فالإيمان له دور سامقة مرموقة في الحياة العائلية السعيدة لأنه على الأهل التصديق الصادق بالكتاب والسنة والشريعة الإسلامية و عليه التوكل إلى لله سبحانه وتعالى في كل حين وآن. لأن الحياة العائلية طقوس الحبور والسرور وطقوس الكمد والاحزان فالايمان هو الذي يحرض الأهل على التوقف بقضاء اللّٰه تعالى

فقد بين هذا الأمر النورسي في رسائل النور بمثال ممتاز وذلك أنك عندما

تنقطف زهرة من بستان أهلك فعليك أن لا تسب الرب الذي فتح الزهرة فيك ولا تدع على الويل ولكن عليك الصبر والتوكل لأن الذي أخذ منك أحدا قادر على أن يعطيك اثنين وأكثر خيرا منه فلا تحزن ولكن تكن قائما بحديث رسول اللّٰه عجبا لأمر المؤمن إن أمر المؤمن كله له خير إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضرّاء صبر. وأيضا قد أورد النورسي الإيمان والتوكل في مرحلة الزوجة والزوج فعلى كل الإيمان بأن كل واحد منهما سبب الجنة للآخر لأن من مات عنه الزوج وهو راض عنها أهل للجنة وكذلك الآخر أيضا

فعلى المؤمن أن لا يترك زوجته بسبب ما عارض له من العيب ما يرى كثير في هذا العصر الراهن عندما تذهب الجمال تنبذ الأهل فهذه نتيجة عائلة دنيوية فأما الذين يؤمنون باالآخرة فلا يكون منهم هذا الأمر الفضيح أبد سرمدا لأن هذا الدنيا لهم مزرع تحصدون الأجور في الآخر ة.

الاحترام المتبادل

إنمما لا يشنيه ريب ولا يلويه هيب إن الاحترام المتبادل من الزوج والزوجة وأفراد العائلة أحوج شيء العائلة السعيدة كالدم للجسم النامي لان المسلم لا يتوقف آماله في الدنيا بل الدنيا مزرعة للآخرة وقد حثه النبي ﷺ بقوله «ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر «وأيضا قال ليس منا من لم يعرف حق كبيرنا ولم يرحم صغيرنا «

وهذا الاحترام لا يكون إلا التبادل بين الطرفين الزوج والزوجة انطلاقا من روح القرآن حيث قال اللّٰه تعالى(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ولله عزيز حكيم)وقد ربط النورسي

النورسي حقيقة هذه العلاقة بين إيمان المسلم وحكم ذلك على عواطفه ومشاعره فقال فإن

الفضائل تتكشف وتنبسط وتتوضح فيها فتظهر الاحترام المتبادل والرحمة الجادة، والمحبة الخالصة بلا عوض، والمعاونة مع الخدمة الحقة بلا احتيال، والمعاشرة و الإحسان بلا رياء، والفضيلة والتوقير بلا استكبار، وتشيع الفضائل

الأخرى جميعاً؛ حيث يهتف الإيمان بالآخرة دعوا الوقاحة و الإهمال فقدامكم جنة النعيم فلا تشغلوا أنفسكم عنها بالألاعيب

وقد جعل النورسي الاحترام المتبادل أساسا لانقاذ الحياة الاجتماعية من والفوضى والانقسام حيث قال «

في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن إنقاذ البلاد و إنقاذ الحياة الاجتماعية بأبنائها من الفوضى و الانقسام وهذه المبادئ هي الاحترام المتبادل، والشفقة والرحمة، والابتعاد عن الحرام و الحفاظ على الأمن، و نبذ الفوضى و الغوغائية، و الدخول في الطاعة. ولا شك أن النورسي قد أخذ هذه الأساس من القرآن الكريم من قوله تعالى «وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون «

وهذا الاحترام أيضا يشتمل المحبة الصادقة وقد بين النورسي جوانب المحبة بقوله «محبتك لزوجتك وهي رفيقتك حياتك وهبة من اللّٰه تعالى ومحبتك للوالد والوالدة تكسب لذة روحية قلبية ومحبتك لاولادك حب لأمانة اللّٰه إليك فإذا شعرت هذه المحبة فلا تصخر أبدا على فقدانهم

الرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار

قد اعتبر النورسي الرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار حيث قال « و لقد غدت التضحية التي تنطوي عليها الشفقة و الحنان ا لتي تعبر عن إخلاص حقيقي و فداء دون عوض و مقابل ذات أهمية عظمى في زماننا هذا، إذ إنها تعبر عن إخلاص حقيقي وفداء دون عوض ومقابل

وقد بين تأثير الرحمة والشفقة في العائلة حيث قال بها يمكن الحب الصادق بين أفراد البيت الواحد وبها تجعل العائلة أشد تماسكا من الحديد وأقوى صلابة من الفولاذ بنور الآخرة وربط الحيوة الدنيوية بها تدوم السعادة بين أفراد تلك العائلة بتواصل بين الأبناء و الآباء، فالآباء يقدمون يا يا ياتم لخدمة الأبناء، و الأبناء. يخدمون الآباء في زمن الشيخوخة و الهرم.

الصبر على المشكلات الزوجية

الصبرنصف الايمان وبها يكون كمالية الايمان وقد حرض الشريعة الإسلامية الصبر خاصة الصبر في الصدمة الأولى وقد قال ﷺ في حديث عجبا لأمر المؤمن..... وإن جاءه ضراء صبر»فالصبر على المشكلات الزوجية حاجة ماسة في بناء الحياة العاءلة السعيدة لأن الذي يقطف العنب لتصيبن بالشوك فولذي يحرز القصبات لتحوزن بالعقبات وإلى هذا يرشد النورسي بقوله «فما دمنا مستسلمين بقدر الإلهي، وهذه المضايقات التي نشعر بها تعد وسيلة لكسب ثواب أكثر ونوال أجر أكبر وذلك بمضمون القاعدة خير الامور أحمزها لذا نعتبرها من هذه الناحية نعمة معنوية وأضاف النورسي أيضا إن أول ما نوصيه وآخره:الحفاظ على الرابطة فيما بينكم، والحذر من الأنانية والغرور والمزاحمة مع أخذ الحذر وضبط النفس « هذا التوجيه وان كان لطلاب النور بصورة خاصة إلا أنه عام في المقصد والهدف فالصبر هو ضبط للنفس أمام المشكلات.

القرار في البيت

وقد أكد النورسي قرار الزوجة في البيت وقال أنه دعامة اصلية أساسية في الحياة العائلية فقرار المراة تعطي الزوج الأمين قوة واندفاعا في العمل خارج البيت لكسب العيش لأهله ويكون مطمئن البال في تربية أبناءه بالتربية الإيمانية الحسنة التي تعود بالنفع على الامة والمجتمع والأسرة معا وأشار النورسي إلى هذا بقوله المرأة مدبرة لشؤون البيب الداخلية ومأمورة بالحفاظ على أولاد زوجها وأمواله وكل ما يخصه،

فإن أعظم خصالها هي:الوفاء و الثقة فإن تبرجها و تكشّفها يفسد هذا الوفاء و يزعزع ثقة الزوج با، فتجرّع الزوج آلام اً معنوية و عذابا وجدانيا

الخاتمة

بعد البحث والتفتيش من كتب النورسي وجد الباحث نتائج عديدة عن الحياة العائلية السعيدة ومنظوراته الخاصة. وقد تميز فكرة النورسي وبيانه عن الحياة

العائلية السعيدة ضوء تفسيره للآيات بأنه قد فسر الآيات على طراز جديد مشتمل على الإيجابيات والسلبيات وذلك بأنه كلما ذكر الإيجابيات ربط بها السلبيات ومصائبه وعقباته ومع ذلك أنه تتركز هذا العصر الراهن على أنه يبين الواقعات والامثال المؤثرة في القلوب الصافية ويبرز فتن هذا العالم.

وقد بين النورسي وظائف سائر أصحاب العائلة السعيدة من الزوج والزوجة والأولاد حيث رتبب أمورهم على وفق الشريعة الإسلامية مع تلقي الضوء إلى الفوائد التي يحصلها الأهل بامتثالها من الدنيا والآخرة تحريضا لهم على فعل الخيرات وترك المنكرات. وبعد ما بين النورسي وظائف العائلة السعيدة بين أوصافا بها تكون العائلة سعيدة في الدنيا والآخرة وبها تحرز القصبات في الدارين من حيث الإيمان بالله التوكل عليه، والاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع والرأفة الصادقة التي تصل إلى حد الإيثار والصبر على المشكلات.

المصادر والمراجع

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة، السادسة، القاهرة، مصر ٢٠١١م
- الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة، السادسة، القاهرة، مصر ٢٠١١م
- اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي،، شركة سوزلر للنشر، الطبعة، السادسة، القاهرة، مصر ٢٠١١م
- الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي،، شركة سوزلر للنشر، الطبعة، السادسة، القاهرة، مصر ٢٠١١م
- المكتوبات بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي،، شركة سوزلر للنشر، الطبعة، السادسة، القاهرة، مصر ٢٠١١م

الإعجاز النظمي وتجلياته عند النورسي - قراءة في «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»

محمد وسكسو & د. عبد الحميد زاهيد
جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المملكة المغربية

المقدمة

الحمد لله و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده، و آله و صحبه و التابعين له إلى يوم الدين، و نحمده تعالى و نشكره على آلائه، و غزارة أفضاله؛ و من ذلك أن وُهبنا اللغة العربية التي لا تعلوها لغة في بيان، و لا يبلغها لسان في حسن إتيان، أما بعد،

فقد اعتنى علماؤنا الأجلاء على مر العصور بإعجاز القرآن فوطن له اللّٰه في أفئدتهم ما لم يوطنه لباقي العلوم؛ فتشعبت منه وجوه الإعجاز وتعددت فيه مناحيه. وعلى الرغم من ذلك يظل القرآن مشغلة الدارسين جيلا بعد جيل، ولكنه دائما رحب المدى سخي المورد، كلما حسِبَ جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمح عاليا فوق طاقة الدارسين.

ولعل بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٦-١٩٦٠)، من بين المحدثين الذين بحثوا في إعجاز القرآن؛ ومن ذلك مؤلَّفه الموسوم بـ: «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» إذ ينصب هذا الكتاب كما هو بيّن من عنوانه على إظهار الإعجاز في القرآن الكريم، والذي تبنى فيه نظرية النظم المعروفة، سائرا على خطى الجرجاني من دون إنكار. ذلك أن المؤلف أخذ على عاتقه تفسير سورة البقرة في هذا الكتاب، محددا في الوقت نفسه نظرته إلى إعجاز القرآن؛ يقول النورسي: «إلا أن المحققين اختلفوا في طرق الإعجاز؛ لكن لا تزاحم بين تلك الطرق، بل كل اختار جهة من جهاته، فعند بعض إعجازه: إخباره بالغيوب... وعند بعض: جمعه للحقائق والعلوم... وعند بعض: سلامته من التخالف والتناقض... وعند بعض:

غرابة أسلوبه وبديعيته في مقاطع ومبادئ الآيات والسور... وعند بعض: بلوغ بلاغة نظمه درجة خارجة عن طوق البشر. وكذا وكذا إلخ.

ثم اعلم أن معرفة هذا النوع من الإعجاز تفصيلا إنما تحصل بمطالعة أمثال هذا التفسير*، وإجمالا يعرف بثلاث طرق (كما حققها عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) شيخ البلاغة والزمخشري(ت٥٣٨هـ) والسكاكي (ت٦٢٦هـ) والجاحظ (ت٢٥٥هـ)»[1]. والظاهر من خلال هذا النص أن النورسي يميل إلى الإعجاز النظمي للقرآن الكريم، محاولا في الوقت نفسه تطبيق نظرية النظم التي جاء بها عبد القاهر الجرجاني؛ وذكر النورسي للزمخشري في هذا النص خير دليل على ذلك.

وعلى الرغم من إشارة النورسي للجرجاني في أكثر من موضع و نهله من نظرية النظم، فما يلاحظ. حسب ما اطلعت عليه. أن تلك البحوث تفتقر إلى التفصيل، كما تفتقر إلى الوقوف عند تجليات النظم كما حددها الجرجاني في الدلائل. ومن ثم جاء هذا العمل للوقف عند تفاصيل الإعجاز النظمي أو على الأقل بعض هذه التفاصيل. وعليه سيتتبع البحث النظم مقابلا للنحو في إشارات النورسي؛ يقول: «إن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن، لأن الإعجاز يتجلى من نظمه، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم»[2].

لم يألُ النورسي جهدا لإبراز الإعجاز القرآني في الكتاب الذي نحن بصدده؛ ذلك أنه حشد كل ما وسعه من وجوه الإعجاز. فغدا هذا المؤلف ملتقى لجملة من النظريات في الإعجاز صاغ منها النورسي ما أسماه «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»، والحق أن نظرته كانت صادرة عن تكاملية، أقل ما يمكن أن يقال بخصوصها إن الإعجاز في الإشارات نقش من وجوه الإعجاز. فكما أن النورسي يرصد في القرآن الكريم أوجها تَتَعددُ مراعاة أحوال المخاطبين من خلالها، فإنه أيضا حاول جاهدا أن يفحم من القرآن كلا بما يفهم، وهذا الهاجس

١ الإشارات: ١٧٩.

* يقصد مصنَّفَه» إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز».

٢ الإشارات: ٢٤.

جعل النورسي يستقي مفاهيمه من جملة من العلوم قديمها وحديثها، الإنسانية منها والحقة. وبذلك يكون إعجاز القرآن عند النورسي مظهرا واضحا لموسوعية هذا العلم ونهله من مختلف العلوم.

وجملة القول أن النورسي قسم الإعجاز قسمين؛ قسم يعزى إلى النظم القرآني وقسم آخر مرده إلى المعاني. وسيحاول البحث أن يجلي مظاهر الإعجاز النظمي من خلال بعض الظواهر ذات الطابع النحوي كالفصل والوصل، والتعريف التنكير، والتقديم والتأخير، والحذف. والتكرار.

يحضر عبد القاهر الجرجاني في غير موضع من كتاب النورسي الموسوم بـ «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»؛ بل نجد النورسي يسوق بعض النصوص سواء من «الأسرار» أو من «الدلائل» للاستشهاد وبيان وجه حسن النظم في آية من الآيات التي تطرق إليها. وعلى غرار الجرجاني يذهب النورسي إلى القول بأن النظم عبارة عن توخي المعاني النحوية بين الكلمات. أي إذابة المعاني الحرفية للكلم لتحصيل النقوش الغريبة. وإن أمعنت النظر لرأيت أن المجرى الطبيعي للأفكار والحسيات إنما هو نظم المعاني[٣]. لقد أبدى النورسي إعجابا بالتراكيب النحوية التي بنى على أساسها هذ الوجه من الإعجاز، يقول النورسي: «فيا من آنس قيمة التركيب من جانب التحليل، وأدرك فرق الكل عن كل! علامة تعجب انظر نظرة واحدة إلى تلك القيود والهيئات لترى كيف يلقي كل حصته إلى المقصد المشترك مع دليله الخاص، وكيف يفور نور البلاغة من الجوانب»[٤].

١ ـ الفصل والوصل:

يعتبر أسلوب الفصل والوصل من الاصطلاحات النحوية البلاغية التي تنبه لها علماء العربية منذ فجر التأليف؛ فعُدَّ إدراك التمييز بينهما حذقا بأساليب

٣ الإشارات: ١١٨.

٤ نفسه: ٤٧.

العربية. بل أكثر من ذلك أنهم ذهبوا إلى أن البلاغة معرفة الفصل من الوصل[٥]؛ فالبلاغة بذلك معرفة كيفية صياغة ما يدور في النفس من معانٍ بألفاظ لا تحتمل اللبس موصوفة بالصفاء مضافاً إليها الجمال والحسن؛ لأنها وُصلت فيما بينها وكان يجب أن توصل، وفُصلت فيما بينها وكان يجب أن تفصل.

لقد وضع عبد القاهر أصول بحث الفصل والوصل وقوانينه، وذكر الأمثلة الكثيرة، وحللها تحليلا علميا وأدبيا، كما أن عبد القاهر بحث هذا الأسلوب بحثا منظما يقوم على التقسيم والتحديد والتعليل، وربطه ببيان العطف بعد أن ربط البلاغة بمعاني النحو[٦]. وسار الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) على خطى عبد القاهر، فأبدع في «الكشاف» بتطبيقاته. وكان للنورسي نصيبه من الالتفات إلى هذا الأسلوب بتطبيقاته في الإشارات، خصوصا أن النورسي أبان عن إعجابه بنظرية النظم النحوية الجرجانية التي يعتبر الفصل والوصل أحد مباحثها الكبرى.

الفصل:

كان الزمخشري محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) من أوائل العلماء الذين توقفوا على ضرورة الانتباه إلى العلاقات النحوية في الدراسات القرآنية. والحق أن الكشاف حافل بالتطبيقات النظمية؛ ففي تناول الزمخشري قوله تعالى ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[٧]. ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ...﴾[٨]، يقول: «فإن قلت: كيف ابتدئ قوله: ﴿اللّٰه يستهزئ بهم﴾ ولم يُعطَف على الكلام قبله؟ هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه أن اللّٰه عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء، ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل، وفيه أن اللّٰه هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله»[٩]. والنص

٥ البيان والتبيين: ٨٨/١.

٦ التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية: عبد الفتاح لاشين، ١٢٩.

٧ البقرة: الآية ١٣.

٨ البقرة: الآية ١٤.

٩ الكشاف: ٨٠/١.

كما هو واضح يكشف عن مدى توظيف الزمخشري للإمكانات النحوية للتوصل إلى دلالة الآيات القرآنية، وبالتالي الوقوف عند وجوه الإعجاز.

يقول النورسي مفسرا قوله تعالى: ﴿أولئك هم المفلحون﴾: « وأما ضمير الفصل فمع أنه تأكيد الحصر الذي فيه تعريض بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي عليه السلام، فيه نكتة لطيفة وهي: أن توسط (هم) بين المبتدإ والخبر من شلأنه أن يحول المبتدأ للخبر الواحد موضوعا لأحكام كثيرة يذكر البعض ويحال الباقية على الخيال؛ لأن «هم» نيته الخيال على عدم التمديد ويشوقه على تحري الأحكام المناسبة»[١٠].

أما قوله تعالى: ﴿نما نحن مستهزؤن﴾ فيذهب النورسي إلى القول: «أن لا عطف فيه، إذ الوصل إنما هو بالتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع. مع أن الجملة بدل بجهة وهما من كمال الاتصال، وجواب سؤال مقدر بجهة أخرى، وهو من كمال الانقطاع لخبرية الجواب وإنشائية السؤال في الأغلب»[١١].

يتضح من خلال النصين تتبع النورسي لإحد وجوه الإعجاز القرآني من طريق ذلك الربط القائم والمحكم بين الفصل ودلالته في الآيتين السالفتين، بل إن حديث النورسي عن كمال الاتصال وكمال الانقطاع في هذه الآية الأخيرة كاد يصرفه عن التفسير.

الوصل:

أثناء خطاب القرآن الكريم الطبيعة العربية كان يفصل بين المعاني ويربط بينها، وكان يلون العبارة مزاوجاً بين فصل ووصل ثقة بفهم المخاطب أو مراعاة منه لمقتضى الحال. ولم يتقيد في فصله بطرح الواو، بل استخدم معه أدوات أخرى، كما لم يقتصر في وصله على الواو أو على حروف العطف بل استخدم معها أدوات الربط الأخرى حسبما اقتضت الحاجة.

وبناء عليه لا يعدم قارئ «إشارات» النورسي أن يصادف بين الفينة والأخرى

---

١٠ الإشارات: ٧٠.

١١ نفسه: ١٠٨.

العناية بهذا النوع من الأساليب القرآنية على غرار الفصل وإبرازه والتوقف عند وجه الحسن فيه؛ ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وما أنزل من قبلك﴾، يقول: «اعلم أن هذه التوصيفات تتضمن تشويقا، يتضمن أحكاما إنسانية، كآمنوا كذا وكذا ولا تفرقوا ثم إن لهذا النظم أربع لطائف:

إحداها: عطف المدلول على الدليل:» أي يا أيها الناس إذا آمنتم بالقرآن فآمنوا بالكتب السابقة أيضا، إن القرآن مصدق لها وشاهد عليها، بدليل «مصدق لما بين يديه».

الثانية: عطف الدليل على المدلول، أي «يا أهل الكتاب إذا آمنتم بالأنبياء السابقين والكتب السالفة لزم عليكم أن تؤمنوا بالقرآن وبمحمد عليه السلام، لأنهم قد بشَّروا، ولأن مدار صدقهم، ونزولها ومناط نبوتهم يوجد بحقيقته وبروحه في القرآن بوجه أكمل وفي محمد عليه السلام بالوجه الأظهر»[١٢].

ومما يعضد ما سبق ويشهد له قوله: «أما جملة ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ فواو العطف المقتضية المناسبة إشارة إلى» وهو على كل شيء عليم فهو الخالق لهذه الأجرام العظيمة، وهو بكل شيء عليم فهو النظام المتقن للصنعة فيها. وباء الإلصاق إشارة إلى عدم انفكاك العلم عن العلوم»[١٣].

ويضيف قائلا: «أما نظم هيئات جملة جملة، فاعلم أن الواو في ﴿إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ وكذا في ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال﴾ في آية أخرى بسر المناسبة العطفية إشارة إلى «إذ وإذ». وكذا بسر الوحي يتضمن «ذكِّرهم بذلك» إشارة إلى «واذكر لهم»[١٤]. وجملة القول في هذه النصوص محاولة النورسي إيجاد المناسبة بين أسلوب الفصل والوصل ودلالاته وإيحاءاته.

---

١٢ الإشارات: ٥٨.

١٣ نفسه: ٢٣.

١٤ نفسه: ٢٣٤.

٢ ـ التعريف والتنكير:

يندرج التعريف والتنكير ضمن إحدى القضايا الهامة في البلاغة العربية وخاصة علم المعاني؛ ولعل نظرة سريعة في آية قرآنية أو حديث نبوي شريف أو بيت من الشعر العربي تكفي الباحث لتبيان جمالياته وفنيته.

التعريف:

تحدث النورسي عن دلالة التعريف ومزيته، ومن ذلك قوله: «ثم تدبر في» ال» (الكتاب) لأنها كما تفيد الحصر العرفي المفيد للكمال؛ تفتح باب الموازنة وتلمح بها إلى أن القرآن كما جمع محاسن الكتب قد زاد عليها. ثم قف على التعبير بـ (الكتاب) كيف يلوح بأن الكتاب لا يكون من مصنوع الأمي الذي ليس من أهل القراءة والكتابة»[١٥]. وبتفسير «ال» التعريفية ومزيتها على هذا النحو يظهر توخي النورسي لوجوه الإعجاز حتى في الأجزاء الصغرى في القرآن الكريم والمتمثلة أصلا في الحروف.

ويذكر النورسي في موطن آخر: «أما وجه النظم في أجزاء ﴿وبالآخرة هم يوقنون[١٦]﴾، الألف واللام فللعهد. أي إشارة إلى المعهود بالدوران على ألسنة الكتب السماوية... وفي العهد لمح إلى أنها حق وإشارة إلى الحقيقة المعهودة الحاضرة بين أهداب العقول بسبب الدلائل الفطرية المذكورة... وفي العهد حينئذ رمز إلى أنها حقيقة»[١٧].

وأثناء توقفه عند قوله تعالى: ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾ يقول: «ثم إن الألف واللام في «السفهاء» لتعريف الحكم أي معلوم أنهم سفهاء. وللكمال أي كمال السفاهة فيهم»[١٨]. ومن خلال هذه الأمثلة التي سبيلها التمثيل لا الحصر يتضح أن النورسي حريص كل الحرص على إظهار التعريف وربطه بملمح إعجازي

١٥ الإشارات: ٤٦.

١٦ البقرة: ٣.

١٧ نفسه:٦٧.

١٨ نفسه: ١٠٥.

يعز على من لم يثقف العربية بلوغ معناه واكتشاف جماليته.

وأجلى ما يظهر ما للتعريف من دور عند النورسي الارتباط الوثيق بينه وبين جملة من العناصر الأخرى في الجملة القرآنية، وذلك إشارة النورسي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[١٩]، بقوله:» فالعلم أن هيئاتها . من تحقيق «أن» وتخصيص «اللام» وتقديم «لهم» وجمع «الجنة» وتنكيرها وذكر الجريان وذكر «من» مع «تحت» وتخصيص «نهر» وتعريفه . تتعاون وتتجاوب على إمداد الغرض الأساسي الذي هو السرور والمكافأة كالأرض النشفة الرطبة ترشح بجوانبها الحوض المركزي»[٢٠].

ولا غرو، عند النورسي، في هذا الامتزاج المتناسب بين هذه الكائنات التي تضافرت لبلوغ المرام وإعجاز الأنام؛ ذلك أن النورسي يرى: «أن من الحجارة مع حجريته إذا خرج من يد المعقِّد الباني في السقف المحدب يميل ويُخضِع رأسه لِيماس رأس أخيه ليتماسكا عن السقوط. والإنسان الذي لا يدرك سر التعاون لهو أجمد من الحجر؛ إن من الحجر من يتقوّس لمعاونة أخيه»[٢١]. والظاهر من النص أن الذي لا يدرك أسرار النظم القرآني هو الذي يعنيه النورسي. فكيف يكون حريا بالإنسان ألا يستعظم إعجاز القرآن؟ مع العلم أن من الحجارة من يتفتت من خشية الله، هكذا يريد النورسي أن يقول.

التنكير:

تعد النكرة من الأوجه النظمية التي أبان من خلالها النورسي إعجاز القرآن؛ ومن ذلك ما أشار إليه عند حديثه قوله تعالى: ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ حيث يقول: «اعلم أن المظان التي تتلمع فيها النكت: هي نظمها مع سابقتها،

---

١٩ سورة البقرة: الآية ٢٥.

٢٠ الإشارات: ١٩٨. على الطريقة نفسها والأسلوب عينه قام الجرجاني بتحليل قوله تعالى:» وقيل يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين»، سورة هود، الآية ٤٤. دلائل الإعجاز، ٤٥.

٢١ نفسه: ٤٩.

ثم المحسوسة في أولئك ثم البعدية فيها، ثم العلو في على، ثم التنكير في «هدى» ثم لفظ «من»، ثم التربية في «ربهم».

وأما التنكير في هدى فيشير إلى أنه غير ﴿هدى للمتقين﴾ إذ المنكر المكرر غير الأول في الأغلب. فذاك مصدر وهذا حاصل بالمصدر... وهو صفة محسوسة قارة كثمرة الأول»[٢٢].

يتضح من خلال النص أن التنكير له دور أساسي في الآية الكريمة وجماليتها، ولذلك خص التنكير بحديث مفصل. وفي هذا نظر إلى قول الجرجاني: «ومما ينظر إلى مثل ذلك، قوله تعالى: ﴿ولتجدن أحرص الناس على حياة﴾[٢٣]، إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك وجدت لهذا التنكير وأن قيل: «على حياة»، ولم يقل: «على الحياة»، حسنا وروعة ولطف موقع لا يُقادر قدره، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف[٢٤].

وبتنوع مواطن التنكير ومواقعه تتنوع دلالاته وإيحاءاته؛ ذلك أن النورسي يرى في تنكير «هدى»، من قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾، إيماء إلى نهاية دقة هداية القرآن حتى لا يُكتنه كنهها، وإلى غاية وسعتها حتى لا يحاط بها علما. إذ المنكورية إما بالدقة والخفاء، وإما بالوسعة الفائتة عن الإحاطة ومن هنا قد يكون التنكير للتحقير وقد يكون للتعظيم[٢٥]. هذه بعض النماذج التي توقف من خلالها النورسي على النكرة وجمالياتها، وبالتالي هو توقف عند وجوه الإعجاز فيها.

٤ ـ التقديم والتأخير:

يعتبر التقديم والتأخير من المباحث الأساسية في علم البلاغة العربية؛ فهو من الأركان التي يبنى عليها علم المعاني، وذلك لصلته بقصد المتكلم وسياق

٢٢ الإشارات: ٦٨.

٢٣ البقرة: ٩٦.

٢٤ الدلائل: ٢٨٨.

٢٥ الإشارات: ٤٨.

الخطاب. وقد اختلف البلاغيون القدماء بخصوص التقديم والتأخير. وهذا ما يتضح من خلال إنجازات عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) والسكاكي (ت٦٢٦هـ) وابن الأثير (ت٦٣٧هـ).

بحث عبد القاهر الجرجاني التقديم والتأخير من منظور تداخل النحو والبلاغة، واصفا هذا الباب بأنه كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة[٢٦]... والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف يحضر هذا الأسلوب عند النورسي؟

نال التقديم والتأخير غير قليل من اهتمام النورسي لإبراز الإعجاز النظمي في القرآن الكريم؛ ومن ذلك: ﴿في قلوبهم مرض﴾، وفي تنوين مرض إشارة إلى أنه مكمن عميق لا يرى حتى يُداوى. وفي تقديم «في قلوبهم» على «مرض» إيماء إلى الحصر بجهتين، ومن الإيماء إشارة بطريق التعريض إلى أن الإيمان نور، شأنه أن يعطي لجميع أفعال الإنسان وآثاره صحة واستقامة وأيضا في إيماء الحصر رمز إلى أن الفساد في الأساس فلا يجدي تغيير الفروعات»[٢٧].

وفي مثال آخر يتضح هذا الربط الوثيق الذي يخص به النورسي الصلة بين أسلوب التقديم والتأخير ودلالته بل يذهب إلى حد التطابق الذي لا محيد عنه، يقول النورسي: «وأما هيئات جملة ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾[٢٨] فاعلم أن الترتيب يقتضي تقديم الثانية لكن لما كان الغرض رد اعتراض المتردد المستفهم المستنكر المستقبح كان (يضل) أهم»[٢٩]. ولا يتوقف النورسي عند الإشارة فقط بل يتجاوز إلى تبني أسلوب حجاجي أملته عليه منافحته عن القرآن وإبراز وجوه إعجازه؛ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾، يقول: «أما تحليل كلمات هذه الآية، فاعلم أنّ «من الناس» خبر مقدم لـ «من» على وجه. إن قلت: «فلمَ قدِّ؟ قيل لك:

٢٦ الدلائل: ١٠٦.

٢٧ الإشارات: ٩٥.

٢٨ سورة البقرة: الآية ٢٦.

٢٩ الإشارات: ٢١١.

من شان إنشاء التعجب الصدارة وليتركز النظر على صفة المبتدإ التي هي مناط الغرض وإلا لانتظر ومر إلى الخبر[٣٠].

يُستشف مما سبق أن أسلوب التقديم والتأخير. عند النورسي. يخاطب العقل والوجدان في الآن نفسه، وبذلك يستطيع تحفيز السامع أو القارئ على المشاركة في تفعيل المواقف القرآنية ومعايشتها. وما يبثه ذلك من إيحاءات تنشط الخيال وتحرك العقول والأذهان. وبناء عليه لا يقف التقديم والتأخير عند حد الجزئيات اللغوية من كلمات وتعابير، وإنما يمتد ليشمل الآيات والموضوعات الكبرى التي جاء في ترتيبها توقيفا من اللّٰه تعالى بإجماع العلماء. وما كان لآية أن تسبق أختها أو موضوع هو سابق لأخيه إلا لنكتة بلاغية ودلالية يثبتها السياق في مضمونه وبين طياته.

٤ ـ الحذف

الحذف هو التخفيف من ثقل الكلام وعبء الحديث، ومن منا لم يفضل الخفة على الثقل، مادامت الخفة هي المطلوبة، والمقام يستدعيها، والحال يطلبها، ففي الخفة تكمن البلاغة، ويسمو الكلام، حتى يصل إلى قوة السحر في التأثير، وتكون الجملة مع الحذف أشد وقعا على النفس، وأتم بيانا، وأفصح من الذكر[٣١]. وفي القرآن من الحذوف، والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير نزلت من الحسن منازله، ما يسترعي الانتباه ويوقف فيه على وجوه الإعجاز.

وعلاقة بالموضوع يبدو أن توقف عبد القاهر عند أسلوب الحذف يفهم منه أن هذا الأسلوب من دلائل الإعجاز النظمي وحججه في القرآن الكريم؛ ففي حديث الجرجاني عن قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذوذان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم تولى إلى الظل﴾[٣٢]،

٣٠ الإشارات: ٨٩.

٣١ التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية:١٥٩، ١٦٠.

٣٢ سورة القصص: ٢٣، ٢٤.

لاحظ الجرجاني أن القارئ لا يجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما يجد، إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه[٣٣].

وإذا كان النورسي يُرجع إعجاز القرآن إلى بلاغة نظمه، فإنه أقام هذه البلاغة، في أحد قسميها، على المعاني النحوية التي شبهها باللآلئ المنثورة والزينة المنشورة والنقش المرصع[٣٤]؛ ومن هذا المنظور يتناول النورسي الحذف معتبرا أن القرآن يحذف في كثير للتعميم، ويطلق في كثير للتشميل والتقسيم، ليفيض على كل ذهن بمقدار ذوقه[٣٥]؛ ومن الأمثلة التي ساقها النورسي للبرهنة والاستدلال على أهمية الحذف ووجه إعجازه النظمي، قوله: «وأما التصريح بلفظة «اللّٰه» فإشارة إلى زجر الناس عن الابتلاء بالأسباب والانغماس فيها، وأما حذف «مفعول» شاء وإن كان واجبا بالقاعدة[٣٦] المطردة فيجوز بقرينة أخواته أن يكون إيماء إلى عدم تأثر المشيئة والإرادة الإلهية بأحوال الكائنات وعدم تأثير الأشياء في الصفات الإلهية كما تتأثر إرادة البشر بحسن الأشياء وقبحها وعظمتها وصغرها»[٣٧].

وأثناء تتبع النورسي وجوه الإعجاز النظمي، المتعلق بالحذف، قال في «عُمْي»: «رمز بحذف أداة التشبيه إلى أن عيونهم التي هي أنوار الرأس كأنها قلعت فبقيت نقرات مشوهة في جباههم»[٣٨]. وفي تفسيره قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ توقف النورسي عند حذف المبتدأ، معتبرا إياه إحدى المواطن التي يعود إليها منبع حسن هذه الآية الكريمة، فقال: «حذف المبتدإ، إذ فيه إشارة إلى أن حكم الاتحاد مسلم. كأن ذات المبتدإ في نفس الخبر،

٣٣ الدلائل: ١٦٢.

٣٤ الإشارات: ١١٣.

٣٥ نفسه: ٥٦.

٣٦ القاعدة النحوية توجب ذكر المفعول.

٣٧ نفسه: ١٤٥.

٣٨ نفسه: ١٣٣.

حتى كأنه لا تغاير بينهما في الذهن أيضا»[٣٩].

وبناء على تناول النورسي للحذف وإظهار وجوه إعجازه النظمي، يتضح أن النورسي يحاول أن يرسم بشاعريته تقابلا بين الحذف ودلالته. وإنما ساعده على ذلك استعماله للأصول النحوية والصرفية التي ظلت ممزوجة بوجوه أخرى فتحصل من ذلك كله وجوه الإعجاز عنده.

٥ ـ التكرار:

تحضر عناية النورسي بأسلوب التكرار في القرآن الكريم، في «الإشارات» من خلال ملاحظاته، يقول: «إن قلت: إن في القرآن الكريم الموجز أشياء مكررة تكرارا في الظاهر كثيرا مع أنه معجز، كالبسملة و ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ و ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ إلخ.. وقصة موسى وأمثالها، مع أنّ التكرار ممل وينافي البلاغة. قيل لك: {ما كل ما يتلألأ يحرق} فإن التكرار قد يمل لا مطلقا، بل قد يستحسن وقد يسأم.. إذا عرفت هذا فاعلم أنه كما أنّ في القرآن مجموعة قوت وقوة للقلوب لا يمل على التكرار بل يستحلى على الإكثار منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت كلما تكرّر تلألأ فارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه، وفي ذلك البعض ما هو أس الأساس والعقيدة الحياتية والنور المتجسد بتجسيد سرمدي كـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. فيا هذا شاور مذاقك إن كنت ذا مذاق.

هذا بناء على تسليم التكرار، وإلا فيجوز أن تكون قصة موسى مثلا مذكورة في كل مقام لوجه مناسب من الوجوه المشتملة هي عليها»[٤٠].

واضح من النص، نظرة النورسي إلى أسلوب التكرار في القرآن الكريم؛ فهو يرى أن التكرار بوصفه ظاهرة صوتية لا يفيد بالضرورة تكرارا دلاليا؛ فتكون للبسملة مثلا إيحاءات وأحكام تناسب مواضعها. فكل بسملة ترتبط بسياقها، وكلما استعيدت استحسنت واستؤنس بها. وأن التكرار ليس إلا ظاهريا. ومما

٣٩ نفسه: ٤٨.

٤٠ الإشارات: ٣٩.

يُستدل به في هذا السياق قول النورسي: «وأما التنكير في «هدى» فيشير إلى أنه غير ﴿هدى للمتقين﴾ إذ المنكر المكرر غير الأول في الأغلب. فذاك مصدر وهذا حاصل بالمصدر... وهو صفة محسوسة كثمرة الأول»[٤١]. تلك كانت مسحة إعجازية نظمية استقاها النورسي من التكرار. وهذا يتجلى أكثر في مثل قول النورسي: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾، اعلم أن مظان تحري النكت هي: عطف «الواو»، ثم تكرار «أولئك»، ثم «ضمير الفصل»، ثم الألف واللام، فم إطلاق «مفلحون» وعدم تعيين وجه الفلاح»[٤٢]. يصبح للتكرار في هذا النص وظيفة جمالية أخرى تتحدد بناء على علاقة ينسجها هذا الأسلوب مع باقي المكونات التي تؤلف الجملة القرآنية.

خاتمة:

يتضح من هذه القراءة لكتاب «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» أن نظرية النظم التي تشكلت بدرتها عند النحاة الأوائل، ونضجت على يد عبد القاهر الجرجاني، واعتبرها الزمخشري أداة تحليلية في كشافه كانت الركن الأعظم لإعجاز القرآن الكريم. دون أن يعني ذلك انتفاء الوجوه الأخرى للأعجاز. وبالنظر إلى ما سبق يكون تفسير النورسي لسورة البقرة الحجة والبرهان لإظهار وجه النظم وبيانه على الوجوه كلها، فتأتى له ذلك آخذا بأصول النحو والصرف، التي لا تزال قابلة للاستقصاء.

وإذا كانت فكرة الإعجاز النظمي مثار اهتمام النورسي، فإن هذا الوجه الإعجازي ليس ساكنا ثابتا، بل يتغير بتغير العصور؛ فيتمظهر من خلاله التطابق على الأفهام، لا بل على اختلاف الأفهام. ولذلك أفاض النورسي على كل طبقة وجها. وأرسل الاستدلال النظمي لتكثير وجوه الإعجاز مراعاة لكثرة المخاطبين وتعددهم. فكان بذلك أسلوبه في الإشارات رحبا يسع كل متلق.

---

٤١ نفسه: ٦٩.

٤٢ نفسه: ٧٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني .جدة، دت.
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، سعيد النورسي، ط١.
- بديع الزمان سعيد النورسي» قراءة جديدة في فكره المستنير»، جمال الدين صالح الكيلاني، زياد حمد الصميدعي، دار الزنبقة. القاهرة، ط١، ٢٠١٤.
- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي. القاهرة، ١٤١٨/١٩٩٨، ط٧.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: عبد الفتاح لاشين، دار المريخ. المملكة العربية السعودية، ١٩٨٠.
- تطور تفسير القرآن: د. محسن عبد الحميد، بيت الحكمة. جامعة بغداد، ١٩٨٩م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.
- سعيد النورسي وأثره في تفسير القرآن الكريم: أمد قاسم عبد الرحمن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الأنبار.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجزه التأويل: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، اعتنى به ورتب حواشيه، المكتبة التوفيقية. القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٢.
- محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مطبعة المنير.بغداد، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- قراءات في فكر سعيد النورسي – السنة النبوية: أديب إبراهيم الدباغ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مطبعة الشعب. بغداد، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- المعجزات القرآنية والمعجزات الأحمدية ورسالة الحشر: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم صالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة. مصر، ط١، ٢٠٠٥.

التجديد الإيماني عند بديع الزمان النورسي التيارات الفكرية المعاصرة بين الجمود والتطرف

مريم عمار عطية
دكتوراه في الفقه والأصول، جامعة الملك خالد السعودية

لم ينكر التاريخ أبدا جغرافية التمزيق والاجتثاث، وتغيير خارطة العالم الإسلاميمن تلك الوحدة الجامعة الى ماتعيشه من أشلاء ممزعة متضاربة، والذي عاشته الدّولة العثمانيةفي أواخر القرن الثامن عشر لا يفرق كثيراً عما يعيشه العالم الاسلامي اليوم، من واقع مؤلم، ومن تمزق سياسي وتفرق مذهبي، وتشاحن وتدابر، وتقاتل طوائفه، ومانتج عن كل هذا من تخلف علمي، وضعف اقتصادي، وازدياد رغبة الأعداء فينا، وكثرة أطماعهم لنا.

ومع حقيقة هذا التوصيف الذي تعيشه الشام وليبيا، وتونس ومصر والسودان، واليمن والعراق، من تناحر وتقاتل و تشرذم وتنازع وهدم للبنيه التحتيه تظهر تيارات فكرية دينية تحاول انتشال وإنقاذ المسلمين من بؤرة هذه التنازعات وإعادة نهضتهم وتقدمهم. فإذا أدرنا عجلة الزمن قليلا إلى تلك الحقبة التي سقطت فيها الدولة العثمانية سقوط الكيان الحضاري الذي كان يعبر عن وجدان الأمة، ويمثل منهجها في الوحدة والتفاعل الإنساني والعالمي نقف جميعنا متسائلين، ونحن نمسك التاريخ بطرف لنوصله بالطرف الذي نعيشه عن أسباب هذا السقوط والانحدار الذي يعرفه المسلمون في هذا الزمن ؟

إنّ مثل هذا السؤال المطروح قد طُرح من قبل وتعدّدت الإجابات فيه، وتنوّعت مشاربها واتجاهاتها بين المفكّرينوالمصلحين والدّعاة فهذا محمد عبده، وجمال الدين الافغاني، مالك بني و محمد إقبال، وشكيب أرسلان وبديع الزمان النورسي، يحاولون جميعا أن يحدّدوا أسباب السّقوط وآليات

النهوض إلاّأنّ كل واحد منهم يطرح مقاربة تختلف في المنهج، وتقدّم الأولويات وتنوّع الوسائل.

وقبل أن أطرق باب اختلاف التيارات الفكرية في محاولاتها لمعالجة أزمة الأمة وموقعها من رسائل النور ومنهجها الاصلاحي تفرض علي الحقيقة التاريخية أن أقارب بين الوضع الحالي والوضع الذي كان يعيشه بديع الزمان النورسي وكيف استطاع هذا الرجل المبدع الرباني بمنهج دقيق ورؤى مقاصدية تكاملية أن يجدد العقيدة في نفوس المؤمنين وأن يعيد الروحانية التي كادت تفقدها العلمانية، وبين مايعيشه العالم الاسلامي اليوم من محاولات لهدم العقيدة والدين وفق آليات واستراتيجيات الغزو العقائدي والثقافي من خلال برامج مكشوفه للتنصير والغزووالمادي والمعنوي.

ويمكننا من خلال هذه المقاربة أن نجعل رسائل النور ميزاناً وحاكماً وأن نتلمّس أخطاء التيارات الفكرية المعاصرة وأن نُقوّم سبلها وأداءاتها ووصفنا لأدوية ناجعة من صيدلية رسائل النور التي تأصّل منهجها من آيات القرآن الكريم، ولقد درست محاور هذه الورقة وفق الخطة الآتية:

المحور الأول: مقاربات بين زمن النورسي والعصر الحالي

أولا: النورسي يعاصر أخطر مرحلة انتقالية

ثانيا: العولمة أخطر تهديد لعقيدة المسلمين

ثالثا: التيارات الفكرية المعاصرة وتأثيرها في واقع الأمة

ا التيار الصوفي

ب التيار الجهادي

ج التيار السلفي

رابعا: موقع التيارات الفكرية من رسائل النور

ا النورسي يعمّق أواصر الاتحاد والامتزاج

ب تدبير الخلاف وأهميته عند النورسي

ج معالم الوحدة المنشودة عند النورسي

د النورسي يضع ضوابط للخلاف العلمي

المحور الثاني: آليات التجديد الإيماني عند النورسي

أولا: النورسي يطلب من طلابه ومحبيه أن يجعلوا وظيفتهم خدمة الإيمان

ثانيا: النورسي يدعو طلابه إلى الإعلان والتبليغ

ثالثا: النورسي يشخص أمراض الغرب المنتشرة في بلاد المسلمين ويصف لها دواء الإيمان

رابعا: الإخلاص وطلب رضا اللّٰه تعالى سبب كل نجاح

خامسا: الروحانية دواء في عالم المادة

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع

المحور الأول: مقاربات بين زمن النورسي والعصر الحالي

أولا: النورسي يعاصر أخطر مرحلة انتقالية

بدون شك وكما صوّر لنا التاريخ سقوط الكيان الحضاري للدولة العثمانية فإن النورسي عايش هذه المرحلة وهي أخطر مرحلة انتقالية في تاريخ الاسلام والمسلمين والتي كانت نهاية القرن الثالث عشر هجري وبدايات القرن الرابع عشر.

لقد اكتشف النورسي ما انحدرت اليه حياة المجتمع المسلم وما كان يدبر له من غزو فكري ممنهج ومنظم هذا الغزو الذي طال عقيدة المسلمين متمثلاً في أجهزة الاعلام وصحيفة الاتحاد والترقي وكذلك الدوائر الأجنبية.

ولقدعبر عن هذه الهجمة الشرسة في حق العقيدة والدين وزير المستعمرات البريطاني حين خاطب النواب وبيده نسخة من القران الكريم قائلاً:«مادام هذا القران بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فلذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به »

كما لايخفى على أحد أيضا تلك الكراهية الواضحة للإسلام التي كان

يحملها مصطفى كمال أتاتورك[1] والذي أراد أن ينهض بتركيا ويحدثها وكان التحديث بالنسبة له يعني التغريب والعلمنة وتحرير القطر من تأثير الاسلام والشرق ومن مظاهر الثقافة العربية.

ولقد كان دور مصطفى كمال هو دور المنفذ للمخطط المرسوم له في المعاهدات التي عقدت مع الدول الغربية وخاصة معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣م و التي اشترطت فيها بريطانيا [2]قطع تركيا لأي صلة لها بالإسلام والغاء الخلافة الاسلامية إلغاء تاماً، وإخراج الخليفة وأنصار الخلافة والاسلام من البلاد ومصادرة أموال الخليفة والأهم من ذلك اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم وهذا الذي جعل تركيا تقدم في عمليات تغريب بشعة شملت جميع مناحي الحياة ليقدم أتاتورك لتركيا العلمانية كمثال للتحرر والانفلات من شرع اللّٰه.

وفي خضم هذه الأزمة الحانقة التي اكتوى النورسي بنارها، ظهر النورسي على غرار المسلمين قبله و المجددين ليستنهضهمم الأمة وأن يضيئ شمسها وأن يتعرف على أسباب السقوط والانحدار.

هذه الأسباب قد بحثت قبل النورسي فمنهم من أرجعها إلى الخمول الحاصل في مجالات الثقافة ومجالات الآفاق الحضارية[3]، ومنهم من اعتبر أنه الجمود على الذات وعدم الانفتاح على المرجعية الغربية تصوراً وسلوكاً [4]، ومنهم من أكّد على أنّ المشكلة الحضارية ترجع إلى الانسان والتراب والزمان وتقوم الفكرة الدينية بعملية المزج بين هذه العناصر الثلاث

١ مصطفى كمال أتاتورك؛ قائد الحركة التركية الوطنية في أعقاب الحرب العالمية، أوقع الهزيمة على اليونانين في الحرب التركية اليونانية عام ١٩٢٢م وبعد انسحاب قوات الحلفاء من الاراضي التركية جعل عاصمته مدينة أنقرة واسس جمهورية تركيا الحديثة، فألغى الخلافة الاسلامية، وأعلن علمانية الدولة، اطلق عليه اسم الذئب الاغبر، واسم اتاتورك.

٢ علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية ص ٢٨٧.

٣ مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل، دار الفكر، ١٩٨٧م، ص ٦٥.

٤ شكيب ارسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، تقديم رشيد رحنا القاهرة، دار البشير

وطالت الافتراضات والطروحات لتحقيق هذا النهوض والتغير الشامل في كافة الميادين، والنورسي أحد الاعلام والمفكرين المصلحين الذين اهتم بأمر أمّته وتألم لها وهي تسقط في براثن التغريب، وتنتهكها أنياب التمزيق.

عايش المحنة واكتوى بنارها وتألملآلامها فراح يخطط الكلمات والتصورات التي توقف أفول نجمها، وتعيد بناء صرحها الشامخ، لقد كانت رسائل النور [٥]هي الوجه المعبر عن آراء النورسي والتي تضمنت علاجات الأزمة حيث اتضح من خلال كتاباته أن النقطة المركزية التي آمن بها النورسي واعتبرها محور التغيير والاصلاح في مختلف مجالات الحياة هي مسألة البعد الإيماني حيث اعتمدت مقاربته على الانطلاق من قاعدة الايمان التوحيدي ليؤطر جميع مجالات استنهاض الامة لذاتيتها و حضارتها

إذا نظرنا إلى هذا الطرح فإننا نوافق بأنّ هذا الطّرح ليس بدعاً ولا استحداثا في مجال التجديد والنهوض الحضاري فقد سبق النورسي في هذا الطّرح كل من الامام الغزالي في إحياء علوم الدين والشاطبي في كتاب الاعتصام، كما كان النورسي متفقا إلى حدّ كبير مع محمد اقبال وشكيب أرسلان ومالك بن نبي الذين أرجعوا أسباب تأخر المسلمين هو تراجعهم عن دينهم.

فإذا فالنّورسي قد وافق المصلحين من قبله في اعتبار البعد عن التدين هو سبب السقوط والانحدار إذن فما الذي ميز النورسي في مشروعه التجديدي ؟ هذا ما الذي سنراها في العناصر القادمة والآن سأحاول أن أقارب حقيقة الازمة التي نعيشها اليوم والتي عاشها النورسي في تلك الحقبة.

ثانيا : العولمة أخطر تهديد لعقيدة المسلمين اليوم

حين انتهت المواجهة بين الشرق والغرب وانهيار الاتحاد السوفيتي كان ذلك إيذانا ببدايات ظهور العولمة، وحين عرف العالم طفرة تقنية غير معهودة

٥ كليات رسائل النور التي الفها بديع الزمان سعيد النورسي تضم تسع اجزاء سجل فيها الاستاذ النورسي كل ما استلهمه من نور القران الكريم من معاني الايمان لقصد انقاذه في قلوب المسلمين.

في مجالات الاتصالات الالكترونية وسهولة انتقال المعلومات كان ذلك أحد الاسباب المهمة لبزوغ شمس العولمة على العالم.

وحين ظهرت منظمة التجارة العالمية والاتفاقيات العامة للتعريفة الجمركية وتوجت بوجودها انتشار مذهب التبادل الحر وأصبحت ايديولوجيات السوق تسيطر على العالم شرقه وغربه.

في كثير من أدبيات المفكرين الذين ركزوا في تعريفاتهم للعولمة على الجانب الاقتصادي ونبهوا على خطورتها بزيادة الفقر وتكدّس الأموال وكذلك خدمة الشركات الكبرى بالمقابل نجد من ركز على الجانب الثقافي وأضراره.

فالكثير من المفكرين أشار إلى خطر العولمة واستهدافها للدين والقيم فهذا أسعد السحمراني يقول:« إن العولمة –الامركة- غزو ثقافي اجتماعي اقتصادي سياسي يستهدف الدين والقيم والفضائل والهوية كل ذلك يعملون له باسم العولمة وحقوق الانسان »[٦]وتصريح السحمراني بأنها امركة تصريح حقيقي تعيشه الأمة الاسلامية اليوم لأنه المؤثر الأقوى وهو الذي صرح به جورج بوش الرئيس الامريكي السابق حين قال في محضر الاحتفال بالنصر في حرب الخليج الثانية « إنّ القرن القادم سيشهد انتشار القيم الامريكية وأنماط العيش والسّلوك الامريكي »[٧]وهاهو سمير طرابلسي ينبه إلى خطورة العولمة التي تشكّلها الولايات المتحدة بأصنافها المتعدّدة حيث يشير الى أنها الرؤية الاستراتيجية لقوى الرأسمالية العالمية والتي تهدف إلى إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها وأطماعها سائرة نحو هذا الهدف على ثلاثة مسارات متوازية

الأول: اقتصادي وغايته ضغط العالم في سوق رأسمالية واحدة

الثاني: سياسي ويهدف الى إعادة بناء هيكليات أقطار العالم السياسة في صيغ تكرّس الشرذمة والتشتت اللاإنساني وتفكّك الأوطان والقوميات إلى

---

٦ بدائل العولمة للاوندي، عرض عبد الباقي حميدي، مجلة حصاد الفكر العدد ١٣٥ جمادى الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٧ أسعد السحمراني، نحن والعولمة من يربي الاخر. سلسلة كتاب المعرفة. ط١٤٢٠٠هجري، ١٩٩٥م، ص ١٢٩

كيانات هزيلة قائمة على نزاعات قبلية عرقية أو دينية طائفية أو لغوية ثقافية بغية سلب أمم العالم وشعوبها القدرة على مواجهة الزحف المدمّر للرأسمالية العالمية والتي لا تستقرّإلا بالتشتّت الإنساني.

الثالث: مسار ثقافي الذي يهدف الى تقويض البنية الثقافية والحضارية لأمم العالم وتشهد المنطقة العربية ترجمة لهذه التوجّهات من خلال مشاريع الشرق أوسطية والمتوسّطيه [٨]

إنّ أدبيات العولمة في الحقيقة وجّهت بعناية إلى العالم الاسلامي لأنّ الأعداء أدركوا بلا مجال للشكّأنّالصليبيه والشيوعيه والصهيونيه لا يستقر لها وجود ولا يتحقق لها معنى إذا استعاد المسلمون هويتهم الاسلامية وانتمائهم إلى القرآن ومنهجه، لذلك جيّشت الغرب كل قواها ووسائلها إلى الغزو الفكري مستخدمة في ذلك الاستشراق والتنصير والقومية والماسونية كأدوات لتحقيق أغراضها.

أليستإذا العولمة والغزو الفكري أدوات هدم البناء العقدي عند المسلم وهو نفس ما أرادته العلمانية زمن أتاتورك و التي قد عرف أهدافها النورسي وسبر حقائقها.

أليس في هذه المقاربة التاريخية ما يدّل على أنّ الحرب ضد الاسلام هي حرب عقائدية سواء كان ذلك في القرن الثامن عشر أو القرن الحادي والعشرين بل وقبل هذا كان واضح بما لا يدع مجالا للتحليل أنّ الحرب الصّلبية أرادت رفع راية التثليث على عقيدة التوحيد.

تحت ظل هذه الأهداف المضمرة تظهر النوايا واضحة حين ترفض القوى الأوروبية صراحة انضمام تركيا إلى الاتحاد الاوروبي ولا يسعدهم أن تكون هناك دولة إسلامية كالبوسنة، وها هي وروسيا تساندالصرب والأرثوذكسية، والمانيا تساعد كرواتيا الكاثوليكية [٩].

٨ سمير طرابلسي، المصدر السابق ص ٥١، ٥٢.

٩ صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، ترجمة الشايب، تقديم صلاح قنصوة ٢، ١٩٩٩م، ص ٤٣٢

إنّ صورة هذه الهجمة الصّهيونية للعولمة لم تتقيد بالمبادئ كما يدلّ عليه الواقع، وقد سعى الغرب إلى نشر قيم اجتماعية في الدول الإسلامية بما لايتناسب مع خصوصيتها الدينية ولا مقوماتها العقدية معتمدة في ذلك على المؤتمرات الدّولية [١٠]، بل على الضغط على الدول التي لا تستجيب لأهدافها فتوالت مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص والتي كان محورها الأساس الأسرة والطفل والمرأة، مغلفين دعاويهم ومركّزين في ذات الوقت على الحقوق الجنسية والحق في الانجاب والاجهاض والشذوذ وقضية المساواة بين الرجال والنساء في الميراث، وكلّ هذا من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية التي لا تترد في إباحة الزنى وتمنع تعدد الزوجات ويؤكّد صحّة هذا الكلام فصل من وثيقة السكّان الذي تحدّث عن هذه الإباحية إذ يقول:« إنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة المنطوية على أن يكون افراد من جميع الاعمار فتيات وفتيان، مراهقين ومراهقات قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة، إنها هي الغذاء الحق للجميع، ينبغي أن تسعى جميع البلدان لتوفيره في أسرع وقت ممكن في موعد لايتجاوز ٢٠١٥ م»[١١]

لم تكتف العولمة بمحاولة إلغاء الثوابت والقيم ومعالم الهوية الإسلامية بل سعت مصالح أمريكا إلى تقسيم الدويلات الإسلامية وإعادة خريطة الشرق الأوسط وكل ذلك تحت اسم حقوق الإنسان وما فعلته في أبو غريب وجوانتنامو ومذابح أفغانستان سابقا وقصف الفلوجة هو نفسه ما فعلته في العراق وسوريا وفلسطين واستغلت مسميات الديموقراطية الغربية والقانون

---

١٠ مؤتمر نيروبي ١٩٨٥، مؤتمر القاهرة ١٩٩٤، مؤتمر بكين ١٩٩٥، مؤتمر إسطنبول ١٩٩٦، مؤتمر نيويورك ١٩٩٩، بكين ثم نيويورك أيضا عام ٢٠٠٠ ينظر. ٢٤. العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر ط ١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م ص ٢٧

١١ وثيقة برنامج عمل المؤتمر الموتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة. ٥. ١٩٩٤/٩/١٥ م الفصل الثامن الفقرات ٣٥.٣١ نقلا عن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية د. محمد عمارة ص ٢٧

النورسي الملاحق الملحق قسطموني ص ١٣٥

الدستوري أسقطت من قبل نتائج الانتخابات في تركيا والجزائر ونيجيريا لأن الناجحين إسلاميين هو نفسه ما فعلته مؤخرا في تونس ومصر.

في خضم هذه الأزمات والاحتقانات والوهن والخور الذي تعيشه الأمة الإسلامية برزت مجموعة من التيارت الفكرية تحاول النهوض بالأمة وانتشالها من أزماتها إلا أن هذه التيارات سقطت في فخاخ كثيرة وكثيرا ما أضرت الإسلام ولم تنفعه.

سأتناول في هذا المبحث أبرز التيارات الإسلامية وابرز أدبياتها وكيف يمكن أن تستفيد هذه التيارات من رسائل النور في توحيد صفها والنهوض بأمتها.

ثالثا: التيارات[١٢] الفكرية المعاصرة وتأثيرها في واقع الأمة

ليس غريبا أن تتعدد التيارات الفكرية في العالم العربي لأنّ هذا ابتداء هو نتاج مخاض طبيعي لسنة كونية أرادها اللّه في الأرض وهي سنة التّدافع بين الناس الذي يتجاوز مصطلحه المادي، ليقف عند مجال الأفكار والنظريات وهو أيضا نتاج طبيعي لحقيقة الاختلاف التي أوجبها اللّه على خلقه، ويظل التدافع كآلية سننيهممحّصة لأفكار المختلفين هو في حدّ ذاته معيارا يضمن بقاء الأفكار الحقيقة والصّالحة للتطبيق ومن هذا المبدأ يظهر أنّ التعدد ظاهرة صحية في المجتمع العربي لو تصورنا بالمقابل أحادية الأفكار تتداول على مستوى رؤية المشاريع وكيفية التعامل معها وعلى مستوى أيضا المراجعات والمواجهات والمعالجات.

وليس خفيا أن التيارات الفكرية في البلاد العربية بدأت بالوعي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وإثر سقوط الدولة العثمانية بالخصوص التي كانت تمثل عامل وحدة وهذا الوعي المنبثق من رحم هذه التيارات إنما كان لمواجهة الانحلال الداخلي والغزو الفكري فمنها من حملت راية الجهاد ومنها

١٢ تيار جمع تيارات، حركة سطحية في ماء المحيط تتأثر باتجاهات الرياح وتنقل المياه الدافئة إلى المياه الباردة والتيار اتجاه فكري أو أدبي أو سياسي أو نحوه، ينظر قاموس المعاني، معجم المعاني

من حملت راية الإصلاح والتجديد ومنها تميعت تحت ظل الغرب وانسلخت عن مبادئ الإسلام اعتقادا منها بأنه سبب تخلف المسلمين وما ميز الوطن العربي اليوم وجود هذه التيارات الفكرية والدينية والتي تختلف هويتها ورؤيتها والأهم من ذلك اختلاف مرجعيتها وطريقة تعاملها مع الأحداث والوقائع ومدى تأثيرها في بنية المجتمع ومستقبله

١. التيار الصوفي

ظهر المصطلح عند المسلمين في القرن الثاني للهجرة، أما قبل ذلك فكان الصوفي يسمى زاهداً، لأن التصوف ظهر في مرحلة من مراحل تطور الزهد، ولقد بدأ التصوف الإسلامي كحركة زهدية ولجأ إليه جماعة من المسلمين تاركين ملذات الدنيا سعياً للفوز بالجنة، واقتداء بالنبي وصحابته في الزهد، ثم تطور وأصبح نظاماً له اتجاهات عقائدية وعقلية ونفسية وسلوكية. ومن مظاهر الزهد: الإكثار من الصوم والتقشف في المأكل والملبس، ونبذ ملذات الحياة والتجرد عن ضروراتها. إلا أنّ الزهد في الإسلام لايعني هجرالدنيا وترك العمل، فالإسلام دين وسط واعتدال لا يدعو للرهبانية والتطرف والتصوف نزوع ذاتي تأملي يعتمد على خيال الفرد وتجربته، وذوقه ويهتم خصوصا بالنفس وصفاتها. إن الذي يمكن الإشارة إليه أن الصوفية الذين سلكوا طريق التصوف من قبل كانوا ملمين بالعلوم الدينية مما مكّنهم من الردّ على انتقادات خصومهم، وحتى لا يتعرضوا للانحراف إذا ما تصوفوا مع جهل. في حين اليوم نجد أنّ الكثير من أتباع هذا التيار أصبحت له تقاليد في تقديم الوجدان على ما صح نقلا وعقلا كما نجد ان هذا التيار لا يستغني عن الغطاء الشرعي الضعيف سندا ومتنا في سبيل إرضاء القلوب المتعطشة إلى اللّٰه وكذلك يتهانون في كثير من الأمور طالما تعين المريد على الوصول إلى حضرة اللّٰه تعالى.

يعاب على هذا التيار أن التغيير الواقعي لأيّ من المؤسّسات السّياسية والاقتصادية ليس غاية عندهم ولا مطلبا من مطالب الاستخلاف مادام العبد يحقق العبودية المطلوبة من الإكثار من الذكر وغيرها من التسابيح ولا غرو فهم

سيكونون كذلك لأنهم يؤمنون بشعار: «سلم أمرك إلينا فنحن أولى بك منك»، وتعمد الصوفية الحالية إلى كل ما هو سلمي حتى الدعاء للمستبدين الظلمة، لذلك نلاحظ أن معظم أنواع السلطات في الدول العربية تساند الزوايا والتكايا ليس دعما ولا حبا للمتفانين في الحب الإلهي وإنما لأن مثل هذا التيار يطيل من بقاءها ووجودها ولا يعيق سيرها على أي حال ارتضت

يُعرف على أدبيات هذا التيار أن أربابه يسعون إلى إفهام الْمريد «المُخلص» أن مدخل تغيير العالم ليس الأخذ بأسباب نجاح الأمم، لذلك فهم يحكمون على المريدين بأنواع العطل الفكري والجمود، وكأن آيات القرآن لم تنوه ولم تصرح إلى سنن نهوض الأمم وسقوطها بل تقنعه بأن «اللّه يمد هؤلاء وهؤلاء وما كان عطاء ربك محظورا وعلى المريد أيضا أن لا ينبهر بما توصل إليه المتقدمون، أو يُؤخذ لبّه بما يرى من فارق مدني، وصناعي، وزراعي هائل بين العالم الإسلامي وغير الإسلامي، فجنّة العبد هي قلبه، وليس مثل هذه التمضهرات البائدة إلا حجّة على أصحابها، وأن التركيز كلّه يجب أن ينصبّ على «المدخل التربوي» لتغيير العالم.

أما إذا أردنا إجابة صريحة من أصحاب هذه التيار عن إشكالية تخلف المسلمين وتقدم غيرهم فلا نجد أكثر من أن الإشكالية هي عدم الأدب مع اللّه

ورغم أنه يصحّ عقلاً مراعاة الحفاظ على الأدب مع الأخذ بالأسباب، فلا تعارض بالضرورة بينهما، ولا يوجد داع لخلق نوع من «التناقض المفتعل» بينهما كأنه انعدمت سبل التقريب، لكن الحقيقة أنه هو نوع من «التثبيط « غير المقصود في كثير من الأحيان عن القيام بإعمار «المباني « على حساب بناء «المعاني».

ولا شك أن طبيعة قراءات أتباع هذا التيار لم ترق لمسايرة إشكاليات المجتمع المطروحة ولا لهموم الأمة المبثوثة وإنما ظلت هذه القراءات حبيسة القراءات التراثية أو التاريخوية ومثل هي القراءة التراثية المحضة ما بين قراءات تُعين المريد على «التخلية» وأخرى تفيد «التحلية»، فهي مطبوعاتٌ إما تاريخية أو «تاريخوية» ونحن حقيقة بحاجة إلى مثل هذه التيارات في تعميق

إيمان المريدين ووصلهم بحب الله وفي ذات الوقت لا ينعزلون عن قضايا الأمة ولا يهملون طبيعة العمران التي تعد من أساسيات الاستخلاف المقصود في الارض.

ب - التيار الجهادي

تيار ذو خصوصية انبثق من باقي التيارات الأخرى كالسلفية واليسارية وغيرها، أما أدبيات هذا التيار فهي تدعو إلى عودة الخلافة واستكمال مشروع الدولة الإسلامية وقد مال هذا التيار إلى التطرف والعنف المجتمعي والتصادم مع السلطات القائمة ولقد ذكر الدارسين والمختصين في الحركات الإسلامية أن هذا التيار تعرّض لأخطاء على مستوى المنهج والتفكير، وأخطاء في البنية والهيكل، وأخطاء في أسلوب المسير وطريقة العمل

أما أخطاء المنهج والتفكير فأبرز ما يلاحظ عليها جنوحها نحو التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي والسياسي الشرعي، وجعل بعض أدبياتهم لا تعدو أن تكون تعميمات وقواعد عقدية أضحت مع توافر عوامل الجهل والضغط النفسي متكئا سهلا لأفكار تكفيرية وأيضا ظهور غلو بعض الجهاديين المتأخرين في التعصب المذهبي لمفهومهم عن السلفية.

والذي يبدو واضحا من واقع هذا التيار أيضا رؤوس وطلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهم جرّت الوسط إلى حالة من الانفصام والشجار والشقاق لانهم اشترطوا شروطا قياسا على أحوالهم وهذا من اهم الأسباب التي جعلت هذا التيار يفقد شعبيته.

هذه في الحقيقة الاخطاء بوجه عام وأركز على الخطأين الآتين لانهما يشكلان عائقا دقيقا وخطرا على أهداف الصحوة الحقيقة

١. أحادية الطرح في المنهج الجهادي وعدم شموليته واقتصاره على مسائل الولاء والبراء والحاكمية وضيق أفق المكتبة والإنتاج الأدبي في التيار الجهادي:

بالقياس إلى عموم مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة وبالنظر إلى مكتباتها الشاملة. نجد أن مكتبة التيار الجهادي، وهي مجموع ما كتب فيه

من المناهج والكتب والأدبيات. وحتى ولو أدخلنا فيها النشرات الخاصة بالجماعات والتنظيمات المختلفة والبيانات الدورية أو سواها.. نجد أن المكتبة الجهادية صغيرة الحجم كماً، وأحادية الطرح نوعاً.. فالكتب معدودة. والنشرات محدودة. ولا يتناسب حجم هذا الإنتاج مع عظم العطاء والأداء، وضخامة التضحيات وكثرة التجارب

٢. غياب أثر فقه الواقع في المنهج السياسي الشرعي لدى كثير من الجهاديين:

وقد سبب هذا في نظري ضعف المواد التربوية والدراسات التي تعين على ذلك أو انعدامها. وبالتالي اختلال الموازين في تحديد من معنا ومن علينا. والخلط بين دوائر الأعداء والمحايدين والمناصرين.. وحقوقهم وطرق التعامل معهم.

ففي خلال العقد الأخير من القرن العشرين تعقدت معطيات الواقع بكل إبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي والإسلامي، بل وفي العالم أجمع. وشهدت عموم مجالات النشاط البشري في كل تلك العوالم تعقيداً وتطويراً وتشعباً هائلاً..

وتعتبر المجتمعات في العالم العربي والإسلامي وللأسف مجتمعات متخلفة عموماً عن مواكبة مستويات المعرفة الحضارية، إلى حدود مؤسفة.

وقد تميزت الصحوة الإسلامية عموماً، وهي ظاهرة منبثقة عن ذلك الواقع بالكثير من مؤثرات ذلك التخلف العام، وعدم إدراك العصر التي هي فيه.

هذه أهم الأخطاء التي وقع فيها هذا التيار وأحاول أن أسوق هذه القصة الواقعية التي تثبت مدى تغلغل الخطأ وضحالة التأسيس العلمي في هذا التيار

يقول أحد المنتمين للتيار الجهادي: «وأذكر أني دخلت في كثير من المساجلات والمحاورات مع بعض الجهاديين من بعض القيادات والقواعد مؤكداً لهم ضرورة الجمع بين كوننا من السلفية الجهادية، وعلى منهج السلف الصالح، وبين كوننا محتاجين أن نترفق بالمسلمين ونجاهد معهم. وندعوهم

للجهاد معنا على ما هم عليه من المذاهب الفقهية والعقدية التي هي فيها النهاية ضمن دائرة أهل السنة والجماعة. ولكن وللأسف، فإني كثيراً ما كنت اكتشف أننا في واد وإخوتنا هؤلاء في واد آخر. بل سمعت في هذه المجالات تهما وتجريحاً وأفكار عجباً.. ولاقيت عنتا.

ومن يقرأ كتابات الشيخ عبد الله عزام يقرأ الكثير عن معاناته من هذه المشكلة وأصحابها وهو يخلقون الأزمات مع الأفغان بسبب مشكلة المذهبية والعقائد حتى مع عوام الناس.

ومن عجائب ما أذكره في هذا السياق، أن أحد هؤلاء الجهاديين السلفيين جدا! قال لي يوما في سياق الحوار: (إن الجهاد يجب أن يكون سلفي الراية، وأن تكون قيادته سلفية التركيب، وأحكامه سلفية المنهج، وأن يكون كل شيء بالدليل.. ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة، ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء وإنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجهاد!!)

ولم أستطع أن أفهم حقيقة كيف سنجاهد مع إخوة الدين والعقيدة إذا كانت علاقتنا بهم علاقةً بقرية تقوم على الجذب من هؤلاء والركل والنطح من الآخرين!»[١٣]

ج- التيار السلفي

يرى محمد عمارة[١٤] أنّ السّلفية من المصطلحات التي يكتنفها الغموض وعدم التحديد في عدد من الدوائر الفكرية فهناك من يرون في السلفية والسّلفيين التيار المحافظ والجامد بل الرجعي في حياتنا الفكرية وفي جانب الفكر الديني على وجه الخصوص وهناك من يرون في السلفية والسلفيين، التيار الأكثر تحررا من فكر الخرافة والبدع ومن ثم الأكثر تحررا واستنارة في مجال الفكر الديني، ولقد صاغ الإمام أحمد ركائز السّلفية حين صاغ جملة من العبارات في مواجهة ما رآه من البدع والمحدثات التي جعلت الإسلام غريبا

13 ttps://0fc184d4a0fe6268dfe76d4338c4df88a742b9b5.googledrive.com

١٤ محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، مصر، دار الشروق، ٢٠٠٧م

ما يؤخذ على التيار السلفي أن طوال تاريخه كان يعاني من تذبذب القرار السياسي نحوه بل يؤخذ عليها انها ترتمي في كثير من الأحيان في أحضان السلطة، وتقديس الزعامات الدينية وتشخيص المواقف وأصبح التيار كلّه سجين الرّجال لا المواقف والأفكار.

رابعا: موقع التيارات الفكرية من رسائل النور

أحاول في هذا المبحث أن أشير إلى أهم الأخطاء التي وقعت في هذه التيارات وإلى أي مدى يمكن الاستفادة من رسائل النور في تجلياتها في العمل الدعوي والاصلاحي

ا النورسي يعمق أواصر الاتحاد والامتزاج في البنية الاجتماعية

عاش النورسي في تلك الحقبة وقد قدم آراء إصلاحية تهدف إلى معالجة الاختلالات الطارئة في جسم الدولة العثمانية وقد حاول أن يستجيب في آرائه للتطورات والمستجدات العلمانية وفق منهج الأولويات الحضارية ومن أهم هذه الآراء انه حاول أن يعمق أواصر الاتحاد والامتزاج في البنية الاجتماعية وهذا ما عجزت عنه التيارات الفكرية المعاصرة في أدبياتها إذ أنها تسببت في تمزق البنية الاجتماعية وأدت إلى انشقاقات حتى في الأسرة الواحدة بسبب ما تدعو إليه بعضها من أفكار تكفيرية وخلطها بين الفروع الفقهية والأصول العقدية بل إن أكثر أتباع كثير من التيارات يعانون من تدني مستويات التعليم عندهم بما يعيقهم عن فهم النصوص الشرعية وتنزيلها في الواقع تنزيلا صحيحا بل إن كثيرا من مواقفهم تخلو من البعد المقاصدي لمآلات تصرفاتهم وأفعالهم فيما أخطأت التيارات الأخرى وعجزت عن فهم النصوص على الوجه الصحيح مما حذا بها على انتهاج العنف واتخاذه وسيلة للتعبير عن فهما المنقوص والذي أضر بكثير من الشباب الذي داعبوه باسم العقيدة وحب اللّٰه.

نجد النورسي في رسائله يخاطب دعاة التفريق بين المسلمين قائلا: «إن كنتم حقا تحبون هذه الأمة حبا جادا خالصا وتشفقون عليها فعليكم ان تحملوا في قلوبكم غيرة تسع الاشفاق على غالبية هذه الأمة لا على قلة قليلة منها، إذ ان خدمة هؤلاء خدمة اجتماعية مؤقتة غافلة عن اللّٰه وهم ليسوا بحاجة

إلى الرأفة والشفقة وعدم الرأفة بالغالبية العظمى منهم ليس من الحمية والغيرة في شيء »

هذه العبارات تؤسس لتأمين الهدوء الاجتماعي ولا تهتم لحركات التدمير والهدم والتمزيق، بل تسعى لتعزيز أواصر المحبة والأخوة في بنية المجتمع، وهو الأمر الذي يجب أن تنتبه له التيارات الفكرية.

٢. تدبير الخلاف وأهميته عند النورسي

يقصد بتدبير الخلاف تنظيم النظر والاجتهاد بين أهل الاختصاص من علماء الأمة مع ضبط التعامل بينهم عند الإختلاف وبين عامة المسلمين ثانيا مع حفظ المودة والتواصل والتعامل

من خلال رسائل النور نلاحظ أن موضوع تدبير الخلاف حظي باهتمام النورسي إذ اعتبر أن العداوة والاختلاف معضلة تعيشها أمته آنذاك وهي نفس معضلة الأمة اليوم، وقد ارجع بديع الزمان أسباب الاختلاف إلى عوامل خارجية وداخلية واعتبر العوامل الداخلية هي الأخطر باعتبارها هي الطريق الميسر لنجاح العوامل الخارجية وقد أوضح هذه الأدواء في الخطبة الشامية التي وجهها للامة الإسلامية من على منبر الجامع الأموي بدمشق سنة ١٣٢٨هـ، / ١٩١١م، وقد لخصت هذه الخطبة معضلة الأمة في أمراض ستة كما حاول بالمقابل تشخيص الدواء للنهوض بأمته، اما بالنسبة لهذه الأمراض التي ذكرها النورسي فتتمثل في اليأس، موت الصدق في حياتنا، حب العداوة، الجهل برابطة الإيمان، سريان الاستبداد، حصر الهمة في المنفعة الشخصية، أما علاج هذه الأمراض كما ذكرها النورسي فتتمثل في زرع الأمل في قلوب الناس، التربية على الإخلاص، التربية على المحبة، التربية على التواصل بين المؤمنين، التربية على الشورى، التربية على روح الجماعة وأكد النورسي أن، العداوة والاختلاف يقوضان وحدة الأمة.

إن الذي لا يخفى على عاقل أن هذا الداء العضال منتشر بين التيارات الفكرية فمنها الحداثية التنويرية التي تسعى إلى إعادة قراءة النص الديني وإلغاء القدسية منها، بل وإفراغها من مقاصدها الشرعية وروحها المقاصدية

ومنهم التيارات الصوفية التي أغرقت في الزهد والتعبد وتغافلت عن مشاكل الأمة وانعزلت عن الأحداث، بل غنها في كثير من الأحيان تبتدع أمورا شوهت صورة الإسلام الحقيقة، في حين انغلقت التيارات الجهادية على الفكر الأحادي وانحصرت في تقديس الآراء والأشخاص وانتهجت الأخرى منهج العنف والتشدد والتكفير وهي بحاجة إلى عنصر مهم وهو الوحدة وقد اولاه النورسي اهتماما منقطع النظير في رسائله.

ج- معالم الوحدة المنشودة عند النورسي

اعتبر النورسي الوحدة أصل مقطوع به ف الدين بل هو فريضة شرعية وغاية من أعظم الغايات وأبلغ المقاصد، فقد وجه النورسي خطابا ينم عن حرص شديد على وحدة الأمة وائتلافها يقول فيه: «أيها المؤمنون عن كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة:﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[١٥]

ولقد ساق النورسي جملة من الآيات الداعية إلى المحبة والتعاون منها قوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[١٦] وقوله تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾[١٧] ويعتبر النورسي أن هذا الزمان هو زمن الجماعة، فلو بلغ دهاء الأشخاص فردا فردا حد الخوارق فلربما يغلب تجاه الدهاء الناشء من شخص الجماعة المعنوي[١٨]

د- النورسي يضع ضوابطا للخلاف العلمي

إنما تعيشه التيارات الفكرية من صراع أحيانا بين علمائها يصل إلى درجة التسفيه والتجريح لهو من الأمور القبيحة في الدين والتي تقوض عرى الإسلام

١٥ سورة الحجرات آية ٢

١٦ سورة الأنفال آية ٤٦

١٧ سورة المائدة آية ٢

١٨ النورسي، اللمعات، ص ٢٤٨

خاصة وان العامة إذا انتبهوا لمثل هذه الخصومات سقطت هيبتهم من قلوبهم ونجد النورسي رحمه اللّٰه وضع ضوابطا لتدبير الخلاف العلمي وحدد آدابا للتعامل بين اهل العلم من اجل حفظ الوحدة وهذه أهم الخطوات التي ذكرها:

سعي كل واحد من العلماء لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته، وصواب نظرته دون محاولة هدم مسالك الاخرين أو الطعن في وجهة نظرهم فهو يعتبر الآخر مكملا لنقصه.

الرد على الأفكار دون نسبتها إلى الأشخاص

كل اجتهاد يفيد الظن وليس القطع، وإنما القطع لأصول الدين وقواعده الكلية وعليه فكل عالم يرى صواب مذهبه على جهة الظن وخطأ مخالفه على جهة الظن وبهذا المسلك يحدث ائتلاف المجتهدين واعتبار الاجتهادات

وفي الأخير يرى النورسي أن على العلماء أن يجعلوا الخلاف إيجابيا مثبتا بناء، مقابل الخلاف السلبي الذي يفضي إلى إبطال مذهب المخالف والتفرق بالحق والصواب[١٩].

ونخلص إلى أن النورسي كشف في رسائل النور عن مواضيع آنية ومصيرية تحدد مشروع الأمة النهضوي واستطاع في مشروعه الإصلاحي أن يبين المعالم الحقيقة لطريق القوة والنهضة وهو موضوع تدبير الخلاف والتركيز على موضوع الوحدة

المحور الثاني: آليات التجديد الايماني[٢٠] عند النورسي

أولى النورسي مصطلح الايمان في رسائله اهتماما بالغا بل اعتبره الركيزه الأساسية في إسعاد الأمة ومجدها وعزّها وشهودها والمتأمّل في رسائل النورسي يلمح بروز هذا المصطلح بقوة ولايخفى على أحد أنّ النورسي كرّس

١٩ عبد الكريم عكيوي، إشراقات نورية، ص ١٧٢

٢٠ يعرف النورسي الإيمان بأنه أس أساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو معرفة اللّٰه تعالى كما أن أس هذا الأساس هو الإيمان بالله جل علاه، النورسي، الكلمات ص ٣٥٥

جلّ حياته للدفاع عن الايمان وقاسى وعانى من أجل ذلك لكي يبقى الايمان مصونا من شوائب الالحاد والكفر والزندقة ويرى النورسي أنّ الايمان هو الذي يرقى بالإنسان الى أعلى الدّرجات لذلك اعتبر النورسي أن إنقاذه وتعميقه هو من أجلّ الوظائف والخدمات على الاطلاق بل إنّه يجعل من خدمة الايمان مقدّمة لإصلاح الشّريعة والحياة لأنه يرى أنّ الاهتمام بالإيمان أهمّ فيقول رحمة اللّٰه في الملاحق:«إنّ الايمان والشّريعة والحياة ثلاث مسائل عظيمة في العالم الإسلامي والإنساني وأعظم هذه الثلاثه هي الحقائق الايمانية»[٢١] ويقرّر النورسي أمام كل هذه المعطيات اليقينية أنّ وظيفته ستكون هي خدمة هذا الايمان فيعلن قائلا: «وأنا أقول مقتديا بذلك البطل ان وظيفتي هي خدمة الايمان اما قبول الناس للإيمان فهذا امر موكول الى اللّٰه فانا علي ان أؤيد ماعلي من واجب ولا اتدخل في شؤونه سبحانه وتعالى »[٢٢]

أولا: النورسي يطلب من طلابه ومحبيه أن يجعلوا وظيفتهم خدمة الايمان

يقول النورسي:« إخواني إنّ وظيفتنا هي خدمة الايمان والقرآن الكريم بإخلاص تام أمّا توفيقنا ونجاحنا في العمل وإقبال الناس إلينا ودفع المعارضين عنا فهو موكول الى اللّٰه سبحانه فنحن لاتتدخل في هذا الامر وحتى إن غُلبنا فلا ينقصنا هذا شيئا من قوتنا المعنوية ولايقعدنا عن خدمتنا فعلينا بالثقة والاطمئنان انطلاقا من هذه النقطة»[٢٣]

ثانيا: النورسي يدعو طلابه الى الإعلان والتبليغ

دعا النورسي طلابه إلى التبليغ في كل مكان وخدمة الايمان من خلال نشر رسائل النور كما أن دخول السجن في سبيل خدمة الايمان اعتبرها أحد الوسائل الدعائية له فيقول:«إنه لا بد من الإعلان في كل جهة في وقتنا هذا عن خدمة

٢١ النورسي، الملاحق ملحق قسطموني، ص ١٣٥

٢٢ النورسي، سيرة ذاتية، ص ٥٢٩

٢٣ النورسي، سيرة ذاتية، ص ٥٢٩

الايمان برسائل النور ولفت أنظار المحتاجين إليها فدخولنا السّجن يلفت الأنظار إلى الرسائل فيكون إذن بمثابة إعلانا عنها فيجدها أعتى المعاندين والمحتاجين فتكسر شوكة عنادهم وينقذون بها إيمانهم »[٢٤] بهذه المبادي العظيمة يستشعر النورسي ان اعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو تزعزع الايمان بضلال الكثير من الفلسفات والعلوم

ثالثا: النورسي يشخص أمراض الغرب المنتشرة في بلاد المسلمين ويصف لها دواء الايمان

بنظرته الثاقبة واللامحدودة يرى النورسي أنّ العالم يمر بأزمة معنوية وان امراض المجتمع الغربي انتشرت في بلاد المسلمين كالطاعون لذلك فقلعة الايمان هي القلعة الحصينة التي يجب أن يحتمي بها المسلم امام تيارات الظلال

رابعا: الإخلاص وطلب رضا لله تعالى سبب كل نجاح

يرى النورسي أن الإخلاص في العمل هو أكبر قوة في النجاح والفلاح وتبرز درجة اهتمامه وعنايته بالإخلاص من خلال الكلمات التي وضعها في أول رسالة الإخلاص التي حث فيها على إعادة قراءة هذه الرسالة كل خمس عشر يوما يقول النورسي:«فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاث أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدة مئة شخص»

والمتأملللأسس التي قامت عليها رسائل النور يكشف أنّ الإخلاص والشّفقة من اهم هذه الأسس لأن بديع الزمان أدرك عن وعي وبصيرة أنّ ايمان المسلم في العصر الحديث ينقصه توهج الإخلاص الصادق وسيره وهذا الذي نكتشفه في أحيان كثيرة في التيارات المعاصرة ان الذي ينقصها هو الإخلاص لله.

خامسا: الروحانية دواء في عالم المادة

وسط مايعيشه العالم الإسلامي المعاصر من صراع للأفكار نتيجة انفتاحها على الثقافات الأخرى وما تبذله المؤسسات الغربية لآليات الغزو الفكري

٢٤ النورسي، اللمعات ص٤٠٨

الذي أضحى هدفه هو محو الثقافة ومقومات الذات الإسلامية الذي لن تجد الذات هويتها إلاّ في تدينها وتمسّكها بالدّين يظهر النورسي وهو أحد اعلام الشّريعة العارف بحقائقها فقد سبر أغوارها بعمق يرى ان احتياجات العصر الى من يثبت حقائق الايمان بعد ان أصبحت مستهدفه يقول:« إني أخال لو كان الشيخ عبدالقادر الكيلاني والشاه النقشبندي والإمام الرباني وأمثالهم من أقطاب الايمان رضوان اللّٰه عليهم أجمعين في عصرنا هذا لبذلوا كل مافي وسعهم لتقوية الحقائق الايمانية والعقائد الإسلامية نعم لا يمكن دخول الجنة دون ايمان بينما يدخلها الكثيرون دون تصوف »[٢٥].

الخاتمة:

- البحث يسلط الضوء على واقع التيارات الفكرية المعاصرة في بلاد المسلمين والتي حملت على عاتقها مسؤولية الدعوة فالنهوض بالأمة وسط الأزمات المركبة التي تعيشها، كما نوه البحث بالخطاء التي وقعت فيها التيارات الإسلامية من انغلاق او تكفير او ضعف تأسيس وضحالة المرتكز العقدي
- نوه البحث إلى مسألة البعد الإيماني في مشروع النورسي الإصلاحي وتجديده وأن الابتعاد عنه هو سبب تأخر المسلمين.
- تركيز النورسي على تعميق أواصر الاتحاد والامتزاج في البنية الاجتماعية كما وضع الأسس لتدبير الخلاف بين العلماء ولإرساء دعائم الوحدة.
- أشار البحث إلى مخاطر العولمة وأهدافها العميقة في محو معالم الهوية الإسلامية وإلغاء الذات والقيم والمبادئ والخلاق
- أسس النورسي لآليات قوية جدد بها الإيمان أهمها الإعلان والتبليغ، وإحياء الإخلاص في القلوب، كذلك أهمية الروحانية كدواء لعلاج ما يعرفه العالم من ماديات

٢٥ المكتوبات المكتوب الخامس ص ٢٧

- إن آليات النورسي التي اعتمدها في إحياء الإيمان وإنقاذه وتبليغه يعد مرتكزا مهما لبناء المسلم المخلص الموحد المحب للإخوان الذي ينبذ الأنانية والعصبية في سبيل النهوض بدينه وأمته ويمكن للتيارات الفكرية المعاصرة أن تستفيد من مشروع النورسي التجديدي لتقوم جهودها وترشد سلوكها وتحدد أهدافها.

المصادر والمراجع

١) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي للطبع والنشر، ط٤، ٢٠١٢م
٢) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل، دار الفكر، ١٩٨٧م.
٣) شكيب ارسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، تقديم رشيد رحنا القاهرة، دار البشير
٤) بدائل العولمة للاوندي، عرض عبد الباقي حميدي، مجلة حصاد الفكر العدد ١٣٥ جمادى الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
٥) أسعد السحمراني، نحن والعولمة من يربي الاخر. سلسلة كتاب المعرفة. ط ١٤٢٠٠هجري، ١٩٩٥م
٦) صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، ترجمة الشايب، تقديم صلاح قنصوة ٢، ١٩٩٩م
٧) النورسي، اللمعات
٨) إسماعيل علي محمد، العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها د.، دار الكلمة للنشر ط ١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.
٩) النورسي الملاحق الملحق قسطموني ص ١٣٥
١٠) محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، مصر، دار الشروق، ٢٠٠٧م
١١) عبد الكريم عكيوي، إشراقات نورية
١٢) النورسي، الملاحق ملحق قسطموني
١٣) النورسي، سيرة ذاتية

«ثلاثيــة النهــوض لسعيــد النورسي و دورها في الاستـــرداد الحضـــاري»

نسيـم بوعافيـة
إمام خطيب بمسجد عقبة بن نافع - تاراست - الجزائـر

المقدمة

كثيرون هم، المفكرون الذين تكلموا في النهوض الحضاري بالأمة، فبعضهم أصاب و بعض أخطأ، و آخرون وصفوا الداء، و عجزوا عن وصف الدواء، و انحصر البعض عند عَرَضٍ دون غيره من الأعراض المرضية، بينما توقف الكثيرون عند حدود زمانهم و طبيعة بيئتهم، فلم يتعدوها لغيرها من الأزمنة و الأمكنة.

الأستاذ المجدد سعيد النورسي؛ أدرك زمانه و واقعه، و تعداهما بفكره الثاقب إلى النظر في زمن و واقع غيره، فكان تشخيصه للمرض دقيقا دقة المتبصر الواعي، و وصفته للنهوض بالأمة متعدية لغيرها في البعدين الزماني و المكاني.

من هذا المنطلق جاءت ثلاثية النورسي التي سميناها ثلاثية النهوض الحضاري و هي « العلم و التقنية و الاتفاق» و التي تجمع بين شمولية العلم و الأثر الأخلاقي الذي يحصنه و الذي إن زال وقع الاختلاف قال تعالى::) وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِمَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ([٢٦] قال شيخ المفسرين ابن كثير " أي: بغى بعضهم على بعض، فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله، وإن كانت حقا "[٢٧]

فأردنا من خلال هذه الثلاثية المشاركة في فعالية المؤتمر الدولي – الثاني

---

٢٦ آل عمران الآية (١٩)

٢٧ تفسير القرآن العظيم:أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ص ٣٢٣، ج ١)

حول التعليم والأخلاق في ضوء رسائل النور لسعيد النورسي لندرجها ضمن المحور الثالث المتعلق بـ: (الإنسان والأزمات العالمية المعاصرة)، وكذا المحور السادس فيما يخص: (رؤية النورسي حول التربية والتعليم) و اخترنا لها عنوان: "ثلاثية النهوض لسعيد النورسي و دورها في الاسترداد الحضاري".

أسباب اختيار موضوع البحث: اختيارنا لهذا البحث قائم على أسباب عديدة و متعددة، لكننا نجملها فيما يلي:

١) أن أول تأثر لي بفكر هذا الرجل الفذ، كان عقب زيارتي لتركيا و التحدث مع بعض من معتنقي فكره و المتأثرين به، فكانت هذه الثلاثية أول ما اطلعت عليه من أفكاره و أنا انظر في تاريخه الذي يعرضه محبوه بفخر واعتزاز.

٢) هذه الثلاثية لا يستغني عنها مفكر ولا داعية لأنها من مستلزمات النهوض التي تُحارب بها الأعداء الثلاث " الجهل و الفقر و الاختلاف " قال الأستاذ الجليل: "إن أعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنجاهد ضد هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق"[١].

٣) أن هذه الثلاثية لا تكتفي بالبحث عن الدَّفْع المادي، لتحقق مدنية عمياء مشوهة كما نَلْحَظه في واقعنا المعاصر، و إنما تبرز معنى مهم و هو الجانب الأخلاقي لتنتج حضارة القمة التي تجمع بين التمدن و الأخلاق.

٤) الدافع الأخر و هو لِما لهذه الثلاثية " العلم و التقنية و الاتفاق" من شمول و تكامل؛ فقد جمعت بين العلم الديني والعلم الوضعي، لتُحدث بينهما امتزاجا أخلاقيا تربويا ينهض بالأمة، و يحقق لها البعث و الرّيادة، قال الاستاذ النورسي: "ضياء القلب هو العلوم الدينية ونور العقل هو العلوم الحديثة فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات

---

١ عزاها أ.د. إبراهيم جانان: ديوان الحرب العرفي: ص٥٧ "اخذت هذه العبارة من مقالته التي ظهرت في "الجريدة الدينية" بتاريخ مارت ١٩٠٩ عدد ٧٠. انظر: القضايا الأساسية للعالم الإسلامي وطرق حلها في نظر بديع الزمان التهميش رقم ٧

في الثانية"[٢].

٥) أن هذه الثلاثية؛من المقومات التي قامت عليها دعوة الأستاذ النورسي، فلم تتبدل و لم تتغير، و ما قاله فيها سعيد القديم، هو عين ما قاله سعيد الجديد، و هو ما مات عليه سعيد الشيخ، و إن اختلفت الألفاظ و التعابير و المفردات.

٦) فحينما تقرأ رسائل النور و تتمعن في الخطبة الشامية[٣] التي كانت في شتاء ١٩١١ م، بالجامع الأموي بدمشق حيث تطرق لهذه الثلاثية بإسهاب، لا تلْحَظ فرقا منهجيا يُذكر.

من خلال هذه الثلاثية تتجلى لنا عبقرية الأستاذ النورسي، الذي تحقق بها في نفسه قبل أن يأمر بها غيره؛ فكان عالما جامعا بين علوم الدين و علوم الدنيا، متأدبا مع مخالفيه كأدبنا مع أقرب الناس إلى قلوبنا، و دليل ذلك أنه سامح كل من أذاه أو نال منه في حياته.

مشكـــلة البـــحث: الدافع لهذه الدراسة هو ما يعانيه المسلمون من عفوية فكرية، أدت إلى تلقائية مفرطة شجعت العدو و نصرته؛و فوضوية سلوكية، أدت إلى نبذ النظام الحياتي و مقاومته؛ و عاطفة شعورية تقوم على الحب المفرط و البغض المقيت، أدى كل ذلك إلى انحطاط أخلاقي و فكري و اجتماعي، لم تمر بهما الأمة في تاريخها إلى اليوم.

أنتج ذلك؛ جهل و بؤس و تفرق و تشرذم لا نظير لها، فصار لزاما أن ننظر في فكر أسلافنا وما تركوه لنا من كنوز و خبايا، لنتأمل فيها و نستخلص منها سبيل نجاتنا، و قوام حضارتنا و خروجنا مما نحن فيه.

من هذه الكنوز و الخبايا رسائل النور للأستاذ المبجل بديع الزّمان النورسي، الذي تكلم فأبدع و كتب فأنار، جعله اللّٰه هبة منه لنا يمن بها علينا، و يحاسبنا على تقصيرنا في حقه و موروثه الثقافي و الحضاري.

---

٢ المثنوي: ص ١٤.

٣ القاها الاستاذ النورسي باللغة العربية في الجامع الأموي بدمشق سنة ١٩١١م، قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى وهي في صيقل الاسلام.

أهـــداف البـــــــحث: يهدف البحث إلى تحقيق أهداف عديدة أهمها:

١) إبراز البعد الأخلاقي التربوي في فكر الأستاذ النورسي من خلال ثلاثية النهوض و التغيير في رسائل النور.

٢) إبراز النموذج الأمثل للمسلم المعاصر، من خلال الجمع بين علم الدين و علم الدنيا، و كذا الممارسة الميدانية؛التي تتجلى من خلال السلوك الحسن و الخلق القويم.

٣) محاولة ربط هذه المقومات الثلاث بشخصية الأستاذ النورسي، و طريقة تجسديها في حياته و أسلوب دعوته، لإبراز معنى القدوة العملية و العلمية و الأخلاقية، وهذا لما للقدوة من قدرة على التأثير و حجة في الإقناع.

٤) إبراز البعد الزّماني و المكاني لفكر الأستاذ النورسي، الذي استطاع بفكره الثاقب أن يصل إلى حلول شاملة متلازمة، يحتاجها من كان في زمانه و زمان من بعده.

٥) معالجة ما ترسخ من سلبيات منهجية و فكرية و أخلاقية عند المسلمين، نتيجة ترسبات تاريخية عديدة أعظمها زوال الخلافة، و الغزو الفكري الذي تلاها بعد ذلك.

حـــــدود البـــــحث: يدور هذا البحث حول ثلاثية النهوض" العلم و التقنية و الاتفاق" و مدى ترابط و امتزاج التعليم و التربية بالأخلاق و ضرورة توافر الجميع لأحداث الدفع الحضاري المنشود و استرداد المجد المفقود من خلال إيجاد العنصر الرباني الذي يجمع بين خير الدين و الدنيا.

منهـــــج البحـــــث: سأنتهج إن شاء اللّه؛المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع كلام الأستاذ النورسي و كتباته في رسائل النور، و التنقيب على خفايا و أسرار كلامه، ضمن ما أورده من إشعاعات و لمعات مستوحاة من أنوار القرآن الكريم و آياته.

لاستخلص بعد ذلك ما كان مرتبطا بموضعنا و محققا لأهدافنا و قد الجأ بشكل جزئي إلى المنهج الوصفي بالنظر في سيرة الأستاذ لربطها بما أصبو إليه من أهداف.

الدراســـــات الســـــابقة: لا أخفي إقراري، بأن ما كتبه العلماء و الباحثون حول فكر و منهج و أسلوب الأستاذ النورسي، لا يترك المجال واسعا لغيرهم من الباحثين في الخوض و النظر في رسائل النور.

و هذا ليس تقليلا من قيمة الرسائل، أو تهوينا من شأنها، ولكن إشادة بفضل العلماء والباحثين في خدمة فكر النورسي، و إن كان لا يزال الكثير مما يحتاج إلى النظر و التمحيص و التبسيط ليسهل استثماره و الاستفادة منه.

و أقرب ما قرأت من بحوث تتقارب مع هذا البحث: هو بحث الأستاذ الفاضل أ.د. إبراهيم جانان المعنون بـ "القضايا الأساسية للعالم الإسلامي وطرق حلها في نظر بديع الزمان" الذي شارك به في المؤتمر العالمي الثاني لبديع الزمان سعيد النورسي"بديع الزمان سعيد النورسي و إعادة بناء العالم الإسلامي في القرن العشرين" ٢٧ - ٢٩ ايلول ١٩٩٢ استانبول – تركيا و هو بحث قيم مفيد، و إبراز وجوه الاختلاف بينه و بين ما اصبوا إليه في بحثي هذا يطول، ولكن اكتفي فأقول باختصار أنه سيكون بحثا مكملا و ليس بحثا معارضا أو مقوما و بالله التوفيق.

خـــــــطة البـــــــــحث: يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث تحتوي على تسعة مطالب وخاتمة.

مقدمة البحث

المبحث الأول: ثلاثية النهوض من خلال رسائل النور

المطلب الأول: تعريف بمفردات عنوان البحث.

المطلب الثاني: ثلاثية النهوض من خلال رسائل النور

المطلب الثالث: خصائص ثلاثية النهوض.

المبحث الثاني: علاقة ثلاثية النهوض بالأخلاق عند النورسي

المطلب الاول: علاقة العلم الديني و العلم الدنيوي بالأخلاق.

المطلب الثاني: الأخلاق ثمرة الائتلاف والاتفاق.

المطلب الثالث: حياة النورسي في ظل ثلاثية النهوض

المبحث الثالث: أثر الثلاثية في الاسترداد الحضاري.

المطلب الاول: مقومات الحضارة عند بعض المفكرين.

المطلب الثاني: الفرق بين المجتمع الذي ينشده النورسي من خلال رسائله و مجتمع غيره.

الخاتمة: تشتمل على نتائج البحث وتوصياته ومقترحاته.

و بالله التوفيق وعليه التكُلان.

المبحث الأول: ثلاثية النهوض من خلال رسائل النور

المطلب الأول: تعريف بمفردات عنوان البحث: لن نخوض في تعريف المصطلحات بشكل مفرد، بل سنتطرق إلى المفردات المركبة و المضافة، بحكم جدتها و حداثتها؛و هما كلمتين اثنتين الأولى هي: ثلاثية النهوض و الكلمة الثانية و هي:الاسترداد الحضاري.

١ -ثلاثية النهوض: النهوض عند اللغويين له عدة معاني، فهو القيام و النشاط، السرعة، الاهتمام، الارتفاع و كذا التنبيه و التحفيز فنقول: نهض أي قام، و نهض عن مكانه: ارتفع عنه، و نهض إلى العدو: أسرع إليه يحاربه، و نهض للأمر: قام، استعد النُّهوض بمستوى التَّعليم: الاهتمام به و نقول نهَض البلدُ أي انتعش، و استنهض همم العمّال: حثّهم وحفزَهم على سرعة القيام بشيء[٤] .

ثلاثية النهوض في بحثنا هذا؛ هي العناصر الثلاثة التي جعلها النورسي منارا يحتذي به في طريقه لإنقاض الأمة وتحقيق الرّيادة لها بين الأمم، و التي بنى عليها منهجه لتحقيق الصحوة و الازدهار و الرقي وهي " العلم و التقنية و الاتفاق".

فهي بهذا المعنى اقرب ما تكون دلالة إلى اللفظ اللاتيني advancement الذي بجمع من المعاني: الإرْكَاء؛ الإرْتِقاء؛ الإزْدِهار؛ الإنْطِلاق؛ الإنمْاء؛الأَوَّلِيَّة؛ التَدْعِيم؛ التَرْفِيع؛ التَرْقِيَة؛ التَسْنِيد؛ التَطَوّر؛ التَطْوِير؛التَعْزِيز؛ التَقَدّم؛ التَقْدِيم؛

٤ انظر: «معجم المعاني الجامع »، الدكتور مروان عطية، مادة (استنهاض)

التَقْوِيَة؛ التَنْمِيَة؛ الدَعْم؛ الرَفْع؛ الرُقِيّ؛ السَبْق؛ السَيْر؛ النَهْضَة؛ النُهُوض[٥].

ثم إن النهوض في الغالب يكون بعد سبات يطول أو يقصر، فجمع اللفظ بين وصف الحال و وجوب النظر إلى المآل؛ أي وصف حال الأمة و ما هي عليه، و ضرورة طلب النجاة بعد طول أمد و غفوة.

٢ - الاستـــرداد الحضـــاري: الاسترداد هو الاسترجاع و الاستعادة، ويقولون حقّ الاسترداد : حقّ المدين في استرداد ممتلكاته بعد سداد ديونه[٦].

و قد وُجد في التاريخ ما يسمى بحركة الاسترداد المسيحية التي كانت في ٧١٨ م و التي انتهت بتأسيس أولى الإمارات الفرنجية في شمال أيبيريا، ثم معارك الاسترداد التي انتهت بسقوط الأندلس عام ١٤٩٢.م.

فأردنا أن ننشئ هذا المصطلح ليكون دالا على الهدف من منهج الأستاذ النورسي؛ وهو الرجوع بالأمة إلى عهدها السابق و استعادتها لمجدها و حضارتها التي ضيعتها عبر التاريخ.

المطلب الثاني: ثلاثية النهوض من خلال رسائل النور: لو أردنا أن نجمل المنهجية التغييرية للأستاذ النورسي في جملة مختصرة لقلنا: قام منهجه التغييري على مقومات ثلاث " العلم و التقنية و الاتفاق"، وقد لخصها الأستاذ قائلا: "إن أعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنجاهد ضد هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق"[٧].

فما من موضع تكلم فيه الاستاذ النورسي، و سنحت له الفرصة، إلا و شرح هذه الثلاثية بإسهاب سواء كانت مجتمعة في موضع واحد، أو كانت متفرقة في عدة مواضع و مواضيع؛ فيتكلم عن كل واحدة منها على حدا مستعملا نفس المفردات أو ما كان في معناها وحتى الخوض و التفصيل في أضدادها منتقدا بذلك الجهل و الفقر و الاختلاف؛ لاقتناعه الراسخ بان السبيل للنهوض

---

٥ انظر الرابط المترجم http://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/advancement/

٦ انظر: «معجم المعاني الجامع »، الدكتور مروان عطية، مادة (استرداد)

٧ انظر: ص ٢.

بالأمة إنما يكمن في العلم الشرعي و العلم الدنيوي أو الوضعي، المصاحب ين بالضوابط الاخلاقية و الانسانية والتي أكثر ما تتجلى في الاتفاق و الألفة أو الأخوة و المحبة.

و لكن ما هي الأسباب التي جعلت الإمام النورسي يعتمد هذه الثلاثية كعناصر للنهوض والاسترداد الحضاري ؟

الأسباب المتعلقة بالعلم الشرعي: لن نخوض في الفضائل الشرعية للعم الديني فهذا مما ينتشر في طيات الكتب ومحل حديث الكثيرين، بل إن فضله لا يخفى على أمة أول ما نزل عليها قوله تعالى:) اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(٨ ولكننا سنتكلم عن ثلاث عناصر أساسية لها ارتباط بموضوعنا هذا:

السبب الأول: وهو أن أي تغيير لا بد له و أن ينطلق من الأنفس قال تعالى:) إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ(٩، وسواء كان هذا التغيير ينشد الحق أو الباطل، فلا بد من أن تكون الذهنيات مهيأة لذلك.

فالنخبة و صانعي القرار الأمريكان، حينما أدركوا بأن الشعب الأمريكي انصهرت فيه كافة المجتمعات العالمية، مما جعل بالصعوبة بمكان إيجاد مقومات الوحدة التي يبغونها، فقاموا بترسيخ فكرة و عقيدة و هي أن: " أن الإنسان الأمريكي هو رقم واحد في كل شيء، و أنه خُلق ليقود العالم " مستغلين في سبيل ذلك كل وسائل التعليم و التثقيف و الإعلام.

بينما كان أساس المعجزة الاقتصادية اليابانية بعد الحرب العالمية الثانية و التي فاقت كل الاحتمالات و التصورات؛هو روح التحدي التي يتميز بها الرجل الأسيوي عموما، و الشعب الياباني و الصيني خصوصا، فمسالة العزة و الكرامة من القيم الروحية و الاجتماعية، التي يتوارثونها كما يتوارث الآخرون الديار و العقارات، مما جعلهم يسعون دون إعلان إلى استرجاع ما فقدوه من كرامة في الحرب العالمية الثانية و الانتقام لذلك و لو بعد حين.

---

٨ العلق الآية (١).

٩ الرعد الآية (١١).

فالخلاصة انه لا بد من أن تكون هناك عقيدة و قيم يقوم عليها كل شعب لأجل النهوض، سواء كانت هذه العقيدة تهدف إلى الخير أو إلى الشر، وشرطها أن تكون عقيدة ايجابية دافعة.

و العرب عموما في زمن النبي و إلى يومنا هذا، تقتضي طبيعتهم النفسية و الاجتماعية و البيئية، أن لا تقوم لهم قائمة إلا بالإسلام؛ فما الشعوب العربية سوى قبائل متناحرة متقاتلة تقوم على النهب و الاستيلاء من غير إسلام.

فلا يمكن إذا العودة بالأمة إلى سابق عهدها و النهوض بها، إلا من خلال إعادة بناء الذهنية المسلمة بمفاهيم الخيرية و الشهود و الوسطية، و التي لا تكون إلا من خلال العلم الشرعي الذي يُرسخ هذه المعاني و يجعلها قيما و ممارسات.

و قد أدرك الأستاذ النورسي بذكائه الخارق و ارتباطه بنورانية بالقران، هذه المعاني فجل أول ما يقوم عليه منهجه هو اعتماد تغيير الأنفس، و بناء العقيدة، كأساس للدفع و الاسترداد الحضاري المنشود من خلال التعليم الديني المتكامل.

السـبب الثـاني و هو اعتماده النخبة كأساس للتغيير، و اعتماد العلم الشرعي كأساس للتصفية و التنقية، فمن خلاله تبرز الطاقات و المواهب و يتميز القادر صاحب الهمة من العاجز المتخاذل يقول اللّٰه عز و جل: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)[١٠].

و أما العامة فنكتفي معها بالتوجيه و الرضا منها بالقليل بسبب محدودية قدراتهم يقول الأستاذ بديع الزمان في النكتة الرابعة وهو بصدد تبيان طريقة القران في نقل المعارف للعوام: هي أن الإرشاد يكون نافعا إذا كان على درجة استعداد الجمهور–باعتبار المعظم- عوام، و العوام لا يقدرون على رؤية الحقيقة عريانة ولا يستانسون إلا بلباس خيالهم المألوف [١١].

---

١٠ السجدة الآية (٢٤)

١١ الكلمات ص: ٤١١.

ولهذا نجد الأستاذ النورسي في مواضع كثيرة، يوازن بين المصالح و الأضرار و يقرر الأصلح للأمة، من خلال المحافظة على النخبة، جلبا لمصلحة اكبر.

وكمثال على ذلك موقفه من رغبته في عدم نشوء الحرب حفاظا على إخوانه العاملين، فيعلنها واضحة جلية بان فتح مجال الحرب مع الأعداء و الكفار يلحق ضررا بالغا بخدمة القرآن تعليما و ممارسة فيقول: "أما مصيبة الحرب وبلاؤها، فهي ضرر بالغ لخدمتنا القرآنية، لأن معظم إخواننا العاملين المضحين الفضلاء لا يتجاوز أعمارهم الخمس و الأربعين سنة، فيضطرون إلى الذهاب للحرب تاركين الخدمة القرآنية المقدسة.

ولو أن لي مبلغاً من المال، لكنت ادفعه – بكل رضاي – لأجل إنقاذ هؤلاء الإخوة الاكارم، حتى لو كان البدل النقدي ألف ليرة! إن انخراط مئات من إخواننا العاملين في الجندية، ومزاولتهم الجهاد المادي خسارة فادحة لخدمتنا، أشعر أنها تعدل أكثر من مائة ألف ليرة".[١٢]

و موقفه هذا ليس جبنا أو خوفا، بل هو إعمال لمبدأ الموازنات و حسن ترتيب للأولويات كما أسلفنا.

السبب الثالث هو: أن العلم يكون دافعا للعمل فنراه في غير موضع من رسائل النور يحث على العمل بالعلم و التخلق به

الأسباب المتعلقة بالعلم الوضعي: العلم الوضعي عبّر عنه الإمام النورسي بألفاظ عديدة و متنوعة، فمرة بالتقنية و مرة بالصناعة و أخرى بلفظ العلم أو المعرفة مجملا، فيكون الوصف مرة بالسبب المؤدي للغرض، و مرة أخرى بالنتيجة المرجوة من العلم.

ولكن المعنى العام الذي أراده الأستاذ النورسي، هو تحقيق التطور المادي؛ فعبر بالخاص عن العام باعتباره أهم أسبابه المؤدية إليه، و المتأمل يجد أن أسباب جعلَ النورسي العلم الوضعي من مقومات النهوض و الاسترداد الحضاري كثيرة نذكر منها:

---

١٢ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ص ١٧١

الســبب الأول: وهـو أن العلم الوضعي إن كان حكرا على الكفار، صارت رقاب المسلمين في أيديهم و تبعيتهم لأعدائهم و أعداء دينهم، كما هو الحال في زمننا هذا.

فإن كان المسلم يعيش مما يجنيه الآخرون، و يتطبب بما يكتشفه الآخرون، و يبني و يشيد مما ينتجه الآخرون، فإنه سيفكر بمنطق هؤولاء، و سيكون خاضعا لهم و مُستعيدا من طرفهم، بل انه من السهل أن تُمرر عليه الشهوات و تلقى عليه الشبهات لتفسد عليه عقدته و دينه.

السـبب الثـاني: وهـو أنه لا بد من التزاوج والتكامل بين العلمين علم الدين و علم الدنيا، على وفق ما كان عليه أسلافنا رضوان اللّٰه تعالى عليهم، لأن اللّٰه عز و جل جعل الوحي مصدرا للعمل الشرعي، و الكون مصدرا للعلم الوضعي، فالعلم إما نقل مصدق عن قائل معصوم، أو استدلال محقق عليه دليل معلوم و كل منهما يخدم الأخر هداية و بيانا، و قد قيل:" العلم بدون دين أعرج، والدين بدون علم أعمى" ويقول الاستاذ النورسي في هذا المعنى: "ضياء القلب هو العلوم الدينية ونور العقل هو العلوم الحديثة فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية"[١٣].

و هكذا لا يكون قصور عند المتدين في تطبيق دينه، كما لا يكون عناد عند المتعلم في استيعاب أوامر ربه و نواهيه؛مما يسهل تبليغ الدعوة و نفي الشبهات عن الدين و الدعوة يقول الأستاذ النورسي: "إن كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة اللّٰه. واكبر عامل لهذا في هذا الزمن هو الرقي المادي"[١٤].

الســبب الثالــث: وهـو أن بالتقنية و المعرفة يمكن القضاء على الفقر و البؤس و بتعمير الأرض و تشييدها، لأن العامة من الناس لا تستطيع أن تصبر على ما تصبر عليه الخاصة، ولهذا نجد أن الأستاذ يخاطب الخاصة من طلاب

١٣ مقال جوانب من حياة بديع الزمان: احسان قاسم الصالحي، مركز بحوث رسائل النور – استانبول

١٤ محاكمات: ص ٢٧.

النور فيقول: «إن مهمة أهل الإيمان و أهل الحقيقة ولاسيما طلاب رسائل النور هي السعي لجعل بلاء الجوع هذا وسيلة الالتجاء إلى اللّٰه والندم على الذنوب والتسليم لأمر اللّٰه، وكالجوع الذي يصيب المرء عند مزاولته الرياضة الدينية في شهر رمضان، والحيلولة دون فتح السبيل أمام التسول والسرقة والفوضى بحجة الضرورة، والسعي لدفع الزكاة إلى أولئك الفقراء الجائعين الذين لا يرأف بحالهم قسم من الأغنياء»[١٥] و يقول أيضا «و أن ينظر أهل العبادة و الصلاح إلى هذا البلاء النازل بهم كرياضة شريعية»[١٦]

و لكن لو عُرض الدين للعامة على أنه زهد في الدنيا، بالمعنى السلبي و أنه جوع و فقر، فسيكون سببا لنفرة الأكثرين فكان لزاما أن يكون الخطاب شاملا بحيث يجمع بين خير الدين و الدنيا معا، وهذا لا يكون إلا بتسخير السنن الكونية لخدمة الإنسان و السعي للقضاء على الفقر والبؤس و الحوج، و نشر الرخاء بين الناس.

السـبب الرابـع: و هو القدرة على التمحيص بين الغث و السمين من الحجج و البراهين، لأن أهل الباطل كثيرا ما يشهرون لباطلهم بما حققوه من انجازات دنيوية فينبهر بها الناس، و يقعون في ضلالاتهم و إيحائاتهم وشبههم، ولهذا نجد الأستاذ يبين كيف أنه بعلمه الديني و الدنوي استطاع أن يمحص بين الحق و الباطل ويفرق بين الدليل الواضح البين و بين الشبهة الواهية الضعيفة فيقول: «حينما سار (سعيد الجديد) في طريق التأمل والتفكر، انقلبت تلك العلوم الأوروبية الفلسفية و فنونها التي كانت مستقرة الحد ما في أفكار (سعيد القديم) إلى أمراض قلبية، نشات منها مصاعب و معضلات كثيرة في تلك السياحة القلبية، فما كان من (سعيد الجديد) إلا القيام بتمحيص فكره على نفضه من ادرأن الفلسفة المزخرفة و لوثات الحضارة السفيهة»[١٧].

---

١٥ في الملاحق في فقه الدعوة: ص ١٦١.

١٦ المصدر نفسه: ص ١٦٢.

١٧ اللمعات: ص ١٧٦.

و هنا تبرز القدرة عند الاستاذ النورسي على النقد الذي ينبني على فكر ثاقب جامع بين علم الشرع و سائر علوم العقل فيقول: "يا أوروبا الثانية (!!) اعلمي جيدا أنك قد أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة، وبشمالك المدنية المضرة السفيهة ثم تدعين أن سعادة الإنسان بهما. ألا شُلّت يداك، وبئستْ الهديةُ هديتك، ولتكن وبالاً عليك، وستكون.

أيتها الروح الخبيثة التي تنشر الكفر وتبث الجحود!! تُرى هل يمكن أن يسعد إنسان بمجرد تملكه ثروة طائلة، وترفله في زينة ظاهرة خادعة، وهو المصاب في روحه وفى وجدانه، وفى عقله وفى قلبه بمصائب هائلة؟ وهل يمكن أن نطلق عليه أنه سعيد؟!»[١٨].

ضف إلى ذلك سفاهة عقول العوام من الناس الذين ترسخ في أذهانهم بان طالب العلم الدنوي رجل متحضر و فائق الذكاء تربى في الجامعات على خلاف رجل الكتاتيب الذي ليس له من هم سوى طلب الرغيف.

الأسباب المتعلقة بالاتفاق: و قد يستعمل الأستاذ النورسي لفظ الأخوة، الائتلاف، الوفاق، و التساند، التعاون و الاتحاد أو الأضداد من مثل النفاق و العداوة أو الخصومة و العداء.

و الاتفاق و الألفة هو سبب الديمومة و الاستمرار والبقاء، سواء بالنسبة للأفراد أو الجماعات و حتى الدول و الأمم كما أن الاختلاف سبب الزوال و الاندثار، قال تعالى، ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١٩].

و آفة المسلمين اليوم أنهم متفرقون، متشتتون متحاربون، لدرجة أن عدوهم أدرك ذلك فاستثمره و استغله أحسن استغلال، و نتج عن ذلك البدايات الصفرية؛التي تجعل كل قوم يلعن من سبقه بدل من أن يبنى و يؤسس عمله من حيث انتهى الأخر.

---

١٨ المصدر نفسه: ص ١٧٧.

١٩ الانفال الآية (٤٦).

فعلى مستوى الجماعات نشأ أقوام يدّعون فقه الواقع و أن غيـر هم في المسْجد متقَوْقِع، و ظهر من يدعي إتباعه للسلف و أن غيره من مبتدعة الخلف، و هذا يدّعي دخوله الجنّة و أن غيره سائر إلى النّار، و أولئك يدّعون العلم و أن غيـرهم مـن أهـل الجهـل، و أقواما يدّعون العقـل و كأن غيـرهم مـن غيـر عقـل، و أقواما يدّعون الوطنيـة و كـأن غيـرهم بلا وطـن؛ و انتكس بسبب ذلك أقوام و أجيال من الشباب؛ وآفـتهم جميـعا كلمة قالها إبليس: أنا خيـر منـه.

و على مستوى الدول تناحر وتقاتل و كيد وعداء و كأنه لا تجمعهم ملة واحدة، في حين أن غيرهم يتحد و يبحث على مسوغات الاجتماع، وسبب ذلك ليس إلا لذلة أهل الحق، و اعتزاز أهل الباطل يقول الأستاذ بديع الزمان " أن اتفاق أهل الضلالة نابع من ذلتهم، بينما ا اختلاف أهل الهداية نابع من عزتهم"[٢٠]. فما أحـوج الْجميع إلى التّكامل بـدل التّآكـل، و التّعاون بـدل التّنـاحُر، و إلى التّشييد بدل التّخريب، و إلى البناء لا محاولـة الاحتواء، و الدّفاع لا التّسـرع في الاتهـام، و تزكيـة النّفس لا تزكية الجماعـة أو الوطن، و العمل للإسـلام لا الانتصـار للطائفـة.

ليكـن لسـان حـال كـل واحد منا ماذا قدمت للإسـلام؟ لا هـدم ما قدمهُ الآخرُون له، و مـدار كـل ذلك عـلى أمر واحـد اسمُـه الإخلاص و ترك مبتغى النفس و الذي إن تحقق به اهل الضلالة حققوا به مبتغاهم و إن تركه أهل الخير ضلوا و شردوا يقول الأستاذ بديع الزمان: " إن اتفاق أهل الضلالة نابع من ذلتهم، بينما اختلاف أهل الهداية نابع من عزتهم، إذ لما كان أهل الدنيا والضلالة الغافلون لا يستندون إلى الحق والحقيقة فهم ضعفاء و أذلاء، يشعرون بحاجة ماسة إلى اكتساب القوة ويتشبثون بشدة إلى معاونة الآخرين والاتفاق معهم، ويحرصون على هذا الاتفاق ولو كان مسلكهم ضلالة، فكأنهم يعملون حقاً في تساندهم على الباطل، ويخلصون في ضلالهم، ويبدون ثباتاً و إصرارا على إلحادهم، ويتفقون في نفاقهم، فلأجل هذا يوفّقون في عملهم،

---

٢٠ اللمعات: ص ٢٢٨ - رسالة الاخلاص -.

لان الإخلاص التام ولو كان في الشر لا يذهب سدى، ولا يكون دون نتيجة. فما من سائل يسأل بإخلاص امرأ إلا قضاه اللّٰه له.

أما أهل الهداية والدين و أصحاب العلم والطريقة فلأنهم يستندون إلى الحق والحقيقة، ولان كلاً منهم أثناء سيره في طريق الحق لا يرجو إلا رضى ربه الكريم ويطمئن إليه كل الاطمئنان، وينال عزة معنوية في مسلكه نفسه، إذ حالما يشعر بضعف ينيب إلى ربه دون الناس، ويستمد منه وحده القوة، زد على ذلك يرى أمامه اختلاف المشارب مع ما هو عليه، لذا تراه لا يستشعر بدواعي التعاون مع الآخرين بل لا يتمكن من رؤية جدوى الاتفاق مع مخالفيه ظاهراً ولا يجد في نفسه الحاجة إليه.

و إذا ما كان ثمة غرور و أنانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقاً ومخالفيه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الإخلاص ويحبط عمله ويكون آثرا بعد عين»[٢١]

و الأسباب التي جعلت الأستاذ بديع الزمان يجعل هذا المقوم ضمن ثلاثية النهوض و الاسترداد الحضاري كثيرة و متنوعة، و أهمها على ما يظهر لنا وما نعتقده من خلال دراستنا لرسائل النور هي:

السبب الأول: اقتداء بالنبي صلى اللّٰه عليه و سلم، في مرحلة بناء الدولة التي كانت بدياتها من هجرته المباركة، فكان أول ما بدأ به هو المؤاخات بين المهاجرين و الأنصار.

السبب الثاني: أن الجماعة عون على الطاعة، و قوة أمام الأعداء، و سبب من أسباب التمكين.

اسبب الثالث: الائتلاف بركة و الاختلاف ممحقة.

السبب الرابع: الاتفاق حصن أمام هشاشة البنيان الداخلي، و سد لباب كيد الأعداء.

السبب الخامس: الاتفاق من أساب تظافر الجهود و تكاملها، لأجل تحقيق المبتغى و التمكين.

---

٢١ المصدر السابق: ص ٢٢٨.

المطلب الثالث: خصائص ثلاثية النهوض

المتأمل في ثلاثية النهوض على وفق ما أورده الأستاذ بديع الزمان النورسي يلاحظ مجموعة أمور:

١) **الربانيــة ّ:** حيث أن الأستاذ في ثلاثيته يجعل العلم الديني من أهم المقومات كما سبق و أن بينا، حتى يحقق به التهيئة الفكرية و النفسية و القلبية لأفراد الأمة، ليكون الاسترداد الحضاري انطلاق من مفهوم الدين الذي يجمع الأمة كونها امة توحيد.

٢) **الأخلاقيــة:** هذا المعنى الذي يتجلى في العمل بالدين بعد العلم به، و المؤاخات بين الناس و الأمم، فأن كانت المدنية الغربية تقوم على التناحر و التقاتل، فأن الحضارة التي يدعو إليها النورسي، تقوم على الاتفاق لا الاختلاف، و الأخوة لا العداوة، و التراحم لا التحاسد، و التعاون لا التشرذم، وسنزيد الأمر بيانا في المبحث اللاحق إن شاء الله لأهميته و ارتباطه بما نحن بصدد الحديث عنه.

٣) **الشــمولية:** مقومات النهوض الثلاث بما تحتويه شاملة جامعة مانعة، فهي تتضمن كل معاني الأخلاق و مقومات التمكين إما بشكل مباشر أو بطريقة تبعية.

فمقوم المعرفة الدينية يجعل من أفراد المجتمع أصحاب عقيدة و قيم، و أصحاب مبادئ و أخلاق، و أصحاب غاية ورسالة؛و مقوم التقنية يجعل منهم أصحاب تعمير و بناء؛ و مقوم الاتفاق يجعل منهم أهل تجرد وثبات، و أصحاب آخرة لا أصحاب دنيا.

كما أن هذا الشمول لا ينحصر بالمكان الذي عاش فيه الأستاذ بديع الزمان ولا بزمانه، بل هي مقومات للنهوض و الاسترداد الحضاري لكل امة الإسلام في زمنه و زمن غيره، و في تركيا و غيرها من بلاد الإسلام.

٤) **الواقعيــة:** حيث راعى الأستاذ بديع الزمان في ثلاثيته جانب تحقيق الرفاهية و دفع البؤس و الشقاء عن الفقراء و المحتاجين، و السعي إلى التأكيد على عنصر التقنية و العمل، لأجل إحداث التطور التكنولوجي

المنشود، و الذي سيخرجهم من التخلف المادي والتقني الذي أصابهم، فلم يكتفي بحصر الناس في نعيم الجنة و مفاز يوم القيامة فقط بل تعداه إلى نعيم الدنيا و رخاءها مراعاة للأنفس و لكل المستويات.

٥) **الذاتيـة:** و نريد بها مراعاة طبيعة قيم و مبادئ الأمة، فلم يكن عالة على غيره من المناهج التي لا ترتبط بقيم و عقيدة الأمة، كما انه لم يأتي بشيء غير منسجم مع أمال و طموحات امة الإسلام.

بل إن هذه الثلاثية قد جعلها الأستاذ النورسي خصيصا للمسلمين دون غيرهم من سائر البشر، فلهؤلاء خطاب غير الخطاب الموجه للمسلمين.

٦) **التـلازم:** و معناه أن الاسترداد الحضاري لا بد له من هذه المقومات مجتمعة غير منفصلة، فإن حدث و أن وُجدت حضارة مادية حققت الرفاهية للمجتمع من غير قيم آو أخلاق، فهذا عيب و نقص، وليست بحضارة القمة المنشودة، بل الصواب أن نسميها مدنية.

و أما حضارة القمة؛فهي في نظر الأستاذ ما اجتمع فيها عنصر التطور المادي، و الأخلاقي كما سبق وان بيناه.

المبحث الثاني: علاقة ثلاثية النهوض بالأخلاق عند النورسي

المطلـب الأول: علاقة العلم الديني و العلم الدنيوي بالأخلاق: حينما جعل الأستاذ بديع الزمان النورسي هذه الثلاثية، و جعل ضمنها المعرفة المتعلقة بالدين، فقد أدى ما عليه بإدماج أخلاق في الحضارة؛ لأن الأخلاق أهم ما يتعلمه المسلم في طلبه الديني.

بل إن عنصر الأخلاق من الأسس التي يقوم عليها الدين، فما دين الإسلام سوى عقيدة و شريعة و أخلاق.

و لهذا فإن الأستاذ النورسي اتخذ القرآن دليلا ومنهجا فما ضل الطريق ولا حاد لان كل منهج لا يقوم على حسن التعامل مع الخلق و رب الخلق فهو منهج معتل أعرج، فالمسلم الحق من كان في صلاته باكيا خاشعا لله، و في طريقه مبتسما متواضعا لخلق اللّه.

و الرسول يربط في كذا حديث يبين العقيدة الصحيحة و الخلق السليم " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم "[٢٢] و قد جسد ذلك صلى اللّٰه عليه و سلم من خلال سيرته فكان خلقه القرآن و أكثر ما ورد من صيغ التفضيل في الأحاديثّ، ما كان متعلقا بالأخلاق: "إنَّ خياركم أحاسنكم أخلاقا"[٢٣] ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق"[٢٤] و آفة الكثيرين أنه كلما تعلم مسالة في الشرع قل أدبه بمقدار ذلك.

و هدي سلفنا الصالح خير مثال: يقول عبد اللّٰه بن وهب رحمه اللّٰه: "ما تعلَّمنا من أدبِ مالكٍ أكثرُ مما تعلّمنا من علمه "[٢٥].

وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد: قال لي أبي: "يا بني، ائتِ الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذْ من أدبهم وأخلاقهم وهَدْيِهم، فإن ذاك أَحبُّ إليَّ لك من كثير من الحديث"[٢٦].

فلا يمكن لمسلم أن يعمل بقوله: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (٢٧ لأنها من العقيدة و يدع قوله تعالى:) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢٨] لأنها من الأخلاق قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾[٢٩].

فلا بد أن يكون الأدب بمقدار العلم أو قريب، لأن العلم حجة علينا و

---

٢٢ رواه مسلم في صحيحه (٥٤).

٢٣ صحيح البخاري (٦٠٢٥)

٢٤ رواه الترميذي و قال حديث صحيح.

٢٥ سير أعلام النبلاء: الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي. (١١٢/٨).

٢٦ الجامع لأخلاق الراوي الخطيب البغداي (١ / ٨٠).

٢٧ لقمان الاية (١٣).

٢٨ الاسراء (٢٣).

٢٩ القرة الاية (٨٥).

الأدب حجة لنا، و المسلم في عقيدته

و أخلاقه يعبد ربا واحدا، فالذي قال:﴿و وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٣٠] هو من قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣١]

و حينما نوجد الفرد المسلم الذي تعلم دينه و أحسن تطبيقه و تجسيده في أرض الواقع، فإننا نكون قد أنجزنا نصف المشروع، و لم يتبقى سوى أن يتحول هذا المسلم إلى آلة إنتاجية تتحقق بقوله تعالى:) اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (٣٢ فتستغل السنن الكونية و تسخرها لخدمة البشر، و خدمة دين اللّٰه.

لأن النفس التقية المخلصة تتعلم العلم التقني ليس اغترارا بالنفس و لاستعباد الخلق و إفنائهم، بل تسخر السنن وفق مراد اللّٰه من آمر ونهي، فتقرأ ولكن باسم اللّٰه كما أنها تنضبط بالدين و أخلاقه و بالقيم الإنسانية للعالم، و التي حينما تملص منها المغرضون، تحول التطور إلى عبئ يثقل كاهل الجنس البشري و تهديدا له بالفناء، بل أنه قد تحول إلى العبث بالإنسان و سلالته.

المطلب الثاني: الأخلاق ثمرة الائتلاف والاتفاق:

تكلمنا في المطلب السابق عن ارتباط الأخلاق بالعلم الديني و العلم الدنوي، و أفردنا الكلام عن الأخلاق و علاقتها بالإتلاف و الاتفاق في هذا المطلب، لنستكمل الترابط بين ثلاثية النهوض و بين الأخلاق، و لكن قد يقول قائل أوليس الاتفاق من الأخلاق التي تندرج ضمن العلم الديني و العمل به؟ فلماذا خصصها الأستاذ النورسي و جعلها عنصرا مستقلا؟

و الجواب:إن الكلام عن الخاص بعد العام لأهميته و فضله جرى عليه العمل عند العلماء ولأدباء، بل هو منهاج القرآن الكريم و هدي النبي صلى اللّٰه عليه و سلم، الم يقل اللّٰه: (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الْوُسْطَى

٣٠ لقمان الاية (١٨).

٣١ الشورى الاية (١١).

٣٢ العلق الآية (١).

وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾[٣٣]، فعطف الصلاة الوسطى على الصلوات الخمس و هي جزء منها و هذا لمزية اختصت بها.

ثم إن العلم قد يصحبه الغرور أو البعد عن الله و صراطه السوي فيصير من أسباب الخلاف و الوقوع في البغي يقول تعالى:﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٣٤] فلزم التأكيد على ضرورة الاتفاق و الإتلاف بعد التأكيد على العلم. و الأمر الأخر وهو معرفة الأستاذ بديع الزمان النورسي و إدراكه لأثار السلبية للاختلاف و افتراق الأمة، و كونه من عوامل سقوط و زوال الأمم، وهذا من خلال تأمله في القرآن، و تتبعه للتاريخ و إدراكه للواقع، و لهذا نراه يحث أصحابه و مريديه على هذا الخلق العظيم و هو خلق الاتفاق و الإتلاف الموجب للمحبة يقول: "فحذار.. حذار ! و إياكم أن تهتز تلك المحبة الصميمية الصادقة التي ربطت قلوبكم، إذ ان الاهتزاز طفيفا في الأخوة و المحبة ذرة واحدة تضرنا أيما ضرر».[٣٥]

و الأستاذ يفرق بين الاجتماع الرباني النوعي الهادف الذي دافعه الإخلاص و دماثة الأخلاق، و بين الاجتماع العددي الكمي الفارغ، فيضرب مثالا من أروع ما يكون يوضح فيه اثر الاتحاد و الاتفاق للمستقيمين المخلصين المتخلقين بالأخلاق السامية الرفيعة والضرر المترتب على من يخالفها فيقول "من المعلوم في علم الحساب ان الضرب والجمع يؤدي إلى الزيادة. فاربعة مضروبة في اربعة يساوي ستة عشر. ولكن الضرب في الكسور يؤدي إلى النقصان، فالثلث في الثلث يساوي التسع، ونجد نظير هذا في عالم الإنسان، فإذا لم يتحد الإنسان مع الصحة ومع الاستقامة فان النتيجة يكون نقصاناً وخللاً ودون اية قيمة"[٣٦]

---

٣٣ البقرة الآية (٢٣٨).

٣٤ عمران الآية (١٩).

٣٥ الشعاعات: ص (٥٤٨).

٣٦ عزاها السيد الفاضل: أ.د. إبراهيم جانان إلى لأستاذ النورسي في خطبته الشامية و قد بحثت عنها في صيقل الإسلام – الخطبة الشامية - ولم أجدها فلعله سقط او قلة انتباه مني.

ثم يتكلم في رسالة الإخلاص كلاما رزينا موزونا، يجعل ضمنه أخلاقا و أدبيات رفيعة تحول الوقوع في الاختلاف و التضاد؛ لكون الاتفاق بشكل دائم و مستمر أمر ممتنع، فيقول مبينا بأن العلة في فقدان الخلاص هي الاختلاف و المنافسة بدل الاتفاق و المحبة: «و اذا ما كان ثمة غرور و أنانية بتوهم المرء نفسة محقا و مخالفيه على باطل فيقع الاختلاف و المنافسة بدل الاتفاق و المحبة، و عندها بفوته الاخلاص و بحبط عمله و بكون اثرا بعد عين» [٣٧]

و بعدها يورد ضمن مبحث الإخلاص، ما يليق أن نسميه أدبيات الخلاف الأخلاقية عند النورسي و التي يحصرها في تسعة نقاط ن نختصرها بتصرف فيما يلي و هذا بعد قوله: «و العلاج الوحيد لهذه الحالة الحيلولة دون رؤية نتيجتها الوخيمة هو في تسعة نقاط» [٣٨]:

١ – العمل الايجابي البناء و هو عمل المرء يمقتضى محبته لمسلكه، من دون ان يرد إلى تفكيره او يتدخل في عمله عداء الآخرين أو التهوين من شانهم.

٢-تحري روابط الوحدة الكثيرة و المتعددة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام، و لتي ستكون وسائل أخوة و اتفاق.

٣ – اتخاذ دستور الإنصاف دليلا و مرشدا، و عدم حصر الحق في الذات أو النفس أو المسلك الخاص دون الآخرين و يقصد به المنهج أو الطريق المتبع.

٤ - معرفة بركة الاتفاق مع أهل الحق و أنه سبيل التمكين.

٥- إيجاد جبهة قوية لمواجهة حدة الباطل و تجمعه.

٦ – استحضار نية الاتفاق لأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل.

٧- ترك غرور النفس و حظوظها.

٨-ترك ما يتصور خطأ انه من العزة و الكرامة.

٩- ترك دواعي الحسد و الغيرة و الأحاسيس النفسانية التافهة « [٣٩]

---

٣٧ اللمعات: ص (٢٢٨).

٣٨ المصدر نفسه: ص (٢٢٨)

٣٩ المصدر السابق: ص (٢٢٨ – ٢٢٩)

ثم يختم فيقول: «بهذه النقاط التسع يُظفر بالإخلاص و يوفي الإنسان وظيفته حق الوفاء و يؤديها على الوجه المطلوب»[٤٠]

و هكذا يكون قد أدرك بفقهه الواسع و نور البصيرة التي رزقه الله إياها ببركة ملازمته للقرآن مدى الترابط ببين الاتفاق بين المؤمنين و إخلاصهم لله لأن الوحدة من ثمار إخلاص التوحيد.

المطلب الثالث: حياة النورسي في ظل ثلاثية النهوض:

إن اثر القدوة في الناس أكثر من اثر ألف كتاب يمليه صاحبه ثم يخلفه بفعله و مواقفه، و الأستاذ النورسي ضرب أروع الأمثلة في الالتزام بما يدعو له قولا و فعلا، تجلى ذلك من مواقفه و مرافعاته و الأغرب من ذلك من تكوينه الذي انتهجه منذ صباه و كأن العناية الالاهية تعده إلى أمر عظيم لا يعلمه هو نفسه.

و لن نتكلم عن سعيد القدوة إلا في نقاط مختصرة متعلق بهذه الثلاثية و هي «العلم و التقنية و الاتفاق»

لا يخفى على كل مطلع علي سيرة هذا الرجل العظيم كيف أنه جمع بين شتى العلوم الدينية و الدنوية، فقد أتاه الله بداهة و ذكاء لا نظير لهما، و أوتي مع هذا قوة في الذاكرة و قدرة على الاستيعاب والحفظ من النادر أن تتوفر في بشر، مما جعله وهو ابن أربع عشرة سنة يتبحر في العلوم العقلية والنقلية بشكل عصامي ويحفظ ثمانين كتاباً من أمّهات الكتب العربية كما حفظ القرآن الكريم. و عكف على العلوم الكونية الطبيعية، (رياضيات، وفلك، وكيمياء، وفيزياء، وجيولوجيا) والفلسفة و التاريخ و العلوم العقلية الأخرى حتى غدا عالماً فيها، و لهذا حينما تدرس رسائل النور تستشف هذه القدرة الفائقة و الفكر الموسوعي الفذ.

فإن تكلم في الفلك قلت أنه فلكي محنك، و إن تكلم في الطب فكأنه طبيب مختص، و إن خاض في الفلسفة فكأنه فيلسوف بارع، مع كثرة المشاغل

٤٠ المصدر نفسه: ص (٢٩).

و مشكلة الكسب [41]و الناظر العادي في تأويله للتفسير الذي تناقلته أمه تبريرا لخسوف القمر و هو صبي، لا يكاد يفقه منه شئيا إلا أن يكون من أهل الفن قال: «ولكن حينما طالعت علم الفلك رأيت أن الذين يقولون كما تقول والدتي، قد تلقوا التشبيه حقيقة واقعية؛ لان الفلكيين شبهوا القوسين الناشئين من تداخل دائرة الشمس، وهي منطقة البروج ومدار درجاتها، مع دائرة القمر وهي ميل القمر ومدار منازله، شبهوهما تشبيهاً لطيفاً بحيتين ضخمتين، وسموهما تنينين، و اطلقوا على احدى نقطتي تقاطع تلك الدائرتين ((الرأس)) والاخرى ((الذنب)). فحينما يبلغ القمر الرأس والشمس الذنب تحصل حيلولة الارض – كما يصطلح عليها الفلكيون – أي: تقع الأرض بينهما تماماً، وعندها يخسف القمر. أي كأن القمر يدخل في فم التنين، حسب التشبيه السابق»[42].

فإذا نظرنا إلى أدبه في الخلاف وكيف كان يحث على الحب وممارسته للتعاون فسترى العجب العجاب، و لا يسعنا نقل كل ما وردفي ذلك، ولكن سنكتفي بالإشارة إلى بعض من المعاني، ثم الإحالة إلى الموضع الذي يمكن الحصول عليها من خلال رسائل النور.

فحينا تحدث عن الخلاف بين السنة و الشيعة و رد عليهم، و خاض في مسالة الخوارج و الأمويين، [43] فقسم الشيعة إلى شيعة الولاية و شيعة الخلافة، و بين كيف أنهم يتفاوتون في أفكارهم و معتقداتهم كل هذا بأدب و عدل و إدراك و علم لا نظير لها، حتى قال في الأخير نخلص مما سبق: "أنه لا خير في الإفراط و التفريط في كل شيء و إن الاستقامة هي الحد الوسط الذي اختاره أهل السنة و الجماعة" [44].

ثم قال ناصحا و مرشدا: "فيا اهل الحق الذين هم آهل السنة و الجماعة و يا أيها الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلكا لكم ارفعوا فورا هذا

٤١ انظر السيرة الذاتية ص (٦٢).

٤٢ اللمعات: ص (١٣٩).

٤٣ المصدر نفسه: ص (٣٢).

٤٤ المصدر نفسه: ص (٣٧).

النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه، وان لم تزيلوا هذا النزاع فان الزندفة الحاكمة ألان حكما قويا تستغل أحدكما ضد الأخر وتستعمله أداة لإفناء الأخر، ومن بعد إفناءه تحطم تلك الأداة أيضا.

فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع، لأنكم أهل التوحيد بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الإخوة و الاتحاد"[٤٥].

و لم يكتفي بالأدب و الإنصاف في الرد على مخالفيه، مع قوة الحجة و الدليل حتى أضاف لهم خلقا رفيعا و هو التواضع و خفض الجناح للمخالف و إن كان على خطا.

قال الأستاذ النورسي وهو في يمهد للرد على سؤال وجهه له احد طلابه حول بن عربي: "انك ياخي تظطرني إلى أن أناقش و انا الضعيف العاجز خارقة الحقيقة و داهية علم الأسرار محي بن عربي"[٤٦]، حتى وصفه بأنه "صقر" ووصف نفسه بأنه "ذبابة"[٤٧] ثم اخذ يسرد في الحجج و البراهين التي ابطل بها مذهب ابن عربي في كون مخلوقية الروح عبارة عن انكشافها.

ولكن تواضعه هذا لا يكن سببا في الطيبة الموهمة للضعف أبدا، و التي قد تجعل الخصم يغتر و يعتز بإثمه و قوته أمامه كما يظهر ذلك جليا حينما شرع في دحض شبه النصارى[٤٨].

و مثلها حينما رد على طبيب ادعى أن لعيسى والد فبدأ بقوله:" إن طبيبا شقيا يدعي أن لعيسى عليه السلام والد، وزعم أنه يستشهد لنفسه بأية كريمة بتاويل جنوني " [٤٩]، حتى وصفه بأنه "عاجز" ورد عليه رد العالم المتبحر.

---

٤٥ المصدر نفسه: ص (٣٨).

٤٦ المصدر نفسه: ص (٥٢).

٤٧ المصدر نفسه: ص (٥٢).

٤٨ اللمعات: (ص ٥٢ إلى ٥٨).

٤٩ المصدر السابق ص (٥٢).

المبحث الثالث: أثر الثلاثية في الاسترداد الحضاري.

المطلب الأول: سمات الحضارة الغربية:

إن الحضارة الغربية بشقيها الاشتراكي و الرأسمالي تقوم على المادة و نبذ الروحانيات، والحرية المطلقة للفكر و الجسد، كما أنها تؤمن بأن كل ذلك لا يتحقق إلا بالنّقلة النّوعية التي تكون نتيجة صراع طبقي يختلف من منهج إلى أخر، تكون ثمرتها دماء و اشلاء.

كما تعتبر هذه الحضارات "الإنسان مركز الكون " نافية بذلك الدّين و الاله، وهو التوجه الذي غذاه ديكارت[٥٠] صاحب الاتجاه العقلاني و الذي احدث انحرافا كبيرا في الثقافة الأوروبية، و قد كتب جورج هارس مبرزا لهذا الاعتقاد فقال: " لم ولن يعلو الدين على الحضارة ".

و هذا طبعا كرد فعل لما كانت عليه الكنيسة، حينما كانت لغة تكتيم الأفواه و حرق الأجساد هي طريقة مخاطبتها للناس، حتى عبر عن هذا المنطق الرهيب توركويمادا (١٤٢٠ - ١٤٩٨)، رئيس محاكم التفتيش في أسبانيا، الذي كان يبرر حرق الناس و تعذيبهم، بقوله: نحن نحرقك في الدنيا رحمة بك حتى ننقذك من النار الأبدية في الآخرة!"، ولما كتبت «صحيفة كولونيا Kolnische Zeituong في ٢٨ مارس ١٨١٩ مقالا تقول: " أن الإنسان في هذه الحالة قد حطم إرادة اللّه التي قضت بأن يكون الليل مظلمًا" منددة بما أقدمت عليه مدينة كولونيا الألمانية من إضاءة الشوارع بالغاز لأول مرة، بحكم أنه تدخل في الإرادة الإلهية على وفق ما يزعمون وكأن البشر خلقوا ليعيشوا في الظلمات.

المطلب الثاني: الفرق بين المجتمع الذي ينشده النورسي وبين المجتمع الذي ينشده غيره غيره:

المتأمل في مختلف الأطروحات يلاحظ فروقا أساسية و جوهرية، بين طرح الأستاذ النورسي و غيره من المفكرين و المنظرين في الحضارة المنشودة و اهم مقوماتها أهما:

٥٠ رينيه ديكارت ٣١: مارس ١٥٩٦ – ١١ فبراير ١٦٥٠) فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي)، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"

- أن نظرة الأستاذ بديع الزمان نظرة ربانية روحانية أخلاقية، تقوم على أساس التعلق بالله و احترام الآخرين، و تحقيق التكامل بين الدين و الدنيا، و بين النفس و الحياة، بينما غيره نظرته مادية بحتة حصرت السعادة في الماديات و الانجازات الدنوية لا غير.
- الأمر الأخر وهو أن نظرة الأستاذ بديع الزمان، غايتها تحقيق مرضاة اللّٰه فهي ربانية الوجهة و المصدر، دون أن ينفي نصيب و حظ البشر من الحياة الدنيا، ولكن في ظل تحقيق العبودية لله؛بينما جعل الآخرون الدين عبئ و ثقل على لإنسانية و أفيون الجماهير.
- التقنية و العلوم الدنوية عند الأستاذ النورسي وسيلة وليست غاية في ذاتها، و هي خادمة لبنى البشر، هدفها تحقيق الرفاهية و ربط الإنسان بربه؛بينما غيره اتخذها وسيلة للاستعباد و غاية لقضاء الشهوات و برهان على بطلان الدين و نفي وجود الإله.
- منهج ا لأستاذ يقوم على الاتفاق و المحبة و الإخاء إقرارا و ممارسة؛ بينما يقوم منهج غيره على الثورات و الصراع الطبقي و نشر الفرقة بغية استعباد البشر.
- فخلاصة الكلام: أن نظرة الأستاذ بديع الزمان النورسي للحضارة المنشودة نظرة روحية ربانية، قوامها الدين و الأخلاق؛ بينما نظرة غيره نظرة برغماتية مادية عنصرية.

الخاتمة

نخلص مما سبق إلى مكانة و عظمة الدور الفعال و المميز الذي قام به الأستاذ بديع الزمان النورسي، في إبراز مفاهيم الاسترداد الحضاري، وفق قيم و أخلاق إسلامية و إنسانية راقية و عليه؛ لا بد وان ينتقل هذا الفكر إلى ممارسة في واقع المسلمين.

فان كان الأستاذ قد أدى ما عليه من إرشاد الأمة و توجيهها الوجهة الصحيحة، من خلال القرآن و السنة النبوية، فان التحدي الآن يكمن في تفعيل

هذه الأفكار لتكون و هذا يكون من خلال ما يلي:

- السعي لتربية جيل من المسلمين يتربى على الأخلاق الحميدة و القيم العالية.
- إبراز معاني الاستعلاء الإيماني و العزة من غير كبر.
- السعي لإيجاد نشئ يرتبط بالقرآن و السنة، ويحسن تسخير السنن الكونية لخدمة الإسلام.
- توعية الخطاب الديني ليشمل الدين و الدنيا معا.
- إبراز معاني الإخاء و المحبة، و أدبيات الخلاف بين العاملين في حقل الدعوة.
- استثمار أفكار الأستاذ النورسي المطمورة في رسائل النور، من خلال مؤتمرات و ندوات، تناقش جزئيات الأفكار من خلال الرسائل، و تنتقل من العموم إلى الخصوص، ومن الإجمال إلى التفصيل، وفق منهجية تهدف إلى الخروج ببرامج عملية فعالة.

و صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله و صحبه أجمعين و الحمد لله رب العاملين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- المعاجم
- «معجم لالمعاني الجامع »، الدكتور مروان عطية، مركز ايوان للنشر والتوزيع بالتعاون مع دار النوادر مصر، د س
- كتب التفسير:
- تفسير القرآن العظيم:أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٥٧٧٤): ت: محمد حسين شمس الدين: ط: ١، دار الكتب الثقافية،، بيروت، ١٤٢٥ هـ.
- كتب الصحاح و السنن:
- سنن الترمذي:ابن عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ): دط، دار الكتب العلمية، دس.

- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: دط، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ/١٩٩٣ م
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: د ط، دار إحياء الكتب العربية، د س.
- كليات رسائل النور:
- الكلمات سعيد النورسي المعروف بديع الزمان نور الدين النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمة: احسان قاسم الصالحي: د ط، شركة سوزلر للنشر، مصر، د س.
- اللمعات سعيد النورسي المعروف بديع الزمان نور الدين النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمة: احسان قاسم الصالحي: د ط، شركة سوزلر للنشر، مصر، د س
- الشعاعات: سعيد النورسي المعروف بديع الزمان نور الدين النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمة: احسان قاسم الصالحي: د ط، شركة سوزلر للنشر، مصر، د س
- المكتوبات: سعيد النورسي المعروف بديع الزمان نور الدين النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمة: احسان قاسم الصالحي: د ط، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط: ٣، ت ط ٢٠٠١ م
- الملاحق في فقه الدعوة النور سعيد النورسي المعروف بديع الزمان نور الدين النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمة: احسان قاسم الصالحي: د ط، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط: ٣، ت ط ١٩٩٩ م
- سيرة الذاتية: سعيد النورسي المعروف بديع الزمان نور الدين النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمة: احسان قاسم الصالحي: د ط، شركة سوزلر للنشر، مصر، د س
- صيقل الاسلام سعيد النورسي المعروف بديع الزمان نور الدين النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمة: احسان قاسم الصالحي: د ط، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط: ٣، ت ط ٢٠٠٢ م
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: سعيد النورسي المعروف بديع الزمان نور الدين النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمة: احسان قاسم الصالحي: د ط، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط: ٣، ت ط ٢٠٠٢ م
- المثنوي العربيي النوري سعيد النورسي المعروف بديع الزمان نور الدين النورسي (ت ١٣٧٩ هـ)، ترجمة: احسان قاسم الصالحي: د ط، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط: ١، ت ط ١٩٩٥ م
- **البحوث:**
- أ.د. إبراهيم جانان: «بديع الزمان سعيد النورسي واعادة بناء العالم الاسلامي في القرن العشرين»، المؤتمر العالمي الثاني لبديع الزمان سعيد النورسي، ٢٧ - ٢٩ ايلول ١٩٩٢ استانبول – تركيا جامعة اتاتورك
- الشيخة و رغي: البعد الروحي في منهج الدعوة عندبديع الزمان سعيد النورسي، مذكرة مقدمةلنيل شهادةالماجستارجامعةالعقيد الحاج لخضرباتنة-الجزائر-، (١٤٢٨،٢٠٠٧م).